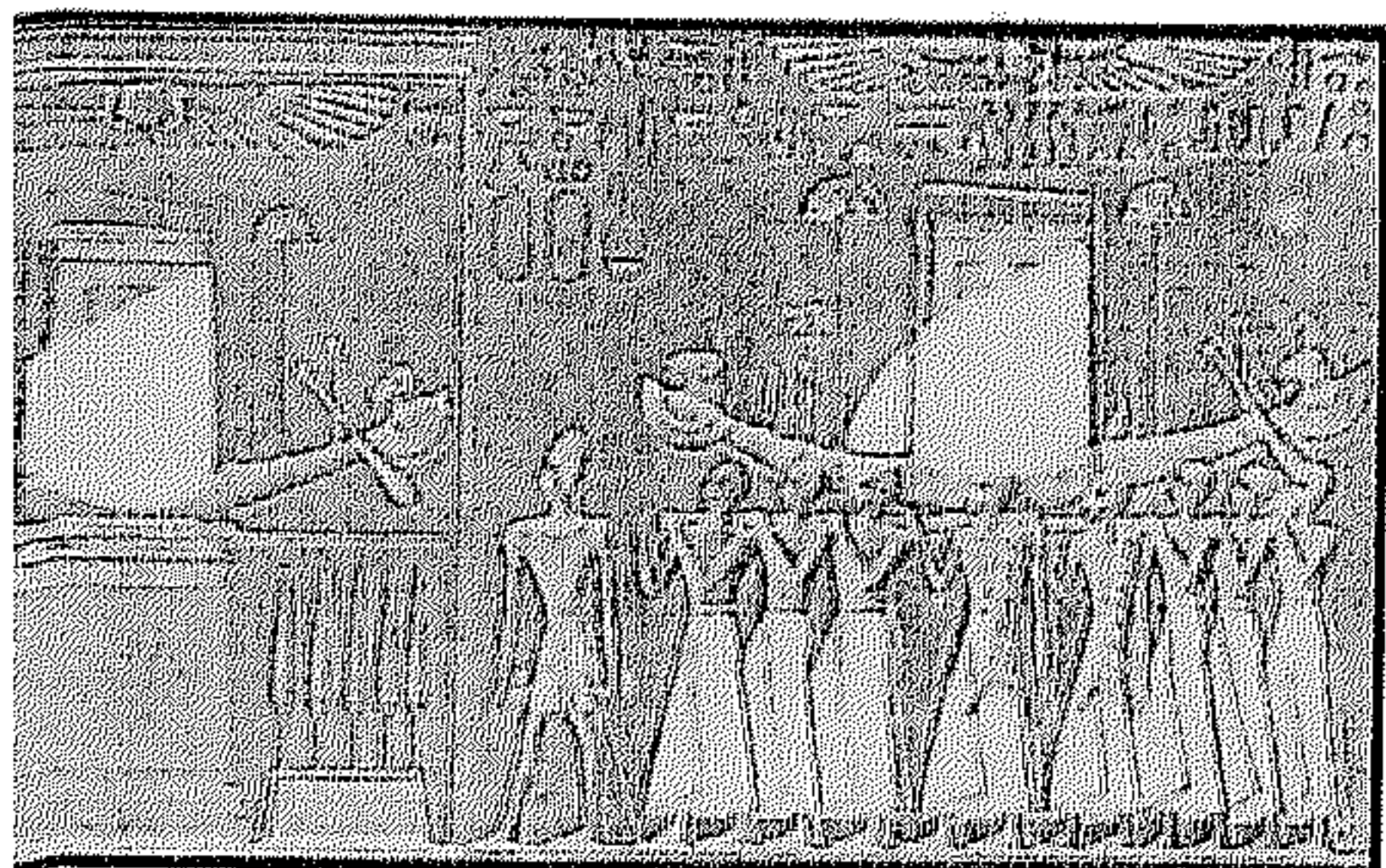
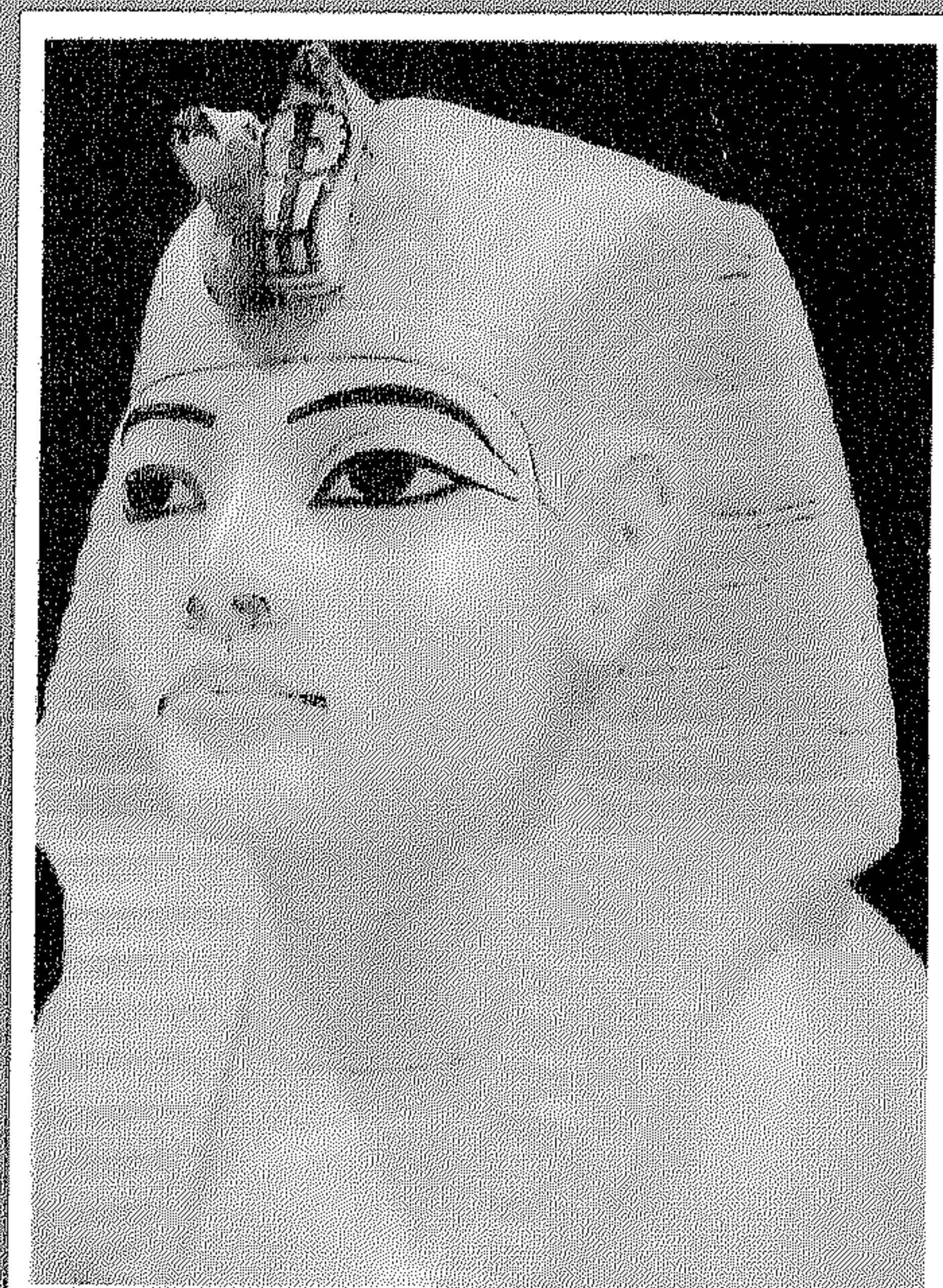
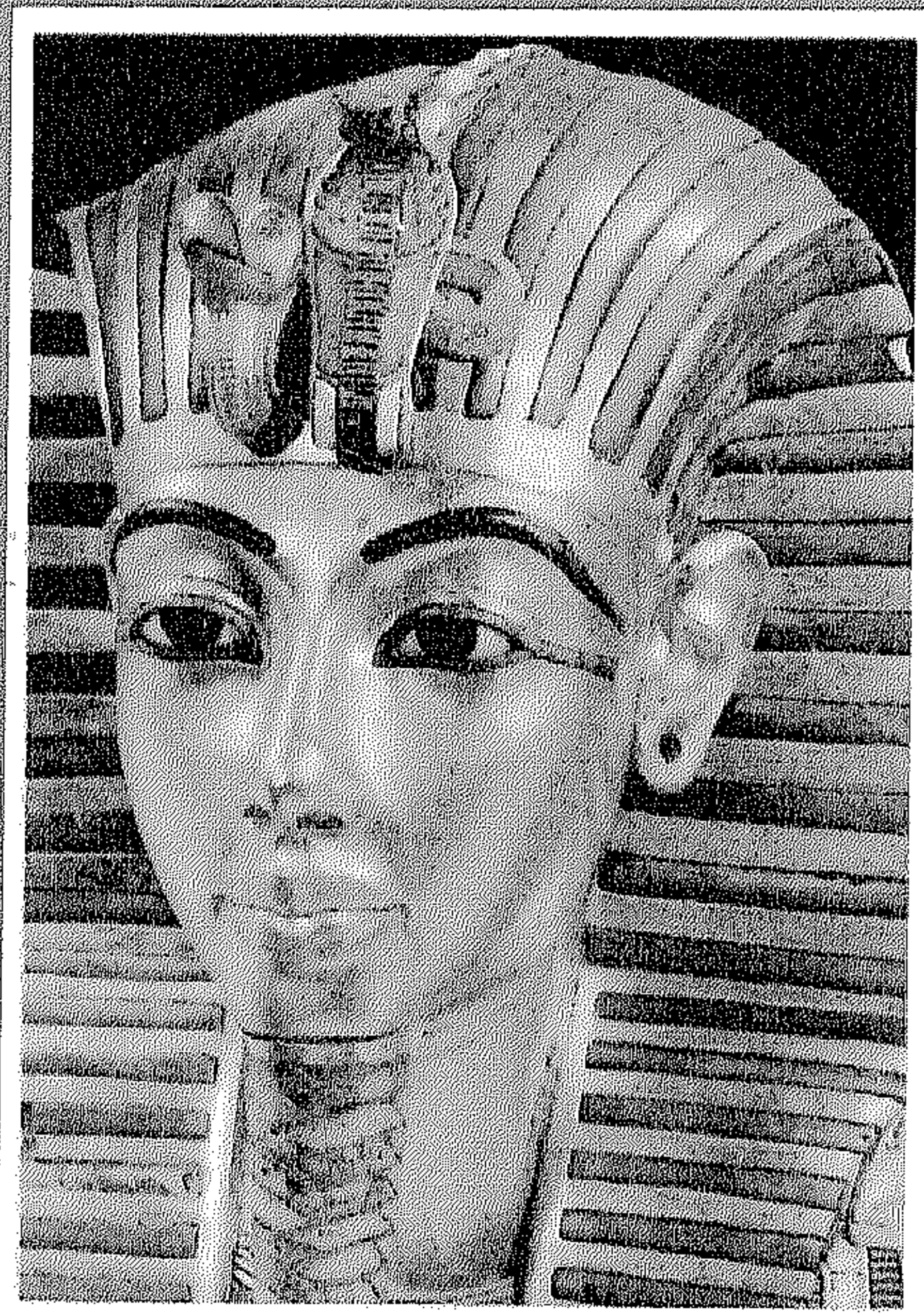


صَفَحَاتٍ مِنْ
تَارِيخِ
مِصْرَ
الْفِرْعَوْنِيَّةِ

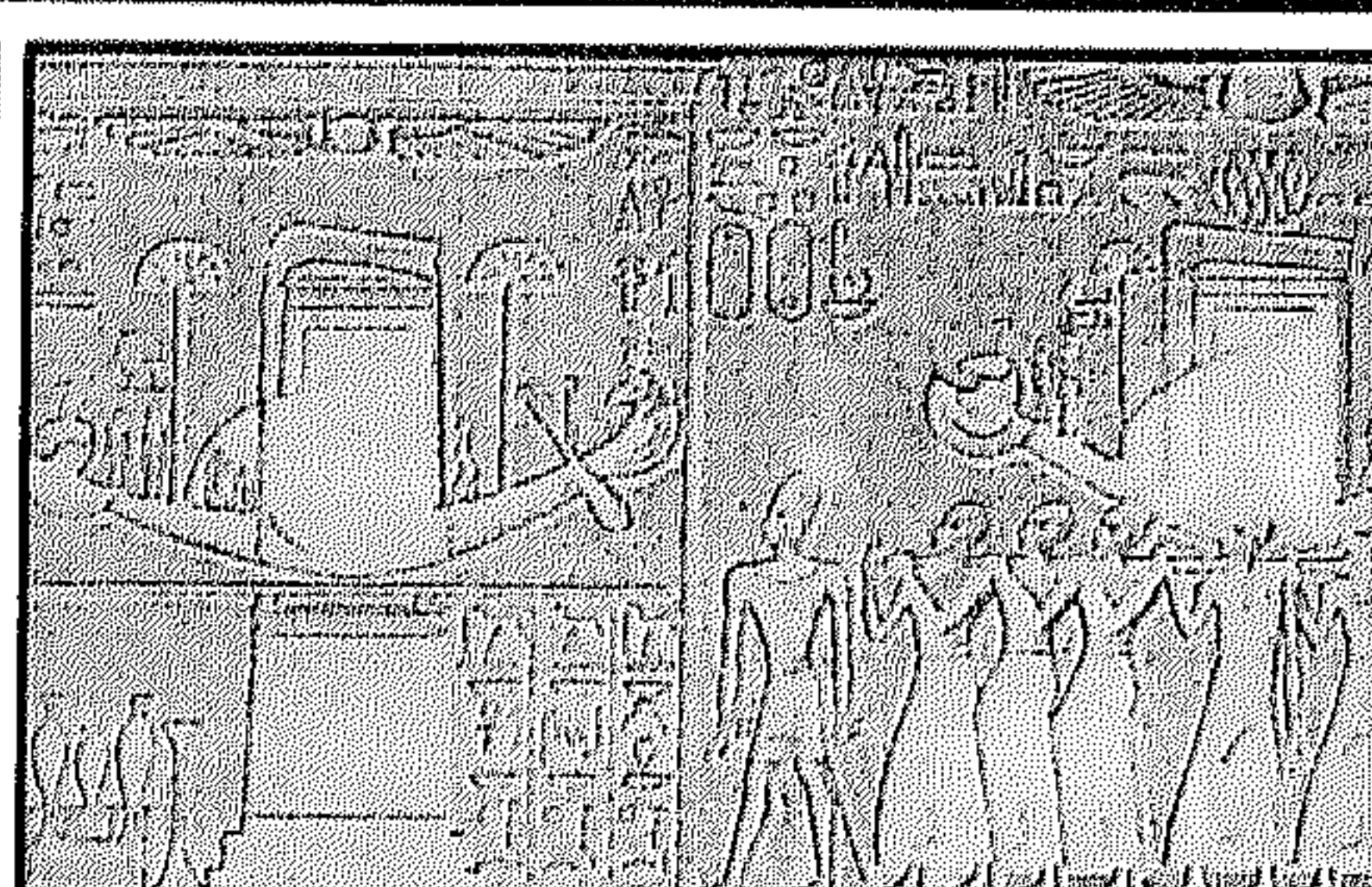
تَارِيخُ نِسْتِ عَنخْ آمُون

مُجَرِّدُ مِصْرَ الْعَظِيمِ

بِقَلَمِ (ق. ي.)



النَّاسِرُ
مَكْتَبَةُ مَدْبُولِي
القاهرة





D'

توت عنخ آمون
سارنج

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مدبولي

الطبعة الثانية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الناشر

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع

تليفون ٧٥٦٤٢١

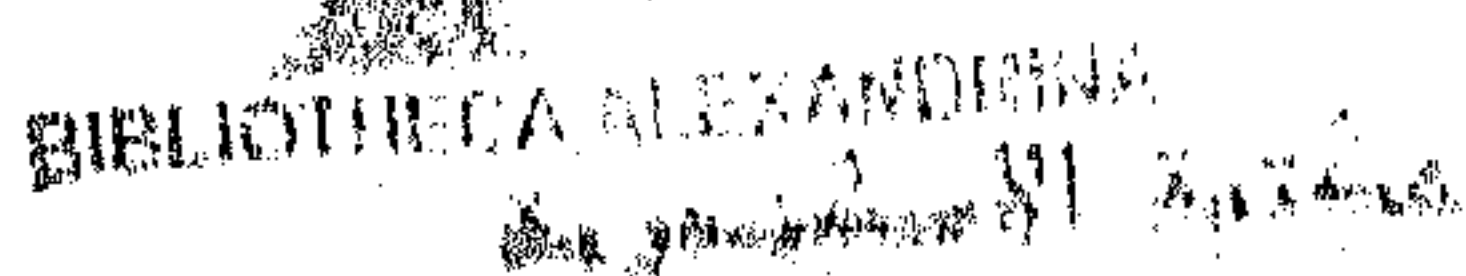
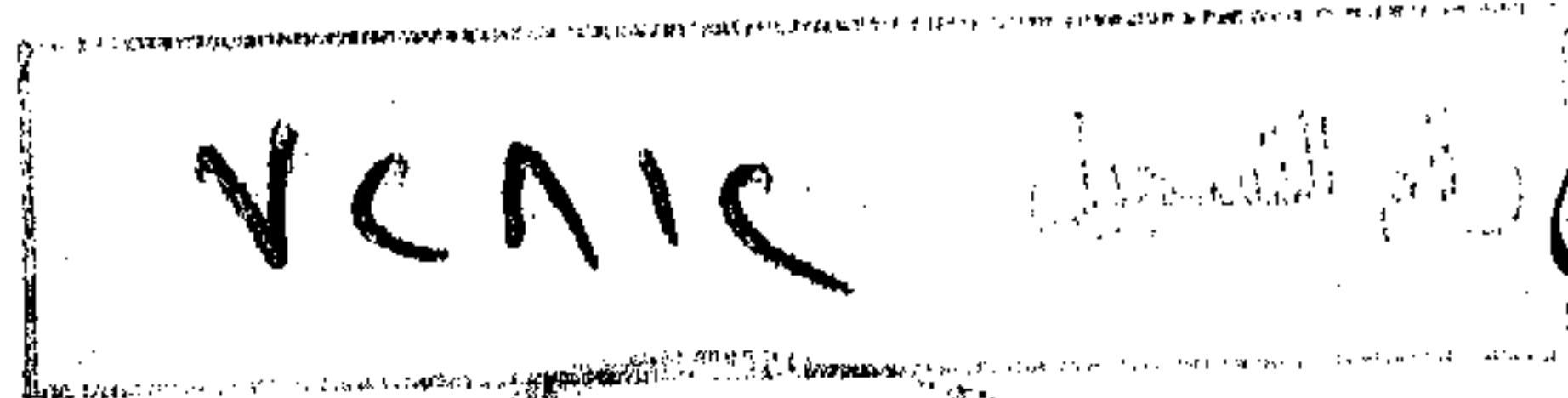
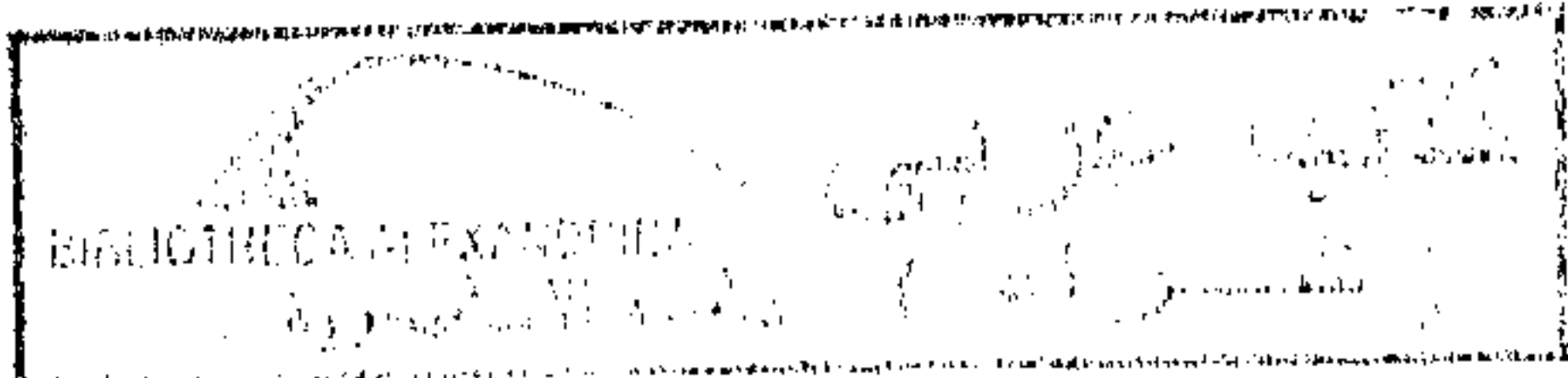
تاريخ توت عنخ آمون مُحرَّر مصر العَظيم

وهو بحث أُشْرِي نفيس
في كثير من عادات وأُخلاق وأُحوال وصناعة وتجارة قدماء المصريين
في عصر توت عنخ آمون الذهبي

ويُتبعه

تاريخ عالم الفراعنة

مُوجَزاً ومُستخلصاً عن أوْثوق المصادر التاريخية وأُسْهُر المؤلفات العصرية
بقلم (و. هـ. ي.)



مكتبة مدينتي
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

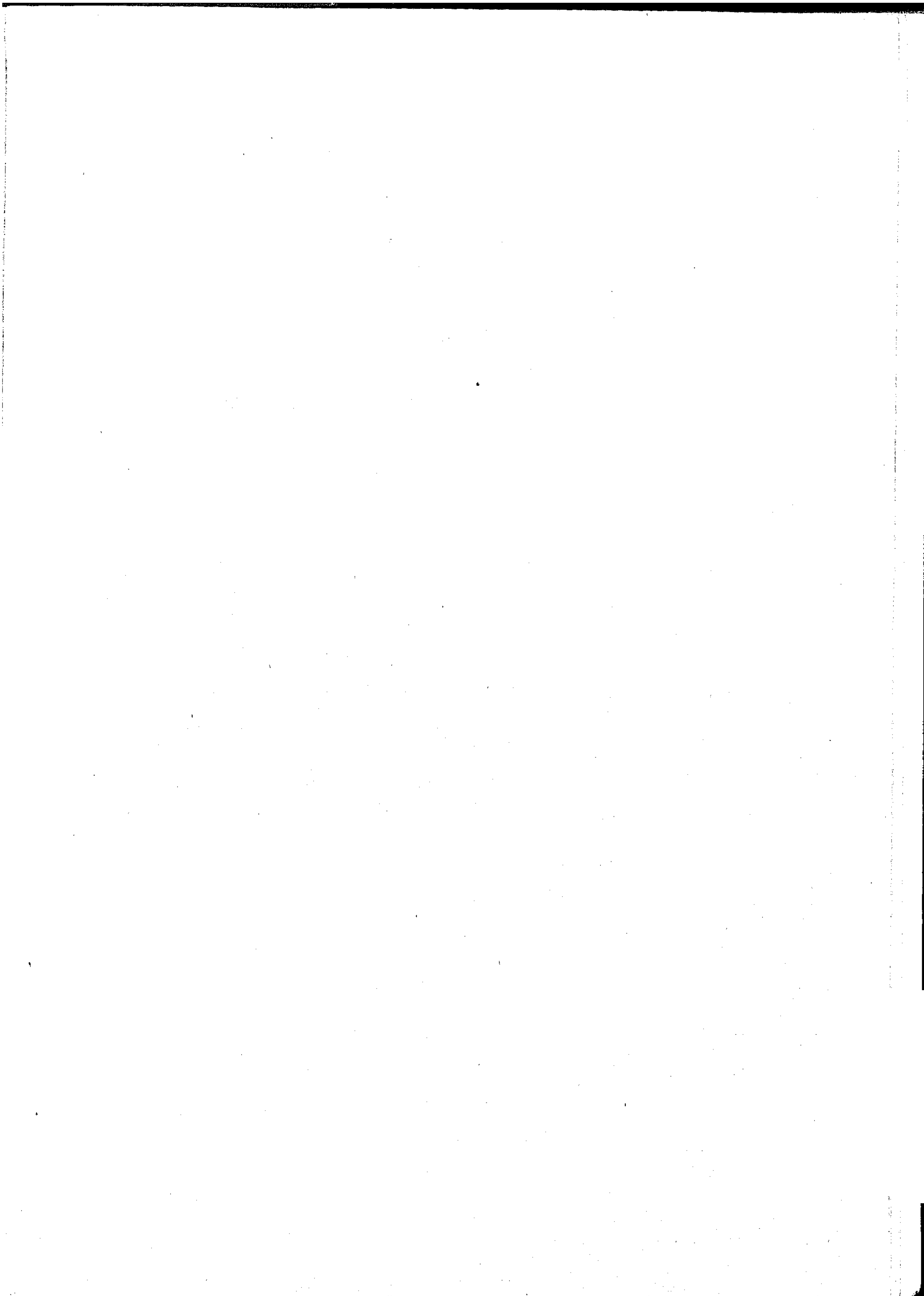
مقيد

إن القبلية التي يعمنا بوجهنا شطرها والغرض الذي من أجله نشرنا هذا الكتاب هو خدمة التاريخ الشرقي الدارس وسد ثلثة في عالم الأدب العربي . .
وان القارىء ليرى معنا أن لغتنا الشريفة أشد اللغات عوزا وحاجة الى كتب في قدماء المصريين تكشف لنا عن تلك السدول الكشيبة التي تحجب عيوننا عن رؤية ما وراء العصور من أنوار ساطعة وما وراء الأيام من أضواء مشعة
وأردنا تنبيه القارىء ولفت نظره الى فكرة عامة عن المدنية المصرية الغابرة بما نقلناه له عن علماء الفرنجة وكبار رجال الآثار الغربيين وكذا لم نأل جهداً في لفت نظره الى أوثق المصادر الافرنجية التي يرجع إليها اذا شاء الاطلاع والتعمق في شئون قدماء المصريين من عامة الوجوه

ولما كانت المصادر الافرنجية المهمة كثيرة لا يحصى لها عدد ولا يجمع لها شل عمدنا الى التجوال بين صحفها وفصولها منتقين ما قل ودل ولد وطاب وجلنا جولة بين ذاك البحر الخضم العميق بحر المؤلفات الافرنجية وخرجنا من الأعماق المدهشة حاملين شيئاً من محتويات ذلك القاموس لنقدمه الى القارىء الضامى الى مثل تلك الكنوز حتي يتشوق الى سبر غوره واقتحام مجاهله

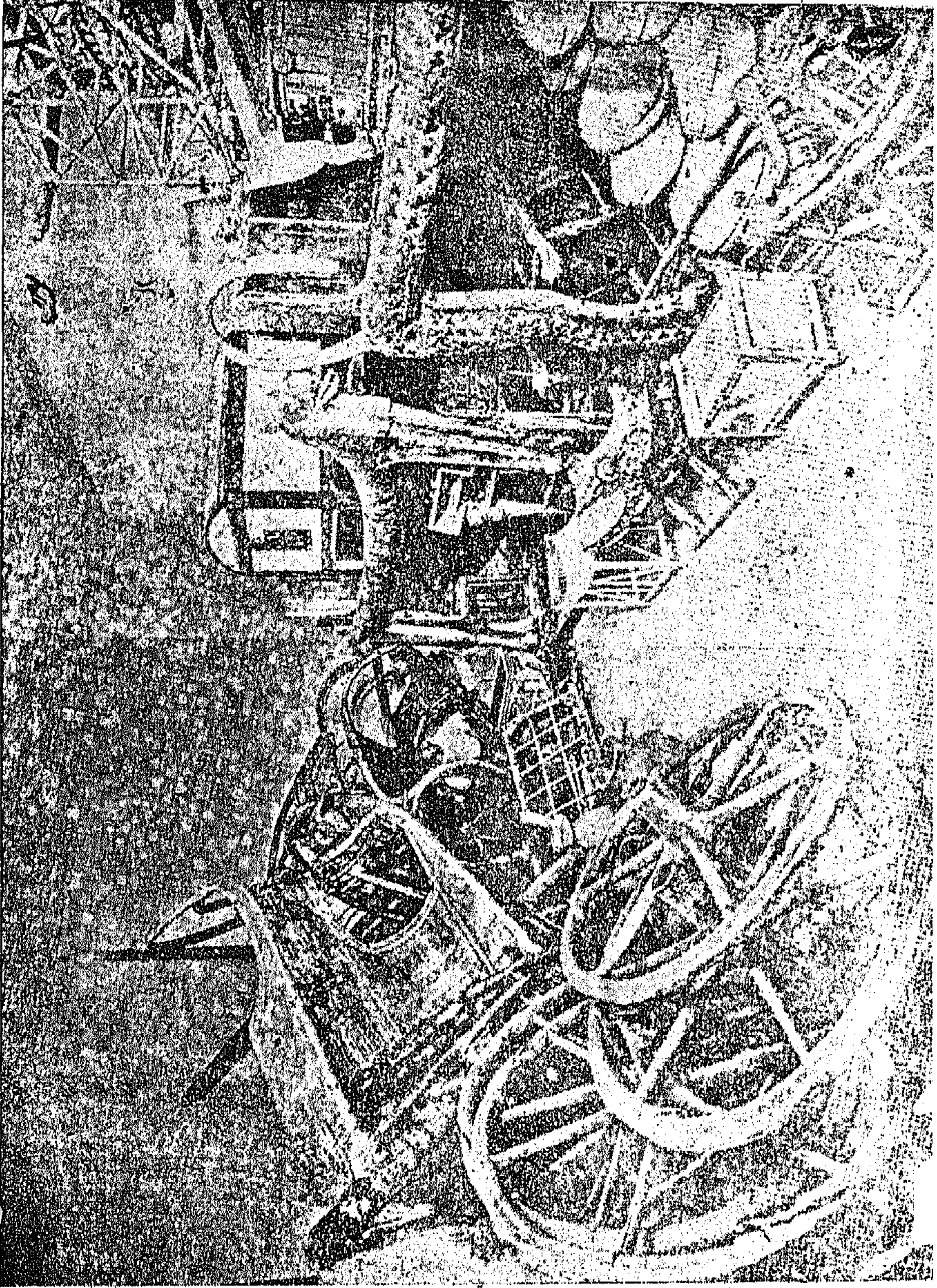
وقد يلاحظ القارىء في أثناء قراءة هذا الكتاب ما حولناه من ربط شتات المواضيع ومختلف الأبواب بعرى الائتلاف إذ كان الغرض كما قدمنا الفكرة العامة فمن تاريخ الى دين ومن اخلاق وعادات الى أدب وكتابات

ولعلنا نفتح بنشر هذا الكتاب باباً يتسابق اليه الشرقيون ويدخلون الى عالم التأليف والترجمة ثم يخرجون حاملين لنا من آثار الأجداد والأسلاف حباً ونباتاً وجنات ألفافا. وفقنا الله الى ما فيه رقي الشرقيين والسلام





صورة رسمية فوتوغرافية لنعل الملك توت عنخ آمون كان يلبسه في
رجله وقد وجد في المدفن وهذا النعل مزخرف جداً ومصفح
بالذهب ومزين بشكل زهرة اللوتس وبرأس بطة



منظر من صورة فوتوغرافية رسمية لداخل الغرفة الخارجية في مدفن توت عنخ آمون
كما كانت قبل أن تنقل منها التمتع تظهر فيه المركبات الملكية وعجلاتها
والصناديق والكراسي والسرير وعلم الأكل



هيكالين في الاقصر



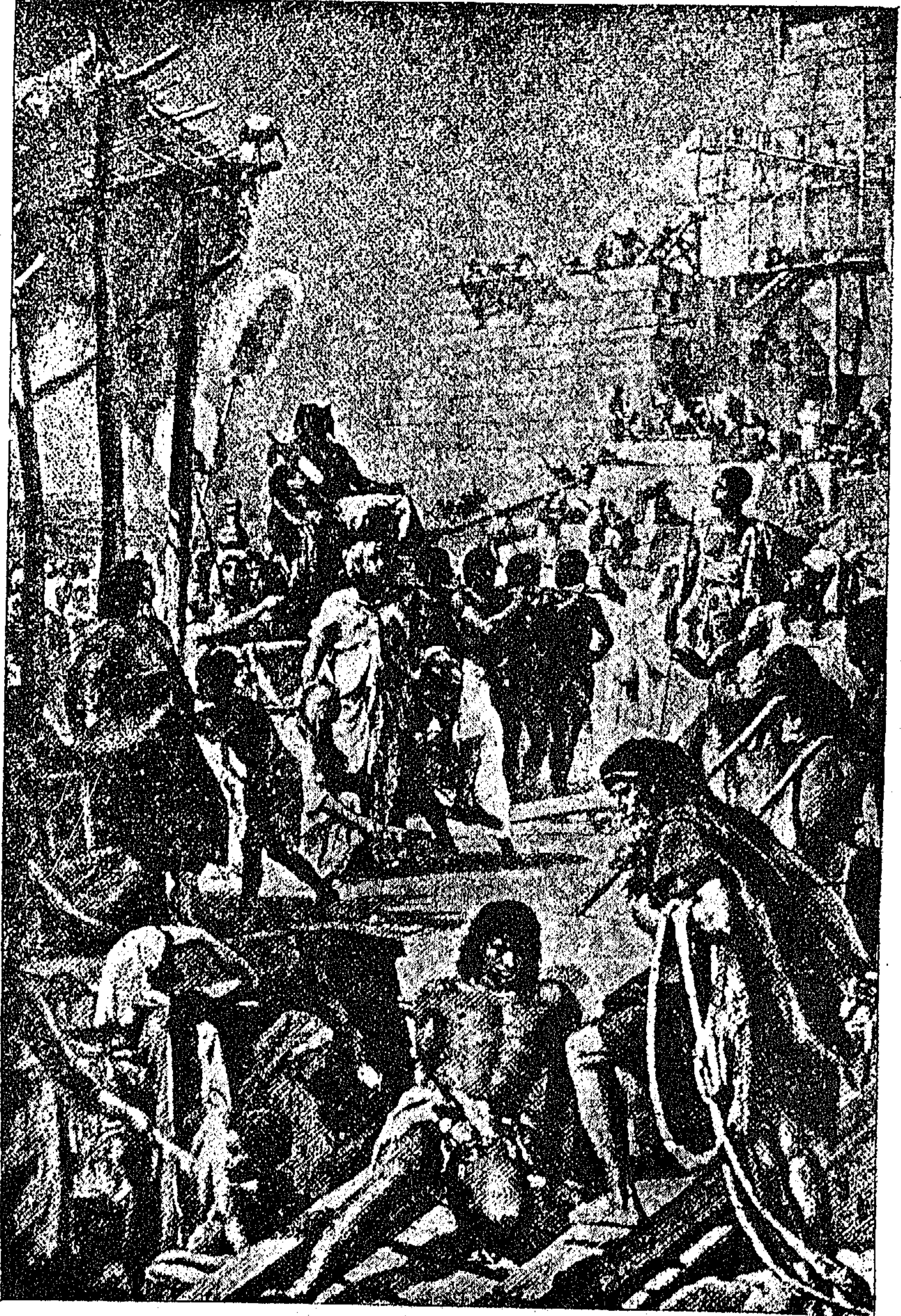
صورة المرحوم اللورد كارنافون في مكتبه في قصر هاي كار وهو الذي قضى ١٧ عاماً في البحث والتنقيب في وادي الملوك
بمساعدة المستر كارتر على آثار توت عنخ آمون العجيبة



تمثال الملك توت عنخ آمون وهو أحد التمثالين الواقفين على جانبي باب الحجرة المقفلة
التي يظن ان جثة الملك فيها



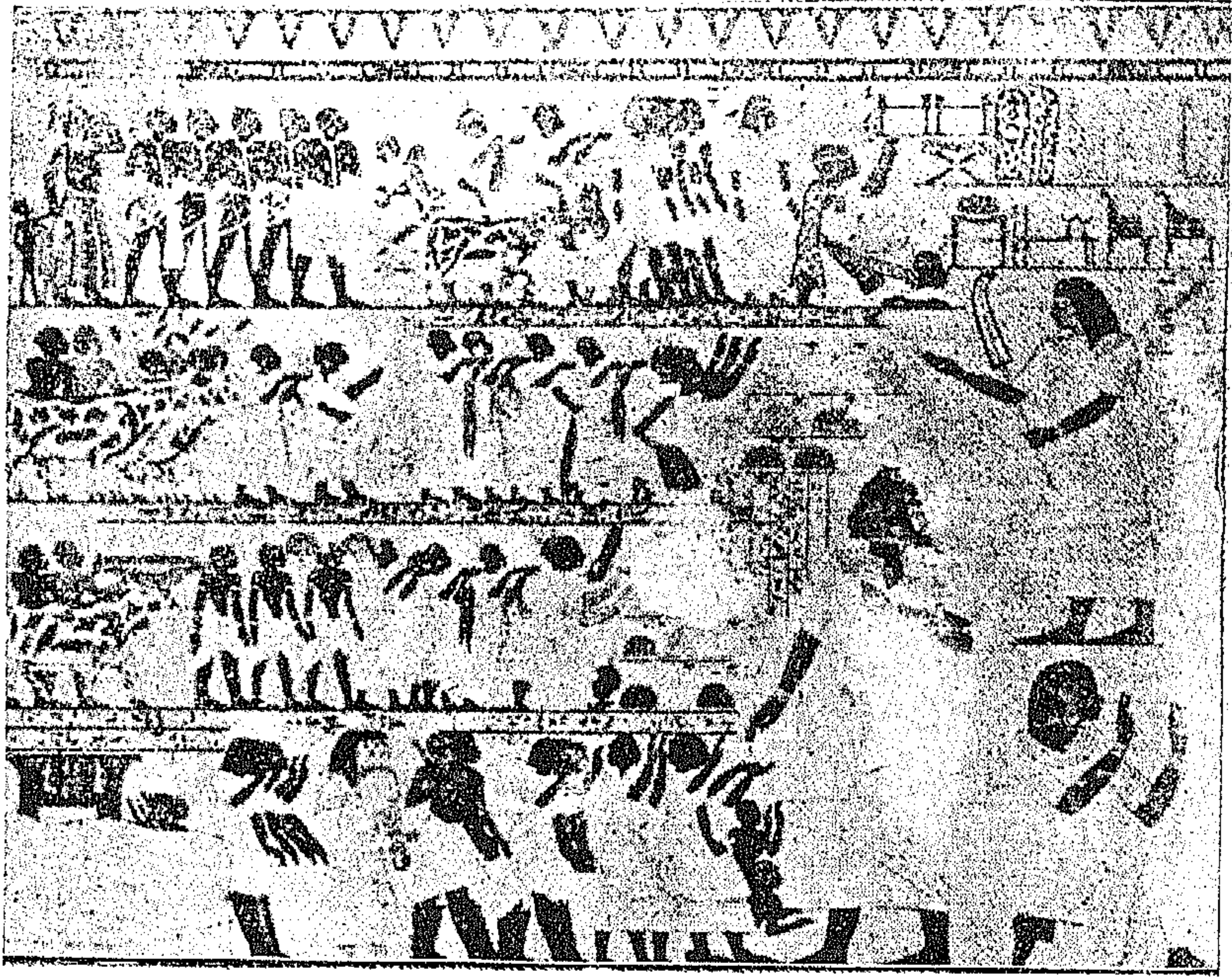
هوروس مع ابيروس



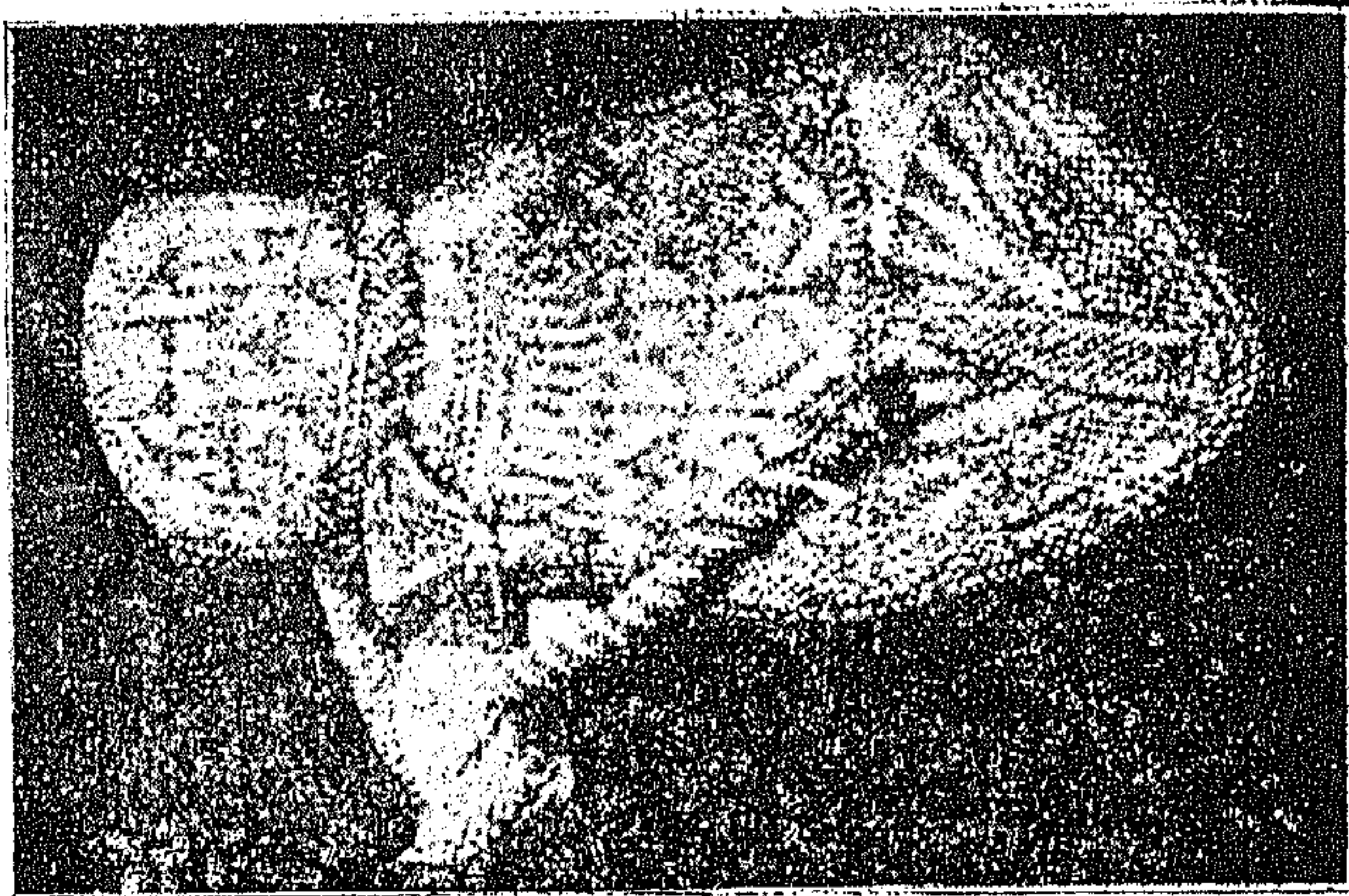
العمال الذين كانوا يشتغلون في بناء الاهرام الكبير



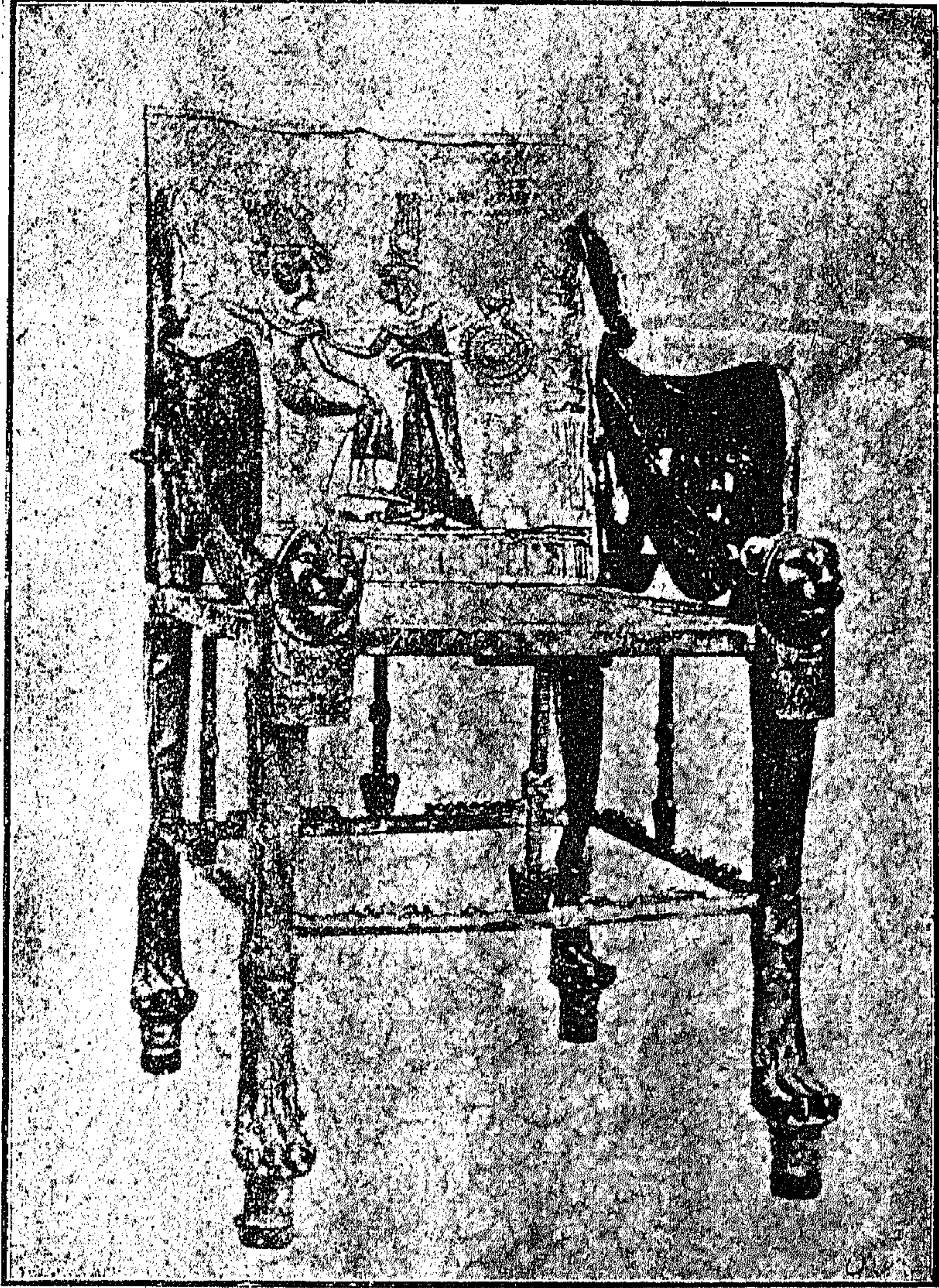
صورة توت عنخ آمون بارزة على جدران احد معابد الاقصر



مناظر النقوش والرسوم الملونة المزخرفة التي تمثل تاريخ الملك توت عنخ آمون منقولة بالفوتوغراف من مدفن القائد هوى الذي كان تحت قيادته ووجدت في مدافن طيبة وكان هذا القائد ينوب عن توت عنخ آمون في بلاد الحبشة ويرى القارىء في النقوش المثبتة هنا الملك توت عنخ آمون على عرشه يتقبل الهدايا والاسرى وقد جلس على عرش من عروشه التي وجدت الآن في مدافنه



حذاء لاسن الملك مصنوع من القش والخرز الملون الجميل



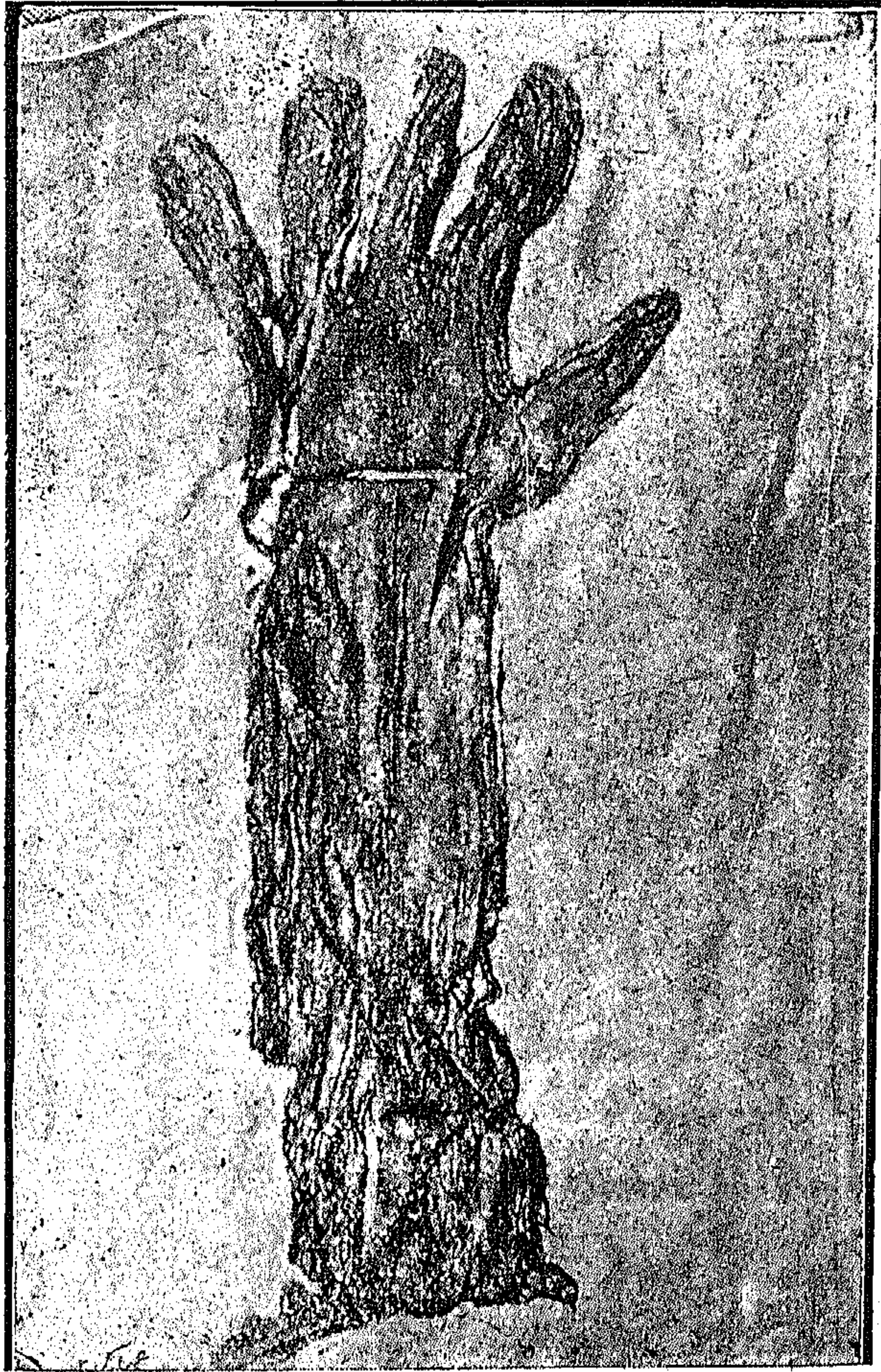
كرسي عرش توت عنخ آمون المصنوع بالذهب المزخرف والمنزل بالحجارة الكريمة
الملونة وبالخشب وقوائم الكرسي تمثل الاسود والجانبان يمثلان الافاعي المقدسة وفي مستند
الكرسي زخرفة رمزية تمثل الملك والملكة جالسين في القصر الملكي والشمس
المقدسة تشرق عليهما باشعتها الحيوية والصورة محاطة بإطار بديع الصنع



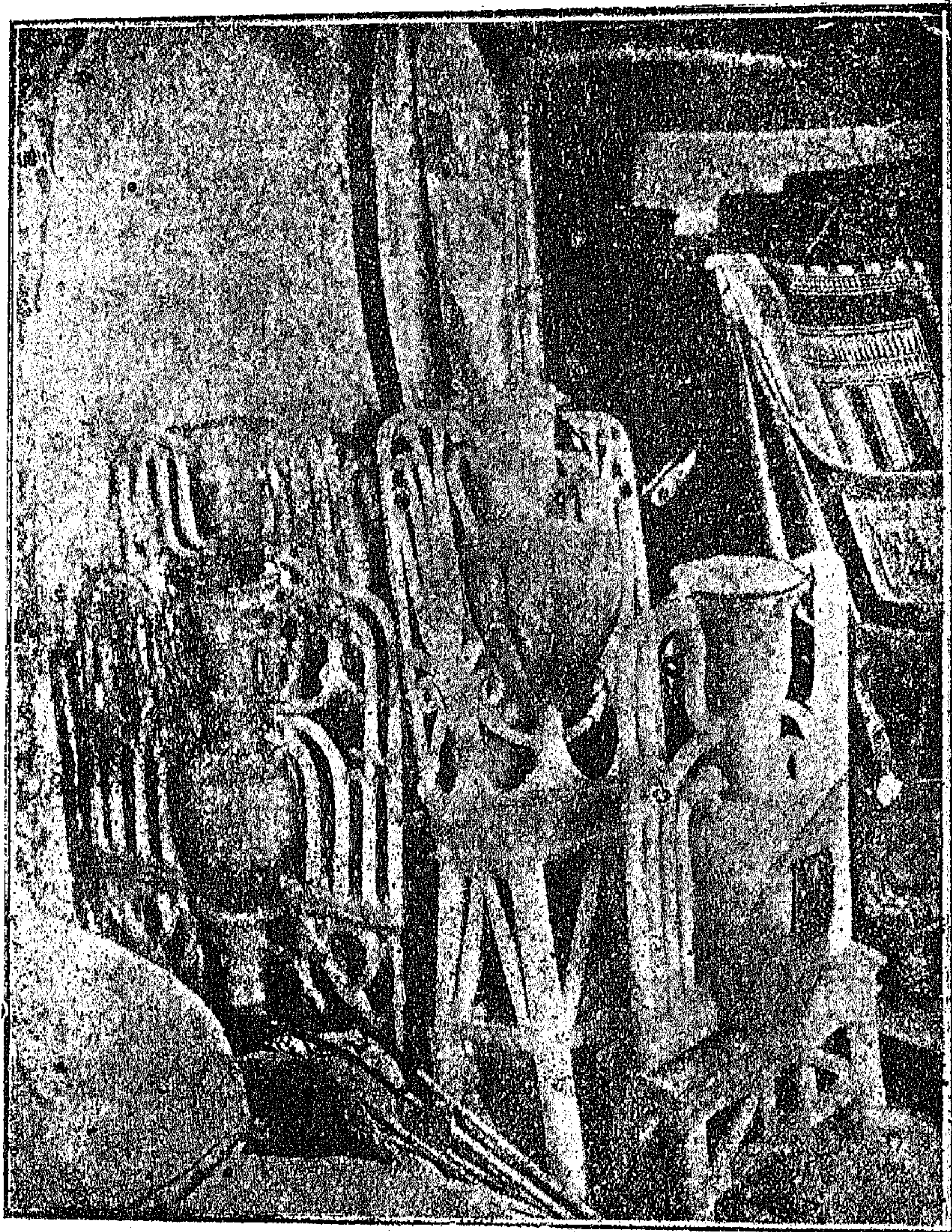
المغفور له الملامة الأثرى المصرى الكبير صاحب السعادة احمد باشا كمال الذى اخترمته
المنية عن ٧٥ سنة قضاها فى خدمة العلم والتاريخ المصرى القديم



منظر داخل الغرفة الاولى لمدفن توت عنخ آمون وقد صورت بناء على رسومات
قدمها اللورد كارنارفون مكتشف المدفن



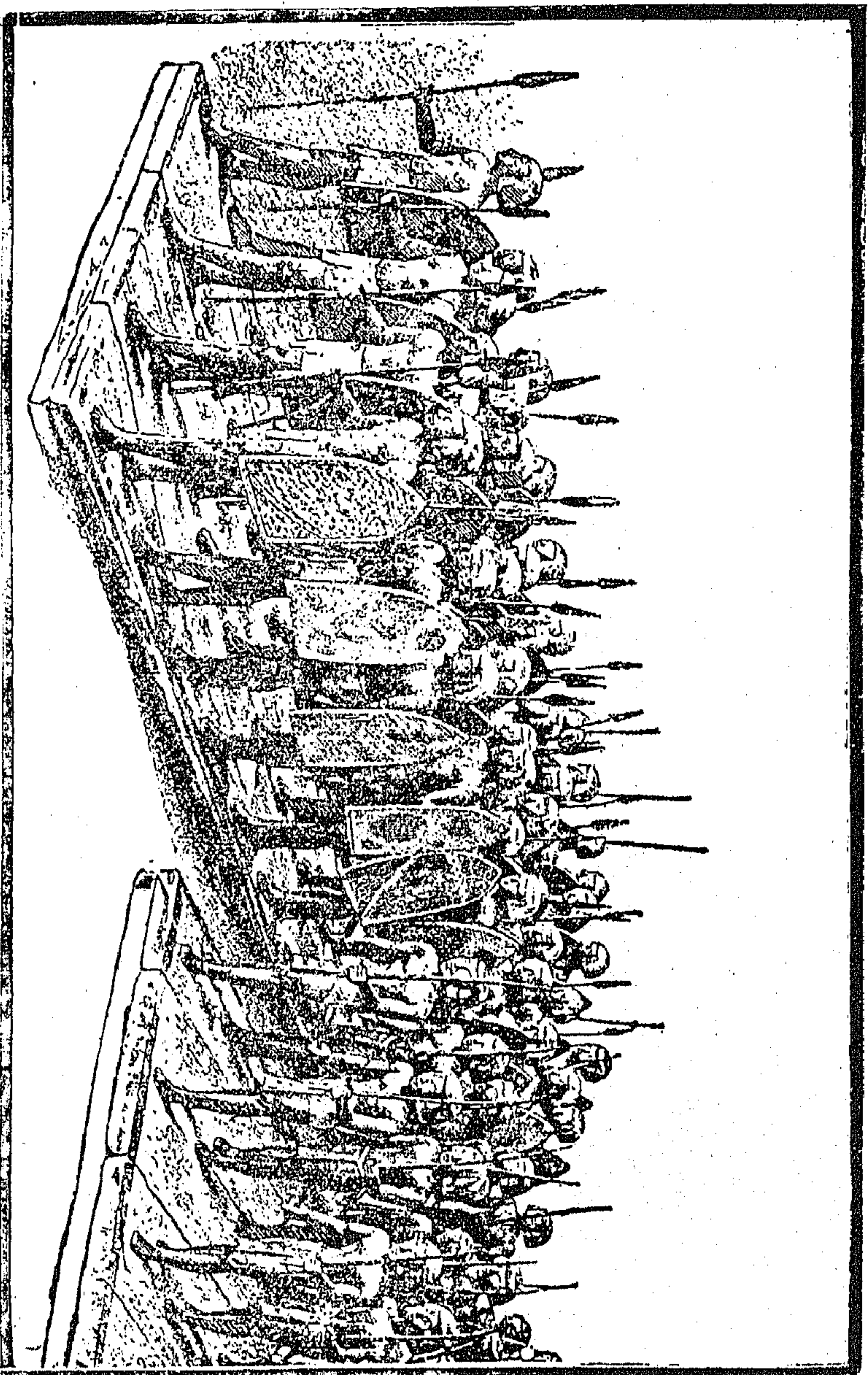
اغرب ما وجدوه في أحد الصناديق في المدفن قفاز (جواني) من القماش
المتين ليد طفل صغير يظن أنه قفاز الملك لما كان طفلاً
وهو أقدم قفاز عرف في التاريخ



هذه صورة فوتوغرافية رسمية لبعض الزهريات والقال المصنوعة من المرمر الشفاف
كما وجدوها في النرفة الخارجية لمدفن توت عنخ آمون وهي مزخرفة
ومصنوعة بأشكال جميلة تشهد بسلامة ذوق المصريين القدماء ويرى
أيضا طرف احد الكراسي التي نقلت من المدفن



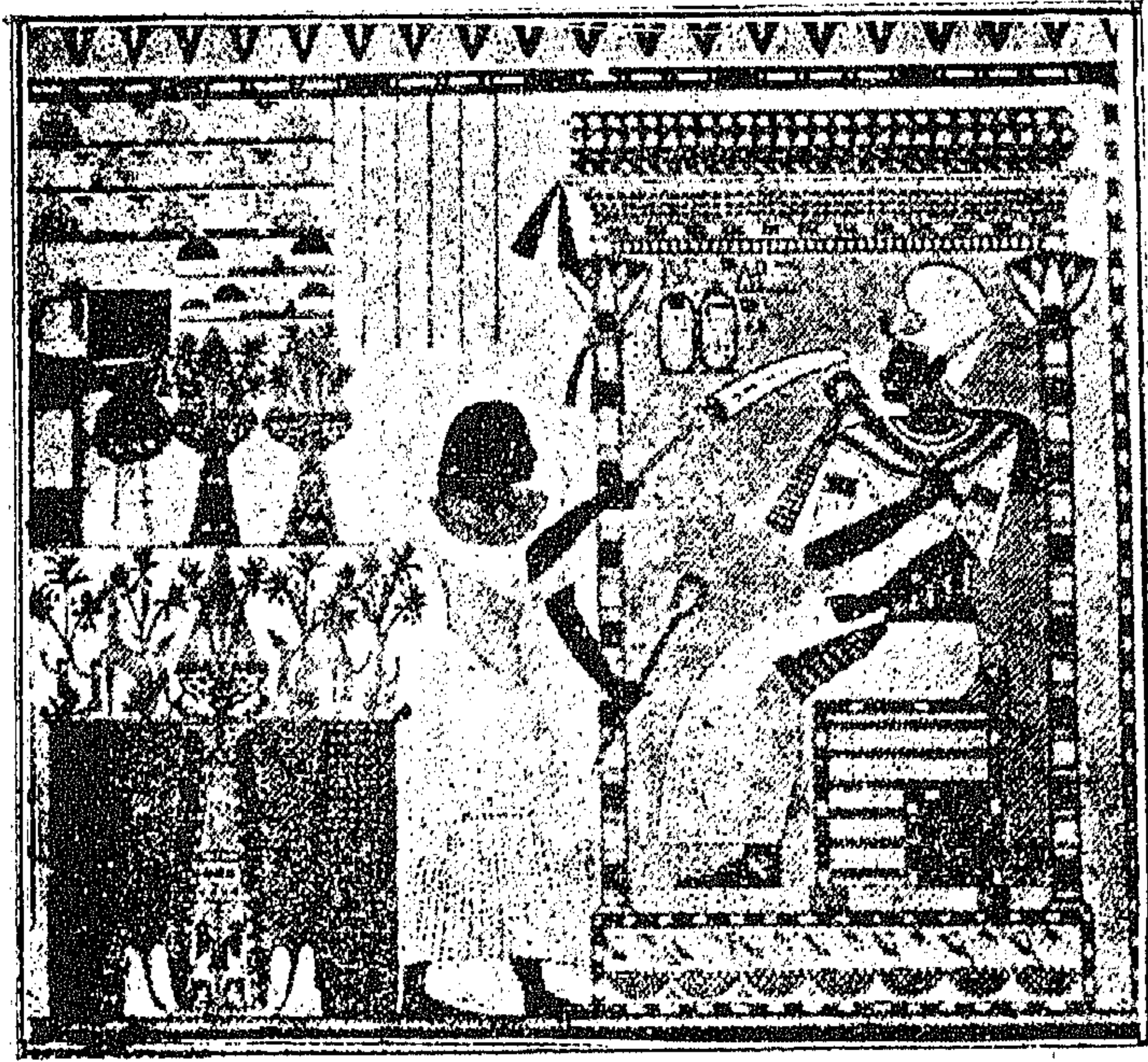
هوروس اُماس انویس



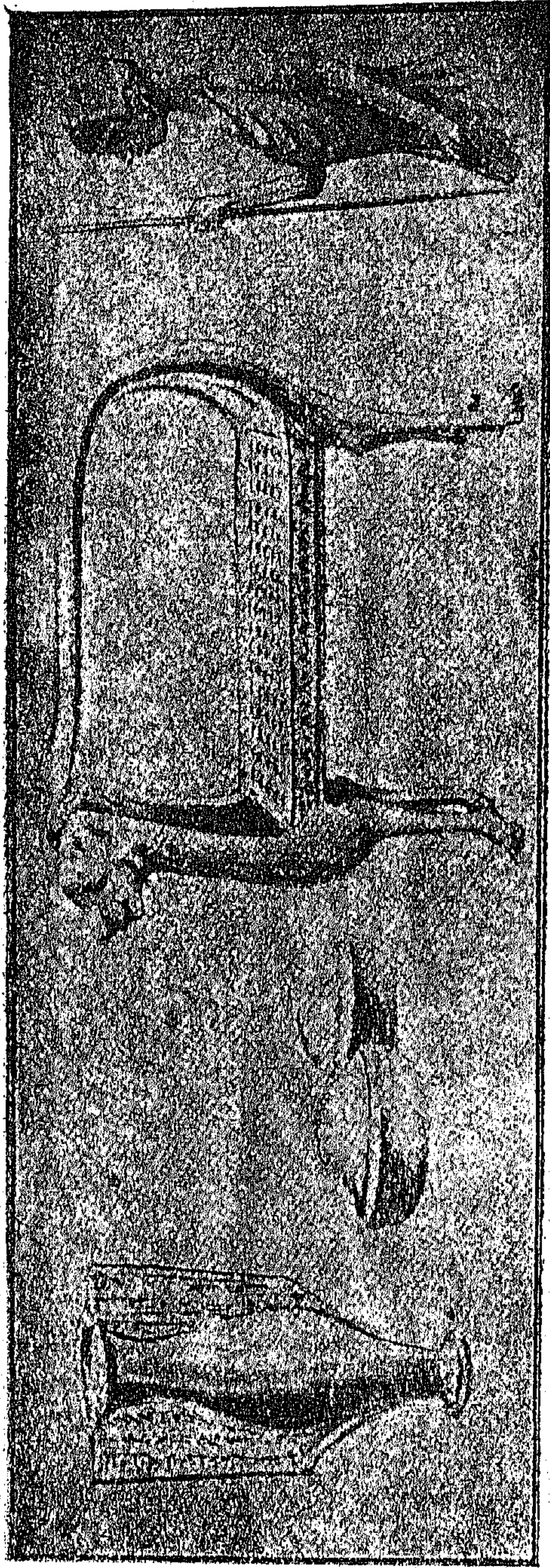
الجند المصرية المشاة



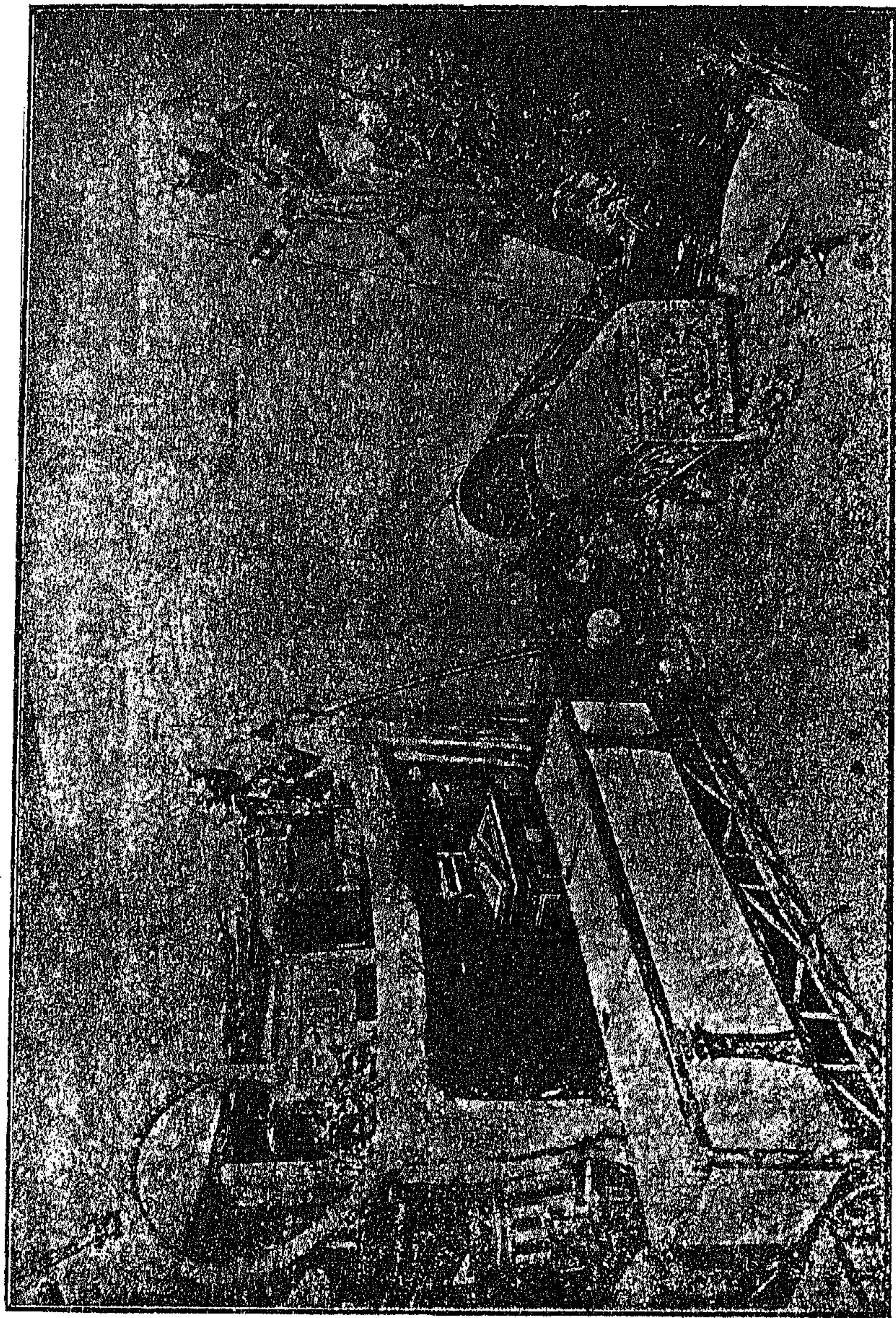
تمثال الملك توت عنخ آمون الذي اكتشف قبره في الاقصر



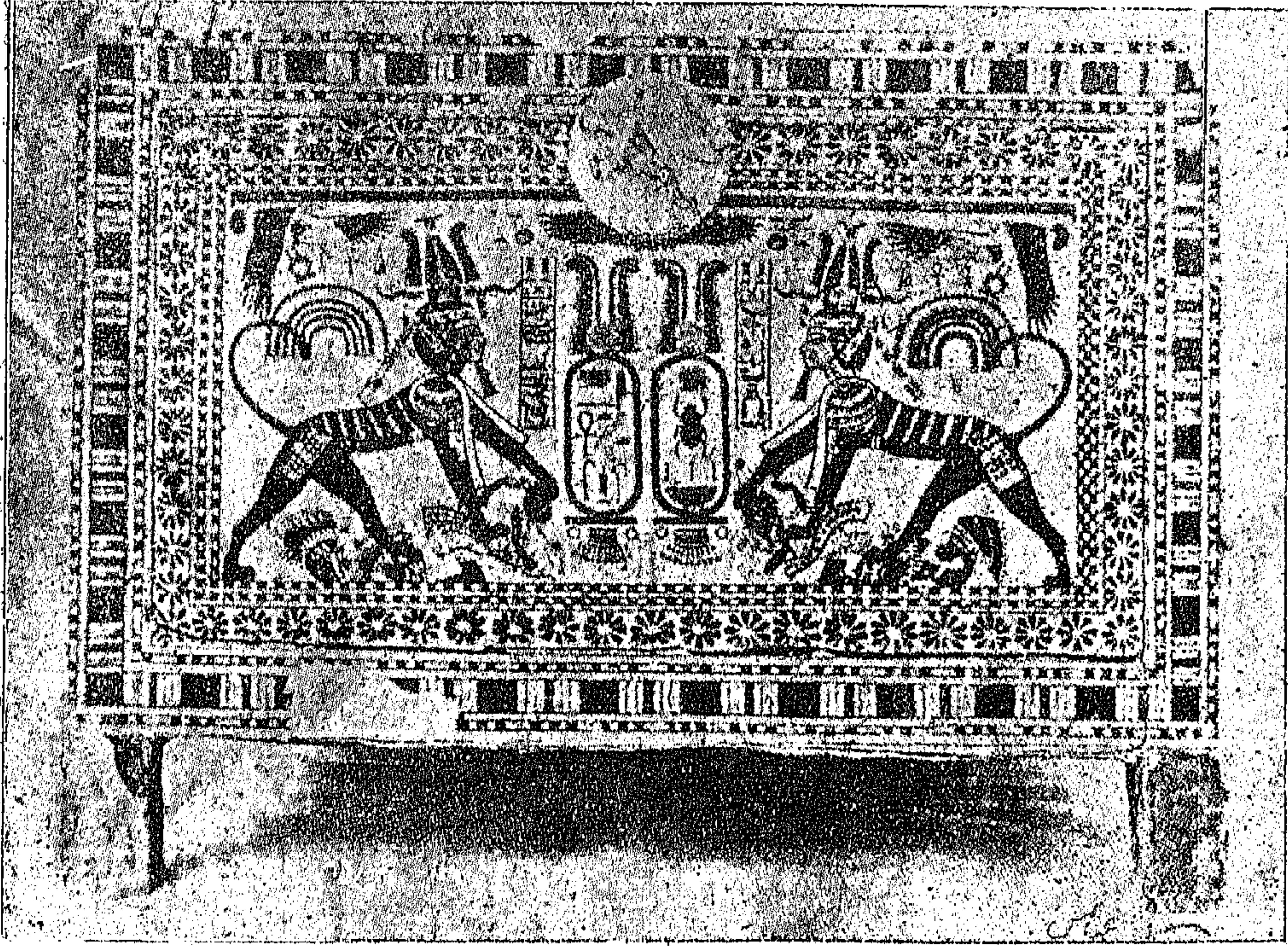
منظر النقوش والرسوم الملونة (راجع ما كتب تحت شكل نمرة ٣)



صورة تمثال من الابنوس والذهب وكرسي مستطيل قوائمها كالحيوان وحلل ومزهريه كلها من المرمر أو المعدن التزل والمزخرف



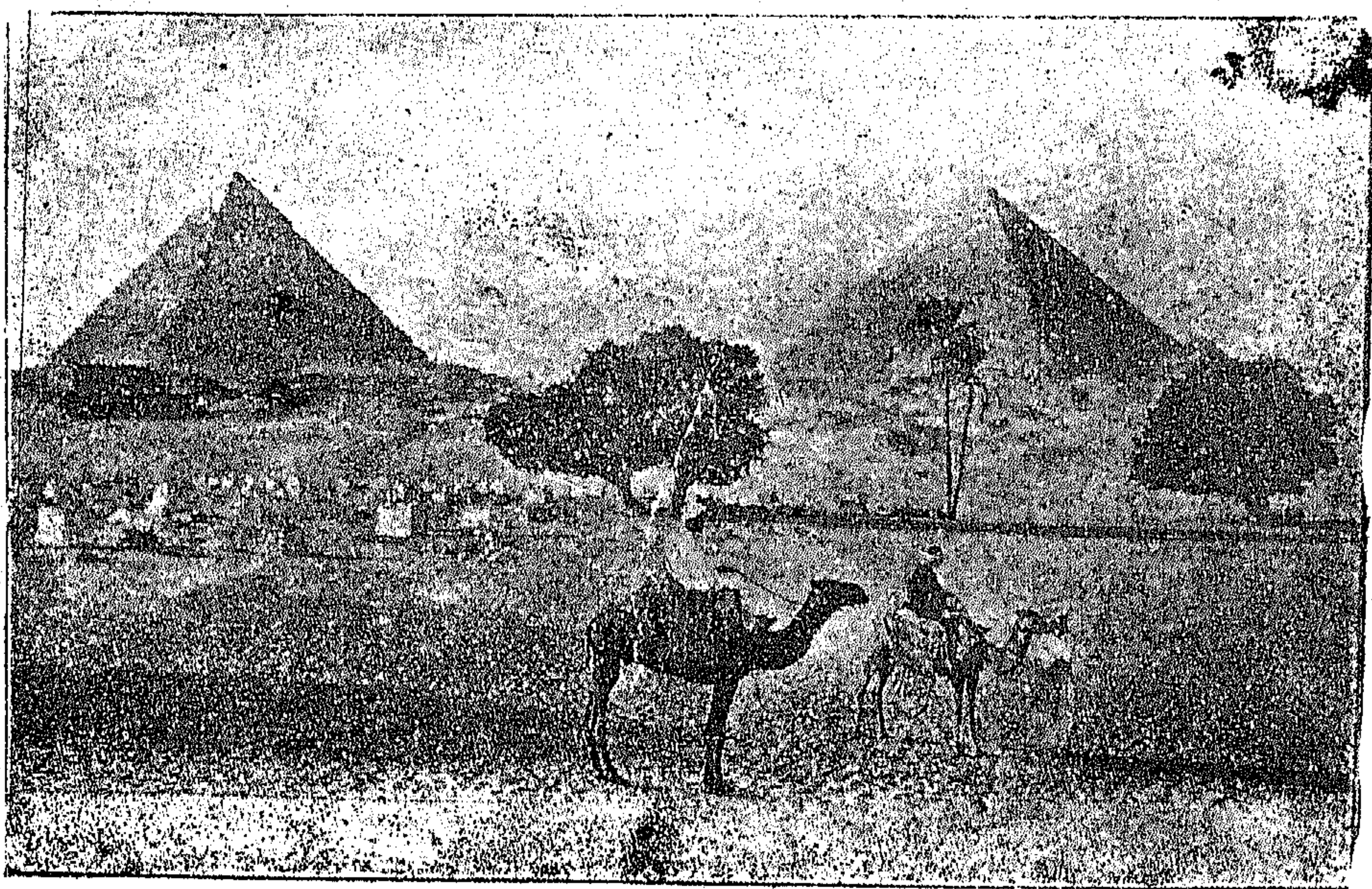
• وردة القطع المختلفة التي شوهت داخل الغرة الأولى ما دخلوا إليها وقد صورت بالنور الكهربائي بعمرة رجال اللورد كارنافون وهذه
 الصورة تمثل ناجية من انحاء الغرة ويرى فيها التمثالان الواثقان على جانبي الغرة المحتومة ويرى أيضاً صندوق طويل على الأرض في داخله ملابس
 الملك وفوقه سرير له قوائم شكلها كحيوان هاتور وقد رفع ذيله الطويل وفوق هذا السرير صندوق منزل بالحجارة الكريمة وفوقه سرير آخر عليه



صورة رسمية فوتوغرافية لصندوق مزخرف آية في الجمال والبهاء ودقة الصنع للملك توت عنخ آمون
وجد في مدفنه وقد رمز للملك بأسد رأسه رأس الملك وقد وقع بين يديه اعداءه وفي وسط الصورة
ختم الملك بالهيروغليفية وهذا الصندوق يفوق جمالا واتقاناً سائر ما وجد في المدفن

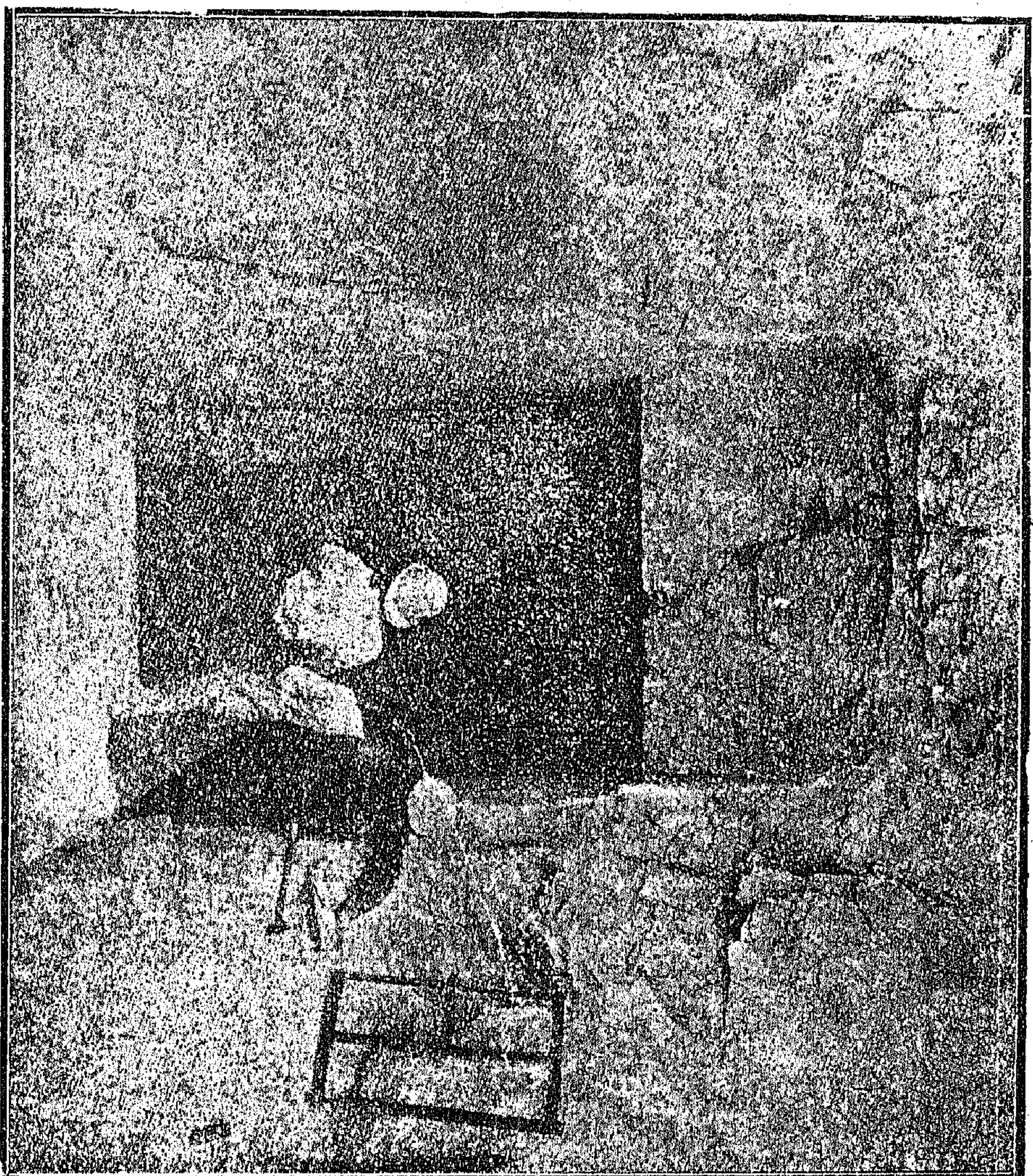


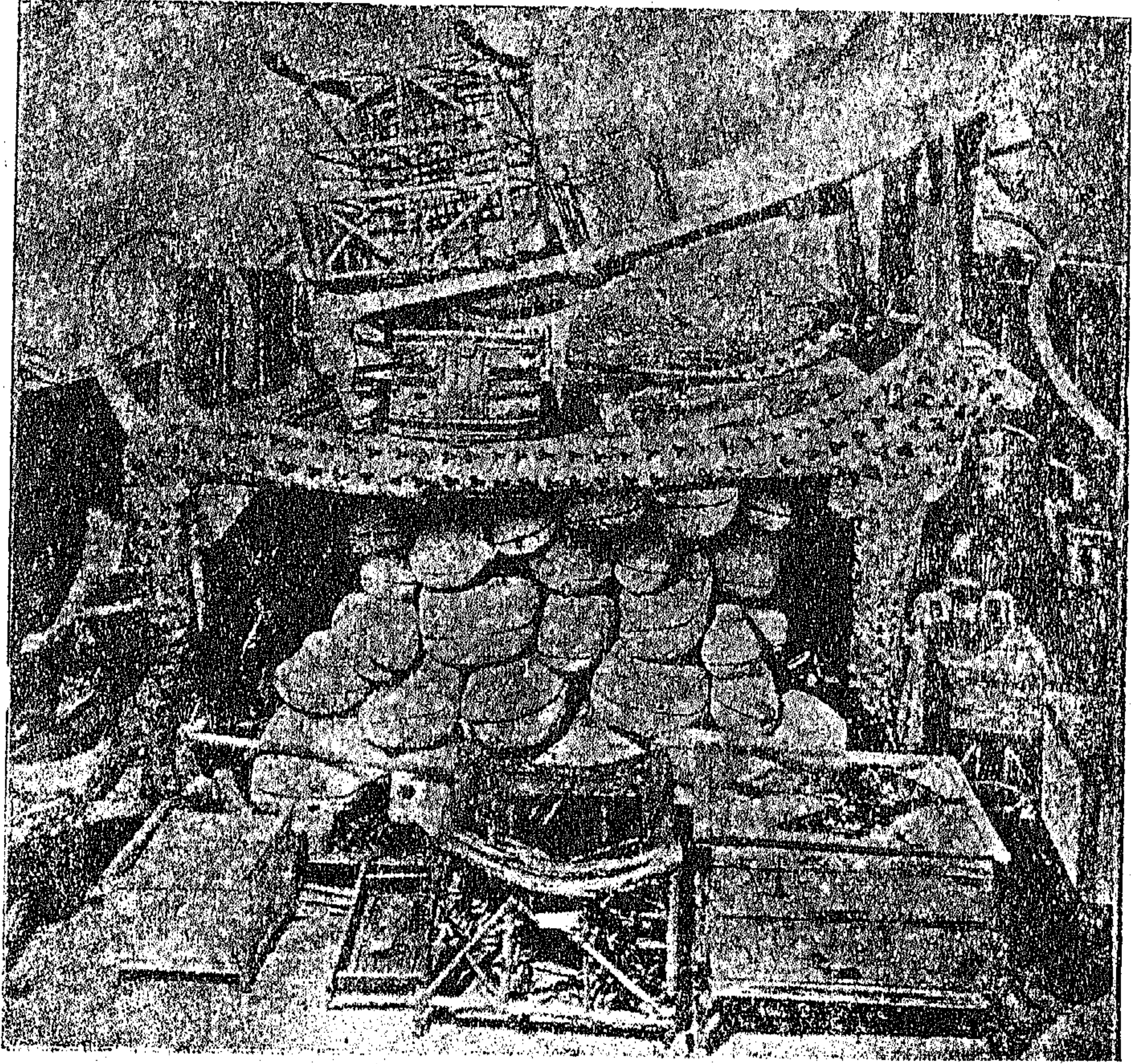
باقة من الزهور على حمالة . هذه الباقة كسيت بالجليلتين الشفاف كي لا تتفتت اجزائها



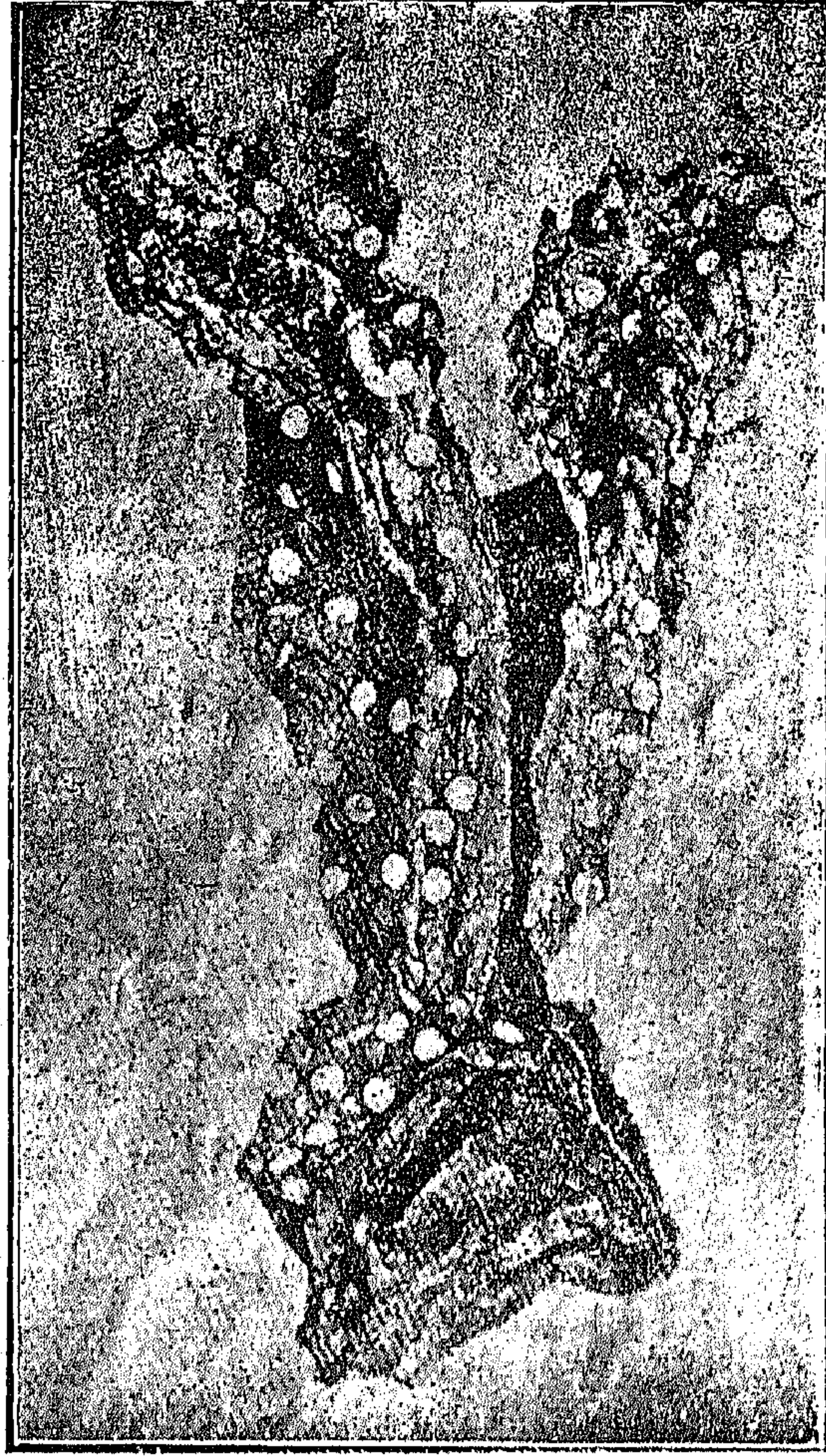
منظر الهرمين الكبيرين بالجيزة

مدخل قبر توت عنخ آمون في الاقصر أثناء نزع الألواح الخشبية التي كانت موضوعة على مدخله

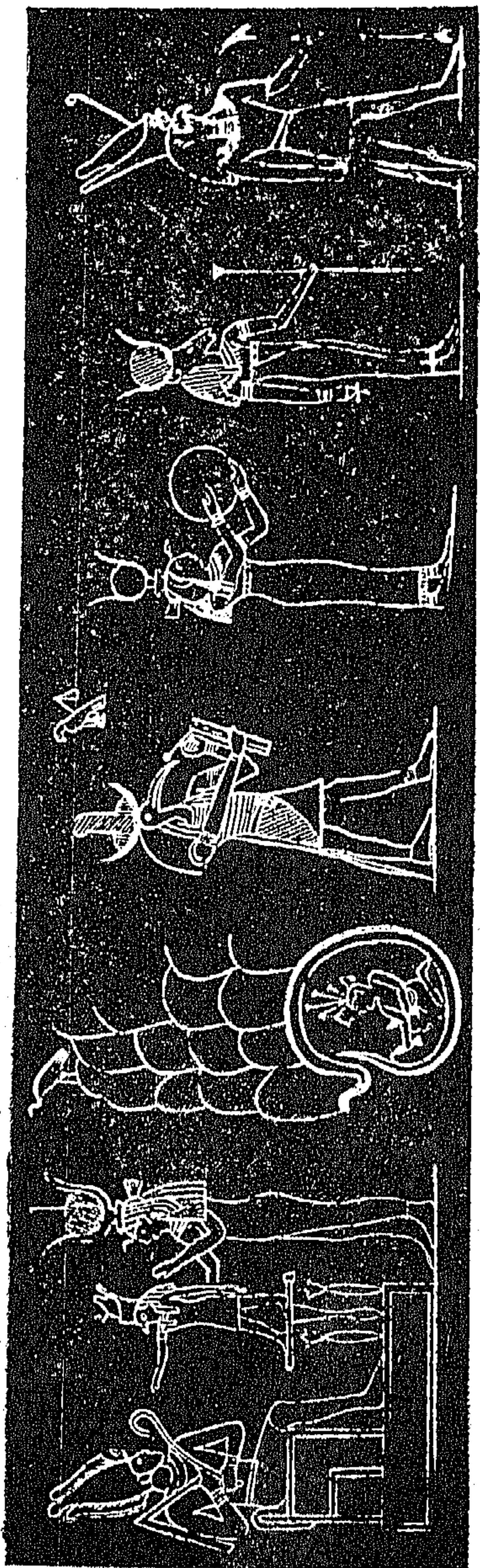




صورة فتوغرافية رسمية داخل المدفن وفيه سرير الملك وتمخته
وصناديق الطعام وكراسي وقطع مختلفة



قميص من النسيج المتين لطفل صغير وجد في أحد
الصناديق الثمينة في مدفن توت عنخ آمون
ويظنون أنه قميص الملك لما كان طفلاً



اوزيرس

ثالوت

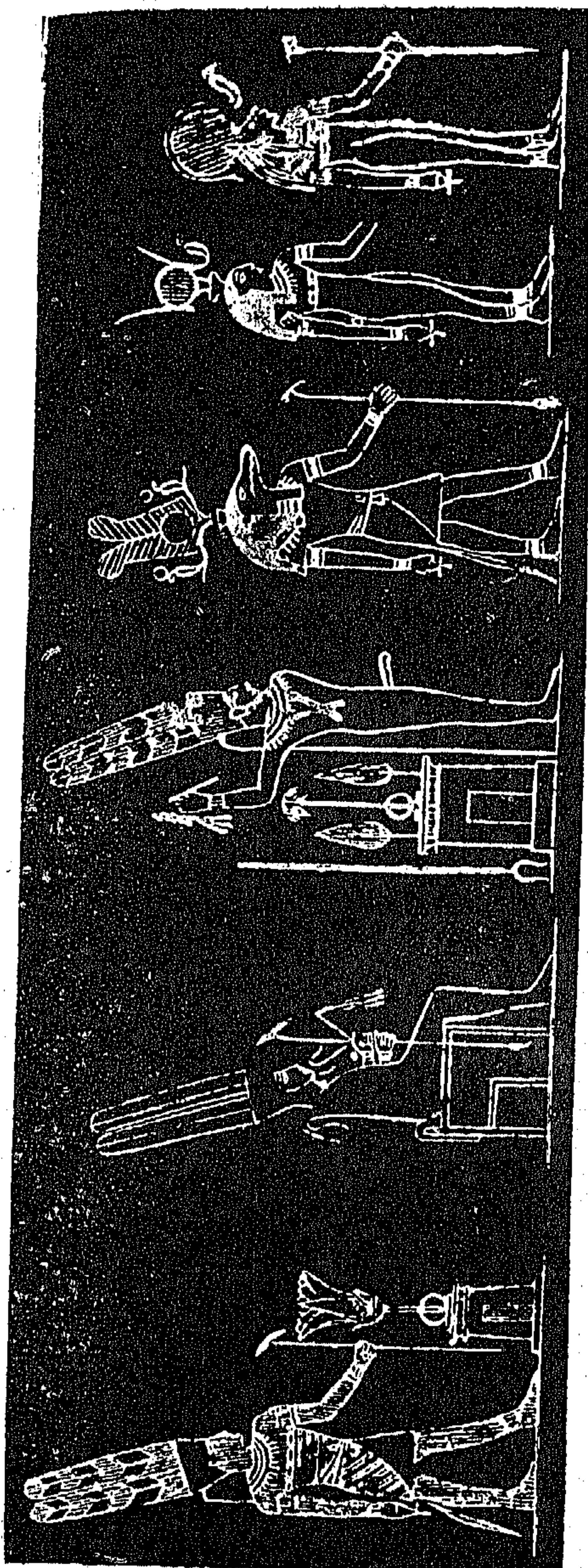
حوت

نوت

هاتور

ايزيس هاتور

هوروس



مينود

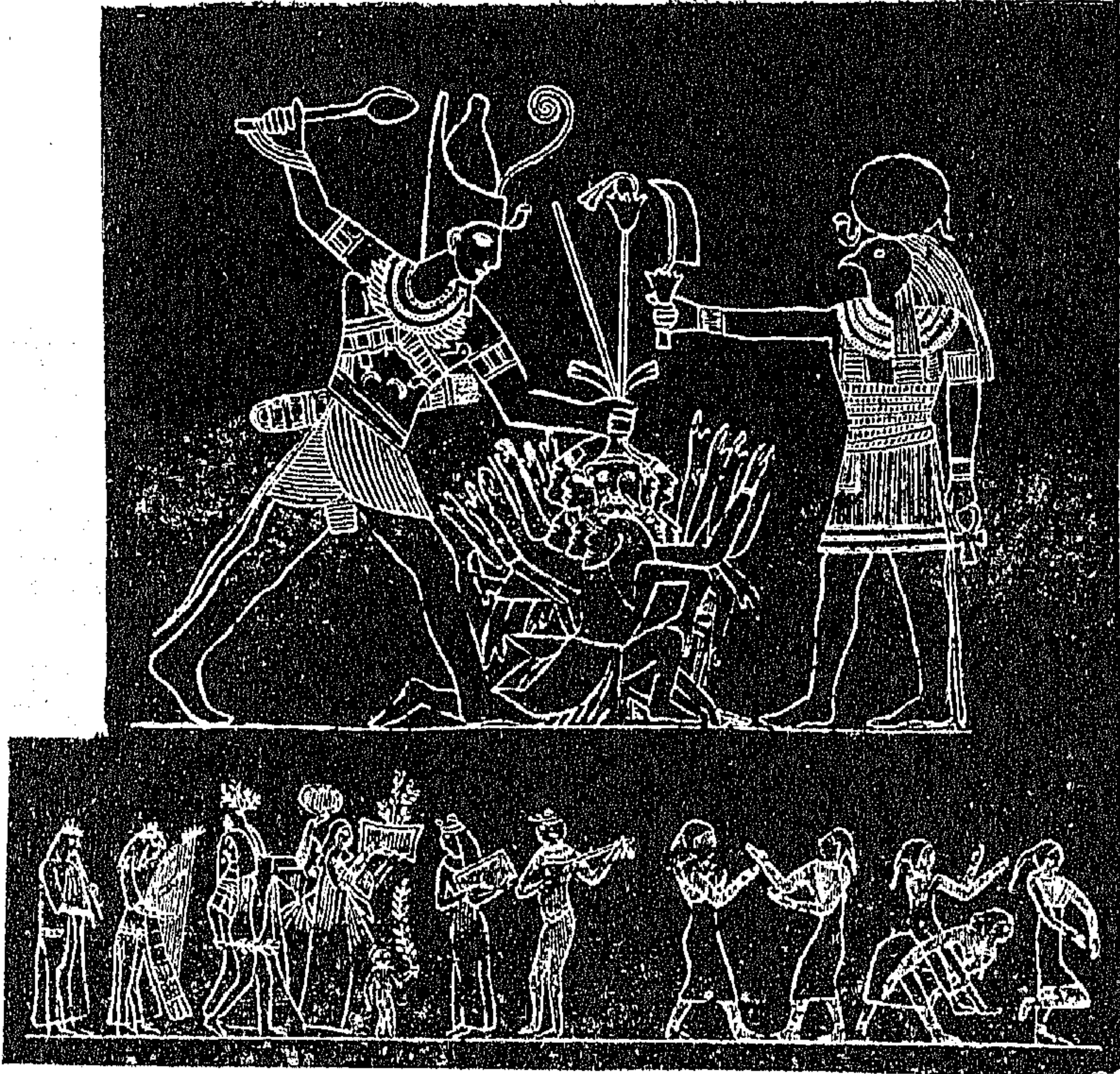
امون رع

امون

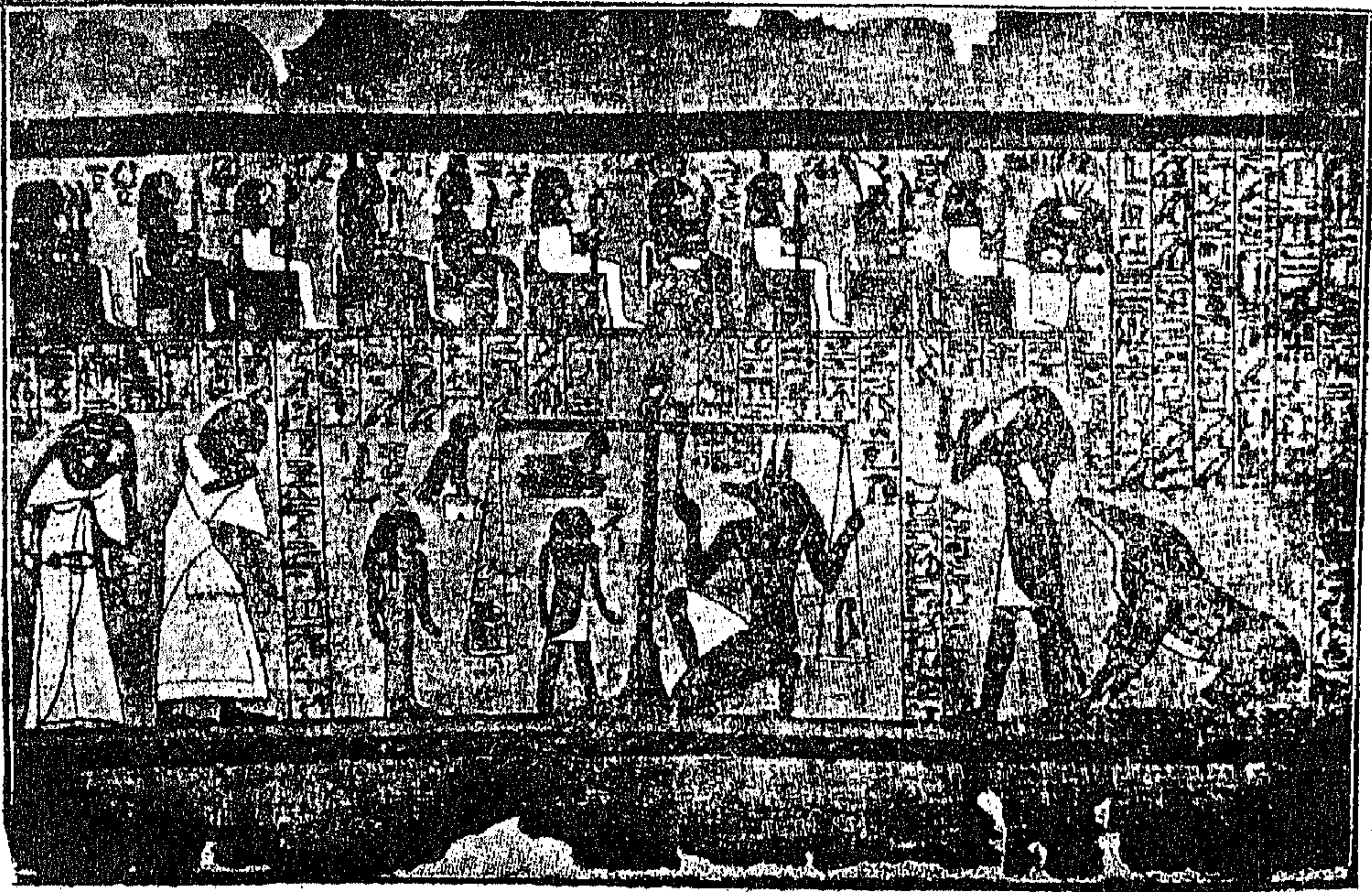
سبك

هاتور

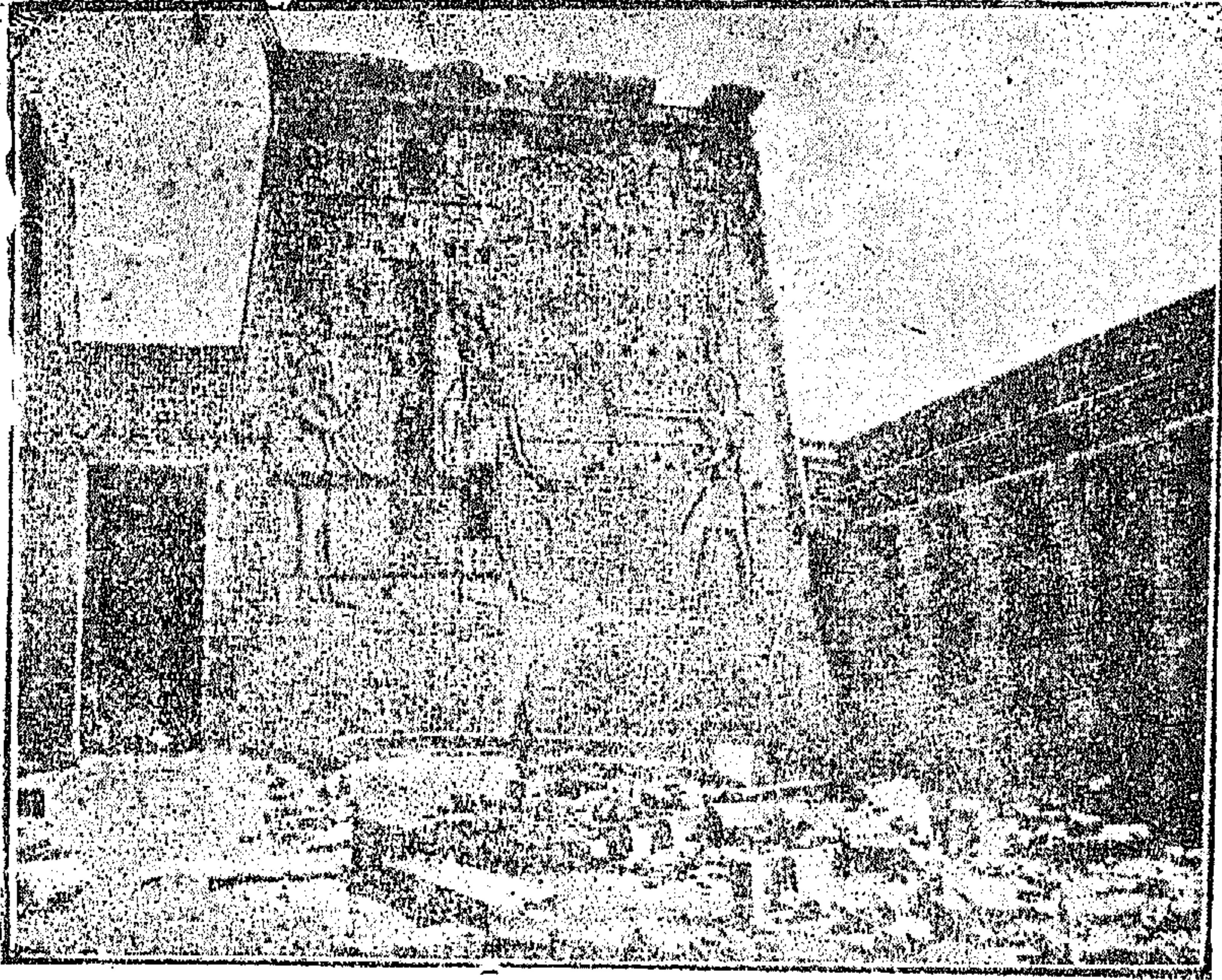
سنت



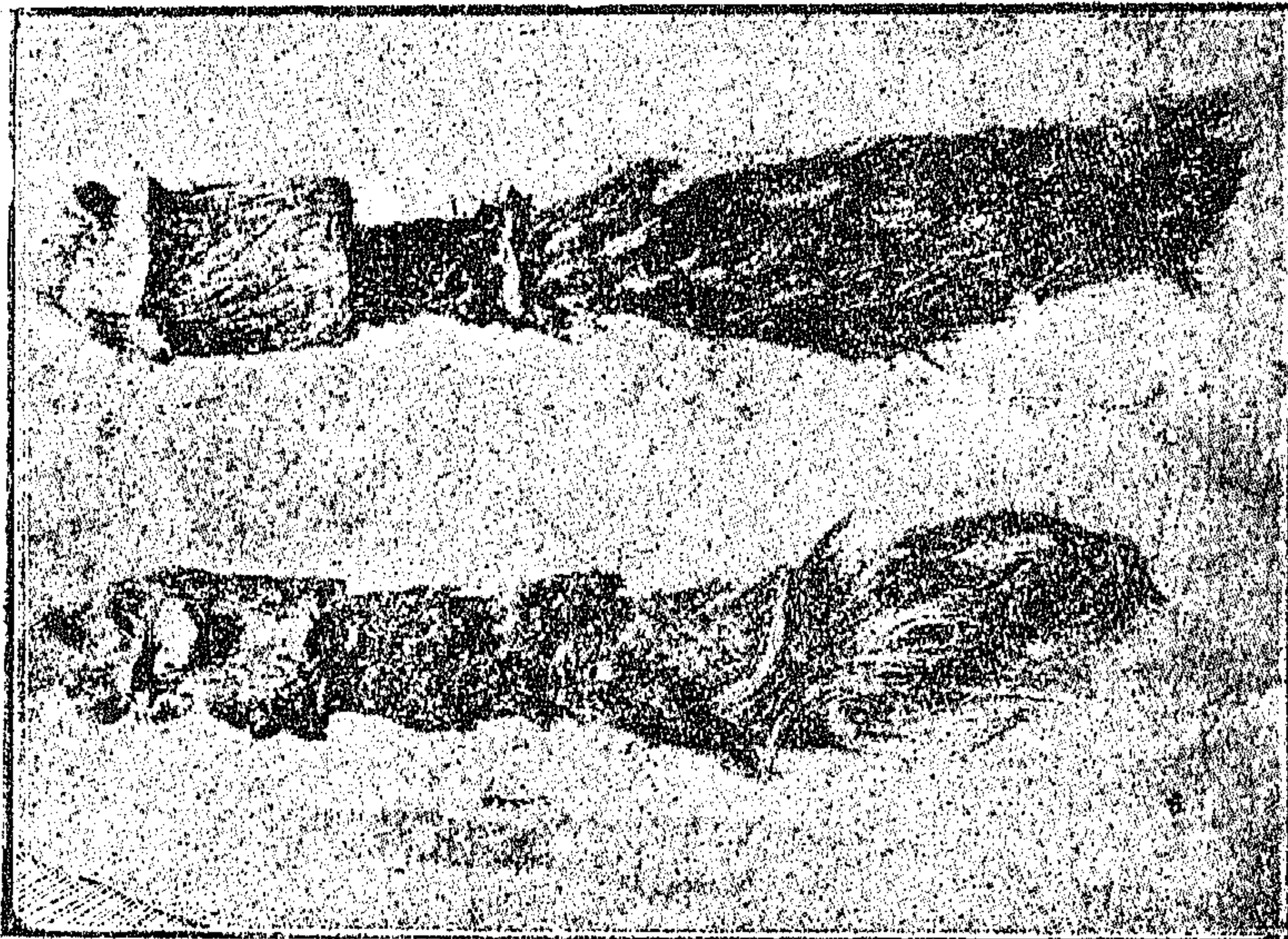
الصورة العليا : اعدام العاصيين على المعبود
الصورة السفلى : رسم الرقاصين والمغنين من القراعنة



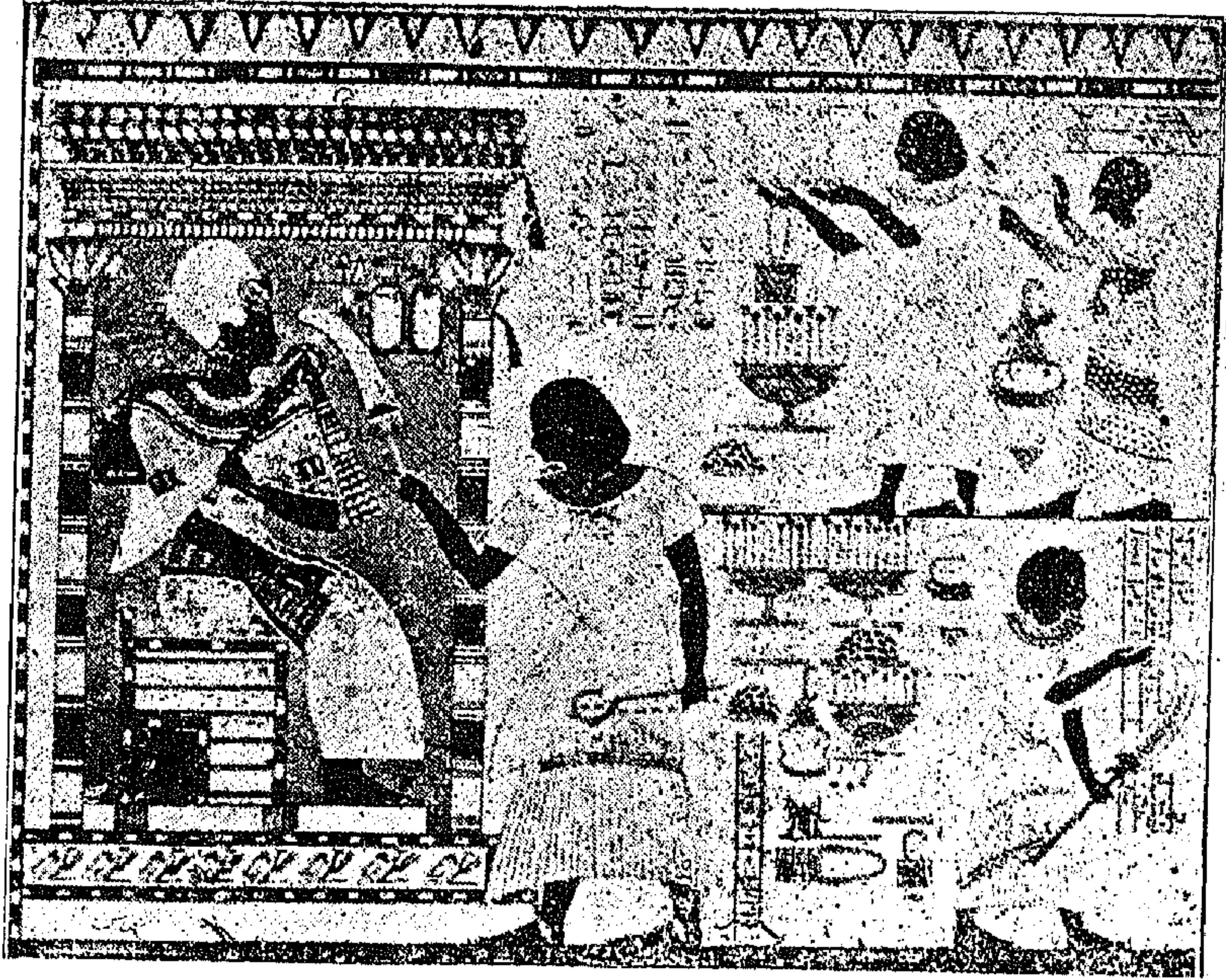
نقوش ورموز مختلفة موجودة على ورق البردي



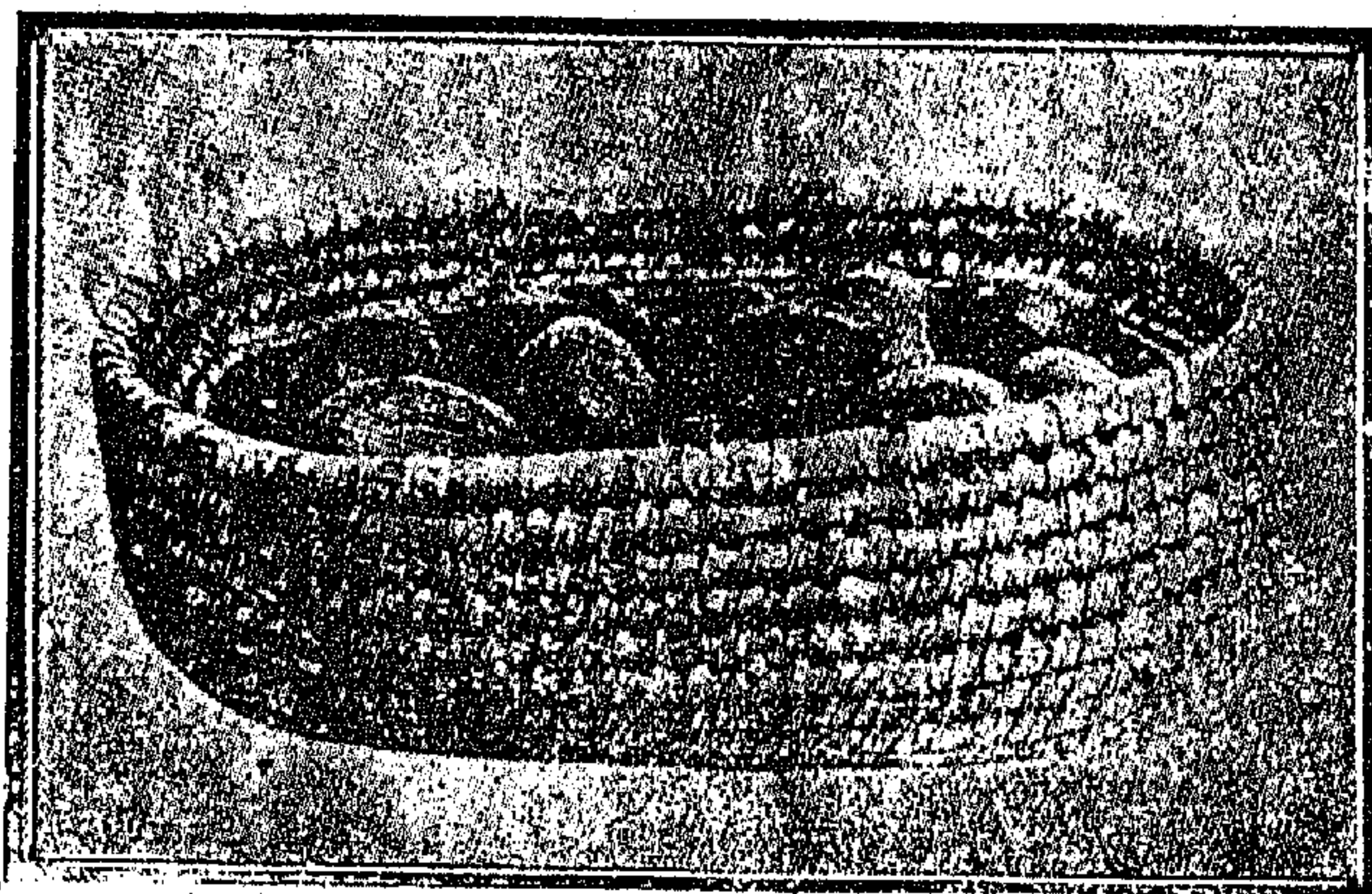
جزيرة قبلى



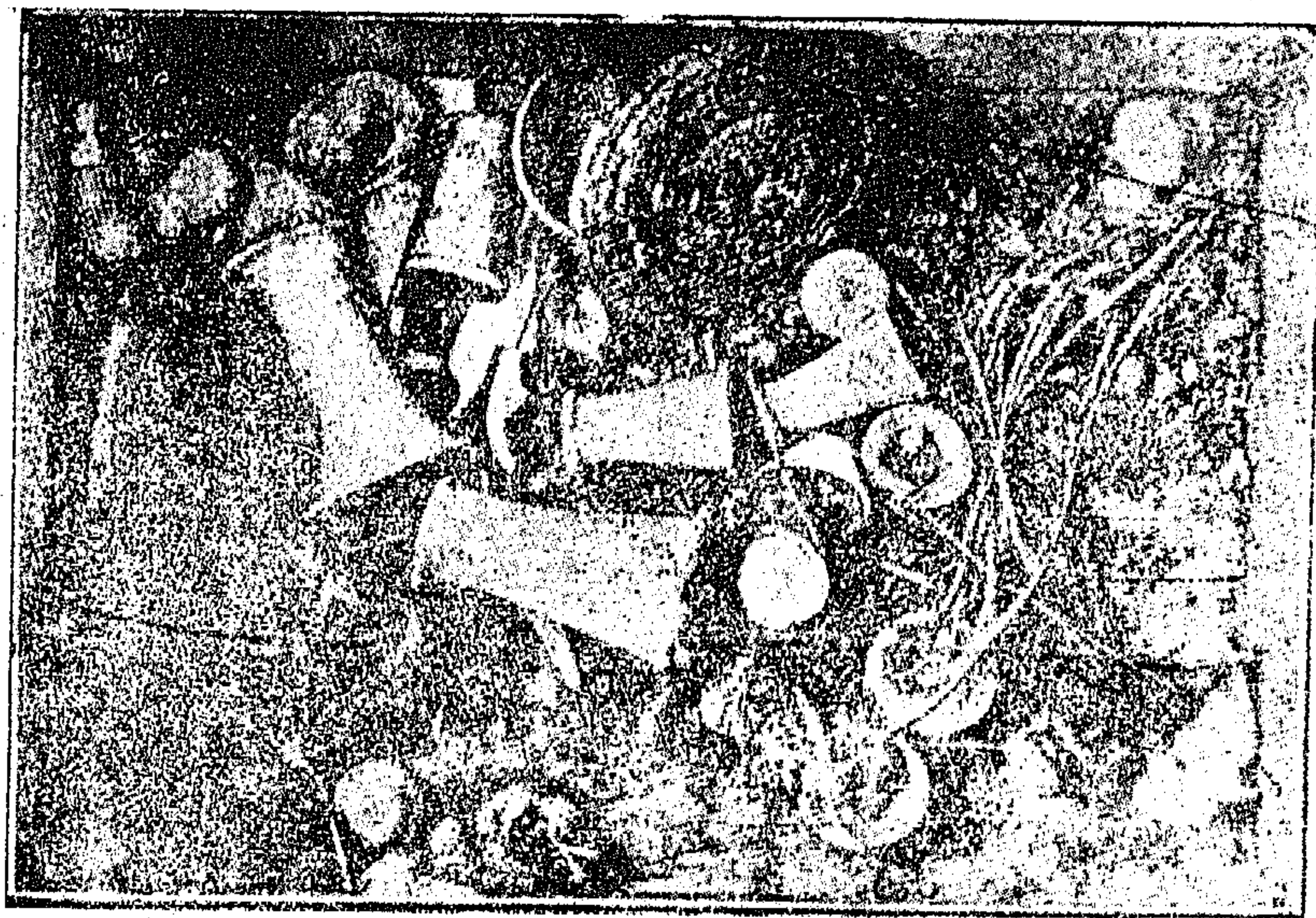
منشطان لاجل نش الباب معصنوعتان من النخل



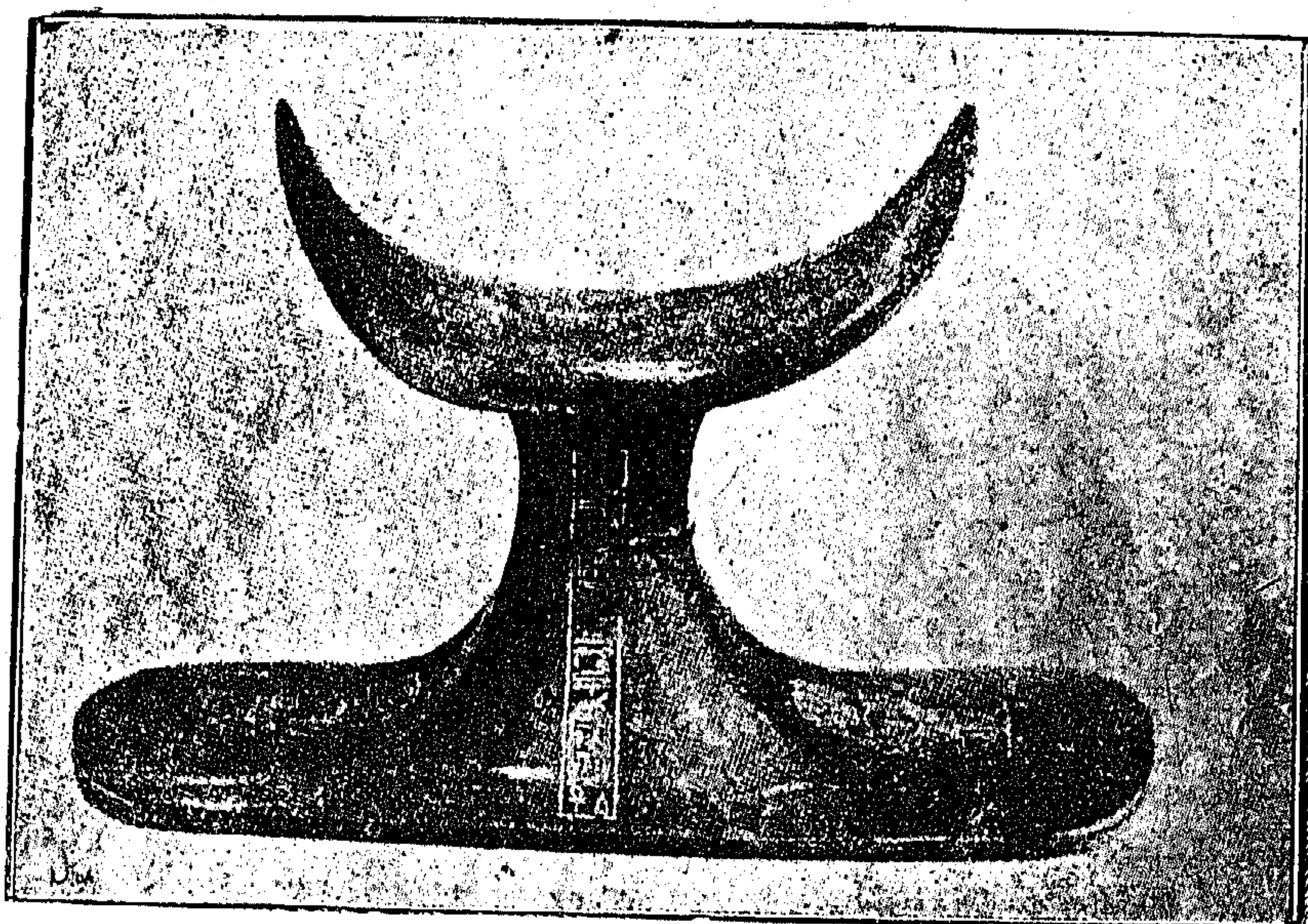
منظر النقوش والرسوم الملونة المزخرفة (راجع ما كتب تحت شكل نمرة ٣)



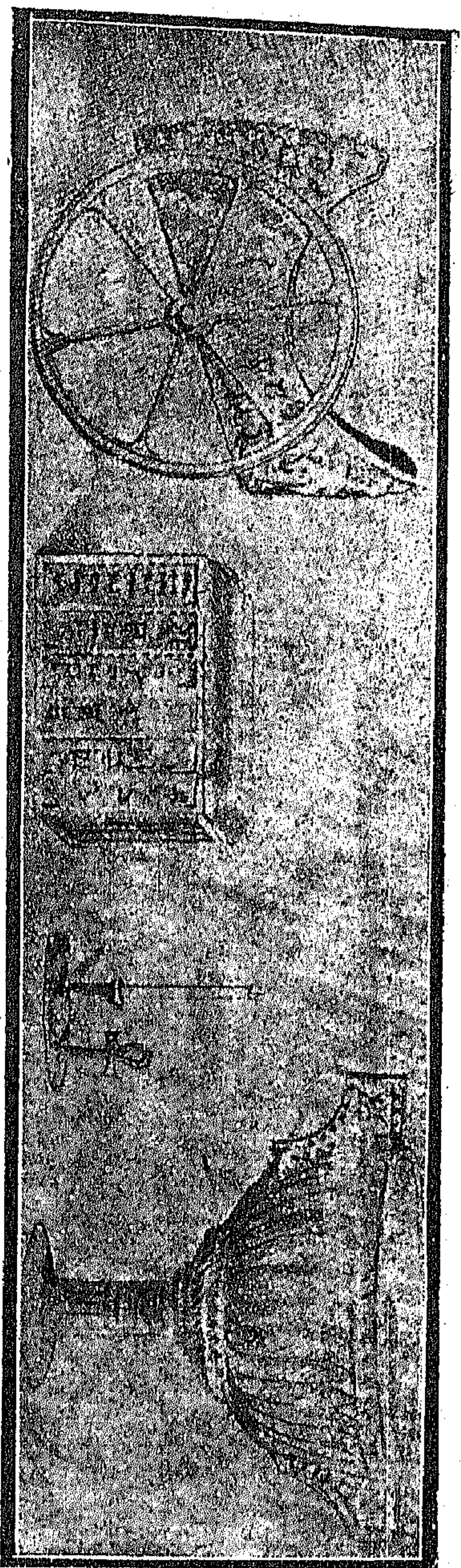
سل من القش فيه آتار الدوم



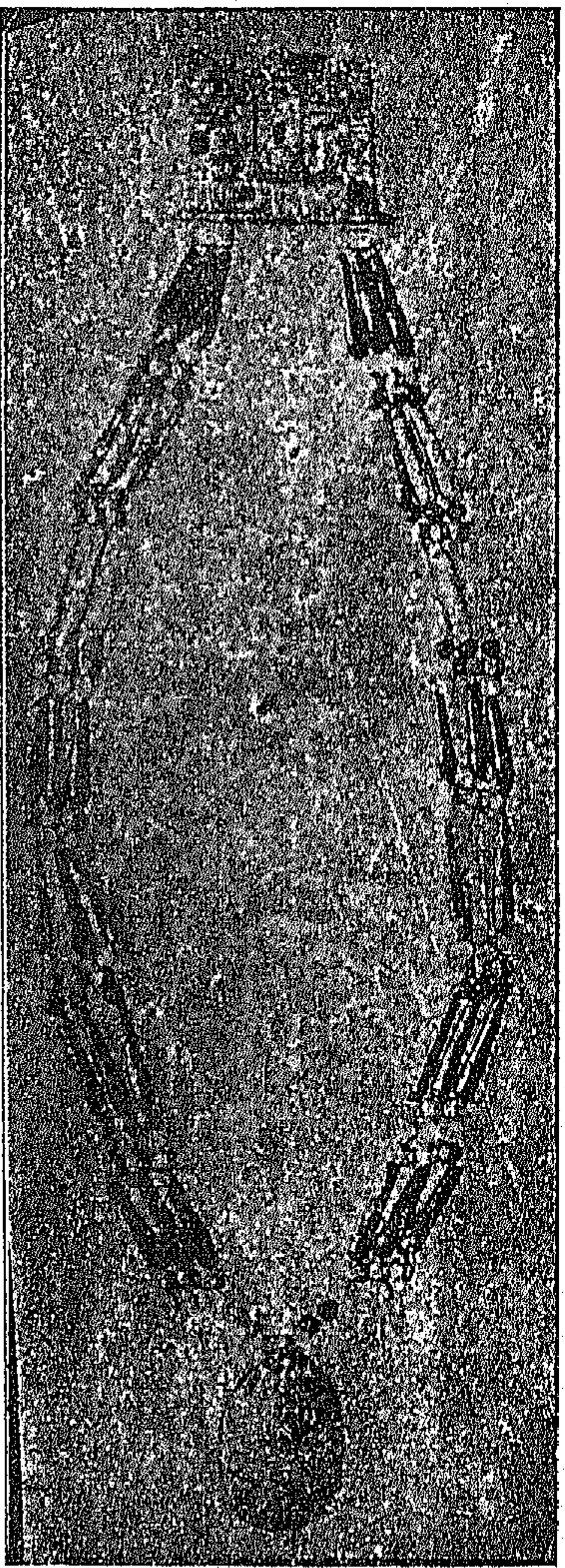
منظر داخل أحد الصناديق المزخرفة لدى فتحها وفيها أجزاء مختلفة مبعثرة بدون ترتيب



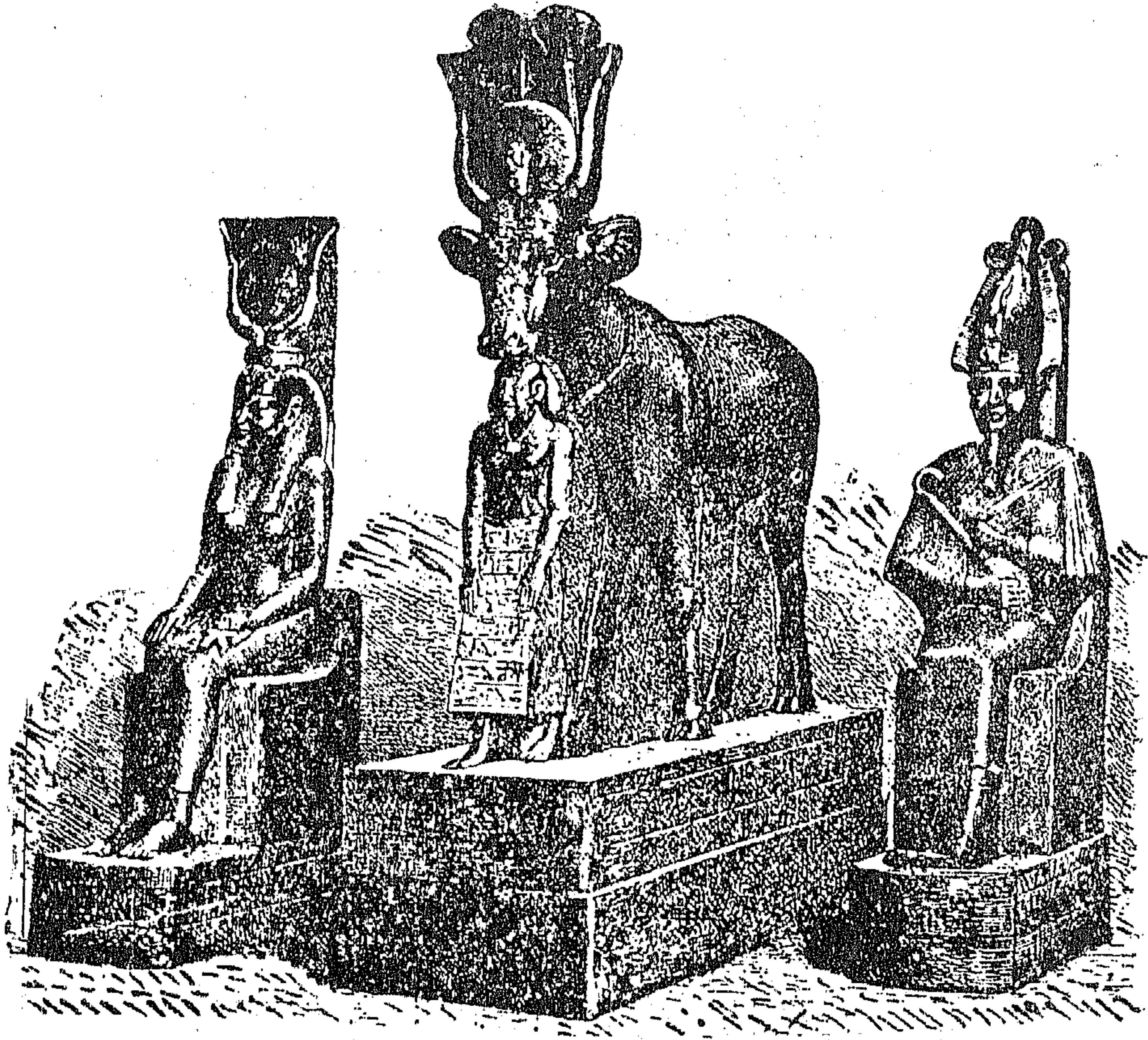
مسند من خشب الابنوس كان الملك يسند رأسه أو رقبته عليه عند النوم



صورة كأس من المرمر وشعبدان وصندوق ومركبة ذات عجلتين وجدت في الغرفة الأولى للمدفن

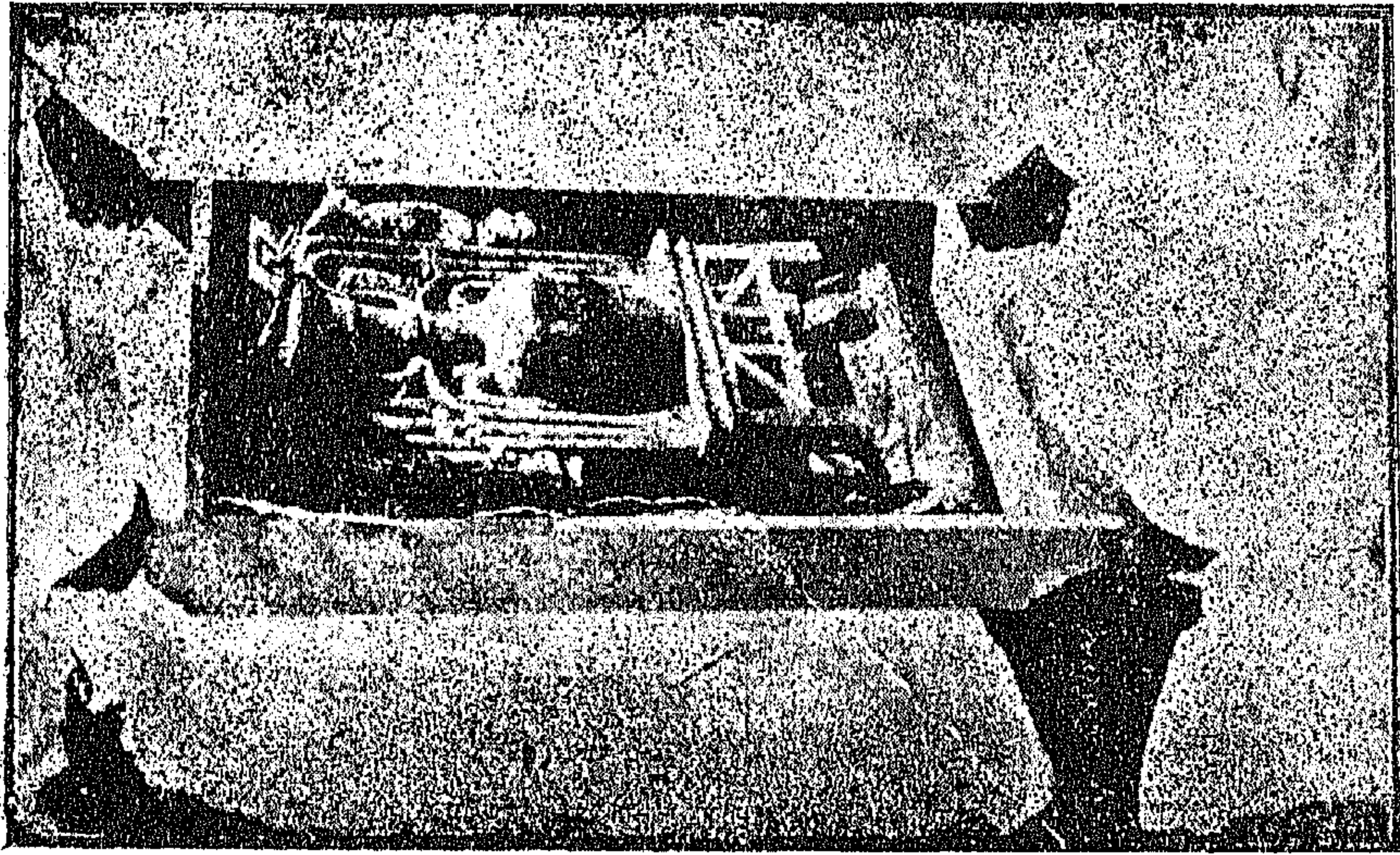


عقد جميل الصنع من الخرز والقطع الخشبية المنزلة بالخرز والزجاج الملون وفي آخره قطعة ذهبية منقوشة والخرز شفاف جدًا



هوروس

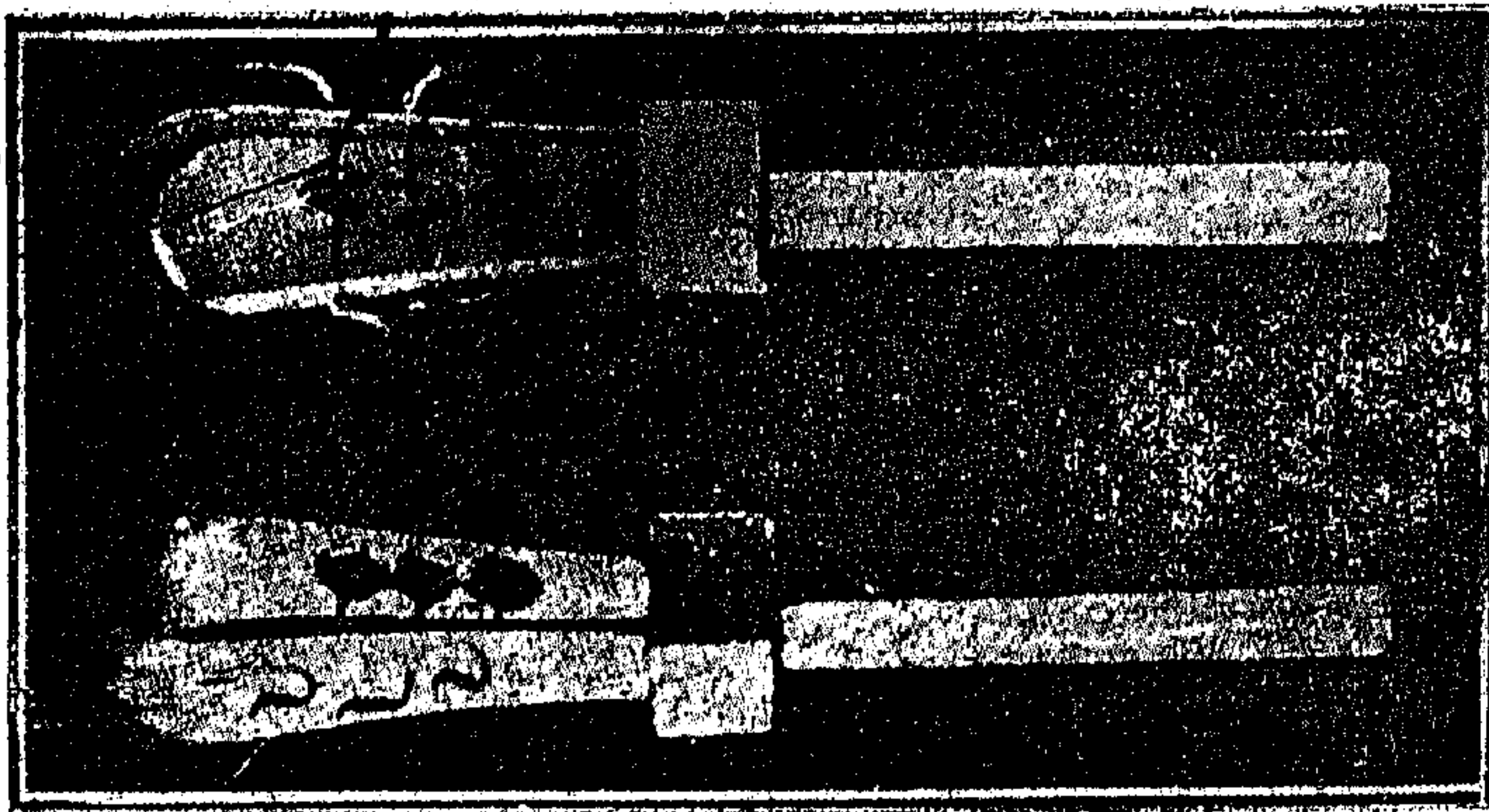
ايزيس



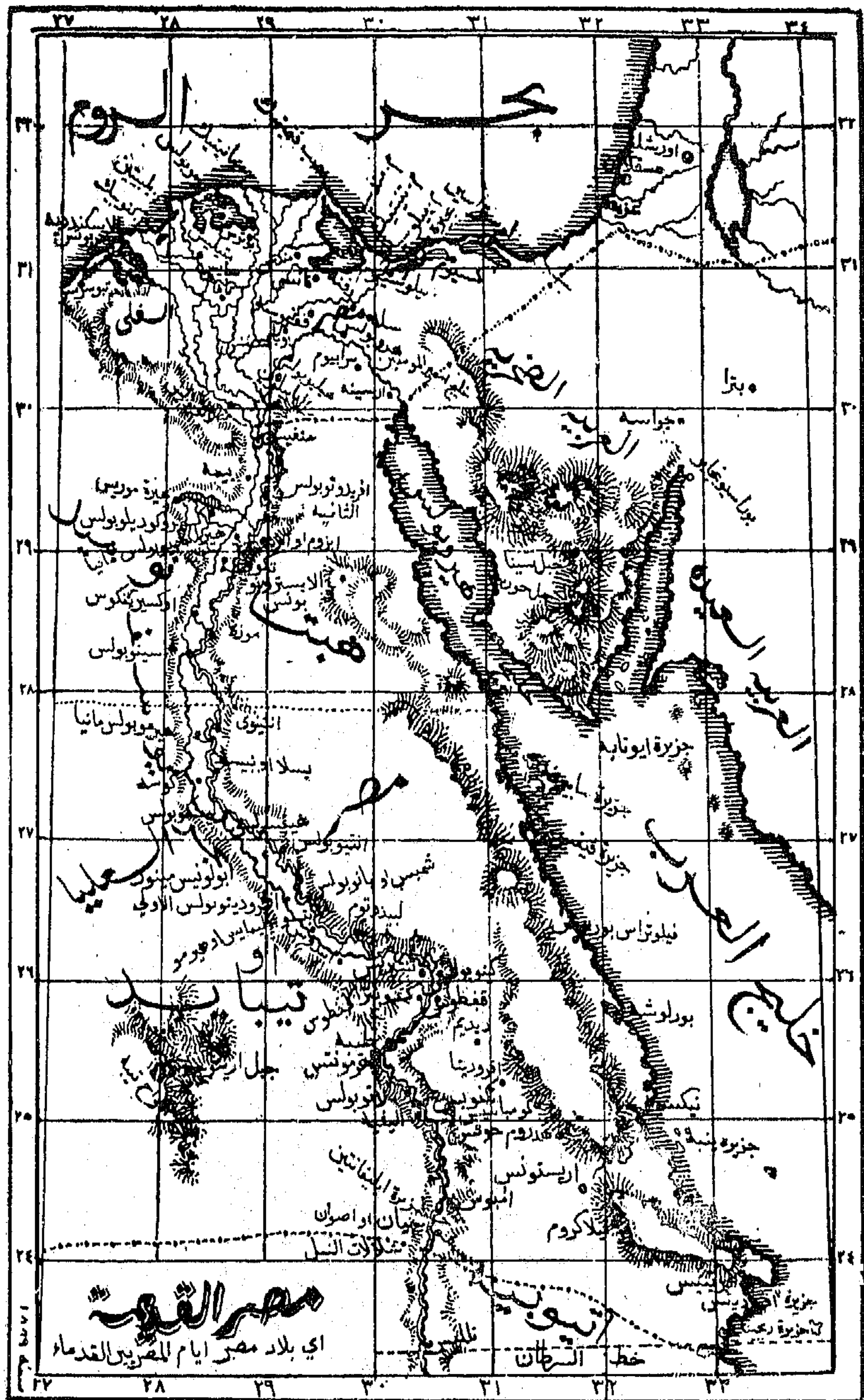
منظر احدى الاواني المرمية تنقل على حماله



الملك ومعبوده



قطعتان موسيقيتان مثل الصنوج لهارثين جميل تستعملان في الحفلات الدينية



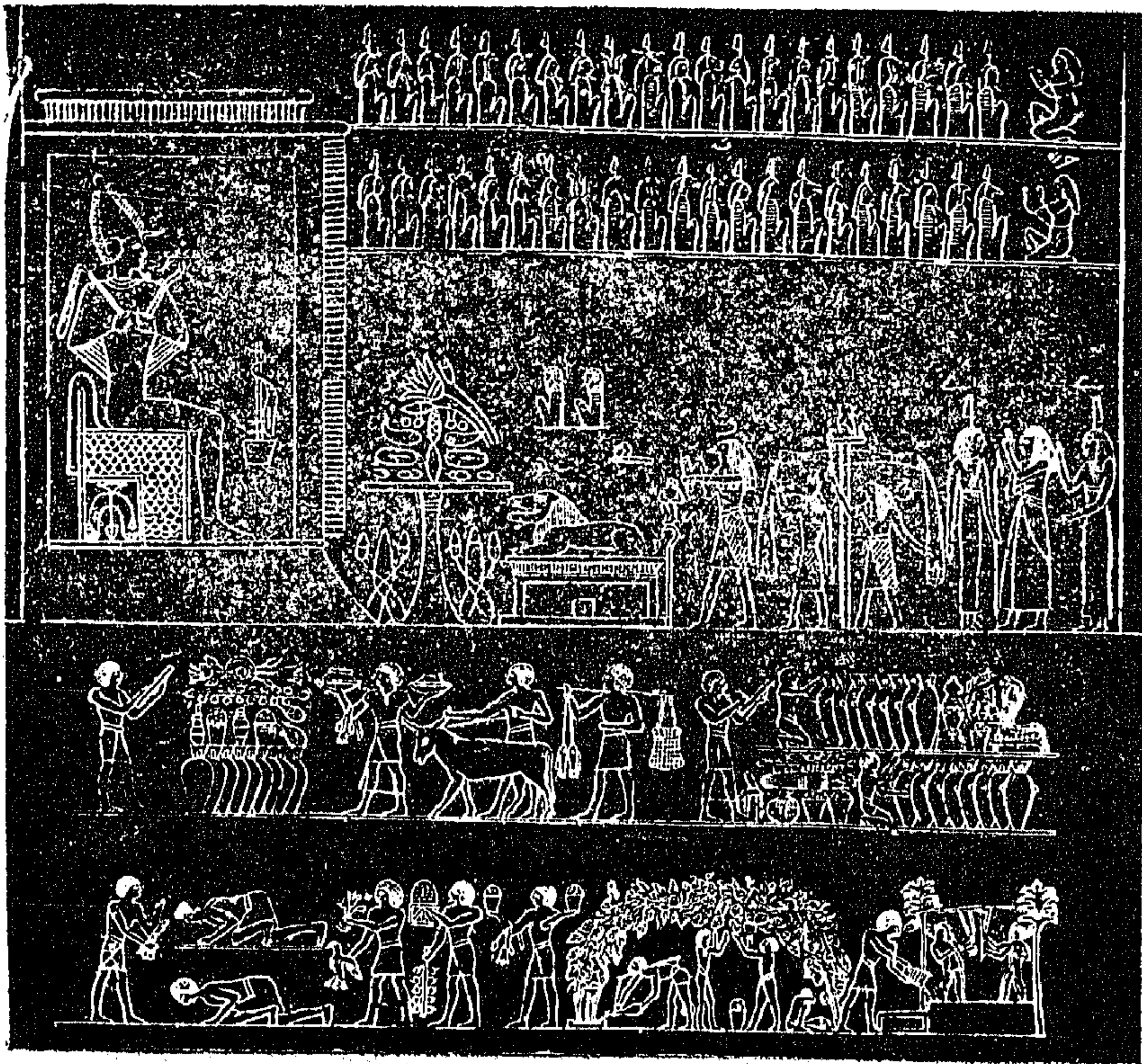
خريطة مصر في أيام الفراعنة



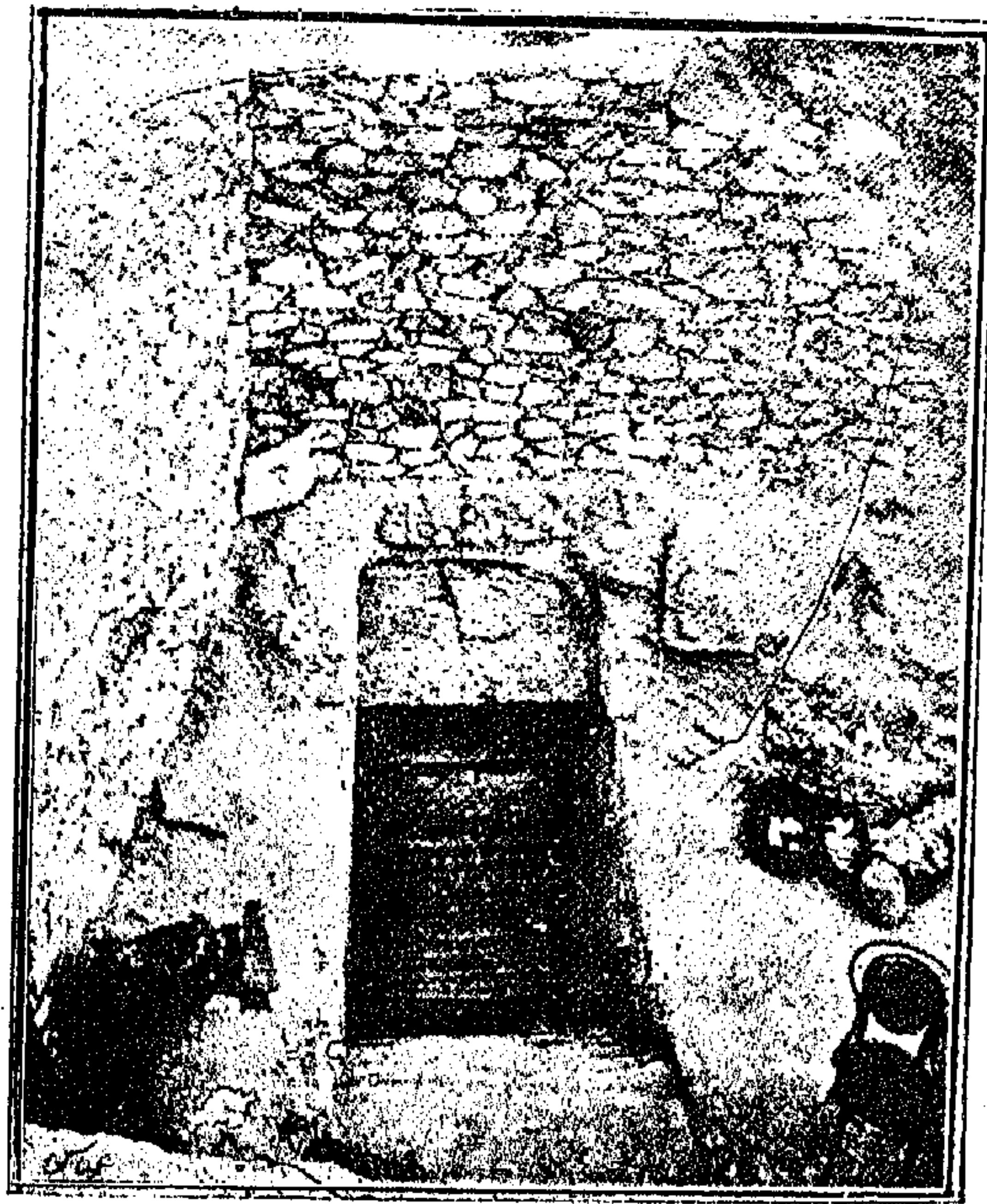
مستر كارتر الذي اكتشف مدافن الملك توت عنخ آمون
بعد تنقيب ٣٠ سنة



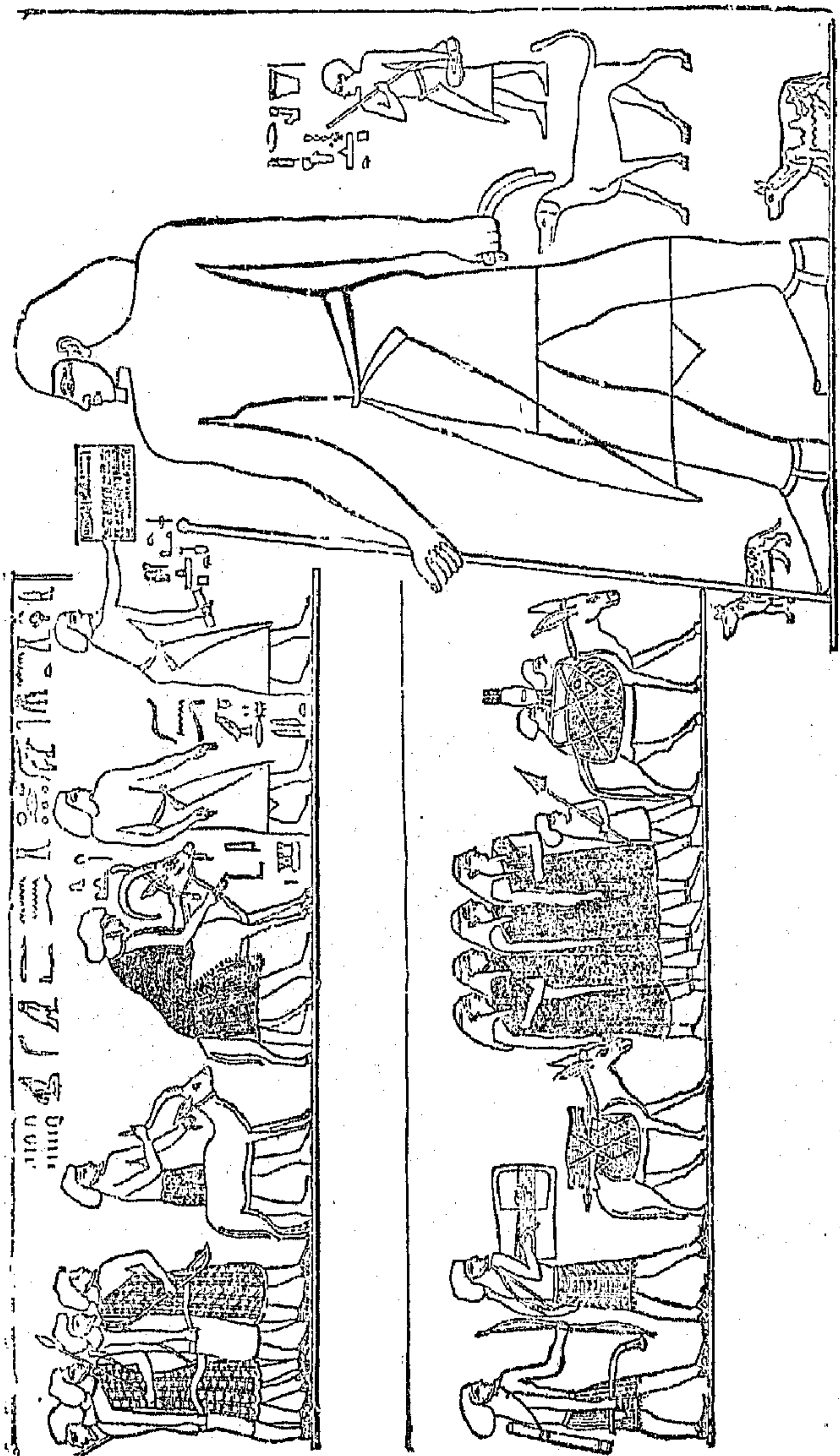
صندوق بديع الصنع مزخرف ونزل بالعاج والذهب



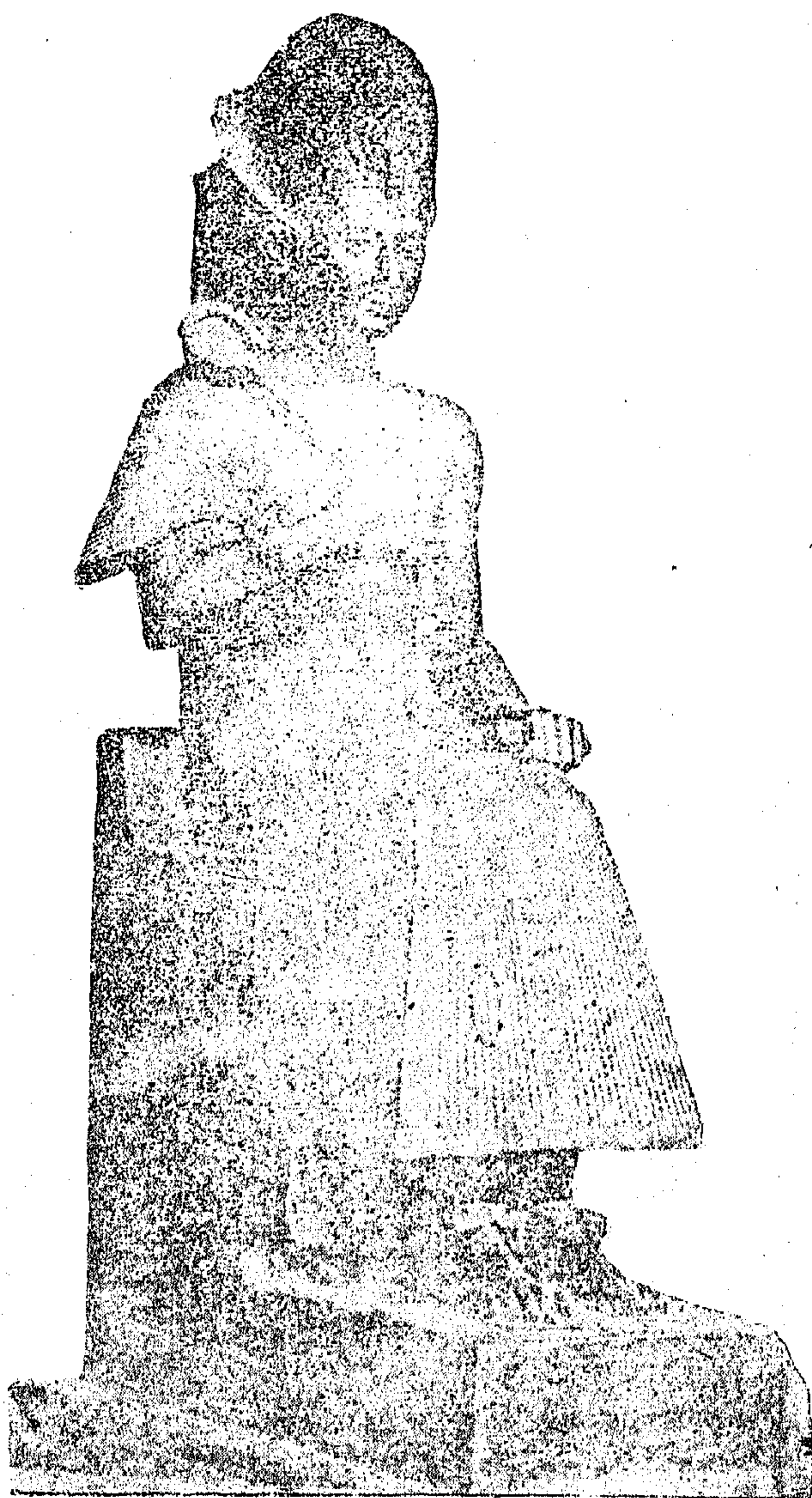
المحكمة الجهنمية لمعبود اوزيريس



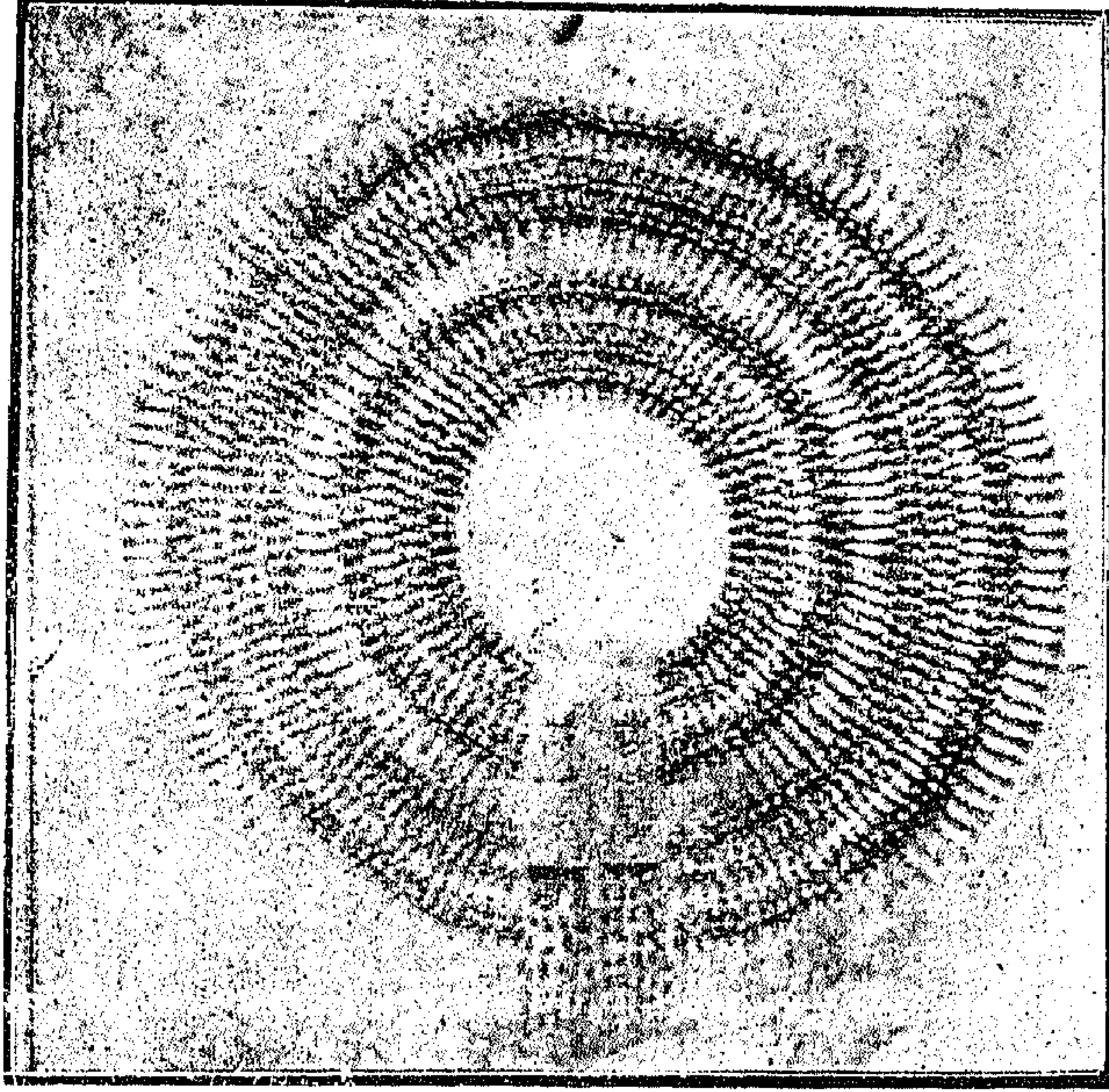
مدخل مدفن الملك توت عنخ آمون الذى وقف فيه الزائرون والصحافيون
ولم يتخطوه الى الداخل فأمكنهم التفرج على ما فى داخل الغرفة



مهاجرو آسيا



هیکل رامسیس الثاني



عقد من الحجارة الملونة والخرز كان حول (قبة) قميص الملك توت عنخ آمون



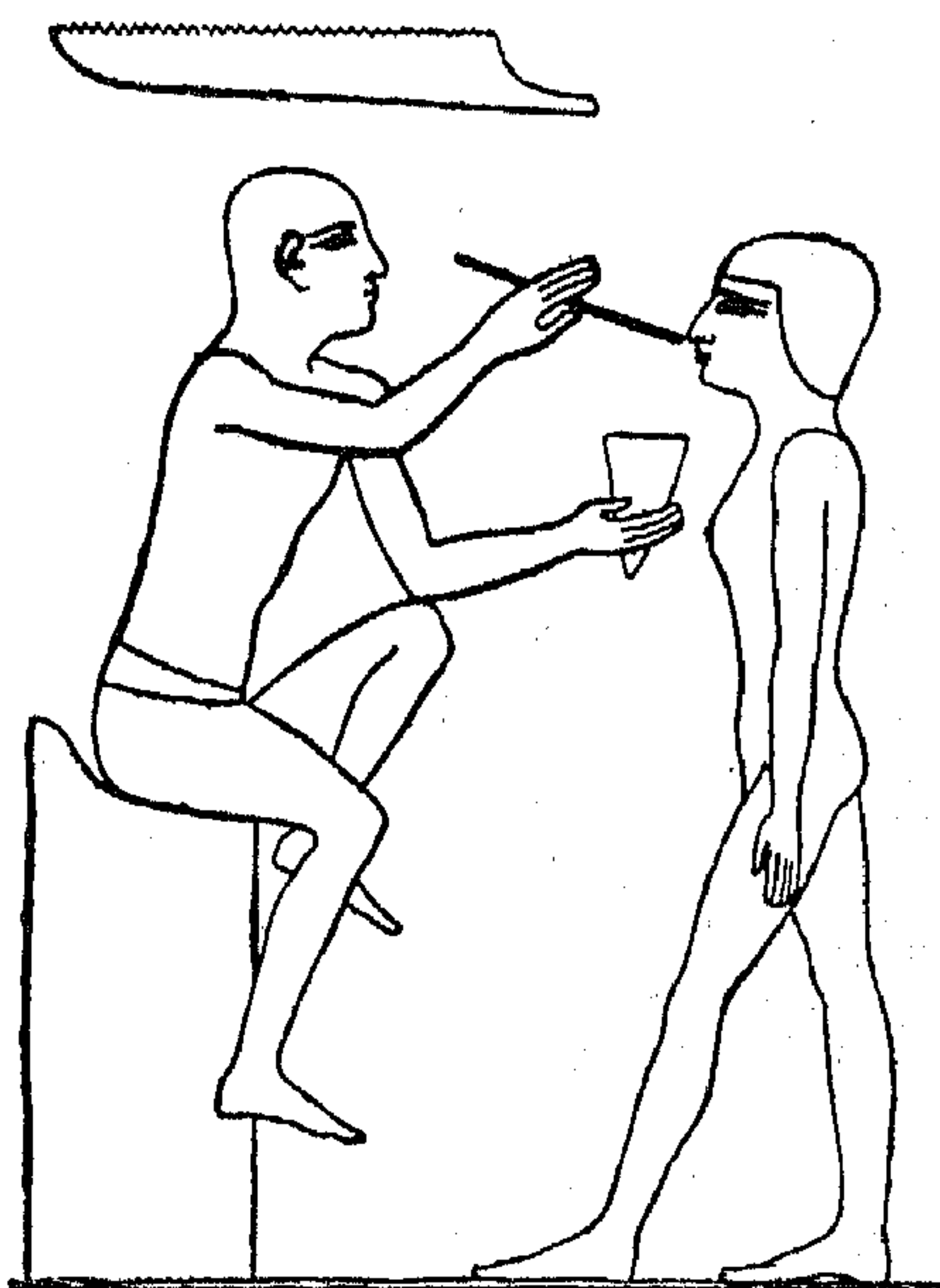
قبضة عصا الملك توت عنخ آمون من العاج والانبوس وهى مزخرفة بنفس صورة اعداء بلاد مصر من الحدود الجنوبية والشمالية وتظهر ملامح الوجوه المحفورة باتقان عظيم



رعميس الثانى



سرجون ملك اشور بيده الصولجان



مصور مصرى يلون تماثلا حجر



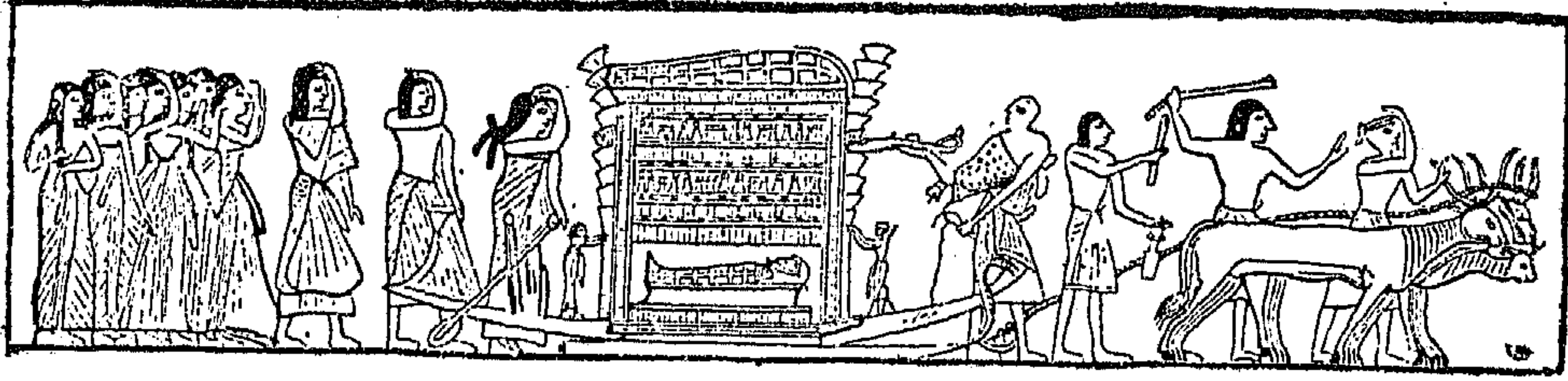
أمن رع



کلیو باطره تزور هیروودس



کاتب مصری قدیم



جنازة مصرية قديمة



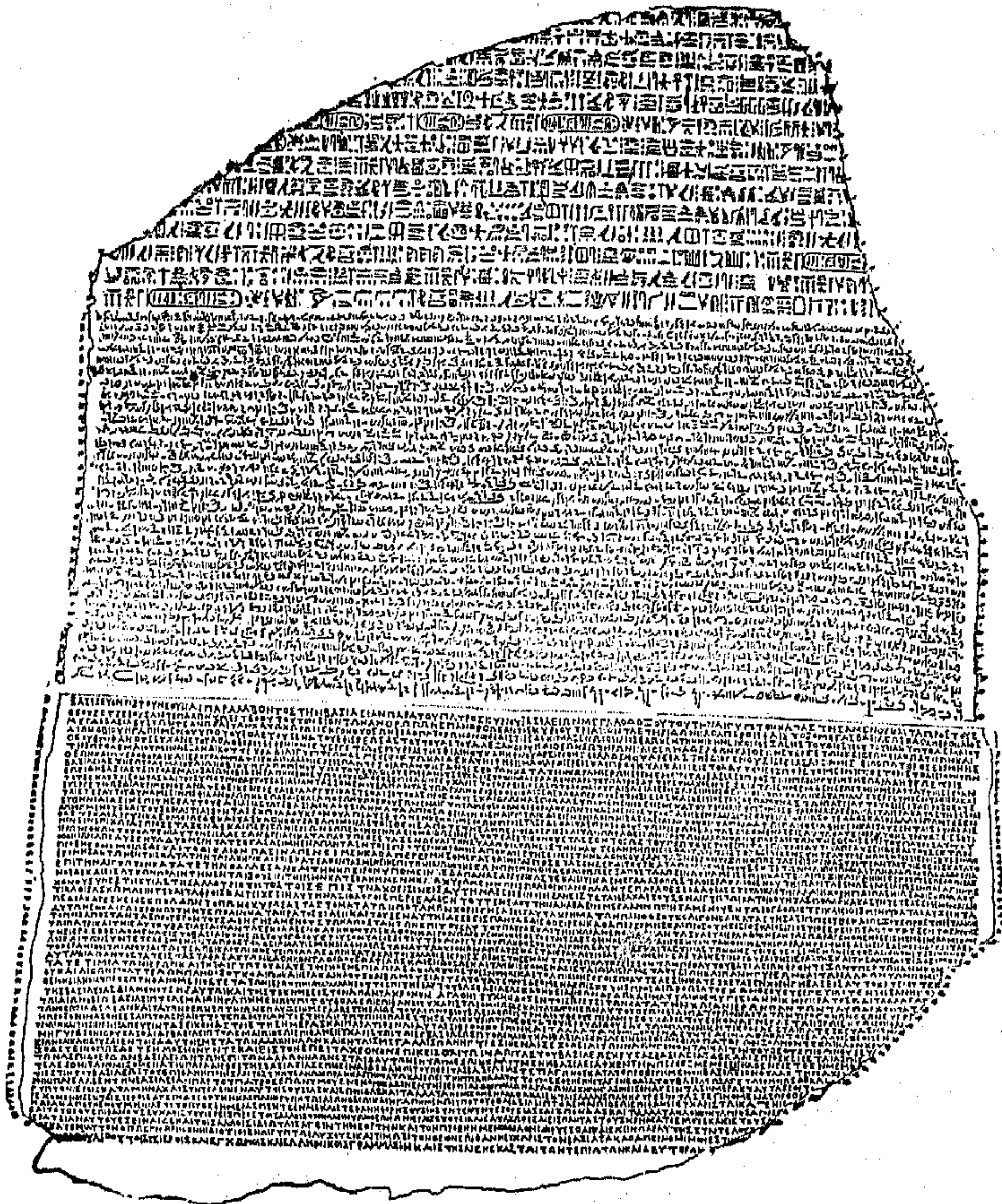
بطليموس فيلادلفوس وأمران



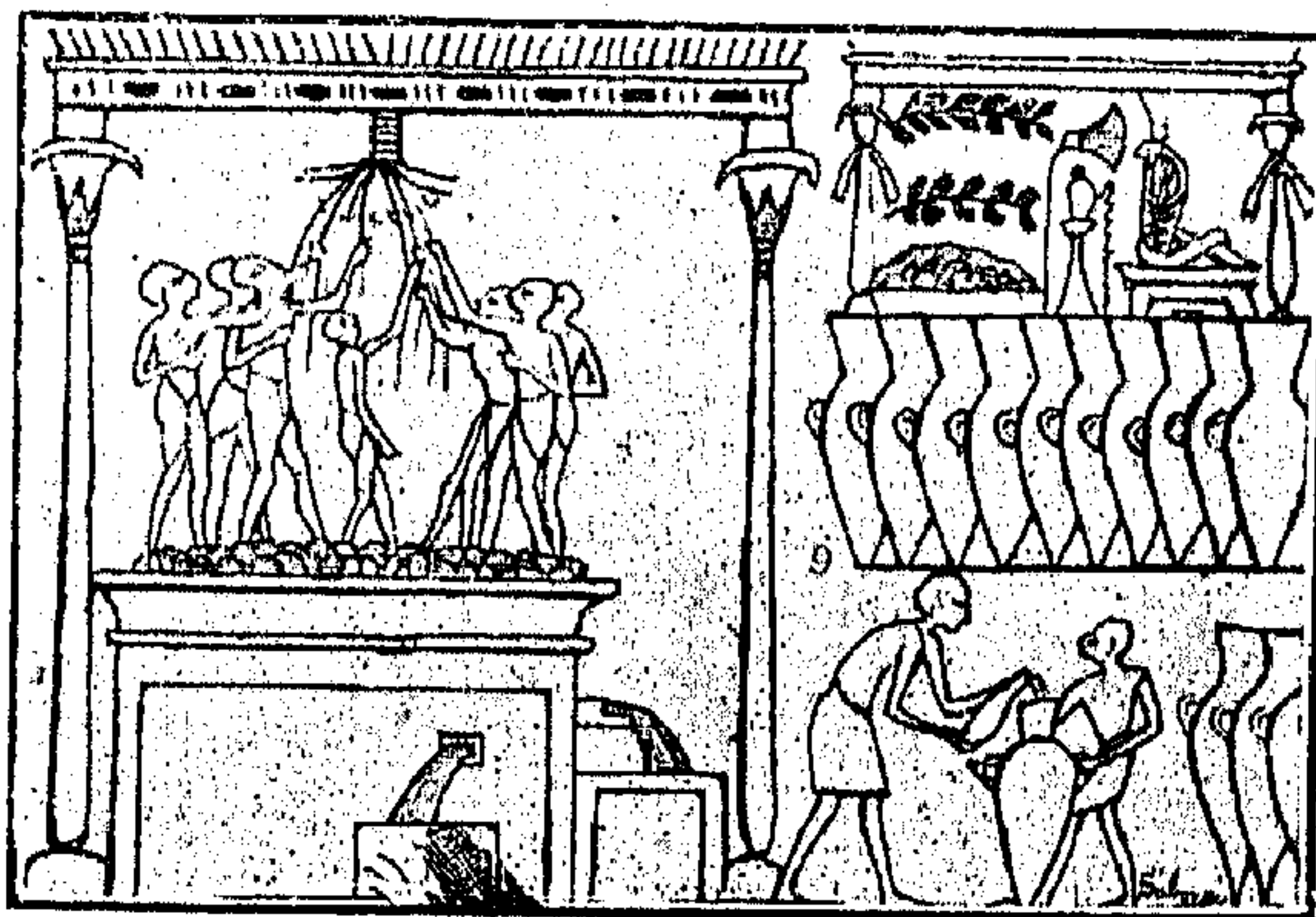
اوزيريس



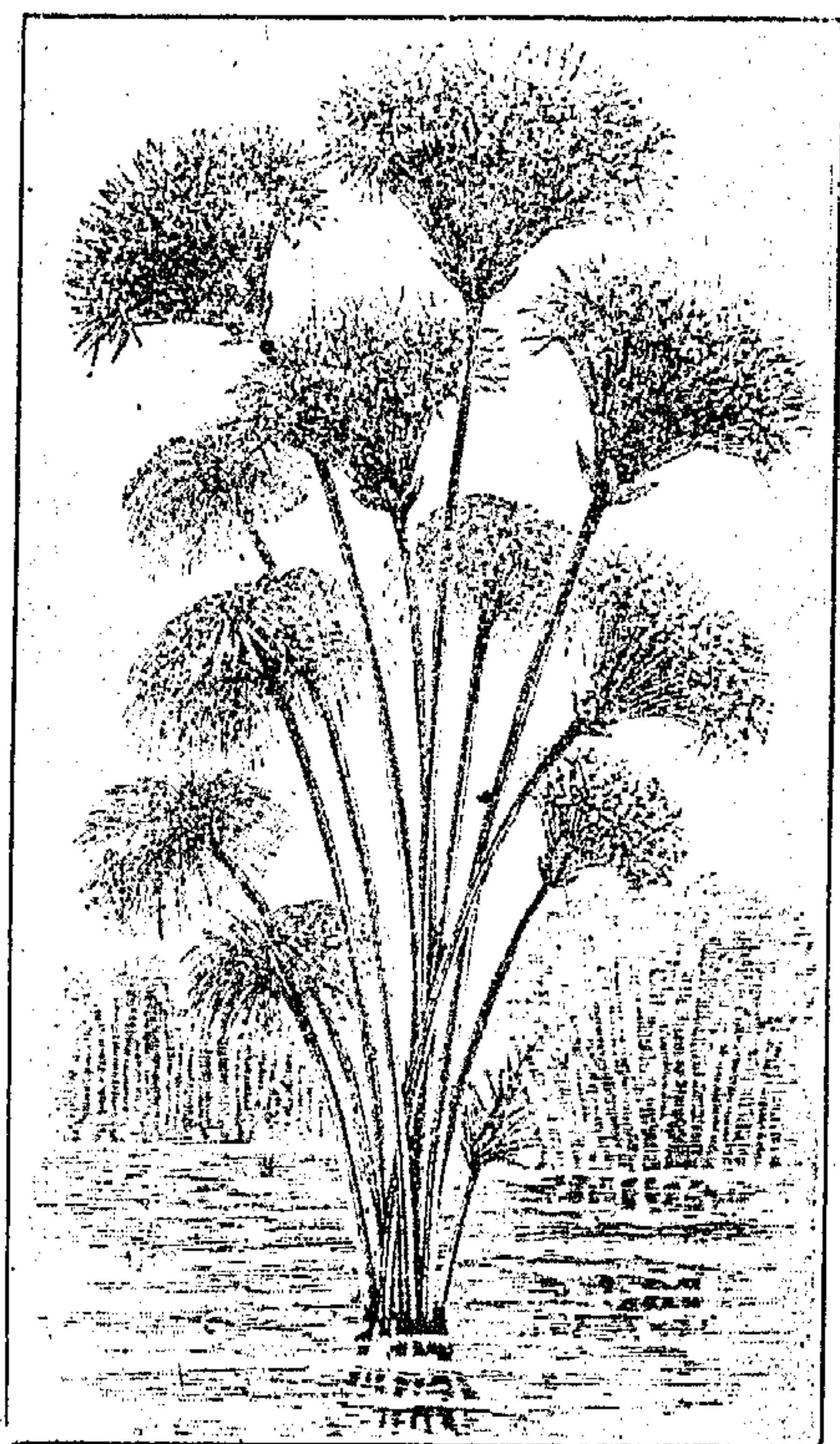
ايزيس



حجر رشيد



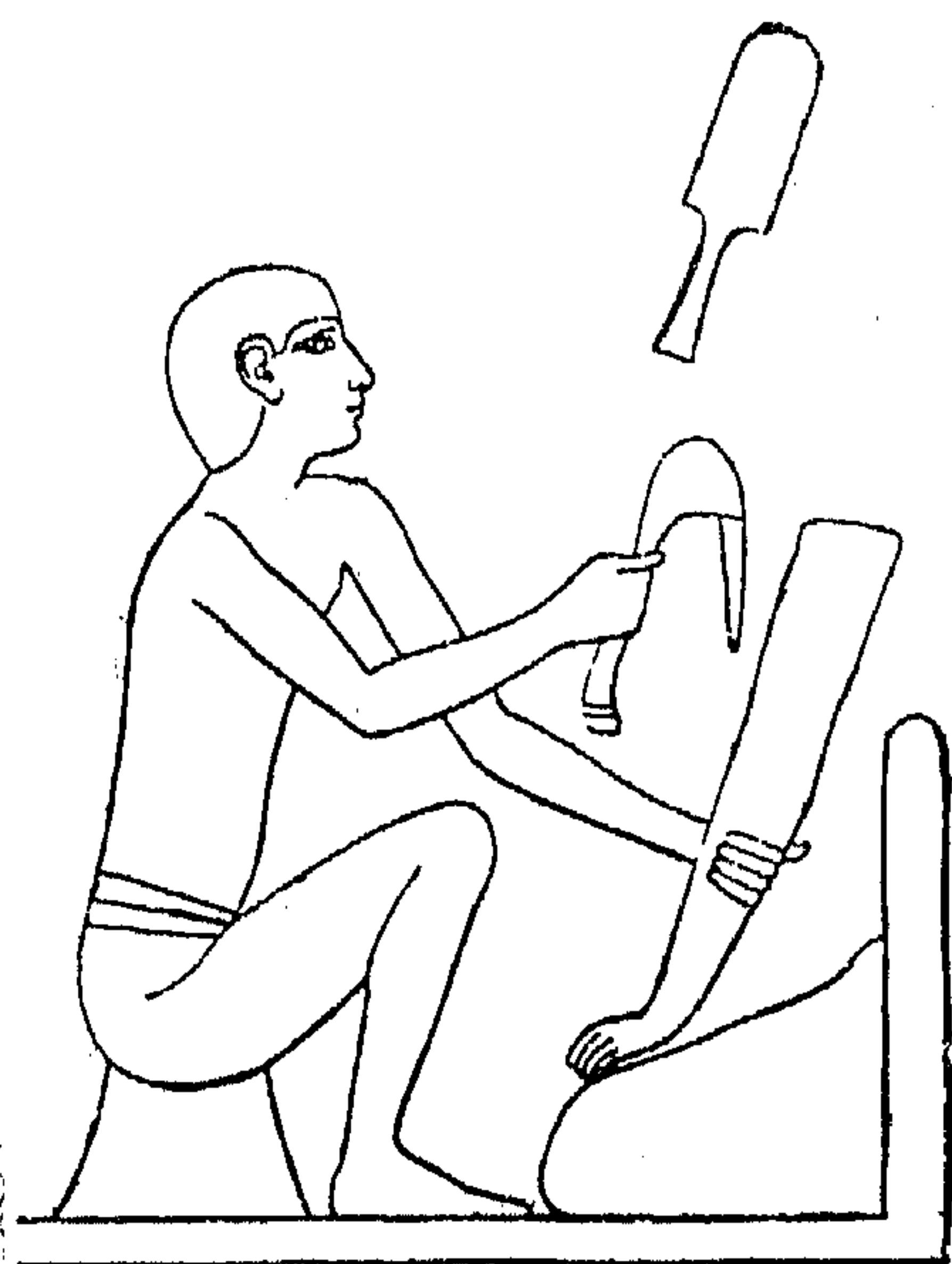
معاصر الغنبي عند المصريين



شجر الدرې



اسر حدود يعود ظهراق
ملك مصر



حفار مصري ينحت ذراعاً



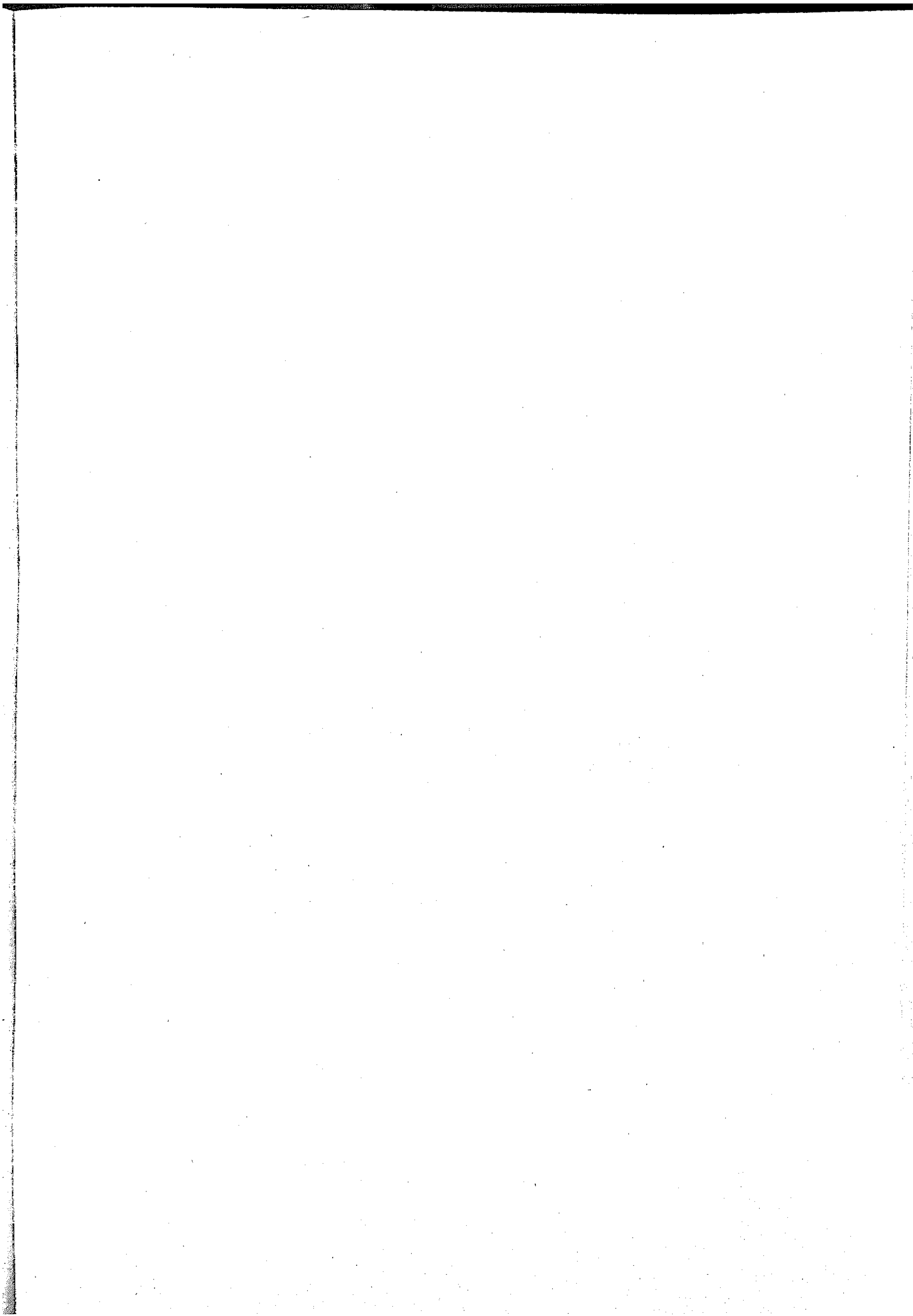
حفار مصري يصنع تمثالا

1



الكتاب الاول

توت عنخ آمون



الفصل الاول

عناية الغرب بآثارنا

لقد عني الغربيون منذ القدم بآثار أجدادنا المصريين وبذلوا كل غال ومرتخص في سبيل اعلان سر من أسرارهم أو كشف مجهول من عاديّتهم أو وصف شأن من شئونهم أو نقل رسم من رسومهم أو ترجمة كتابة من أوراقهم . ولم تدخر حكوماتهم وأفرادهم من الجهد وسعاً ولم ينفكوا منذ القديم يرسلون البعث الى أرض مصر وغشاها منهم غير قليل من العلماء والأثريين الذين جابوا قفارها وفتشوا في جبالها وترتبها فعثروا على مخبآت الدهور وكشفوا عن كنوز كرت عليها الغداة ومرت العشى وهي في خدرها مصونة فكم من قبور نشرت وهياكل وتحف وآيات وزخارف وزينات وأصنام وتماثيل ونقوش وتماثيل ظهرت ثم نقل أولئك المجدون العاملون الى بلادهم من بقايا القرون الغابرة ما راق لهم وحملوا الى متاحفهم كل غال ونفيس فاذا في كل متحف من دور الآثار طائفة كبيرة من آثار النيل تحدث بما حدثه الشاعر الانجليزي هنت إذ قل « النيل يجري فائضاً في أرض مصر القديمة الصامته وينساب بين رمالها كأنه الفكر القوي المفعم بالأحلام وتبدو الوقوت والأشياء في تلك الأحلام كأنها ثابتة ثبوت الخلود . فمن كهوف وأعمدة وأهرام ومن هكسوس تجولوا في ذاك العالم الغني بالمجد البهي ومن أمثال سيزوستريس السامي وتلك الشعلة الجنوبية المنيرة وتلك الملكة الطروب التي ضربت على أيدي العالم القوية . ثم يحل صمت أقوى وسكوت أشد وإذا بالفضاء الخالي يثقل نفوسنا ثم نستيقظ فاذا به كالم قد زالت معالم لجبه وعفت أطلال صخبه ونسمع خرير المجرى الزاهي ينزلق وينحدر بين القرى ونفكر كيف نقضي مرحلتنا الهادئة في سبيل البشر »

ثم شمر أولئك العلماء عن ساعد الجهد فنقلوا الى لغاتهم ما احتوته أوراق

البردى الكثيرة وما صانته جدران المعابد والهيكل من نقوش وألغاز وفسروا تلك الكتابة التي خلفها وراءهم قدماء المصريين فكانت تاريخاً صادقاً وأثراً ناطقاً يحدث عما كان عليه القوم من مجد وجبروت ورقى ونشاط ثم قابلوا تلك الكتابات بما وصل الى علمهم عن المصريين من كتب قليلة كاتي خلفها هيرودوت مؤرخ اليونان ومانيتون وديودور وبلوتارك فأخرجوا للعالم مكتبة هائلة ألفوا كتبها وصنفوا تاريخها فألفينا في كل أمة من أمة الغرب عدداً لا يحصى من كتب مؤلفة. ومترجمة تحدث الناس حديثاً شائقاً عن الفراعنة وقدماء المصريين فحوت تلك المؤلفات شيئاً كثيراً عن تاريخهم وأخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم ومعبوداتهم وملوكهم وملكاتهم وفتوحاتهم ومستعمراتهم ومعابدهم وفنونهم وصناعاتهم وتجارتهم الخ. ولم يكتف أولئك المؤلفون بنقل ما تركه المصريون أنفسهم من بردي ونقوش وما سطروه وحفروه بل توسعوا في التأليف توسعاً مقبولا وأضحى تاريخ قدماء المصريين علماً خاصاً وأصبح البحث في عاداتهم فناً خاصاً دعوه (بالأجيتولوجيا) وتخصص الكثيرون من علماء الغرب في ذلك بل منهم من تخصص لتاريخ المصريين، ومنهم من برز في مباحث عاداتهم، ومنهم من أخذ على عاتقه حل رموز الهير وغليفية (١) ودرسها وتأليف الكتب في قواعدها وترجمة صعبها وكلمها وشرح مفرداتها وجمعها في معاجم وموسوعات وتعليم تلك اللغة وهي أم اللغات في الجامعات، ومنهم من قام يلقي المحاضرات عن بعض ما أحاط به من تلك العلوم ومنهم من سعى لكشف الستر عن كيميائهم وطبهم وحنوطهم وموميائهم ومنهم من أصدر المجلات الخاصة بهم دون غيرهم. وقد ملك نفر غير قليل من هؤلاء العاملين ناصية الشهرة والصيت وان مجملها صغيراً كمقدمة لهذا الكتاب ليضن على القارئ المصرى الكريم أن يسمع بعضاً من أسماء أولئك المشهورين في ما يختص بآثار بلاده وأجداده ولكنه إن صبر حتى آخر هذا الكتيب عثر على أسماء عدة لنفر من أولئك العلماء الغربيين ولا إخلاله بعد ذلك إلا عاضاً مثلي

(١) معنى « هير وغليفية » الخط المقدس (باليونانية هيروس أى مقدس وغليفى أى خط)

بنانه حسرة وأسى على اهمال مصري اليوم فى العناية بشيء مما عني به الغربيون من أمر مصر القديمة وآسفاً على فقر اللغة العربية من مؤلفات ومصنفات ذلك الفقر المدقع الذى شعر بوطأته شباب اليوم إذ يننا يرتع الغرب فى عالم من نور تلك المصنفات اذا بمصر نفسها وهى أحوج من غيرها الى ذاك النور تتخبط فى ظلمات من الجهل بأمر أسلافها القدماء وبما كانوا عليه من عز ورفعة

✍ إنا لا نجحد فضل تلك النهضة التى أحدثها ذاك الاستكشاف العجيب لقبر الملك توت عنخ آمون فرغب المتعلمون فى الحج الى آثاره وزياره المتحفات ورأت الحكومة أخيراً أن تنشئ مدرسة لتعليم الهيروغليفية واللغات القديمة لمن أولع بذلك غير أن تلك النهضة ما زالت فى دور النشوء وربما رأينا منها خيراً فى شبابنا حين نجد بين أيدينا ترجمة أوراق البردي القديمة وترجمة ما على كل معبد وما فى كل اهرام ومقبرة من نقوش وكتابة كما ترى أمامنا عدداً وافراً من مؤلفات عربية منتشرة فى أنحاء القطر تحدث عن سيرة الأسلاف . وكذلك ترى فى كل حاضرة من عواصم المديريات متحفاً للآثار . وقد نرى من اللائق ذكر كلمة نشرت للمرحوم العلامة الأثرى أحمد كمال باشا (وسنورد فى ختام هذا الكتيب كلمة عنه) عن متحفات العواصم يقول فيها : « اطلعنا اليوم على صفحات الجرائد على أن بعض المديرين فطن الى كلفتنا التى نشرناها فى هذه الجريدة (الاهرام) منذ بضعة أيام لانشاء المتاحف ودور الكتب العمومية فى العواصم وإيجاد المكاتب القروية لتسهيل الدراسة وتمهيد سبيل الرشاد لسكان العواصم والقرويين حتى لا يجرموا فى هذا العصر الزاهر من اقتباس العلوم والصنائع لا سيما آثار أجدادهم التى أدخروها لهم فى بطون الارض من كنوز ثمينة وتحف غريبة عظيمة تدلهم الدلالة الحقيقية الواضحة على تمدن البلاد ورقىها فى العصر القديم وعلى أحوالها وزراعتها وصناعاتها وأنواع أحكامها ونظام أوقاتها وكيفية تدبير مصالحها والمحافظة على البلاد وحدودها وبيان هذه الحدود بالاعلام الحجرية المنقوشة بقلم الحفر وعلى طريقة الأمن العام والقوانين المتبعة الحاسمة

وغير ذلك مما لا يحصىه القلم . واعلم أنه لا يتيسر الحصول على هذا الغرض ولا الوصول الى فهمه وادراكه إلا بإنشاء المتاحف ودور الكتب والمكاتب القروية إذ هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا من الوصول الى هذه الضالة المنشودة ولا نجعل أنه حتى الآن لم يهتم منا أحد تمام الاهتمام بهذا المشروع لتعميم فوائده الجزيلة التي يقتبس منها كل عامل وصانع وفلاح وملاح وطبيب وفلكي ومهندس ومساح وتاجر وسياسي وحاكم وقد قل من بيننا من يبحث عليها ان لم نقل أنه نادر بالمرّة فيا ليت شعري الى متى هذا الخمود والرقاد والصمت المتناهي وضياح الفرص الثمينة التي تحين لنا فنطرحها ظهرياً . أنظر الى قول (بتاح حتب) (١) في اللوحة الثامنة عشر من نصائحه فقد قال ما معناه : « إذا كنت رجلاً عاقلاً رب ابنك ليكون مرضياً عند الله فان أصلح أموره على خطتك واشتغل بمصلحته كما يجب عليه اصنع معه كل خير قدر استطاعتك لانه ابنك ومنسوب اليك وخلفه صلبك ولا تباعد عنه بقلبك . لكن لو ساءت أعماله وتجاوز الحد وأنف الكلام (أى النصيحة) وأطلق لسانه بقبيح القول أضربه اذن على فيه » - ثم قال « نفذأمرك في الذين يفعلون السوء بلا مؤاساة » الى أن قال في اللوحة الثامنة والثلاثين « إذا سمعت عنه النصائح التي ذكرتها فان حكمتك تصير في تقدم حقيق ومهما تكن فانها الواسطة في الوصول الى الخير » ثم قال في اللوحة الحادية والاربعين « الرجل الذي لا خبرة له لا يسمع ولا يفعل شيئاً ويرى العلم في الجهل والرجح في الخسارة ويفعل كل شيء بضلال فهذا يكون فعله مخالفاً للصواب » وقال (قاقنه) (٢) من ضمن نصائحه أيضاً « اجتهد لئلا يذكر كل انسان اسمك . اه » - أنظر فصول الحضارة القديمة (٣) - وبالتأمل في هذه النصائح التي أتخفنا بها رجال الفضل من الأسرة الخامسة نرى أن الانسان لا يكون له اسم ولا شهرة

(١) كتاب الاثنيب المصري بتاح حتب هو أقدم كتاب في العالم ويتضمن حكماً قيمة سنورد بعضها في آخر كتيبنا هذا وقد نقل الى كل اللغات الحية الآن تقريباً

(٢) سنذكر بعضاً من حكم « قاقنه » في آخر الكتيب (٣) كل هذه الاشياء سنذكرها بعد

في هذا العالم إلا بمعارفه وآدابه التي يقتبسها عن أبيه ومعلميه فالمديرون الآن هم آباء تلك القرى المتروكة وهم المسئولون عنها فيما يتقف عقولها ويقدم عملها ويرشدها الى طرق التعليم والى تمهيد الوسائل النافعة لها إذ كل راع مسئول عن رعيته . فأيها المديرون أهل الفضل والمعارف القائمون باصلاح شؤون البلاد المعهود اليكم أمرها وتقديمها أسوق اليكم حديثي هذا لبذل كل ما تستطيعون من الوسائل لانشاء المتاحف ودور الكتب والمكاتب القروية . . هذا ولا يخفى أن مجالس المديريات والبلديات يمكنها القيام بصرف ما تحتاج اليه هذه المتاحف ودور الكتب والمكاتب القروية لأنه أمر متيسر لكل مدير غيور على بلاده — فالمتاحف لا تكلفهم شيئاً فان المتحف المصرى العام عليه أن يورد الآثار التي لا تفيدته والتي يبيعها الآن للأجانب فى قاعة المبيعات بالبخس الأثمان وان يعطيهم القواعد والنصبات والدوايب وأنواع الاثاث المودعة فى المخازن بلا فائدة وليكن لكل مدير الحق فى حفظ كل ثمرة يجده السباخة فى الخرائب والاطلال من الآثار التي تبدد بدون ثمرة ولا فائدة وبذلك تصبح كل مديرية حافظة لآثار سكانها القدماء تنافس أختها فى التقاط ما يؤخذ منها أثناء أخذ السباخ . وليس عليهم أن يفكروا فى شرح هذه الآثار أو نشر فوائدها فاني عليم بالنهضة التي قام بها الشبان الآن بتعليم اللغة المصرية القديمة وأنى من جهة أخرى مستعد للقيام بهذه الخدمة وان شاء الله لا يمضي زمن بعيد حتى يجد المديرون شباناً أولى خبرة ومعارف يشغلون هذه المتاحف ودور الكتب ويلقون فيها المحاضرات العلمية والخطب العصرية فيستضيء بها أهل البلاد وتنهض بها نهضة الجهاد

الفصل الثانى

تقدير علم الآثار

ولامراء أن كل مصرى غيور يرى مارأى المرحوم العالم المصرى ويعلن
سخطه على قادة المبيعات وأسفه على تلك الآثار النفيسة التى خرجت من
مصر فاكثفت بها متاحف الغرب والشرق حتى كبار التماثيل والمسلات
العظيمة التى حملوها الى أقصى الجهات ورب قائل يقول ان لتلك الآثار التى حملت
إلى أوروبا وأمريكا وغيرهما فضلاً كبيراً إذ يشاهد فيها الغربيون ما كان
عليه المصريون من مجد وعظمة فتكون هنالك بمثابة الاعلان عن رفعة
المصريين القدماء فنقول أن الغربيين أعلم منا بتاريخنا وأدرى بمدنيتنا وأن بين
أيديهم من ألوف الكتب وروايات التأليف والصور والرسوم لمغن عن سلب
مصر أنفس آثارها وأن المتحف المصرى لأحق بها من متاحف مبعثرة فى
أنحاء المعمور وأن الجو المصرى لأجدر بها وبصيانتها تحت جناحيه حيث نبتت
وعاشت قبل أن يستيقظ التاريخ وتهب العصور من سباتها العميق وأحق بها من
الغربة والتشتيت والتزيق والتفريق يتنازعها الغرباء ويتهاذى بها العظماء ويفخر
بجمعها العلماء. ولكن ماذا تجدى الأقوال والمسرات والواجب علينا أن نحفظ
بالبقية الباقية من أن تسرب الى خارج القطر وأن نهتم بتلك البقية فندرسها
ونقرأ ما كتبه الغرب عنها من عجائب وما صنفه عن موضوعها من غرائب وأن
تجد دار الكتب فلا تألو جهداً فى سبيل اقتناء تلك المؤلفات التى ديجتها براعة
كتاب الغرب وعلماءه وتنشط وزارة المعارف فتشتري لمكاتب مدارسها الخاوية
بعضاً من تلك الكتب التى تساعد الطلبة على تفهم سيرة الفراعنة وينشط كتابنا
فينقلوا الى الناطقين بالضاد عدداً من تلك المؤلفات المشهورة ويعربوا لنا بعضاً من

كتابات العلماء الماثورة وقد يجد القارئُ بعضاً من أسماء تلك الكتب الجميلة الشهيرة في ختام هذا الكتيب ولو شاء الأجل وسمح الوقت ثقلنا منها كتاباً يكون هذا الكتيب مقدمة له وما أردنا بإصداره غير لفت النظر إلى عناية الغرب بقدر إهمال الشرق بعالم الآثار وقد أدى بهم البحث إلى أن مصر (١) مهد المدنية واليك نبذة ترجمتها صحيفة الاهرام :

الفصل الثالث

مصر مهد المدنية

نشرت كبريات الصحف الانكليزية نبأ يسد من أهم الأنباء العلمية وهو أن مصدر الجنس البشري أصبح معروفاً الآن باكتشاف الحلقة المفقودة بين الانسان والقرود وأن من العقدا تي حلت كيفية بدء المدنية والأدوار التي انتشرت بها من مصر الى جميع أنحاء العالم . أما صاحب هذه الاكتشافات الجديده فهو الأستاذ جرافتون اليوت سميث أستاذ علم طبائع البشر «الانثروبولوجيا» وهذا الأستاذ معروف في مصر إذ كان أستاذاً لعلم التشريح بمدرسة الطب المصرية وكان قد جاء الى مصر للبحث في دراسة طريقة التحنيط عند قدماء المصريين وعمل البحوث في المناخ والجو والمقارنتها تشريحاً فكانت تعرض عليه جميع التوابيت التي تكتشف في مقابر قدماء المصريين لاتمام الابحاث التي يريدونها وبعد أن أتم ابحاثه وجمع ما يحتاجه من النماذج لتحقيقاته العلمية انتقل من مصر الى جامعة ليفربول أستاذاً للتشريح وعلم طبائع البشر وقد نشر ابحاثاً كثيرة وهو

(١) كان اسم مصر في القديم «خمسين» أي الارض السوداء نسبة الى تربتها السوداء والشمس بالعبرية «مهرام» التي كثيراً ما تطلق على مهر السفلى وبالاشورية «موصري» ومصري وباليونانية اخيبيتوس التي يقال أنها مشتقة من قفط وقبط

يعد من كبار الثقات في هذه العلوم ثم نقل الى جامعة لندن
والمفهوم من أقوال الصحف الأوروبية أنه كتب الفصل الخاص بعلم طبائع البشر
في دائرة المعارف البريطانية الحديثة الطبع « الثانية عشر » التي توشك أن تظهر
وقد اهتم العلماء بما كتبه في ذلك الفصل حيث قال أن الابحاث التي
تمت منذ سنة ١٩١٠ قد حلت كثيراً من اعظم المعضلات - ماعدا مصدر الحياة
نفسها - وان العلم وقف عند معرفة مبادئ النوع الانساني فكان علماء طبائع
البشر يظنون من عشرة اعوام خلت ان هذه المسائل لا يمكن أن تحل وستبقى
الى الابد بغير حل ولكنه حلها وعرضها للأظار

ينقض الاستاذ اليوت سميث جميع النظريات التي سبقه اليها علماء طبائع
البشر ويعدها الآن في حكم المسائل التي انقضى زمن الأخذ بها بما في ذلك آراء
الاستاذ ادوارد بارنت تيلر الاستاذ بجامعة اكسفورد وهو الذي كتب فصل علم
طبائع البشر في الطبعة الحادية عشر لدائرة المعارف البريطانية سنة ١٩١١ فقد
رفض الاستاذ اليوت سميث هذه الآراء بصفة خاصة ويقول صاحب الاكتشاف
الجديد ان النوع الانساني نشأ من جبال « سواليك » الواقعة في سفوح جبال
« الهملايا » بالهند فقد ظهر بهذه المنطقة قروود شبيهة بالانسان في العصر الثلاثي
المتوسط « العصر الميوسيني » وقد اختلف علماء طبقات الأرض على تقدير
أزمان هذا (العصر الميوسيني) فقد يكون ثلاثة ملايين سنة أو أربعة ملايين
فلاستاذ اليوت سميث يقول « ان الشعب العظيم للانواع والاجناس تطور في
تلك المنطقة ولم يقتصر على أجداد « الاورانج » و « الشمبانزى » و « الغورلا »
بل الاسرة الانسانية أيضا . وقد انتشر أجداد القروود والانسان غربا حتى وصلوا
الى افريقيا واوروبا قال « وفي اثناء جولانها بين الهند الشمالية وافريقيا ظهرت
الخواص الانسانية في احدى هذه الاشكال « القرديّة »

واكتشف الاستاذ اليوت سميث في عظم الجمجمة المسماة « بلتدون » والتي وجدت
في سوسكس سنة ١٩١٢ حلقة كانت مفقودة وهذه الجمجمة ذات فك « قردي »

ولكن بتجوييف الجمجمة علامات لاشك فيها تثبت اكتسابها الانسانية في عصر بعيد جدا وقد اختلف الآراء وصرح بانها جمجمة رجل عاش في العصر « البليوسيني » وكان ذلك أول العصر الجيولوجي الثالث او الرابع ويرى بعض الجيولوجيين أن هذا العصر كان منذ مليون سنة قال : « وكان جميع البشر الاصليين سوداً كالأقربين من اقاربهم الغورلا والشمبانزى ولكن فرعاً من الاسرة البشرية أصفر جلده وكبرت جماجمه وفي العصر الجليدي تفرعت هذه الاسرة الصفراء اللون الى اربعة ألوان بسبب حواجز الجليد التي فصلت بينها الوفا لا تعد من السنين فعاش فريق منها بالقرب من النهر الأصفر ومنه نشأ الجنس المغولي وعاش الآخر شمال شرق افريقيا حيث تطور الى اللون الاسمر . وحجز الثلج فريقاً منها في التركستان . أما القسم « النوردي » ومنه اجدادنا « يريد الانكليز » فقد كان في شمال شرق التركستان فلما ذاب الثلج عادت هذه الاجناس الى الاتصال ببعضها فاختلطت وامتزجت ولكنهما لم تفقد مطلقاً الميزات التي تميز بعضها من بعض »

ويقول الاستاذ اليوت سميث ان مصر هي مهد المدنية لابل كما كان مفروضاً الى عهد غير بعيد فان دراسة بناء الاهرام والتحنيط تثبت كيف أن الفنون انتشرت من مصر الى « غينا الجديدة » والى « استراليا » ثم عبرت المحيط الباسيفيكي الى امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية وكان المصريون وجيرانهم السمريون الذين تلقوا عنهم المدنية يطلبون الذهب والؤلؤ والجزع والبخور العطري فأرسلوا طلابهم للبحث عن هذه الاشياء قبل المسيح بالاف من السنين . وقد تعقب الاستاذ اليوت سميث الآثار في ضوء الاكتشافات الاثرية الحديثة اعمال الحفر والتنقيب الطرق التي اتبعها اولئك المستعمرون القدماء فاثبت كيف اكتشفوا مناطق القصدير في بحر قزوين وكيف اخترعوا البرونز الذي احدث هذا الانقلاب العظيم في العالم ثم تتبع الاستاذ بابحاثه أقدم الناس مدنية « المصريين » في هجرتهم الى ارمنيا والقوقاز وآسيا الصغرى في الغرب ووصولهم

على الأقل الى بلوغستان بل ربما الى الهند شرقا
وقد أدى سعى المصريين فى بحثهم عن النحاس الى سلسلة من الاعمال
لاستخراج الذهب من اكسوس الى بخارى ومنها الى اواسط سيبيريا . واكتشف
المصريون الذهب وحجر الشب « سليكات المغنيسيا » فى أرض الصين وقال
« وهم الذين غرسوا فعلاً بذرة المدنية فى الصين » اما الطرق التى سلكوها
فمرسومة فى أنظمة الرى الاثرية

وقال الاستاذ ان كهنة هليوبوليس فى مصر هم الذين نشروا عبادة الاصنام
« الرمزية » وعبادة الشمس فى جميع انحاء العالم فى أواخر الاسرة الرابعة أى قبل
الميلاد بثلاثة آلاف سنة ووضعوا عقائدهم فى قالب ليتمكنوا به من القبض على
ذمام الحكومة وقد نجحوا بعض النجاح فى غرضهم ولكن معتقداتهم انتشرت فى
جميع انحاء الارض من استوتهنج « بانسكاترا » الى بيرو بامريكا الجنوبية
هذه خلاصة ما ذكره بعض الصحف عن آخر رأى لثقة كبير من أكبر
علماء العصر الحالى ولا شك ان آراءه مبنية على اكتشافات ونماذج وغير ذلك
من الأدلة المحسوسة التى يثبت بها العلماء مثل هذه الآراء الهامة وان مثل
هذا الاكتشاف الجدير بالثقة وغيره ليثبت لنا أن مصر كانت على جانب كبير
من المدنية قبل عصر التاريخ وقد عقد أحد كبار علماء الآثار (١) فصلاً مسهباً
فى المصريين القدماء وذكّر عن مصر قبل التاريخ ما تلخصه :

(١) هو الاستاذ فلندرس بيتري الاثرى المشهور

الفصل الرابع

مصر قبل التاريخ

« خلف المصريون القدماء قبل الميلاد بنحو ثمانية آلاف سنة مدنية بالغة وتركوا آثاراً جلية قيمة لعلها تكون وحدها دليلاً على انهم تفوقوا في ذلك العهد البعيد على كثير من الأمم التي ظهرت بعدهم بقرون متطاولة . وقد برع أولئك القدماء في صناعة الأنية من الخزف ونقشها نقشا هندسياً بديعاً . واستنبطوا صناعة الأمشاط وتألقوا في صنع الهرامى والأسلحة الصوانية تألقاً دل على مقدار عبقريتهم وذكائهم وكانت عندهم حراب يصيدون بها الغزلان لها شعبتان يرمونها على قوائم الغزال حتى يسهل عليهم ادراكه وكانوا يربطونها بحبل طويل يجزونها به قبل ان تصل الى الأرض لئلا تتكسر

وفوق ذلك استخرجوا النحاس . وصنعوا منه كثيراً من الحلى . كما صنعوا منه الدبابيس التي كانوا يستعملونها في ملابسهم وايصالها ببعضها البعض . واتخذوا من الجلد لباساً ونعالاً تشد بالسيور . وتألقوا في تصفيف شعورهم وتزيينها بالأمشاط التي كانت تصنع من العظم لكي تبقى على الهيئة التي يريدونها أى كما تصفق السيدات شعورهن في هذا العصر الحديث

ولبثت تلك الحضارة الف سنة تقريباً . ثم قامت بعدها حضارة ثانية عاشت من سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٧٨٠٠ اى ١٢٠٠ سنة وظهرت فيها مصر بمظهر واضح اساس الحياة والعمران في العالم . فقد انتعشت الصناعات كلها وجيء باللازورد والفضة من الاقطار الاسيوية وتقدم بعض الفنون واتسع نطاق التجارة ونشطت الآداب اللغوية . وعملت المدى من الصوان وكانوا يفضلون من هذه المدى ما كان منها مضلعاً متموجاً لانهم كانوا يضلعونها بدقة قد يعجز عنها ابرع

الصناع اليوم ونحتوا الآنية من الصخر الأصم بأن صنعوها من المرمر والصوان وصقلوها بحكها بالسنباذج . بل صنعوا من السنباذج نفسه آنية غاية في الدقة والابداع

ولم يقتصروا على ذلك بل استخدموا المعادن فصنعوا من النحاس آلات للنجارة وقد عثر على خنجر من ذلك العصر متقن الصنع ثم استعملوا الفضة والذهب والرصاص . واتخذوا من الحديد خرزات نظموها عقوداً مع خرز الذهب مما يدل على أن الحديد كان عزيزاً جداً في ذلك العصر حتى أنه كان يتحلى به مع الذهب

أما معيشتهم فتدل الآثار الباقية منهم على أنهم كانوا على شيء كثير من الترف والرفاهية فكانوا يأكلون على موائد فاخرة في صحاف من الخزف الماون ويزينون تلك الموائد بالورود والأرهار وأما دورهم فكانت تبنى بالطوب بناءً محكماً وتفرش بأثاث انيق منسق بحسب ثروة رب الأثرة . وكانت مدافنهم على شيء من الزخرف والتفنن إلا أن الفقراء منهم كانوا يدفنون عراة تحت الثرى في الجهات الرملية وذلك على عمق متر تقريباً . وبقيت حال الفقراء كذلك إلى ما بعد ظهور الفراعنة بقرون متطاولة

ويجب أن نشير في الوقت نفسه إلى أن أكثرية المصريين وقتئذ كانت في رخاء متواصل للثروة الوفرة التي كانت تنهل عليهم من متاجرهم الواسعة ومصنوعاتهم النفيسة حتى أنه كان لبعض أولئك الأغنياء أساطيل تجارية عديدة لنقل المتاجر من بلدة إلى أخرى ومعامل كثيرة لصناعة ما يلزم لمصر والامم الأخرى . ومن هذا يستدل أنهم سبقوا شعوب الأرض في إنشاء السفن والاساطيل التي طافوا بها من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا سواحل الاناضول وارض العرب واليمن . وكان طول تلك السفن يبلغ من ستين إلى مئة قدم ولها ستون مجدافاً على كل من جانبيها في حين أنه لم يكن في أكبر السفن الحربية من سفن البنادقة التي اشتهرت بانتصاراتها في القرون الوسطى أكثر من اثني عشر

مجدافا على كل جانب . وكانوا يجعلون لها ثلاث دفات لادارتها وقمرتين يصل بينهما جسر . ويشحنون البضائع بتنضيدها بعضها فوق بعض ملاصقة لجوانب هاتين القمرتين . وقيمون في مقدم السفينة مقعداً للريان الذي يراقب حالة البر والجهات وعموداً عليه شعار المدينة التي منها السفينة وفي مؤخرها دفة ذات صفحة كبيرة ولبعض السفن دفتان او ثلاث وبالأجمال فقد وضعت مصر قبل عصر التاريخ أساس العمران والحضارة والرخاء في العالم وخدمت كل الشعوب بذكاء ابتنائها واختراعاتهم وأنتك لتجد ابحاثاً جميلة لألوف من الأساتذة والعلماء تؤيد النظريتين السابقتين وهما أن مصر هي مهد المدنية وأن مصر كانت متمدنة قبل عصر التاريخ وقد كشفت لنا الهيروغليفية تاريخها ما هو في الحقيقة تاريخ أقدم مدنية والفضل كل الفضل في حل طلاسمها وفك رموزها يرجع الى اكتشاف حجر رشيد سنة ١٧٩٩ في قلعة رشيد وقت أن غزا نابليون بونابرت مصر في غاراته المعروفة فوجد ذلك الحجر المشهور أحد ضباطه وما زال الحجر محفوظاً في متحف لندن ويتضمن عبارة مكتوبة بلغات ثلاث : بالهيروغليفية وتحتها ترجمتها بالديموطيقية (وهي اللغة المصرية القديمة الدارجة) وتحتها باللغة الاغريقية ولما قابل الباحثون العبارات الثلاث احداها بالأخرى تمكنوا من حل رموز الهيروغليفية وأول من خطا في ذلك الخطوة الأولى هو توماس يانج الانجليزى ١٧٧٣ - ١٨٢٩ م

الفصل الخامس

شمبليون وأعماله

ثم اراد الله ان يظهر للعالم أسرار القرون الغابرة وتويكشاف الستر عن مخبات الاجيال الماضية فهدى أحد أبناء فرنسا العاملين الى التغلب أخيرا على حل رموز الهيروغليفية وتمكن من قراءة مادونه المصريون القدماء على جدران معابدهم واهرامهم ومقابرهم وأوراقهم البردية وكان هذا العظيم الذي دون التاريخ ذكره وأشاد العالمون بفضله وأثنوا على صبره وهو « فرانسوا شامبليون » الخالد الذكر وهاك لمحة في تاريخ مكتشف سر الهيروغليفية ومؤسس اكتشاف التاريخ المصرى القديم (١) :

« ولد جان فرانسوا شامبليون فى مدينة فيجاك من أعمال فرنسا سنة ١٧٩٠ من سلالة الاسرة المالكة ولقب بالقى . مات والده فى صغره فقام بتربيته اخوه . وكان نجيباً ذكياً درس بغير معلم اللغات العبرانية والكلدانية والسريانية واليونانية والعربية والصينية وهو فى الثالثة عشر من عمره ثم تعلم كثيراً غيرها وامتاز بمعرفة اللغة القبطية حتى انه كتب مرة لـ اخيه يقول « لا يوجد بين جميع الشعوب الذين أحبهم من يعادل المصريين فى قلبى » وكان يميل كثيراً لمعرفة اللغة الهيروغليفية وساعده فى ذلك ماقرأه فى كتب اليونان والرومان باللغة القبطية والأخذ بآراء علماء الآثار وهم زويجا وا كراباد وينج ومن حسن الحظ أنه عثر على حجر رشيد ومسلة فيلا المكتوب عليهما أسماء الملوك باللغتين الهيروغليفية واليونانية . وبعد بحث واستقصاء اكتشف الأحرف الابجدية الهيروغليفية التى

(١) المعزة الآتية عن الاهرا . بقلم انطون افندى ذكرى بالمتحف المصرى ومن كتاب له تحت الطبع عن آداب المصريين الدينية والدنيوية وعاداتهم وهلم جرا

نال بسببها حظوة لدى لويس الثامن عشر ملك فرنسا الذي كافأه على هذا الاكتشاف البديع بعلبة من الذهب منقوش عليها هذه العبارة « هدية من الملك لويس الثامن عشر الى شمبليون لاكتشافه الاحرف الهجائية الهيروغليفية » وأراد شمبليون بعد ذلك معرفة مدلولات هذه اللغة فأتقن اللغة القبطية التي هي نفس اللغة الهيروغليفية لكنها مكتوبة بأحرف يونانية وسافر الى ايطاليا وزار متاحفها وأتى مصر والنوبة وأقام سنتين في هذه الرحلة التي جعلها ذريعة الى مطلبه ووسيلة الى بغيته ولم يزل يجد في البحث ويمعن في الفحص حتى فاجأه الموت في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ حيث كان عمره ٦٢ سنة وآخر عبارة نطق بها « أترك أجروميتي وقاموسي ومذكراتي في اللغة الهيروغليفية كبطاقة للخلف »

قال شاتوبريان « لا يزال اسم شمبليون حياً مادامت هذه الآثار التي كشف لنا أسرارها الغامضة ». نعم مات شمبليون ولكنه لا يزال حياً بأعماله التي أظهرت لنا آثار مجدنا السابق فلا بد أن نكافئه باقامة تمثال له اعترافاً بذكائه وفضله مشروع اقامة تمثال لشامبليون بثغر الاسكندرية :

« بقي جماها مخفياً ولم يستطع أحد أن يكشف عنها هذا الغطاء » هذه آية أصلها من نشيد أسيس ربة الجمال ثم أطلقت أيضاً على مصر القديمة حتى أول القرن التاسع عشر ب. م. الذي جاء فيه شمبليون واكتشف اللغة الهيروغليفية فرفع لنا بمهارته هذا الغطاء عن هذا الجمال الذي صار موضوع اهتمام العالم المتحمدين يأتي السائحون مصر ويزورون كل آثارها ويرجعون الى بلادهم معجبين بجماها ويبذلون نحو المليون من الجنيهات كل سنة في هذا السبيل ولولا علمهم بمزايا هذه الآثار السامية لما أتوا اليها من جميع أنحاء العالم وتكبدوا لأجلها هذه المشاق فالفضل في ذلك راجع الى اكتشاف اللغة الهيروغليفية التي لولاها لما ظهر لهذه الآثار معنى في الوجود . قد اكتشف شمبليون هذا الخط على جدران المعابد والاهرام والاوراق البردية فأحيى لغة الفراعنة العظام التي دلت على شعائرهم القديمة وعلومهم العالية وفنونهم السامية وعاداتهم الراقية . وقف المصريون بفضل

شمبليون على تاريخ آبائهم العظام وأجدادهم الكرام وعرفوا أنهم كانوا رجالا حين كان اليونان اطفالا وبفضل شمبليون لا تزال الاكتشافات متواصلة متتابعة فان مندوبي الدول يأتون مصر ويجرون التنقيب الاثرى مهما كلفهم من الأموال والاعباب والزمن لاستخراج ما فى بطون الثرى من الكنوز الثمينة التى نراها فى متحفنا المصرى وفى جميع متاحف العالم التى ستظهرها الأيام المقبلة . وبفضل شمبليون أسست حكومتنا مصلحة الآثار التاريخية والمتحف المصري المشتمل على كثير من التحف القديمة

إحتفلت فرنسا فى ١٠ يولييه سنة ١٩٢٢ بيوبيل شمبليون تذكارا للتقرير الذى قدمه فى مثل هذا اليوم من سنة ١٨٢٢ (١) لمعهد العلوم والفنون الجميلة بباريس بنتيجة اكتشافه الابدعية الهيروغليفية وبهذه المناسبة ألف جاليلاردو بك الفرنسى لجنة برئاسة رجل المروءة صاحب السمو الامير عمر باشا طوسون واكتب لها بنحو خمسة آلاف جنيه أغلبها من عظماء المصريين لاقامة تمثال لشمبليون يخلد ذكره واقترح أن يكون هذا الاثر الجليل فى ثغر الاسكندرية فى الفضاء الواقع خلف قنصلية فرنسا ويكون مرتفعا عن مستوى الأرض بمتر ونصف متر وحوله درازين وفى وسطه مسلة بها ناووس فيه شاهد منقوش عليه أنموذج من حجر رشيد ويملوه تمثال شمبليون . والى زين ويسار هذا الناووس تمثالان الاول لتحديث اله العلوم والفنون والمعارف والثانى لسافخ سيدة الكتابة وأمانة ديار الكتب المصرية

(١) قدم شمبليون تقريره لمعهد العلوم فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ ولكن احتفلات فرنسا بعيد المئوى فى ١٠ يولييه سنة ١٩٢٢ مناسبة وجود جميع الاوروبيين وغيرهم فى هذا التاريخ بباريس

الفصل السادس

حل اللغة الهيروغليفية

ظهر في أواخر القرن الثامن عشر جتيس وزويجا فانتقدا رأى الاب كرش بعد أن أعياهما البحث في تطبيقه وبمقابلة الحروف الهيروغليفية بالحروف الصينية اتضح لهما أن اللغة المصرية القديمة أحرفاً متممة أى غير صوتية وهى مستعملة فى أواخر الكلمات لتحديد معنى الكلمة واستنتجا أخيراً أن اشارات هذه اللغة صوتية ولها حروف يجب الوصول الى معرفتها

وفى سنة ١٧٩٩ وجد أحد قواد بونابرت بالقرب من رشيد شاهداً من الحجر البسات عليه نقوش باللغات الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية فهدى العلماء الى قراءة الكتابة اليونانية فاذا مفادها أن كهنة منف كتبوها للملك بطليموس ابيفان سنة ١٩٦ ق . م . شكراً لما أسبغ عليهم من النعم الجزيلة وأنهم وضعوا صورة من هذا الشكر فى كل هيكل من هياكل الطبقة الثانية والثالثة بجانب تمثال ذلك الملك العظيم إذاعة لمكارمه وتخليداً لمناقبه

وقد لفتت النظر أولاً اللغة الديموطيقية المنقوشة على حجر رشيد لأن حروفها تشبه أحرف اللغة العربية وفى سنة ١٨٠٢ بين العالم الفرنسى سلفستر دى ساسى أن اللغة الديموطيقية كتابة عامية وأن حروفها هجائية وليست تمثيلية فكون أبجدية لها من ٢٥ حرفاً وقد ساعدته اللغة القبطية على قراءة اسماء بطليموس وبرينيس والكسندر وارسينوي المنقوشة باللغة الديموطيقية

وبعد مضي سبع عشرة سنة من ذلك شرع الدكتورينج الانجائزى يدرس الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد فقرأ اسمى بطليموس وبرينيس ولكنه لم يميز حروفها تماماً ولم يهتد لقراءة الاسماء التى فيه كافرجت واتوكراتور ، بل التبس الأمر عليه واشكل وكما حاول استكشافه استعجل واستبهم جاء جان فرنسوا شمبليون واستعان بأراء زويجا وساسى واكربلاد وينج وقد

تقدم في ترجمة حياته أنه درس اللغة القبطية في حداثة سنه وعرف رأي كشر من أن اللغة الهيروغليفية هي نفس اللغة القبطية المكتوبة بأحرف يونانية ولم يزل يجد في البحث ويبحث في الفحص حتى وقف على دخالها ودقائقها وكشف اللثام عن حقائقها ودقائقها وكيفية ذلك أنه فهم أن الكتابة الهيروغليفية رمزية وليست هجائية ثم عدل عن هذا الرأي لما رأى أن الدكتورينج تمكن من قراءة بعض الأعلام وعثر بفرنسا على مسلة صغيرة (منقولة من جزيرة فيلا بقرب اسوان) منقوش عليها كتابة بالهيروغليفية واليونانية. وكان من عادة قدماء المصريين أنهم يكتبون اسم الملك أو الملكة داخل حلقة مستطيلة فوجد شامبليون اسمي كليوباتره وبطليموس بالكتابة اليونانية على هذا الحجر ولاحظ أن الباء والطاء واللام في بطليموس موجودة ايضا في اسم كليوباتره فحاش في خاطره أنه لا بد أن تكون هذه الأحرف ذاتها موجودة ايضا في هذين الاسمين باللغة الهيروغليفية داخل الحلقتين المستطيلتين. ثم تحقق من نظرية الدكتورينج أن أسماء الملوك مكتوبة بأحرف هجائية وليست بإشارات رمزية

وكانت هذه الفكرة قد أتت للدكتورينج عفواً بدون أن يتجشم فيها مشقة أما شامبليون فلم يزل يفرغ بمجوده حتى تحققها بالشواهد الصادقة والدلائل الناطقة وقدم عنها تقريراً علمياً ثم استرشد بقول اكليمندس الاسكندري أن النوع الأول من الخط الهيروغليفي موضوعه له أحرف هجائية والنوع الثاني مركب من اشارات رمزية فبحث شامبليون عن الأحرف الهجائية الهيروغليفية الموجودة في اسمي كليوباترا وبطليموس أولاً في المعنى الذي يمثله كل حرف وكان كلما وصل الى معرفة شيء وجد اسمه باللغة القبطية فاكشف أن كل إشارة هيروغليفية صوتية تمثل صوت أول حرف من الكلمة المصرية القديمة أو القبطية

أما طريقة شامبليون في اكتشافه اللغة الهيروغليفية فهي :-

(١) لاحظ شامبليون أن الحرف الاول في خانة كليوباترا صورة ركة ومعنى الركة في اللغة القبطية « كل أو كلى » فاسم الركة في القبطية يتبدى بحرف الكاف فعرف انه حرف الكاف

(٢) الحرف الثانى فى خانة كليو بطرا صورة أسد رابض ومعنى الأسد فى اللغة المصرية القديمة لبو وفى القبطية لافو. فاسم الأسد فى اللغتين الهيروغليفية والقبطية يتبدىء بحرف اللام فهو صورة حرف اللام وهو الحرف الرابع من اسم بطوليس (٣) الحرف الثالث من اسم كليو بطرا صورة سكين ومعنى السكين فى اللغة القبطية « ابك أو بيك » وهو يشابه اللام أو الياء وهو الحرف الرابع والسادس فى اسم بطوليس أو بطليموس

(٤) الحرف الرابع صورة عقدة ويضاهى الواو فى كليو بطرا وهو الحرف الثالث فى بطوليس
(٥) الحرف الخامس يشبه شباكا واسم الشباك فى القبطية يتبدىء بالباء فهو حرف الباء

(٦) الحرف السادس نسر ومعنى النسر باللغة القبطية « أهوم » وهو يتبدىء بالآف فهو حرف الالف وهو الحرف السادس والتاسع من اسم كليو بطرا
(٧) الحرف السابع صورة يد ومعنى اليد فى اللغة القبطية « توت » واسم اليد فى القبطية يتبدىء بالطاء فيكون هو الطاء فى كليو بطرا

(٨) الحرف الثامن صورة فم ومعنى الفم بالقبطية « رو » واسم الفم يتبدىء فى القبطية بحرف الراء فهو حرف الراء من كليو بطرا
(٩) الحرف التاسع يشبه الحرف السادس المتقدم ذكره وهو آخر حرف فى اسم كليو بطرا

(١٠) الحرف العاشر فى شكل نصف دائرة ونصف الدائرة معناه بالقبطية « تى » ويتبدىء بحرف التاء فهو حرف التاء أو الطاء

(١١) الحرف الحادى عشر فى شكل بيضة لا حرف له باليونانية فعرف بعد ذلك أنه علامة تلحق آخر الاسماء المؤنثة

وفى اسم بطوليس (بطليموس) حرفان وهما الخامس والسابع (الميم والسين) غير موجودين فى اسم كليو بطرا

نشر شمبليون في خطاب أرسله للمسيو داسير السكرتير الدائم للاكاديمي نتيجة اكتشاف اللغة الهيروغليفية المخالف لنظرية اكتشاف الدكتور ينج وخالف أيضاً كل من تقدمه في مقدمات ونتائج كثيرة منها أنه لم يعتبر الخط الديموطيقي مختلفاً عن الخط الهيروغليفي والهراطيقي بل لاحظ أنه مختصر من الخط الهيروغليفي وأن نتيجة بحث ساسي وينج أثبتت وجود إشارات تمثيلية في اللغة الديموطيقية ولكنها صوتية فإذا كانت اللغة الديموطيقية مشتقة من اللغة الهيروغليفية المائلة وجب في الثانية وجود إشارات تمثيلية وصوتية معاً ووجد في العصرين اليوناني والروماني آثار عليها أسماء ملوك البطالسة والقيصرة فيها أصوات معروفة . فإذا كانت الأصوات في هذه الاسماء المكتوبة بالهيروغليفية ممثلة بالأحرف ذاتها فتحقق من الحروف التي اكتشفها في خاني كليوباترا وبطليموس وبعد أن طبق هذه المبادئ تمكن من قراءة ٧٦ اسم ملك في اللغة المصرية القديمة وكون منها أبجدية صوتية للغة الهيروغليفية

لم يتفق لشامبليون مبدئياً أن ينظر إلا في أسماء ملوك اليونان والرومان وكان قد لاحظ في حجر رشيد أن نقوشه الهيروغليفية هي ذات النقوش الموجودة في أسماء الملوك الأجانب مثلاً في خانة بطليموس نجد عبارة تقرأ « بتاح ميرى » فان الحرفين الأولين من بتاح هما الحرفان الأولان في اسم بطليموس أي الباء والطاء ومذكور في الترجمة اليونانية هذه العبارة « بطليموس جيب بتاح » فاستنتج شمبليون من ذلك أن الحرف الثالث من بتاح لا بد أن يكون هو الحاء وهكذا استمر في تطبيق هذا المبدأ حتى تمكن من قراءة كثير من الكلمات الموجودة مثلها في النطق والمعنى في اللغة القبطية ثم ألف بعد الأبجدية قاموساً وأجرومية في اللغة الهيروغليفية

عانى شمبليون ما عاناه في اكتشاف اللغة الهيروغليفية حتى اتضح له أن الأحرف الهيروغليفية الصوتية ليست اختراع الملوك الأجانب بل هي من أوضاع العصور الأولى وكان اسم الملك خوفو مشيد هرم الجيزة الأكبر مكتوباً بأحرف هجائية

ففكر في درس جميع النقوش القديمة حتى عرف سر هذه اللغة وفتح مغلقها وساعده في ذلك معرفته التامة باللغة القبطية فتوصل الى فصل الكلمات بعضها من بعض وعرف القواعد وقرأ نقوشها وترجم معانيها وسهلت له اللغة القبطية معرفة معان كثيرة أصلية وبعد أن اكتشف هذه اللغة وقاوم صعوباتها وعراقلها اتضح له أن لها أحرفاً هجائية ومقاطع وإشارات تمثيلية ومنتحة

وانتشرت اللغة الهيروغليفية بعد موت شمبايون بخمسة عشر سنة بمساعي العلماء نستور ولوت وشارل لزمان من الفرنسيين وروزيليني وأنجاريلى الطليانيين ولينس الهولندي واكنش وهنكس وبرتنس الانكليزيين ولبسيس الألماني ثم جاء عمانويل دي روجيه وفرانسواه الفرنسيان وأتما قاموس شامبليون وأجروميته واشتهر أيضاً أوغست مرييت باشا باكتشاف السرايوم بقرب منف وهو المؤسس لمصلحة الآثار المصرية والمتحف المصري وظهر أيضاً علماء الآثار منهم شاباس ودفيديا الفرنسيان وهنري بروكسن وديمتشن الألمانيان ولجاج رينوف وجودين الانكليزيان ثم اشتهر أخيراً ماسيرو وبيرلاكو وداريسي وفوكر الفرنسيين وأرمن الألماني وجولونيشف الروسي ونافيل السويسري والمرحوم أحمد باشا كمال المصري وكثير غيرهم .

الفصل السابع

حب البحث

وباكتشاف شامبليون الآنف الذكر تولد في العالم حب البحث في عالم مملوء بالمدحشات والغرائب عالم الآثار المصرية الذي مرت فوقها القرون والأجيال مر السحب في سماء الصيف الصافية وكم من دول عبثت بها أيدي الزوال وكم من آثار وأطلال قشعت ظلها قوى الفناء وأما ذلك العالم الغني بكنوزه وذخائره فباق صامت حتى أنطق شمبليون لسانه وأتى بعد شمبليون من شيد له منبراً

يشمخ فوقه بأنفه ويخطب في الأرض والتاريخ بحديث مروع عجيب
وهكذا ماذر شارق نهار حتى ظهر معه نجم عالم في الآثار المصرية أو بزغ
معه كوكب مؤلف نال حظوة في أعين القراء وعجباً

كل ذلك من نشاط الغرب ما كان لمصر إلا كالنغم الحلو يزيد النائم استسلاماً
لسلطان الهبوع والسكون ثم قرعت طبول النهضة المصرية الحديثة فخلعت مصر
الهائلة عنها رداء التقاعس ودخلت مع الأمم المستيقظة في حلبة التقدم ومضمار
الترقى وتلفتت حولها فرأت ماسروق من كنوزها وسلب من آثارها وامتنص من
دمائها . هنا علت وجه مصر بوادر الحمية واستفاقت

~*~*~*~

الفصل الثامن

الاكتشاف العظيم

وما هي إلا هنيهة قصيرة بعد تلك الحركة المباركة حتى اهتز العالم لنبأ
اكتشاف قبر الملاك توت عنخ آمون (١) وكان نصيب مصر من تلك الهزة أشدها
وهاهي اليوم تخطر في ثوب قشيب سيستملح العالم بهاءه وسناءه
وقد طنطننت صحف الأمم كلها بهذا النبأ ونشرت طوال المقال وأطنبت
في الوصف وأظهرت في صحنها المصورة كثيراً من الصور والرسوم ولما كان
لذلك الاكتشاف فضل كبير لا يحمد رأيت أن أترجم مقالا شائقاً لكاتب
الإنجليزى قدير وأن مانقله هنا لنقطة ضئيلة من بحر ما نشر وفاضت به صحف
العالم أجمع :

مدينة طيبة عاصمة مصر القديمة ومقر الفراعنة العظام ولست أدري كيف

(١) عثر الفعلة الذين ينقبون عن الآثار بأرشاد المستر كارتر على سام القبر في شهر
أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقد قضى المستر كارتر ثلاثين عاماً ينقب ويبحث في طيبة وقد تعرف به
اللورد كارنارفون منذ ١٩ سنة فاشترك معه منذ ذلك الحين وأمهده بالمال

أصف عظمة مدينة الهياكل ونخامة معابدها ومقابرها وعمدها التي يترأى للناظر اليها أنها بنيت على جانب عظيم من الدقة والاتقان
 هنا أننى التفت الانسان ير ما يحقق له أنه في مصر القديرة حيث يشاهد في كل مكان عظمة ونخامة، وجلالا واتقاناً، ونفاسة وكلاماً، وكل شئ ناطق بأفصح لسان وشاهد لاجلى بيان على القوة والمصافة وسلامة الذوق التي امتازت بها تلك الأمم العظيمة التي عاشت قروناً متطاولة على ضفاف النيل الساطع وتركت وراءها ذرية تتجلى في حركاتها آثار الحذق والذكاء

وقد جئنا الى مدخل القبر الجديد الذى اكتشفه اللورد كارنارفون في الوادي المعروف بأبواب الملوك بعد أن اخترقنا طريقاً موصوفة منسقة تمتد على مسيرة ساعة ونصف ساعة من مدينة الاقصر . وهناك رأينا ذلك القبر الذى يحوى جثة الملك « توت عنخ آمون » آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة قائماً بين أسوار صخرية هائلة ومحفور تحت قبر رعمسيس السادس الذى تولى الملك بعده بنحو مائتى سنة ويبلغ مدخله خمسة عشر متراً بانحدار بسيط وفي آخره حجرة منحوتة داخل الصخر مستطيلة الشكل مساحتها نحو ٢٠٠ متر تقريباً والآثار مكدسة فيها بشكل يثير الدهشة كما ترى في البيان الذى نشره المكتشف في إحدى صحف الانجليز وأثبتناه في آخر هذا المقال

أما تاريخ صاحب المقبرة النى اكتشفت فيرجع الى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث تولى الملك سنة ١٣٥٦ وبعد ذلك بثلاث سنين نقل عاصمة ملكه الى مدينة طيبة وأرجع عبادة الاله « أمون رع » وأزال الآثار المقدس الذى أقامه الملك « خون أتون » سلفه بعمبد الاقصر « لهور مخوتى » أى قرص الشمس البهى فمحيت بذلك كل آثار للدين الجديد ودرست معالمه وأبطلت مظاهره ومفاخره وعادت الحياة المصرية الى ما كانت عليه كأَنَّ ذلك المفكر العظيم لم ينطق ببيان .

ويؤخذ من المباحث العديدة التي قام بها علماء الآثار في أخريات القرن

الماضى وأوائل هذا القرن أن هذا الملك لم يكن من السلالة الملكية بل تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك « خون أتون » سلفه والمعروف باسم امنوفيس الرابع وأقام زمناً بتل العمارنة وكانت وقتئذ عاصمة المملكة المصرية ودان بدين أهلها وعبد الآله « أتون » حتى اسمى نفسه - توت عنخ آمون - الى أن استتب له الملك واستقامت أموره فذهب الى طيبة ورجع الى دين آبائه من عبادة الآله آمون وعمر الهياكل وجدد المعابد التي هدمها الملك - خون أتون سلفه (١) ووضع

(١) اشتهر الملك امنوفيس الرابع بميله الى عبادة الشمس التي أحييت زمناً طويلاً في مدينة ببلبك واعتنقها أمه الملكة « نى » فصبغته باعتقادها حتى اعتنقها بمصوب وسهم كاهناً لها فلما آل اليه الملك بالوراثة عن والده وهو بعد شاب لا يتجاوز السبع عشرة من العمر أمر الناس بعبادتها دون سواها وغير اسمه لما فيه من ذكر آمون لبعضه له وأسمى نفسه - خون أتون - اعنى نور قرص الشمس وبعد ذلك أمر بتخطيط مدينة جديدة باسم تل العمارنة على مسيرة ١٩٥ ميلاً من القاهرة لتكون عاصمة جديدة للدولة المصرية بدل مدينة طيبة التي كانت مقراً للمعبود آمون . ونقل الى مدينته المستحدثة تمثال قرص الشمس وسماه - آتن - وبني له معبداً كبيراً بقيت آثاره الى الآن ويشتمل على دهايزين وعلى ستة عمد مدرجة الوضع كانت منصوبة في وسطه وشوهد أيضاً على جدرانها رسم الشمس مشرقة فوق الملك ورجاله وهم وقوف يقدمون القرابين اليها ولها أشعة ذات أيدي كأنها تنشر الحياة على الخواقات وحول ذلك أدعية وقصائد يتلوها المرتلون مصحوبة بنفثات الأوتار ومعهم غانيه تدعى - سنرو - تقول مدحة لقرص الشمس مطلعها :

لله الثنا يا صاحب الاعوام * يا موجد الشهور والايام

يا معدد الساعات * في سائر الاوقات

ولعل الاعتقاد بان قوة الشمس المشعة مصدر كل حياة هو المذهب المادى العلمى الوحيد الذى قبل كعقيدة دينية في دهر من الدهور ومصر من الامصار ولم يأل اخناتن جهداً في طلب الحق في الديانة والحق في الفنون والصناعات وفي كل مناهج الحياة فكان شعاره الدائم « السالك في الحق » فالانقلاب الفائق العادة الذى أحدثه من اتساع مدى أفكاره وخواطره ينزله أسمى منزلة جديرة بأعظم مفكر ولد في مصر . ولو كان عاش في مستوى أدنى من مدينة المصريين لعد نبياً تكرمه الناس على مر الاجيال ولهذا الملك مقبرة في الجهة الجنوبية من تل العمارنة اكتشفت حديثاً وهى على مسيرة أميال قليلة من النهر . وبجوارها مقبرة الامير « آى » أحد أصهاره ومقبرة الاميرة « نوتو » وبها نشيد جميل للشمس . وهناك مقابر أخرى منتشرة في شمال المدينة المذكورة أهمها مقبرة أحمس منقوش عليها قصيدة لقرص الشمس ذات أهمية أدبية ودينية فقابر لبعض الأمراء والعظماء فقبرة لمحصل الجزية من المستعمرات وصور هؤلاء جميعاً ظاهرة على الجدران تتراءى للناظر اليها كأنها صور حقيقية .

الشرائع وسن القوانين واهتم بمصلحة البلاد وسهر على راحة الرعية وأقام للمعبود أمون تماثلاً من الذهب كما أقام تماثيل أخرى من الذهب - لفتح معبود ممفيس وشيد لباقي الآلهة معابد وخصص لها أوقافاً وملاها بالآنية المقدسة الغالية الثمن والقيمة واصطنع لها سفناً من خشب السنط الذي جلبه من البحر الأحمر ومن الشام وكان طلاؤها من الذهب فكانت تضيء على ضفتي نهر النيل المبارك

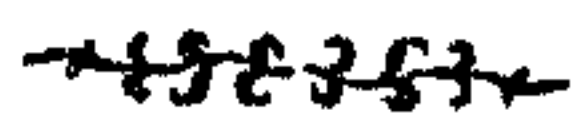
ويقول العلامة أحمد باشا كمال الأثرى المعروف ان اسم هذا الملك المدرج في خاتمه مركب من كلمتين الأولى «توت عنخ أمون» اسمه والثانية «حق ان ريس» اسم وظيفته التي اشتهر بها قبل استيلائه على الملك ومعناها «حاكم مدينة ارمونت» وقد يشاهد رسمه في مقبرة بطيبة جالساً فوق عرش وأمامه رؤساء قبائل أشوره والرتنو وهم واقفون بماليكهم وعليهم حلل العز والفخار يقدمون له الجزية وهي عبارة عن آنية من الذهب والفضة والمعدن متقنة الصنع وعدد كبير جداً من الخيول والسباع وجلود النمر وغير ذلك مما كان يصنع ويوجد في الجزيرة بين دجله والفرات ويرى حول ذلك نقوش معناها «لقد وردت جزية الاشوريين تحت اشراف امنحتب والى الايتوبيا وحاكم الاقطار الجنوبية» وفوق الاشوريين نقوش معناها : هؤلاء كبار رؤساء الشورة كانوا يجهلون مصر قبل ان يحكمها الملك وقد جاءوا الآن من بلادهم يسألونه العفو والرضا قائلين ان النصر معقود بلوائه والعالم كله في أمن وراحة وعين وسلام في أيامه

ويرى في جهة أخرى من تلك المقبرة أن الايتوبيين مقبلون بالجزية في سفنهم على ظهر النيل وبجوارهم نقوش معناها «وردت من بلاد الايتوبيا الجزية العظيمة المنتخبة من نفائس السودان ووصلت الى طيبة تحت اشراف أمير الايتوبيا - هو بو» ومن هذا نستدل ان مصر كانت في عصر هذا الملك السعيد رافلة في أرغد عيش وبالغة منتهى العز والشوكة والمجد

وفي المتحف المصري تماثيل جميل لهذا الملك نقل من الكرنك وهو من الحجر الجرانيت وتدل نحافة جسمه وملامح وجهه على انه كان مصاباً بالسل (١)

(١) هذا حكم يحتاج الى برهان لأن نحافة الجسم وملامح الوجه لا تثبت مرض السل

وفي متحف لندن تمثال أسد منقوش عليه اسم هذا الملك . وفي الكرنك مسلة كبيرة كان منقوشا عليها مدة حكم هذا الملك وأعماله ولكن محتها يد الزمان وهناك مسلة أخرى اكتشفها الاستاذ « لجران » العالم الاثرى بتلك الجهة ايضا ووجد عليها نقوشا استبدل منها على عناية هذا الملك العظيم بأمتة وبلاده وما أداه لها من الخدمات الجليلة التي خلدت اسمه الى الذرية والاجيال المقبلة



الفصل التاسع

كلمة للورد كارنارفور

أما محتويات القبر فقد وصفها اللورد كارنارفون مكتشفه وصفاً موجزا ألم فيه بأعمال سبعة من رجال الآثار في الحفر والتنقيب وخلاصته مايتأتى :
« يصح أن يقال أن (بلزوني) كان أول منقب في العصر الحديث في وادي الملوك وقد قام بأبحاثه بين سنة ١٨١٥ وسنة ١٨٢٠ فاكشف مدفن سيتي الاول الذي لا يزال يعرف حتى الآن « بمدفن بلزوني » وكان قد لعبت به أيدي النهب ولكن بلزوني وجد فيه ما يكفي لجعل اسمه مشهورا بين أسماء الرواد والمنقبين عن الآثار في هذا العصر وكان أعظم كنز عثر عليه في هذا المدفن ناووس الملك المذكور وهو مصنوع من الحرير فباعه الى السرجون سوان وهو موجود الآن في متحف « لنكلن انفيلوس » . ويخيل أن البعثة الفرنسية كانت تعمل في الوقت عينه في هذه المدافن الملكية فاكشف في « وادي عين » أو الوادي الثاني مدفن « المحوتب الثالث » و« تي » وكان هذا المدفن قد فتح بعضه ونهب منه شيء كثير من قبل ما دعا بلزوني الى البحث في ذلك الوادي حيث عثر على مدفن « اى » وبحث شميليون وروسلينى ودومشان ونقبوا كلهم في تلك المدافن وجاء بعدهم بقليل لبسيوس المشهور ففتح مدفن رعسيس الثانى والجانب الاكبر من مدفن « موزوليوم » منفتح الكبير . وترك هذا المدفن بعد لبسيوس على

حاله دون أن يمس إلى أن اكتشف الميسو لوره مدير متحف القاهرة في أوائل العقد الأخير من القرن الماضي مدفن المحتوب الثاني فوجد فيه عدا مومياء الملك موميات بعض ملوك مصر المفقودة وجثث رجلين أو ثلاثة لم يعرف من هم ولكن يستنتج أنهم من أصحاب المقامات الرفيعة .

وبناءً بعد ذلك السنيور تشيابرلي فلم يلق نجاحاً يذكر ثم بدأ المستر تيودور دايفس من بوسطن بالحفر في الوادي وظل يعمل إلى سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ حتى اعتلت صحته ورسخ في ذهنه أن هذا الجزء من مدافن الملوك استنفذ البحث فيه كله وأقنع عن مواصلة العمل . وقد نجح المستر دايفس نجاحاً باهراً فاستمر بحفنه بالعثور على مدفي توميس الرابع (١) والملكة هتشوبسيتو وقد حفرهما له المستر كارتر الذي كان حينئذ مفتشاً لآثار في الوجه القبلي ولما استقال المستر كارتر من وظيفته واصل المستر دايفس أبحاثه على يد المستر كيبيل « الذي كان مفتشاً » والمستر ارتون جونس والمستر برتون وكان أعظم اكتشافاته مدفن « يويا » و « تويا » والذي الملكة تي . واكتشف اكتشافاً آخر يستحق الذكر وهو ما يدعى قبر « تي » مع أنه ليس له علاقة ما بتلك الملكة الشهيرة بل هو في الحقيقة المكان الذي خي في الملك اخناتون ابنها الملحد بعد ما أتى به من تل العمارنة . وقد بلغت جملة ما عثر عليه المستر دايفس من ٨ إلى ١٠ مدافن وآبار كانت جدران بعضها مزينة زينة جميلة وقد وجد في كثير منها أدوات بديةة تستوقف الانظار . وقضى المستر دايفس السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة من حفرياته دون أن يعثر على شيء تقريباً .

وألّف جميع المنقبين السابقين في وادي الملوك في حفرياتهم نظام السير أي

(١) عثر المستر دايفس على مدفن الملك توميس الرابع عام ١٩٠٣ وهو أحد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ووجد في المدفن مركبة الملك أما جثة توميس المذكور فقد وجدت من قبل في مدفن المنحوت الثاني وكان كهنة الأسرة الثانية والعشرين قد أخفوها هنالك لسبب مجهول

أنهم كانوا يحفرون حفراً في أكوام الأتقاض والردم في الأماكن التي يحتمل أن يكون فيها شيء عليهم يوقعون إلى العثور على مدخل مدفن . ولما أعطاني المرحوم السر جاستون ماسبرو الامتياز لم يكن له أمل كبير بعثوري على شيء ما . ووفق المستر دايفس إلى اكتشافاته بسهولة بعدد يسير من الرجال وحفر في عدة أماكن وقد كان يشك كثيراً في أن يكون قد ترك هو أو المنقبون السابقون شيئاً وراءهم ولذلك قررت أنا والمستر كارتر أنه يتعين علينا الحفر إلى أن نصل إلى الطبقة الصخرية وأن لا نعبر التفاتاً إلى الأتقاض التي تركها الذين سبقونا في العمل وأظن أننا رفعنا نحو مائة وخمسين ألف طن إلى مائتي ألف طن من الأتقاض وبلغنا مكاناً لم يبلغه أحد قبلنا وإذا استثنينا بعض الزهريات المصنوعة من المرمر والأشياء الأخرى النافذة التي كان معظمها مكسراً فإننا لم نجد ثمرة تعبنا إلا في هذا الخريف

ففي اليوم الخامس من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ كان المستر كارتر يعمل في مكان لم نستطع مسه من قبل لأنه كان أمام مدفن رعمسيس الرابع وهو مقصود الزوار والسياح فحفر على درجة منقورة في الصخر وأزال الأتقاض ثم كشف درجات أخرى إلى أن بلغ جداراً مغطي بالسمنت وعليه أختام المدافن الملوكية ولكنها غير واضحة تماماً . أما الختم فمؤلف من تسعة أسرى واقفين في صفوف في كل صف منها ثلاثة وفوقهم ثعلب رابض وهو ختم لا يستعمل إلا في الأماكن الملكية من مدافن طيبة وبعد أن فحص المستر كارتر السقوف فحفاً دقيقاً أرسل إلى تلغرافا يقول فيه انه عثر أخيراً على اكتشاف بديع ثم عاد فردم المكان ومكث ينتظر وصولي . ولما وصلت إلى طيبة شرعنا في الحال في إزالة الردم وعثرنا على أشياء عديدة مكسرة من خزف وأزهار وقرب ولما بلغنا الباب فحصنا السقوف فرأينا في الزاوية اليمنى مدخلا فتحة لص ثم عاد المفتشون في عهد رمسيس التاسع فسدوه وختموه لأن القسم السليم من الحلقة البيضاء المكتوب فيها اسم « توت عنخ أمون » لا يزال ظاهراً وإن كان قد طمس كثيراً وكذلك

ختم الأسرى التسعة فانه لا يزال يرى على القسم الصغير من الملاط الذي تقبه
الاصوص ولكن هذه الأختام كلها غير واضحة وقد حفظ الجانب الأكبر
منها لفحصه فيما بعد

وقضينا نهائياً بطوله في صنع باب من الخشب على منوال « الشعرية » وأحكامنا
غلقه بأربعة أقفال احتياطاً من السرقة ولكن المدفن صار يحرسه الآن جنود
ورجال من المهجانة السودانيين في مصلحة خفر السواحل ومقدموا العمال الذين
يعملون معي وكان المستر كارتر ومساعدته المستر كالدنر يبيتان في المدفن حيناً
بعد آخر وكانت الأحوال الجوية لحسن الحظ حسنة والهواء ساكناً والحرارة
شديدة .

وفي اليوم الثاني بدأنا بتطهير المدخل « الدهليز » فوجدنا أن طوله نحو
ثمانية أمتار وكنا نلقى في طريقنا أشياء كثيرة معظمها مكسرة وكان في جملة ما لقيناه
صندوق محطم منقوش على ضلعه الأعلى أسماء عديدة ضمن حلقات بيضاوية قد
تساعد كثيراً على إعادة البحث في حكمين سابقين . ولما أكملنا تطهير المدخل
بلغنا باباً مختوماً أو جداراً عليه عين الأختام التي على الجدار السابق فتساءلنا
هل يمكن أن يكون وراء هذا الجدار سلم آخر مسدود على ما يحتمل أو هل اننا
سنبلغ غرفة أخرى من الغرف . وكلفت المستر كارتر أن ينزع بضعة أحجار
وينظر إلى الداخل ففعل ذلك في دقائق معدودة وأطل من الثغرة حيث شاهد
ما في الداخل على نور شمعة وتلا ذلك سكوت عميق فسأله بصوت مرتجف
« ما هذا » فأجابني « ان هنا أشياء عجيبة غريبة » فكان جوابه بشري عظيمة
ونزل من مكانه فذهبت أنا وكريمتي إلى الثغرة وأطللنا منها فما استطعنا ان نضبط
أنفسنا من شدة الانفعال والاعجاب

على ان أهم نقطة في اكتشاف هذا الاثر العظيم هي ان مقبرة « توت انخ
امن » أول مقبرة وجدت سليمة إلى درجة ما بحيث يستطيع على وجه التقريب
معرفة الأدوات التي دفنت مع الملك ولكن يظهر لسوء الحظ ان الأدوات التي

لها قيمة حقيقية قد ضاعت وربما سرقها اصوص المعادن في عهد الأسرة العشرين
بيد انه يظهر بالرغم من ذلك كله أن جميع الحلي الصغيرة موجودة مع جميع
الأدوات الأخرى التي تشمل الاثاث والرموز وتماثيل الآلهة التي تتولى حراسة
الملوك في العالم السفلي وتماثيل الملوك والمركبات وصناديق الثياب والوانى الخزفية
وزوارق الدفن والكراسي والأسرة وغيرها .

ومن أعظم مزايا هذا الاكتشاف أن الأدوات تبين فنون - تل العمارنة -
كما تبين فنون « طيبة » ولهذا لا يوجد لبعضها مثيل من وجهة الفنون المصرية
الجميلة . وتدل طبعة الأختام الموجودة على الابواب المغلقة على انه يوجد على
الأقل أربعة أنواع . منها اختتام مقبرة الملك « توت أنخ امن » الملكية وأختام
أخرى يظهر انها كانت لرجال قصره ولكن لما كانت طبعة هذه الأختام غير
ظاهرة تماما فلا مندوحة من مضي قليل من الوقت قبل حل رموزها والوقوف
على معناها الحقيقي

وقد عثرنا خارج مدخل المقبرة على بقايا صناديق عليها رمز مزدوج
« لاختاتن » (١) والملك « سنخ كارع » وزوجته وهي ابنة « اخناتون » وتسمى
« مرت اتون » ولما كانت هذه نسبت الاثارا وجدت في مقابر قديمة عليها رمز
الملكين فانه يظهر ان الملكين اما ان يكونا توفيا أو تنازلا عن العرش معاً
ويدل وجودهما في قبر هذا الملك على أن الملك « توت أنخ امون » خلفهما
على الأثر

وعثرنا أيضاً على صندوق مملوء بأوراق البردي ويؤخذ من المظهر الخارجى
أن المستندات تاريخية أكثر منها دينية لأنها ملفوفة بحيث قلبت أطرافها
وختمت . ثم هناك عدد من العلب بها خطوط طويلة قد تساعد على حل السر
وتوجد أدوات على أعظم جانب من الأهمية من الوجهة الفنية نخص منها

(١) سبق ذكر شيء عن تاريخه في (الهامش) وسنأتي ببذلة أخرى عنه
في الجولة الثانية التاريخية

بالذكر كرسيا أو عرشاً يمثل الملك والملكة وهما جالسان تحت أشعة الشمس وهذا العرش مصنوع صنفاً بديعاً يفوق الوصف مرصع ظهره بأحجار شبه غالية مختلفة الألوان وقد نقش على جوانبه وقوائمه اسم الملك « توت أنخ امون » وبعبارة أخرى يعد هذا العرش من فنون « العارنة » المحضة ونموزجا لتماثيل — شدايتي — وأصنامها (١) وهناك أنواع كثيرة من التماثيل التي تبين الزي مصنوع من الخشب يمثل الملك وهو مقطوع من الوسط وليس له ذراعان . ومن المحتمل انه كان يستخدم لأعداد شعر مستعار للملك كما يستخدم الحلاقون اليوم التماثيل لترتيب الشعر الاصطناعي

وبين الأدوات الأخرى الهامة نحو عشرين مشدداً وعصا للسير صنعت أيدي بعضها من الذهب المزركش والبعض الآخر من العاج وصنعت أيدي عصي أخرى من العاج نقش عليها صورة تمثل أسرى الحرب . وهناك علبة نقش عليها مناظر بديعة تمثل الملك راكباً عربته مع رجاله وهم يشتغلون بصيد الأسود والغزلان وبقر الوحش وفي داخلها عباءة موشاة بحب وأزرار من الورد الذهبي وتحت هذه العباءة مئزر مزركش بالذهب كذلك وقلادة كبيرة من الكهرمان وعدد من الآثار الأخرى التي ليست ظاهرة بحيث يمكن رؤيتها تماماً . وفي صندوق آخر سهام من الفضة وأوعية للزينة ودرع من الزرد به لوحات مرصعة بالجواهر

وهناك أيضاً مقصورات من الخشب تحتوي على رموز من التماثيل الخاصة بالعالم السفلي كالنعاين وغيرها . وهذه مصنوعة من الخشب المغشي بطبقة من

(١) وهي تماثيل صغيرة يطلقون عليها اسم التماثيل الجنائزية وتصنع في هيئة موميات من حجر اخضر أو أزرق أو من الفخار الصيني أو من خشب وتوضع عادة في مقابر الاموات منتشرة في جهاتها الأربع في كل جهة ١٠١ تماثيل وكانوا يقصدون من وضعها قيامها بكل خدمة تطلب من المتوفي في حقول الفلاحة بحسب امر المعبود « اوسر » رئيس وحاكم الأموات والأحياء

الذهب . أما المركبات فمن المصنوعات الجميلة المزينة بنقوش بارزة من الذهب وبأحجار الشب الغالية ونقوش أخرى عادية تمثل أسرى الحرب وغير ذلك من النقوش التي تشاهد على المركبات التي وجدت في مقبرة الملك توتمس الرابع . وقد نزع العجلات من المركبات اذ لا يوجد فراغ كاف لاجراجها كلها . وتوجد أيضا — أطقم — مختلفة للجياد منها سرج وقضبان . وهناك غير ذلك قسى الملك وجعبة سهامه وهي سليمة ولكن لما كانت الآثار الموجودة في هذه الغرفة مكدسة بعضها فوق بعض فانه يستحيل إحصاء ما فيها تماما

وقد وجد فوق أحد متكات الملك وهي على ثلاثة أنواع : على شكل رأس أسد وعلى شكل رأس هاتور وعلى شكل ربح زعزع ثلاثة تماثيل غريبة على شكل أنمل لها أذرع وأيد بشرية والظاهر أن هذه أدوات لعمل صور صغيرة أو مصابيح أو مشاعل واذا صدق زعمنا هذا فانهما تعد الطراز الأول الذي اكتشف إلى الآن وتبين لنا بعد هذه الأجيال العديدة وسائل الانارة التي كانت لدى قدماء المصريين في تلك الأيام البعيدة

ان جمال كثير من هذه الآثار يفوق حد الوصف . والظاهر ان هناك آثارا غير معروفة إلى الآن لدى علماء العاديات . ومما يلاحظ باهتمام وعطف أننا وجدنا باقة كبيرة من الزهور مستندة إلى أحد الجدران — عدا التماثيل — ينراوح ارتفاعها بين ثلاثة أقدام وأربعة لم يمسهما للصوص . ولما دخلنا هذه الغرفة لأول مرة ورأينا آثارها مبعثرة اعتقدنا أننا اكتشفنا مخبأ أخفي فيه أثاث أحد الملوك نقلت من تل العمارنة . أما الآن فلا يساورنا شك في أننا اكتشفنا مقبرة ملك وأن الابواب المختومة التي لا تزال سليمة تؤدي إلى الغرفة أو الغرف التي دفن بها الملك . ولما كان من عادة المصريين في عهد الأسرة الثامنة عشرة أن لا يزينوا الغرف الخارجية لدفن الملك فمن المحتمل أن تكون الغرفة أو الغرف الداخلية مزينة

ولما كان معظم الآثار التي وجدت إلى الآن في الغرف الخارجية يشتمل على

أثاث الملك فأننا نتوقع العثور في الغرف الداخلية على آثار تبين بحالة أجلى عادات المصريين القديمة في دفن ملوكهم لأنه لا يوجد في دور المتحف التي لدينا غير بقايا قليلة من تلك الآثار

ومن المشاهد الفريدة أن نجد مومياء الملك — توت عنخ آمون — في الغرفة التي دفن فيها ومن مميزات هذه المقبرة أنها صغيرة بالنسبة إلى مقابر الملوك الأخرى ولا تماثل الطريقة التي كانوا يتبعونها في تشييد القبور بمدينة — طيبة — فقد وجدت مقبرة في طيبة لأحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة تشتمل على ثلاثة أقسام ومدخل وممر منحدر وسلم أما في المقبرة التي اكتشفناها فإن الممر الأول يؤدي مباشرة إلى غرف متلاصقة وعلى ذلك تشبه هذه المقبرة الطراز الذي يوجد في تل العمارنة أكثر مما تشبه الطراز الموجود في طيبة ومن الصعب أن نعرف من هذا ما سنعثر عليه في المستقبل بالضبط لكن لا ريب في أن هذا الاكتشاف سيحدث كثيرا عن ذاك الوقت المظلم ويميط اللثام عن كثير من الحوادث التي وقعت حوالي سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد . « انتهى

ونثبت مقالا ثانيا كتملة للأول نشرته صحيفة الاهرام في فبراير سنة ١٩٢٣ وهو من خير ما نشرته الصحف المصرية عما وجد في مدفن « توت عنخ آمون » من الآثار الشائعة التي قام لها العالم وقعد (١)



(١) والمقال بقلم الاستاذ الأثري سليم حسن افندي الأمين المساعد بالمتحف المصري

توت معناها صورة وعنخ معناها حية فمعنى اسم الملك « صورة آمون الحية » وستكشف لنا الأوراق البردية التي اكتشفت في قبره عن تاريخ طويل لهذا الملك

الفصل العاشر

توت عنخ آمون في مخدعه الأزلي

وصف قبره : في منتصف الساعة الثانية من يوم الجمعة ٢١ فبراير سنة ١٩٢٣ نبش مخدع «توت عنخ آمون» بعد أن ظل هادئاً مطمئناً في سباته الأزلي مايري على ٣٣٦٠ عاماً . وإذا كان في نبش المخدع ما يؤلم روحه فإن فيه ما يبشر روحاً جديدة في أمة بأسرها . أمة ناهضة تريد أن تثبت للعالم أجمع أنها من سلالة عريقة جديرة بكل إجلال واحترام . وقد جاء هذا الكشف الجديد لمخدع — توت عنخ آمون — مؤيداً بالبراهين القاطعة أننا شعب تاريخه من أعجبت التواريخ ومدنيته لا تقل عن مدنية أوروبا الحاضرة وأن كل مدنية قديمة لم تستمد نور العرفان إلا من مدنيتنا وسيرى القاريء أن ما نقوله حق صراح عند ما يقرأ عجائب هذا المخدع . على أن «توت عنخ آمون» لم يكن له من الجاه والسلطان ما كان «لتحتمس» الثالث أو «امنحوتب» الثالث وغيره من الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً بعيداً في المدنية والحضارة وليت الأيام حفظت لنا مخدعاً واحداً من مخدع هؤلاء الملوك ليعلم العالم ما كانوا عليه من العز والسؤدد ويدهش من تفوق هؤلاء الملوك وما بلغت مصر في عهدهم من المجد والرفعة . ولكن لنا في توت عنخ آمون ما يكفي .

لم أذهب في اليوم الأول لفتح هذا المخدع بل رأيته بعد أن اطمأنت القلوب وهدأ الروح ذهبت مع زميلي يوم الثلاثاء إلى ذلك الوادي الذي يكون بين جوانحه مجده مصر ونفخارها . فاستقبلنا المستر كارتر بوجهه باش وبعد هنيهة طرقتنا باب المخدع وكلي رهبة لعلمي أنني سأكون بين جدران مخدع أحد أجدادي دخلنا الحجر الأول للمخدع (المقبرة) التي وصفتها في مقال سابق فوجدت التماثيل المموهين بالذهب والمطلين بالقار في الوجه والأرجل في مكانهما على باب الغرفة التي كانت عليها الأختام غير أن هذا الباب قد أزيل معظمه وظهر من

ورائه صندوق عظيم الحجم على شكل مستطيل (وهو التابوت الذي يشتمل الممياء) وهو موضوع في حجرة ينخفض مسطحها عن سطح الحجرة الخارجية نحو المتر تقريبا . وهذا الصندوق قد شغل كل الحجرة . وليس بينه وبين جدارها أكثر من ثلاثين سنتيمترا . ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار أما ارتفاعه فيربو على ثلاثة أمتار

وهذا التابوت مصنوع من الخشب الصلب (وربما كان من خشب الارز) ومغطى بطبقة من الجبس المحكمة الصنع وعلى هذه الطبقة الجبسية طبقة رقيقة من الذهب مطعمة بالميناء الزرقاء الغالية وله « كرنيش » مقوس مطعم بالميناء كذلك ومحلى بالرموز الدينية . أما جوانبه فقد نقشت كلها برموز هرغليفية وأشكال دينية كان لابد للميت من نقشها على تابوته وأهم هذه الرموز الدينية رمزان الأول إشارة خاصة تدل على المعبود « أوزيريس » والثانية علامة تدل على الالهة « ايزيس » أخت أوزيريس وزوجته . وسبب ذلك أن « أوزيريس » هو إله الآخرة وكان لابد لكل ميت أن يتشبه به ويعمل عمله . أما « ايزيس » فهي الالهة التي ساعدت على احياء « اوزيريس » بعد الموت فكان لابد لكل ميت أن يرسم صورتها على قبره أو على تابوته

كذلك رأيت صوراً عدة لالهة العدل (ممت) على هذا التابوت وهي إلهة في شكل امرأة على رأسها ريشة وفي يدها علامة الحياة وهي جالسة القرفصاء . كل هذه الصور قامت مقام الزينة على التابوت .

ويرى على سطح جانب هذا الصندوق الشرقي صورة الاله « انوبيس » « ابن آوى » وهو إله التحنيط عند قدماء المصريين . غير انه مقطوع الرأس . وسبب ذلك ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون ان رسم الحيوانات الضارية أو الحشرات المؤذية (ولو في الكتابة) على توابيتهم قد تلحق بهم أذى إذ ربما انقلبت إلى صورتها الحقيقية فتنهش الجسم في القبر . ولذلك رسم « انوبيس » (ابن آوى) مقطوع الرأس . وقد لوحظ ذلك في كثير من التوابيت وعلى جدران

الاهرام المنقوشة باللغة المصرية القديمة . فاذا كانت هناك إشارة تدل على حيوان ضار أو حشرة مؤذية رسمت مقطوعة الرأس . وقد شاهدت على جانب التابوت المواجه لباب الحجرة من أعلى رسم ثعبان ملتو من الذهب للبارز ينتهي برأس عليه تاج ملك مصر ، وله جناحان منشوران وهو يشغل طول التابوت بأجمعه وسبب ذلك ان المصريين كانوا يعتقدون أن الانسان في سفره الأخير إلى دار الآخرة لابد من أن تعترضه شياطين وعقبات لا قدرة له على مقاومتها . لذلك استعان بالثعبان ليتقي به كل غائلة . وهو إله عندهم خاص بهذا العمل . فكان يرسمه على تابوته فاذا ما اعترضه شر نفث الثعبان في وجهه سماً فيقضي عليه . كذلك كان يرسم نوعاً خاصاً من الثعابين على باب المقبرة لتكون بمثابة حراس له .

وهذا الصندوق (التابوت) له باب بمصرعين وحلقتين من النحاس مثبتتين في نهاية كل مصرع ويدفع في وسطها قطعة من الخشب فيقفل الباب . وقد كان هذا الباب مغلقاً ومختوماً بخاتم الملك وكان أول من فتحه المستر كارثر . وقد وجد بالباب ستار من القماش الأسمر اللون مغشى بأهلة من الذهب البديعة الصنع . ومن وراء هذا الستار صندوق آخر له باب كالأول لم يفتح إلى الآن وينتظر أن يكون في داخله ثالث ورابع نخامس من الجرانيت فيه بقايا الملك توت عنخ آمون . . وقد وجد في الفراغ المتخلف بين الصندوق الكبير والثاني الذي في داخله صندوق فيه مجوهرات الملك التي كان يعتز بها في حياته والتي كان لا بد له من حفظها معه في قبره . وأهم هذه المجوهرات صدرية عظيمة (عقد) كان الملك يحلي بها صدره . وفي هذه الصدرية من بدائع الفن ودقة الاتقان ما يقف القلم مقصراً عن وصفه . على أنه من المحتم أن يوجد في الصناديق الداخلة في هذا الصندوق الكبير أشياء كثيرة من الطرائف التي كان يعتز بها الملك وربما وجد فيها بعض أوراق بردية بل ربما وجد تاج الملك معه كذلك ! !

وغاية ما أقوله في وصف هذا الصندوق أو التابوت أنه آية من آيات الفن لم

يعرف له مثيل إلى الآن ولم يتمتع ملك من ملوك العالم بمثله . وأنى له ذلك !
لفت نظري بعد ذلك في أحد أركان الحجر في الفراغ المتخلف من التابوت
عصوان معلق على كل منهما جلد . فسألت المستر كارتر أن يصوب نحوهما النور
وإذا بهما إشارتان يرمز بكل منهما إلى المعبود « انويس » إله التحنيط وهذه
الإشارة أو الرمز عبارة عن جلد ابن آوى معلق في عصا . وهذه العصا في قبر
« توت عنخ آمون » مطلية بطبقة من الذهب والجلد لا يزال حافظا لرونقه
الأصلي . وهذه أول مرة عثر على مثل هذه الإشارة إذ كنا قبل ذلك نراها
مرسومة ولم تقع العين على حقيقتها إلا اليوم

وقد كتب الملك على ظاهر تابوته بحروف من الذهب البارز الدقيقة الصنع
العبارة الآتية : « خطاب لجميع المعبودات الذين يقطنون العالم الأخرى : أنا
الملك مارب الأرضين (الوجه القبلي والبحري) رع خيرون ابن الشمس
توت عنخ آمون ، منح الحياة أزلياً . »

وقد رسم على وجهة الصندوق المواجهة لباب الحجر عينان من الذهب
وذلك لسببين : الأول لتمنعا الحسد والثاني لتمكنا الملك من رؤية ما يجري في
عالم الدنيا خارج القبر ومنهما يستدل كذلك على أن رأس الملك في هذه الجهة
ومما يدهش له علماء الآثار أن ليس على جدران هذه الحجر من النقوش
إلا الشيء اليسير وفي اعتقادي أن ذلك يرجع إلى سرعة حفر هذه المقبرة أو إلى
تأثير عبادة قرص الشمس . إذ يلاحظ أولا أن سقف هذه الحجر عار من
كل نقش .

أما جدرانها فالنقوش التي عليها تنحصر فيما يأتي : —

على الجدار الشرقي ترى رسم ممياء الملك بلون أسود على زحافة وعلى رأسها
الالهة « ايزيس » وتحت رجليها الالهة « نفتيس » ليعيداه إلى الحياة فوق
هذا الرسم مكتوب اسم الملك ولقبه وبعض أشياء أخرى لم يكن لدى متسع من
الوقت لفك رموزها

وعلى الجدار الشمالي رسم الملك بحجمه الطبيعي على رأسه خوذة الحرب وعلى جسمه جلد فهد كأنه كاهن واقف أمام المعبود « اوزيريس » إله الآخرة وقد لفت نظري رسم الملك وبنوع خاص رأسه الذي يشبه تمام الشبه رأس إخناتون وهو الملك الذي تطورت في عهده الفنون الجميلة إذ خلعت عنها قيود الدين وأصبحت حرة طليقة من كل كلفة تجتهد في محاكاة الطبيعة وقد كان كل هذا بتأثير الملك إخناتون ولا شك ان توت عنخ آمون قد حدا حدوه

ويعتقد المستر كارتر أن هذه الصور ليست متقنة الصنع . وقد فاته ان هذا العصر كان يجتهد في محاكاة الطبيعة خالفاً تلك القيود التي كانت تحتم على الراسم أن يتبع قوانين خاصة فتخرج الصورة جميلة غير انها بعيدة عن الحقيقة لفت نظري بعد ذلك المستر كارتر إلى مكان أجلس في جدار الحجرة إذ دق بأصبعه على هذا المكان فسمع له رنين . فدهشت وسألته عنه فقال إنه يوجد في كل جدار من جدران الغرفة الاربعة حفرة فيها تمثال مكتوب عليه تعويذة سحرية . وبعد وضع هذه الصورة في الثغرة كانت تغطي بطبقة رقيقة من الجبس لتحفظه من التلف : وسبب وضع هذه التعاويذ أو الصور أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون في السحر كثيراً فكانوا يضعون هذه التماثيل المسحورة في الجهات الأربع من جدران الحجرة التي فيها التابوت لتحفظ الممياء من كل شر .
الغرفة الثانية — التي في شرق حجرة التابوت .

في الجهة الشرقية من التابوت (أو الصندوق العظيم) غرفة ثانية يبلغ طولها نحو خمسة أمتار ونصف متر في عرض أربعة أمتار ونصف متر كلها مكدسة بالآثار الفاخرة التي كان لابد للملك من الاحتفاظ بها . غير انه لم يمكنني في مدة لا تتجاوز نصف الساعة أن أعي ما فيها . ولست مبالغاً اذا قلت ان الانسان عندما ينظر في هذه الحجرة لأول مرة يخيل اليه أنه نقل إلى عالم آخر . أشياء كنت أسمع بوصفها في الكتب أو أرى رسمها على الورق فاذا بها أمام عيني في حقيقةها الناصعة ! وسأذكر هنا على وجه الاجمال ما وعته ذاكرتي وموضحاً

كنه كل أثر وعلة وجوده في هذه الحجرة :

يستقبل الزائر في هذه الغرفة تمثال المعبود « انوبيس » (ابن آوى) وهو رابض بحجمه الطبيعي على ناووس أمام الباب . وهذا الناووس يرتكز على قاعدة لها أربع أيدٍ وعلى كل ذلك غلاف كثيف من الذهب . ويكاد الانسان من فرط إبداع هذا الحيوان يحسبه حقيقياً ولا سيما عند ما يراه مكشراً عن أنيابه فافراً فاه . وانوبيس هذا هو إله التحنيط وحارس الموتى عند المصريين ويلاحظ أن هذا التمثال قد وضع على باب الحجرة الثانية أمام باب الصندوق الذي فيه الممياء (أي أمام مصراعي الباب) حتى إذا ماسط انسان او حيوان على الممياء انقض عليه انوبيس والتممه ولذلك رسم وهو فافر فاه متحفز للوثوب على كل من اعتدى على الجنة !!

استرعى نظري بعد ذلك تمثال رأس البقرة حاتمور (إلهة السماء) بحجم طبيعي ، بقرنين من ذهب خالص مرفوعين إلى أعلى بينهما قرص الشمس وجهها من ذهب وهاج وعيناها من حجر أسود وأبيض يحاكيان العين الطبيعية . وسبب وجودها هنا أن المصري كان يعتقد أنها إلهة السماء وإلهة الجبانة . وكان لها أيضاً ميزة خاصة في عالم الأموات وذلك ان الميت كان لابد له ان يجتاز عقبات كثيرة أثناء ساعات الليل في العالم الأخير وكان من تلك العقبات مستنقع عظيم لا يخلصه منه إلا البقرة حاتمور فاذا كانت أعماله مرضية في الدنيا حملته على ظهرها ورفعته إلى السماء وهو على شكل ممياء سوداء فاقدة الحياة ثم تلبيناه وترضعه من ألبانها فتدب فيه الحياة ويجري في عروقه الدم ويصبح ابنها (وهذا هو أصل التبنّي في العالم . وفي المتحف المصري بقرة أمامها « تحتمس » الثالث وهو أسود اللون فاقد الحياة فلما رضع من لبنها رجع إلى الحياة وجرى في جسمه الدم فاتقلب لونه أحمر) اجتذب نظري وراء هذه البقرة صندوق كبير الحجم يبلغ طوله نحو المترين وعرضه متر ويزيد كله مغشى بالذهب والأحجار الكريمة . ولا غرابة إذا قلت إنه عجيبة من عجائب الفن . هذا الصندوق

ظاهره محلى بالرموز الدينية بدلا من الزينة وإطاره الأعلى محلى بشعابين رافعة الرأس من فوقها ثعبان عظيم من الذهب البارز يحرسه . أما أسفل هذا الصندوق فيحيط به أربع إلهات كل منهن ناشرة جناحيها على جهة من جهات الصندوق . ويخيل إلى أن هذه التماثيل الأربعة من الذهب الخالص ويبلغ طول الواحد منها نحو الثلاثين سنتمترا .

وهذا الصندوق يشتمل على أربع أوان من المرمر في كل منها جزء من أحشاء الملك . وكل غطاء على شكل إله خاص موكل بحراسة الأحشاء وهذه الآلهة الأربعة تعرف عند المصري بأولاد حوريس الأربعة وهي : امستي ، قبيح سنوف دوامتف ، وحابي . أما الآلهات التي تحيط بخارج الصندوق فهي الآلهة ، ايزيس ، ونفتيس ، وسلكت ، والمعبودة نيت وكلها موكلة بالدفاع عن هذه الأحشاء وحفظها حتى يستردها الميت عند ما يبعث . وكان المصري ينتزعها بعد الموت ويحفظها حتى تبقى مدة طويلة أو لحين بعثه

أفت نظري بعد ذلك كثرة المراكب الشراعية المفرقة في أنحاء الحجره وكلها كاملة العدة . غير انه قد استوقفني من بينها مركبان الأول يبلغ طوله نحواً من متر ونصف متر بمجاذيفه وأمراسه : والثاني أصغر بكثير لا يتجاوز نصف متر . ولكنه مستكمل العدد بشراع بديع الصنع وهو موضوع فوق مشنة كالمشنيات التي نستعملها إلى يومنا هذا إلا انها مصنوعة من سيقان البردي . ويبلغ عدد هذه المراكب المبعثرة في أنحاء الحجره نحو العشرة كلها صغيرة الحجم . وسبب ذلك ان المصري كان يعتقد أنه سيتمتع في الآخرة بما كان يتمتع به في الدنيا . ولما كان يؤمن بالسحر كان يعتقد أنه إذا صنع نماذج للأشياء التي لا يمكنه حملها معه في القبر يمكن أن تنقلب إلى صورتها الحقيقية إذا قرأ عليها عزيمة خاصة . ولما كان من الصعب حشر مراكب كبيرة في قبره الصغير صنع هذه النماذج ووضعها في القبر . على انه قد وجد مدفونا في بعض المقابر مراكب بالحجم الطبيعي (اسرئس الاول بالمتحف المصري له مركبان)

استوقف نظري بعد ذلك مخزن للغلال على شكل حوض . وهو نموذج
كذلك يبلغ طوله نحو الأربعين سنتمترا وفيه ما يقرب من ربع كيله من القمح
الذي لا يزال حافظا لشكله وإن كان قد ذهب عنه لونه قليلا وهذا من الاشياء
النادرة جداً . رأيت كذلك بعض عربات للركوب بالحجم الطبيعي (ثلاث منها)
كلها مموهة بالذهب وقوائمها مشغولة بالميناء الزرقاء غير انها مفككة قطعاً
وجارات هذه العربات مغطاة بقماش أبيض ذهب عنه لونه بل أصبح بالياً
تقريباً . وقع نظري بعد ذلك على صندوق مكشوف فيه تماثلان مزملان بالقماش
على شكل الممياء . غير أن الجزء الظاهر منهما يشعر بدقة صنعهما وسبب
وجودهما هو أن المصريين كانوا يعتقدون أن الميت بعد بعثه لابد أن يؤدي
عملاً يومياً للاله « اوزيريس » في حقوله الاخروية (حقول يالو) ولما كان الملك
يريد أن يتخلص من هذه الاعمال كان يضع تماثيل أو أكثر ويكتب عليها انها
ستقوم عنه بالاعمال التي تطلب اليه في حقول « يالو » فاذا ما قرئت عليها عزيمة
خاصة انقلبت إلى أشخاص حقيقية وقامت بالعمل . وأمثال هذه التماثيل تسمى
« الاوشيتي » أي المجاوب . وقد وجد في قبور بعض الملوك نحو ٣٦٥ تماثلاً
« اوشيتي » ليقوم كل منها بعمل يوم من أيام السنة . وهذا هو السبب في كثرة
التماثيل الزرقاء اللون في القبور وفي المتاحف .

رأينا بعد ذلك عدة صناديق بعضها بلون الخشب الطبيعي وبعضها أسود
بجزام من ذهب وبعضها مطعم بالعاج . وبعضها عليه قشرة من الذهب . ويبلغ
عددها بالضبط ٣٥ صندوقاً مختومة بخاتم الملك لم تفض بعد ولا يعلم محتوياتها إلا
علام الغيوب . وفي اعتقادي انها لابد أن تحتوى على مجوهرات غالية ووثائق
تاريخية وملابس الملك وأواني بديعة الصنع .

وبعد أن فرغنا من الزيارة وصعدنا إلى الغرفة التي فيها التماثلان استوقف
نظري إنا أن من المرمر استخرجها المستر كارثر من حجرة التابوت : الأول
على شكل قدح له كرسي عليه نقوش مفرغة في المرمر وتنتهي هذه النقوش

بصورة علامة ملايين السنين وهي على شكل امرأة راكعة هذا من جانب وفي الجانب الثاني نفس النقش والصورة وفي يد هذه الصورة علامة الحياة (وهو ما يسميه العامة مفتاح النيل) وكل ذلك في قطعة واحدة من المرمر الشفاف أما الاناء الثاني فهو على شكل كأس كبيرة يتفرع منها فرعان كل منهما على شكل ساق البردي وينتهي كل فرع بكأس ثانية وعلى كل منهما كتب اسم الملك ولقبه . كل ذلك مفرغ كذلك في قطعة واحدة من المرمر الشفاف . وعلى كشب من هاتين الكأسين رأيت أوزة محنطة واقفه على رجليها بلون أسود ومنقار أبيض ولا تزال حافظة لشكلها الأصلي ويخيل إلى الناظر أنها أوزة حية وقد وضعها الملك في قبره لتكون غذاء له في العالم الآخر . . انتهى »

وإلى القاريء نبذة جميلة للكاتب الإنجليزي (هـ . مورتن) نعربها ختاماً للجولة الأولى من هذا الكتيب وقد وقع عليها اختيارنا من بين ألوف المقالات لروعة خيالها ورقة عبارتها قال : —

الفصل الحادي عشر

« عصر توت عنخ آمون »^(١) الذهبي

أو . مرأى الحياة منذ ٣٠٠٠ عام .

« بعث أخيراً من لحده فرعون عظيم كانت تحف به الأبهة والجلال بعد أن مضى عليه نيف وثلاثون قرناً . . وأن الناس اليوم ليمدوا بأبصارهم ويحملهون في وجه ذلك الفرعون الذي عجزت يد البلى عن أن تعبت به أو بحنوطه فيعرفون فيه فرعون مصر الذي عرفه حجاب به وحاشيته منذ ثلاثة آلاف من السنين

(١) توت معناها صورة وعنخ معناها حية فعنى اسم الملك « صورة آمون الحية » وستكشف لنا الاوراق البردية التي اكتشفت في قبره عن تاريخ طويل لهذا الملك

وما بعث فرعون بالأمر الهين الصغير ولا عجب إذا زلزل هذا النبا أرجاء المعمور فطالع النساء والرجال بشغف وعجب عن تلك العروش الذهبية والفرش والرياش المذهبة وتلك العربات التي كشف عن كنزها في مدفنه وتساعل القوم قائلين « ترى ماذا كان شأن الحياة حينما كان توت عنخ آمون أقوى رجل في الأرض ؟ »

ولو فرضنا أن إنسانا من العائشين في ظل القرن الحاضر تناولته يد الزمان وطوحت به إلى عصر غابر كر عليه حتى اليوم أربعة وثلاثين قرنا أبان حكومة الأسرة الثامنة عشرة من أسرات مصر ثم عادت به تلك اليد الينا ثانية لا مرأه أنه يتخي ما بقى من أيام حياته لاهجا بتلك العجائب التي رآها ناظره ساعة واحدة في طريق من طرق « طيبة » في ذاك العصر القديم المجيد . .

انه لم يظهر للأسرة الثامنة عشر المصرية في العز والترف والابهة شبيه في أى زمان غير أبهة امبراطورية رومه . وانه في أثناء المائة وخمسين عاما بين عام ١٥٠٠ وعام ١٣٥٠ قبل الميلاد بلغت مصر أعلى ذروة في العالم القديم تلك هي المدة التي نرى صورتها في سفر « الخروج » من كتاب التوراة ومن المحتمل أن أول ملوك هذه الأسرة هم الذين اضطهدوا بني اسرائيل ذلك الاضطهاد الذي انتهى بخروجهم مع قائدهم موسى الكليم بعد بضع مئات من السنين

ومن حكام تلك الأسرة الاقوياء فرعون « امنوفيس » الثالث والد « توت عنخ آمون » اذ في ابان حكمه بلغت الأسرة رفعتها وعظمتها وقد اهلتها تجاريب الحروب والسلام لأن تدخل في غمار اول معمة تجارية في تاريخ البشر وما كان يمر عام في ذلك الحين الا وكنت ترى الجيوش المصرية سائرة الى عاصمة بلادها ومعها صفوف من العبيد الاسرى والبنات وعدد كبير من الخيل والعربات وأسلحة اسيا وكذا الأقمشة النادرة والروائح العطرية والخور والأخشاب الثينة ورخام قصور البلاد السورية . وكانت تلك البضائع الاجنبية تعرض على

جميع طبقات الامة فيقبل النساء على روائح البلاد الاخرى العطرية واحجارها
الكريمة ويطلب الرجال الفولاذ والجلود وعربات القتال

وسرعان ما اضحت طرق الجيوش سبلا تجارية ومواقع القتال اسواقا وكان
يرى الناظر آنشد على طول شواطئ البحر الابيض المتوسط قبل ان ييزغ فجر
المدنية الاوروبية والشرق الأدنى قوافل تنقل البضائع الى القطر المصري بينا
كان الاسطول المصري يطرد قرصان البحر من أمام الدلتا والجيش المصري
يحمي قوافل التجارة

وكانت عاصمة القطر مدينة « طيبة » - طيبة البعيدة القائمة على جانبي
النيل تصطلي بشعاع الشمس السرمدي . حيث تزدان بقصور من رخام لامع
ومعابد ذات أعمدة هي اعجوبة العصر ونفاره . وحيث كان الاله العبوس « آمون
رع » الهما للنفوس بينا كان فرعون الهما للأجسام . ومن وراء « طيبة » الجميلة
ترتفع الارض الى تلال قائمة منحدرة حيث يختبئ وادي المقابر ..

هلم نحاول التغلغل وسط ضباب أربعة وثلاثين قرناً ونسير في طيبة وقت
أن كان « امنوفيس » الثالث فرعوننا وكان « توت عنخ آمون » غلاما يلعب في
قصر أبيه . واذا بنا في الصباح الباكر واذا بالشمس قد هبت ترسل شعاعها من
سمائها الصافية الزرقاء فوق عاصمة البلاد . واذا بالمدينة محاطة بقصور النبلاء
ذات الحدائق الغناء واذا في تلك الحدائق بحيرات من صنع الانسان تسبح فيها
خفاف القوارب وصغار المراكب وآجام صغيرة غرست لصيد الغزلان ..

هنا طرق على جانبيها تماثيل أبي الهول وآلهة عجيبه ذات رؤوس حيوانية وهذه
الطرق تؤدي بنا الى قلب المدينة حيث تسير جموع غفيرة تتحدث بلغات شتى
وتلبس أردية لا يحصى لوانها عد . وهناك في ظل معبد وقف تاجر يعامل سوريا
يعرض فتيات جميلات على جمع كثير واذا برجال من أهل الصحراء يهترقون
الجموع مع ثيرانهم . ثم فينيقون بلحاهم المجددة يعرضون أردية حمراء ومصنوعات
رقية من ذهب . وهناك شيخ واقف عند بائع النبيل يتدقق خرا قبرصيا نادرا .

واذا بوكيل من القصر الملكي يفتش على بائعي الخشب ويكتب مذكرة عن ثمن أرز لبنان . ثم غلام سورى من الرعاة يتطلع الى المعابد الشاهقة ويتقدم نفر من الكهنة حاملا صنم الاله في تابوت وهم يرتلون احدى ترانيمهم . وهنا سيدة من العظماء تسير في الطريق محمولة في محمل ولاذرع عبيدها السود بريق في ضياء الشمس وهم يحركون مراوح من ريش الطاووس وينادون باخلاء الطريق لسيدتهم واذا بجمع من رماة السهام المصريين يسرون رافعي الرؤوس اذ يعلنون ان كل الارض تخشى بأسهم . وهنا يسمع صوت حوافر خيل ويقدم امير من العائلة المالكة في عربة خفيفة يجرها جوادان سوريان ويقودها الامير بنفسه موثقا سرع الخيل في وسطه .

وسمع فجأة صوت أبواق الحرب واذا بالناس يكتظون ويزدحمون ويشاهدون بريق الدروع والأسلحة في ضوء الشمس وتبدو مركبات قد علاها الغبار تجرها خيول يتصبب العرق من أجسادها واذا بمشاة الجيش يسرون ثم صف من عربات مثقلة بالغنائم والأشمال ثم مئات من الأجانب في القيود والأصفاد ومئات من الفتيات العراة والخيول والثيران والأغنام . ان هذا المشهد لظافر يسير الى قصر فرعون ليقدم بين يديه ثمار النصر والفوز واذا بفيل افريقي هائل يقوده بعض الرجال يتبع المشهد فيتفرق الجمع حين رؤياه واذا بعدد من الزرافة يتبعها عدد من قرود أفريقية تقف أحيانا وتتمتم للقوم الضاحكين والمتفرجين . والكل ذاهب الى القصر تتبعه سحابة من غبار الطريق وينقضي المشهد فيعود القوم الى تجارتهم وأسواقهم فترى هناك سيدة تبتاع حجراً أخضر ورد من بابل ويشترى عجوز عبداً أتوا به من جزيرة كريت . ويرخي الليل سدوله فيملا القمر شوارع « طيبة » بشعاع بنفسجي وتشع في المدينة أنوار وتسرى فوق صفحة النيل قوارب صغيرة ويسمع صوت فتاة تنشد أغنية غرامية مع نغم الاوتار وتتطاير أطيار الماء بين الغاب ويسمع لأجنحتها خفيف اذا اقترب منها قرب في مقدمة نهر اس يضيء في الظلام . أما في القصر الملكي فيرى الراي فرعون ذا الاوتاد

يرفع كأساً من الذهب ويشرب نخب قائده المظفر ثم تصمت لغات الموسيقى ويجلس الحسان الراقصات فيأتي بعض العبيد حاملين مماء مزينة ويعرضونها أمام عيون الضيوف قائلين : « اشربوا وامتعوا أنفسكم لأنكم ستكونون كهذه يوم تموتون » .

تلك كانت مرآى الحياة التي عرفها — توت عنخ آمون — في صباه ولكن قدر له أيضاً أن يرى ضياء ذلك العصر الذهبي ينطفئ، وشم ينقش مثل غمامة الصباح

ولقد عاش معه في القصر أمير صغير ابن للملكة « تي » وكان غلاماً غريباً ذا رأس مشوهة تنتابه نوبات عصبية وأما أمه التي كانت أجنبية عن البلاد فقد غرست في نفسه بذور مذهب التوحيد وأخبرته عن عبادة الشمس في هليوبوليس وقارنت عبادتها بعبادة الاله — آمون — الذي كان كهنته أقوى عصبية في مصر ومات فرعون العظيم فتبوأ عرش البلاد بعده ذلك الغلام الذي يباغ السابعة عشرة من سنه أعني فرعون « اخناتون » (١) فشن على آلهة المصريين القديمة حرباً وبشر بديانة التوحيد قبل ميلاد المسيح بثلاثة عشر قرناً معلماً الناس بقوله إن الله لا تراه العيون وأنه لا يجب أن يسجد الإنسان للأصنام

ولما لم يطق صبراً على رؤية جامعة الكهنة في طيبة أو سماع الترتيل للاله آمون ليل نهار أو شم رائحة الذبائح والبخور المحترق أمام الصنم عزم على نقل عرشه وبناء عاصمة جديدة جميلة حيث يكون قادراً على تعليم ديانته الجديدة فخلف طيبة حاضرة الاقليم بعد أن كانت حاضرة القطر كله وإذا بحاضرتة الجديدة قد قامت في المكان المعروف اليوم بتل العمارنة وأسمائها « مدينة شعاع الشمس » (٢) وملاً هذا البلد في سنين قلائل بكنوز مصر وغنى فيها الاناشيد

(١) سيأتي شيء من تاريخه في النبذة التاريخية ومعنى اخناتون روح اتون

(٢) « اخيتاتون » وأما تل العمارنة الحالي فقد اشتهر برسائل تل العمارنة التي وجدت فيه تبودات بين امنحتب الثالث والرابع وبين ملوك بابل وقبرص وغيرها

للشمس وأبحر في النيل مع زوجته وبناته ليؤسس أول نظرية فلسفية سمع بها العالم ولكن العالم لم يكن مستعداً لذلك منذ ثلاثة آلاف سنة فابى ولاته إرسال الجزية وتمردت القبائل الشمالية ووصل إلى مسمعه أنباء هذا التمرد لكنه لم يشأ أن يسفك دماً وإذا بالحكومة تضطرب ومناجم الذهب تخمد ومات اخناتون ولم يبلغ الثلاثين من عمره موقناً أن ديانتهم قد فشلت وانها أدت بحكومته إلى هاوية الافلاس . وفي أثناء هذه التجربة الدينية كان توت عنخ آمون حاجباً في البلاط الملكي وتزوج من إحدى بنات اخناتون ثم خلفه على العرش

ففي بادئ أمره عبد توت عنخ آمون اله اخناتون الغير المنظور ولكن لم تمر سنة حتى انتصرت كلمة الكهنة فنقل — توت عنخ آمون — عرشه ثانية إلى طيبة مدينة « آمون رع » حيث حاول أن يهدم ما أسسه اخناتون فأعاد أسماء الآلهة القدماء وأصلح المعابد المهجورة في كل أنحاء البلاد ولم تمر عليه ثمانية أعوام حتى انتقل من صفحة الوجود إلى صفحة التاريخ »

حول مدفن توت عنخ آمون

ان اوثق المصادر لحقيقة الجنازة المصرية ومعناها هو ما كتبه الدكتور (الان جاردنر) في كلمته عن «قبرامنمحت» وفسرتها (اينا دي جارس) وطبعت عام ١٩١٥ بعناية جمعية الاكتشاف في مصر

يصف الدكتور جاردنر الحالة مما استخلصه من مقبرة خاصة من قبور طيبة من عهد الأسرة الثامنة عشرة (في حكم تحتمس الثالث أي قبل توت عنخ آمون بنحو قرن من الزمان) وتوصل بفضل علمه ودرسه إلى ادراك مغزى نظام المقبرة ولا سيما المناظر والنقوش المحفورة والملونة فوق الجدار والتي اجادت مسز جارس ديفز في رسمها وشرحها بدقة ومهارة وهذا الكتاب العجيب يهم كل من يريد الاطلاع على ما كان قداماء المصريين أنفسهم يكتبونه لتوضيح معتقداتهم أو تفسير عاداتهم

وكتب الأستاذ جيسس هنرى برستد منها « تاريخ مصر » و « نشوء الدين والفكر في مصر القديمة » هي خير مرشد للامام بتاريخ وديانة مصر القديمة . وكتاب المرحوم السير جاستون ماسبرو عن « الفن المصرى » (طبع لندن عام ١٩١٣) يتضمن شياً كثيراً يساعد على توضيح ما وجد في مقبرة توت عنخ آمون ولكن صور المستر برتون الفوتوغرافية عن محتويات مدفن توت عنخ آمون وما وجد فيه من أدوات قدا كسبت طبعة المستر برس لكتاب السير جاردنر ويلكنسون عن « عادات وخلق قدماء المصريين » (طبع لندن ١٨٧٨) رونقا ولذة خاصة لان كثيراً من محتويات المدافن والمناظر الجنائزية الواردة في هذا الكتاب المشهور تساعدنا على تصور وادى المقابر حيث وجد مدفن توت عنخ آمون وحيث كشف المستر هوارد كارت عن أدوات كثيرة مطابقة لما ورد في كتاب ويلكنسون المذكور . .

وما علم عن حياة توت عنخ آمون قبل اكتشاف مدفنه وحياة حرمه الذي تولى بعده الحكم ضمنه السير جاستون ماسبرو في كتاب « متلبرتا حرمي وتوت عنخ آمون » بارشاد حفريات المستر ديفز

وان الكتب والتقارير التي طبعها المستر تيودور ديفز لنافعة في درس نتائج اكتشاف مدفن توت عنخ آمون وأهم تلك الكتب كتابه عن « مدفن اريا وتويو » (١٩٠٧) ومدفن الملكة تي (١٩١٠)

وكتاب المستر ارثر ويجال عن « حياة وأزمنة اخناتون » يعطينا صورة هامة مؤثرة عن تاريخ عصر توت عنخ آمون وتاريخ والد زوجته



نظرة حول مدفن توت عنخ آمون

لم يظهر من قبل في تاريخ علم الآثار حادثة أثارت دهشة الناس كما حدث في اكتشاف المستر هوارد كارتر لمدفن توت عنخ آمون في شهر نوفمبر عام ١٩٢٢ .

وأن ما يعلم عن الملك نفسه قبل القبر لنذير سير ولكن سرعان ما تكشف مومياء أسرارها وربما يكشف الستر أيضا عن تاريخ حياة الملك الذي نخله الآن شابا حكم سنين قلائل وقرن اسمه بفضيلة الضعف أكثر من قوة الخلق إذ أن آراءه الدينية والسياسية تبدو مرنة مثل آراء كهن براى المشهور وانها لتتطور بسهولة ولا يزيد ما وجد في قبره من معلوماتنا التاريخية ولكن رغما عن عدم أهمية توت عنخ آمون نفسه فإن ما سببه الاكتشاف في العالم من تأثير ألبس قيمته التاريخية ثوبا هاما قشيباً

فلمدفن يرينا صورة جديدة عن المدنية المصرية ورخائها أثناء ذلك العصر الباهر فإن ما وجد فيه من ذهب ونقائس ليفوق في قيمته أى شيء عثر عليه منذ الأزمنة القديمة . وإذا حكمنا عليها من وجهة العدد والكثرة لوجدنا أن كمية الأثاث والرياش أعجب ما وجد وأن كل من فحصها يشهد أن الأدوات الجنائزية المكتشفة في قبر توت عنخ آمون غاية في جمال الصنع وكال الاتقان

والحقيقة أن قبراً كمدفن توت عنخ آمون قد ذود بمثل هذه الابهة والرفخامة ليزيد في أهمية الاكتشاف لأنه إذا كان لمثل هذا الشاب الذى لم يحكم أكثر من ست أو سبع سنين في احدى تصور مصر الضعيفة مثل تلك الثروة التي وضعت في مقبرته فكيف يحاول المرء أن يتصور تلك الرياش والأثاث التي وضعت في مقابر الفراعنة الذين عاشوا مدة طويلة في شهرة واسعة مثل تحتمس الثالث الذى شيد أسس الامبراطورية المصرية في آسيا واستطاع أن يملك زمام العالم المتمدين وقتئذ أو الملك المنحطب الثالث الذى بلغت أثناء حكمه من قوة الملك

والسلطان والابهة والبذخ وما عسى أن يكون ما قد وضع في المقابر الواسعة التي دفن فيها سيتي الأول ورَمسيس الثاني من أوائلك الفراعنة الأقوياء الذين استرجعوا ممتلكات الدولة المصرية في آسيا التي فقدوها اخناتون وزوج ابنته توت عنخ آمون

ولا بد أن كان وادي الملوك قبل المسيح بألف سنة يدفن في جوفه وطيائه مقادير الذهب الكبيرة والأثاث الفاخرة التي لم يوجد مثلها في بقعة واحدة في تاريخ العالم .

وهذا سبب ما أثاره هذا الاكتشاف في العالم من اهتمام سيظل دائماً مقرونا باسمي اللورد كارنارفون والمستركارتر

ولكن رغمًا عن ذلك الشوق الذي أثير في العالم كأنه يقظة فنية فان للاشياء المكتشفة في القبر قيمة لا تقدر أهميتها من الوجهة العلمية وأنها فيها لمهارة عجيبة والبذخ دفعا الاديب والعامي الذي في الطريق أن يدركا اتساع أعمال المدينة المصرية القديمة وليسألا نفسيهما إذا كان هذا التقدم المعنوي قد أثر على الممالك المناخية لمصر تلك الممالك التي ربطتها مصر معها بأواصر التجارة بعد أن شيدت سفننا تمخر عباب البحر وتصل البلاد المصرية بالشام وكريت وبشرق أفريقيا وبلاد العرب وبالخليج الفارسي

وإن الشوق في كشف أعمال المصريين وإعلانها بعد ثلاثين قرناً ليهيء العقول إلى دراسة الحقائق البارزة التي خرجت للملأ بعد أبحاث المستر هوارد كارتر في قبر توت عنخ آمون

وهذا يدفعنا إلى دراسة وتقدير ما على جدران القبور من نقوش ومناظر وما في أوراق البردي من كتابات وصور

والآن قد ظهرت كتابات بلزوني ولبسيوس ووزوليني وويلكنسون في نوب قشيب منذ اكتشف قبر توت عنخ آمون

وحينما يتم فحص ذلك المدفن ودرسه وتعلم كثير عن مومياء الملك وظواهره

وعمره وعمله نستطيع أن نقرأ تاريخ عصره بأكثر وضوح وجلاء وربما استطعنا أن ندرك شيئاً كثيراً عن تاريخ المدينة المصرية في عصر توت عنخ آمون أخذت الشعوب التي شيدت صروح المدينة تفقد سلطانها ونفوذها وكانت قوى مصر تتخاذل وأدركها الضعف الذي كان سببه اخناتون وأزواج بناته وسياساتهم الرخوة الهادئة وحينما جاء دور الأسرة التاسعة عشرة التي حكمت مصر بقوة وساطان ولكنهم لم تحدث الا انتعاشاً قليلاً في قوة مصر قبل اضمحلالها

وقبل حكم توت عنخ آمون بخمسين سنة خرب قصر كنوسوس في كريت مؤذنا بسقوط قرصان البحر العظيم وسلطانة في البحر الأبيض المتوسط ذلك السلطان الذي ورثته بعده اليونان ثم أوروبا

ووصلت بابل أيضاً الى ذروة نفوذها واذ خارت قوى تلك السطاطات الثلاث الاولى اتسع المجال للحثيين والاشوريين فقام كلاهما يتنازعان الرئاسة ويتصارعان حبا في كسب السلطان

ولما ذهب بهما الاعياء والكلال من ههنا مهد السبيل لدولة الفرس للخروج الى حوض البحر الابيض المتوسط وثمة سبب آخر يفسر الضعف الفجائي الذي لحق بالنفوذ المصري في آسيا في عهد اخناتون وتوت عنخ آمون وهو ذات أهمية وحادث كبير في تاريخ المدينة وهو أنه حدث في زمان كانت فيه الآداب اليهودية سائدة على الحياة الاجتماعية . فلو فرض أن الحكم المصري لم يضعف في ذلك الزمن المعلوم ولم تخضع فلسطين للتأثيرات السورية والحثية والأشورية ما كان كتاب التوراة ليظهر في نغمته الخاصة الممتازة ويبدو لنا اليوم مبالغاً في تعظيم أهمية الحروب وقيمة الشجاعة الحزبية . .

ولكن اذا كان ضعف اخناتون وتوت عنخ آمون معزوا من بعض وجوه الى حرب فلسطين وأثر ذلك على الآداب المقدسة في العالم فان الأزمنة التي وقعت فيها تلك الحوادث كانت ملأى بنقائص جديدة في سير المدينة ولم يكن هذان الملكان الضعيفان مسئولين عنها . .

وظهر على مسرح التاريخ لأول مرة قوم يتسكحون بالارياينة وبدأ ظهورهم في آسيا الصغرى وحول منابع الفرات في سوريا وقدر أن يكون نفوذهم ظاهراً في فارس والهند وله الاثر على العقائد الدينية والاطوار الاجتماعية .

وتقع بين آسيا وأوروبا اقليم له الفضل في نشر عناصر المدنية في عدة قرون منها عصر توت عنخ آمون وما تلاه — تلك هي فينيقيا التي نعرف مالها من شهرة في التجارة والذين مثلوا الدور الذي وصف في كتاب حزقيال النبي

اكتشاف مقابر طيبة الملكية

يمكننا أن نقول ان أعمال الحفر في وادي مقابر الملوك بدأت عام ١٨١٩ حينما فتح الرحالة بلزوني مدفن الملك سيتي الاول وكتب وصفه وفي عام ١٨٨١ كشف الستار عن مجموعة من الموميات الملكية التي خبأ أكثرها منذ نحو ثلاثين قرناً في وادي المقابر ثم نقلت عام ألف قبل الميلاد وخبئت في حجرة في التلال الكبيرة القائمة وراء الدير البحري مواجهة للنيل في سهول طيبة فأثار ذلك حب البحث في المدفن المشهور « وادي المقابر » ولكنه حتى عام ١٨٩٨ أسفرت أعمال الاكتشاف عن كشف مقبرة امنحتب الثاني المحتوية على مومياء الملك نفسه وهي الممياء الوحيدة لفرعون وجدت في مدفنه قبل الاكتشاف مدفن توت عنخ آمون الذي لا يشك في الاعتقاد بوجود مومياء الملك نفسه فيه آمنة لم تزعج وان جثة الملك امنحتب الثاني نهبت مثل كل الموميات التي اكتشفت قبلها او حتى فتح قبر توت عنخ آمون الذي يرى أهل هذا العصر لأول مرة قبراً لملك من قدماء المصريين لم تعمل فيه أيدي السطو والسرقة . .

ولما عين المستر هوارد كارتير مفتشاً للآثار في الوجه القبلي كان أول واجبه واهتمامه موجهها الى حراسة آثار طيبة . ولقد اعتادت الحكومة المصرية بهمة مصلحة الآثار حتى عامنا هذا الترخيص لعلماء الآثار بالحفر في البقاع التاريخية القديمة

كما سمحت لهم بالاستيلاء على نصف ما اكتشفوه ولكن وادي مقابر الملوك خرج عن دائرة هذا الترخيص لأن مصلحة الآثار حفظت لنفسها الحق في الاستيلاء على كنوز مثل ذلك المكان الهام في التاريخ وعلى ذلك لما أخذ المستر هوارد كارتير على عاتقه التفتيش في طيبة كان في مأزق حرج إذ أن وادي مقابر الملوك القصي الذي يحوي أكبر مجموعة للعاديات الثمينة كان في عهده وكان من أهل الأقصر الحاليين الشيخ عبد الجرناح فئة من لصوص المقابر الماهرين الذين اعتادوا النش والسرقه منذ عدة قرون ولكن المستر كارتير لم يستطع أن يدل هذه الصعوبة بالمراقبة اللازمة الشديدة اعني باستمرار الحفر هناك لأن مصلحة الآثار لا تتوفر لديها ذلك المال الكافي لمثل هذا العمل وللأسباب المذكورة لم يسمح للحافرين المخصوصين بالعمل في وادي المقابر . ولقد كان المستر كارتير سعيد الحظ إذ وجد حلاً للمسألة والتغلب على تلك المصاعب . فقد زار مصر في شتاء عام ١٩٠٢ - ١٩٠٣ المستر تيودور ديفز من مدينة نيويورك بجزيرة رود ووهب مصلحة الآثار المال اللازم للحفر في وادي المقابر دون أن يطالب بأية مكافأة وعليه ففي عام ١٩٠٣ بدأ المستر هوارد كارتير يحفر في الوادي على حساب مستر ديفز واكتشف مدفن تحتس الرابع . ولم تكن مومياء هذا الفرعون التي وجدها عام ١٨٩٨ مسيو لوريه في قبر امنحتب الثاني ملفوفة بعد ان وجد مدفنه الأصلي وقد طبع مستر ديفز كتاباً نفيساً تقريراً عن العمل في المدفن ونتائج فحص المومياء وفي السنوات التالية وجدت البعثة التي يدها المستر ديفز بالمال ستة قبور أخرى مهمة منقوشة وهي مقابر الملكة « حتشبوت » و (يوا) و (توا) (والدي الملكة تي) والملك « سبتاح » والامير « منتوحر خبشف » والملك « اخناتون » والملك « حرمحب » وتسعة قبور غير منقوشة يحتوي احدها على حلي الملكة « توسرت » الذهبية الجميلة وزوجها الثاني « سيتي الثاني » وفي أخرى قطع من الذهب مكتوب عليها « سرقت أثناء حكم حرمحب من مقابر الملكين توت عنخ آمون وآبي »

وأكمل مستر ديفز قبل الحرب نصيبه من العمل وزعم أنه وجد مدفن توت عنخ آمون ويقول في مقدمة آخر مجموعة تقاريره « أخشى أن وادي المقابر قد أدركه التعب والكلال » ولكن لحسن الحظ لم يقره المستر هوارد كارتير على رأيه . وبعد ان وضعت الحرب أوزارها طلب اللورد كارنارفون الذي كان المستر كارتير يعمل معه منذ عام ١٩٠٧ من مصلحة الآثار ترخيصا ليواصل العمل في وادي مقابر الملوك حيث تركه المستر تيودور ديفز وقد ادى بمجهود اللورد كارنارفون والمستر كارتير قبل ان يحل محل المستر ديفز الى اكتشافات هامة طبعت نتائجها عام ١٩١٢ في الكتاب الجميل المسمى « خمس سنين اكتشاف في طيبة »

وقد ادى بحثهما في وادي مقابر الملوك الى اكتشافات باهرة تفوق ما اتى به من سبقهم وبدلا من ان يحفرا فتحات اكتشافية في اكوام الرمال بدأ يزيلان ما على الارض من الاكوام الهائلة التي قدرت بنحو مائتي الف طن وبالرغم من عدم تشجيعهما في عملهما الشاق وما يتكبدها من النفقات الباهظة دون ان ينالا اي جائزة من ذلك العمل المجهد ظلا يعملان بصبر واستمرار حتى اليوم الخامس من شهر نوفمبر عام ١٩٢٢ فنالا ثمرة عملهما من اعجب ما اكتشف في تاريخ علم الآثار واعلن اللورد كارنارفون اكتشافه في اليوم الذي سبق يوم سفره من لندن الى مصر . .

ان المكتشفين لم يجدوا في مدفن الوزير « رخمارا » اي اداة مما دفن معه وبعد البحث عنها بقرب القبر تقرر ان يجري التنقيب في وادي المقابر وفي اثناء تنظيف ارض الوادي من الرمال والأتربة لهذا الغرض وجد المستر كارتير سلما منحوتا في الصخر فواصل الحفر حتى وجد جدارا من المصيص منقوشا عليه خاتم المدافن الملكية وما هي إلا برهة حتى كشف عن وجود قبر فتح بعد الدفن بزمان قصير وانه يحمل خاتم الملك توت عنخ آمون . .

وقد روت الصحف اليومية قصة الكنوز المدهشة التي وجدت في هذا القبر

أولا فأولا منذ نوفمبر ١٩٢٢ حتى ديسمبر عام ١٩٢٥ وأرتنا رسوم المستر برتون الفوتوغرافية صورة حقيقية عنها . .

وثمة فرق جلي بين رسم هذا المدفن وبين المقابر المألوفة في طيبة ولكنه يصبح غامضا اذا ما قورن بتلك القبور التي صنعت في عاصمة الملك اخناتون الخارج على دينه

وفحصت الحجرة الاولى من الأرباع الغرف في المدفن وفحصت الاخرى ويظهر لنا فيها اعجب مجموعة من لرياش القديمة

ولكن أعجب ما في المدفن من مشاهد هو ما في مخدع المومياة فيظهر لنا التابوت والا كفان وغيرها وكيف كانت مومياة ملكية تعد لمقرها الابدي وقد صنع رسم مقبرة رمسيس الرابع منذ اكثر من قرنين بعد زمن توت عنخ آمون وكان هذا الرسم الدليل الوحيد الذي وجدناه عن كيفية ترتيب الا كفان داخل التوابيت ثم ان ا كفان «يوا» و «توا» جدي زوجة توت عنخ آمون قد سبقت فأنبأت عما ستكون عليه ا كفانه ولكن ماظهر في اناث قبر توت عنخ آمون وصناعتها تفوق كثيرا ما وجد في المقابر الاخرى حتى اننا لندعش مما يوجد في غرفة التابوت ومن نجاح المخططين اذ أن فن التحنيط كان في تقدم من حكم امنحتب الثاني حتى رمسيس الثاني ولكن هناك نقط هامة في فن التحنيط مازالت غامضة . .

وقد ظهر حشو الجسم بالمواد في التحنيط لأول مرة في جثة امنحتب الثالث وبطلت هذه الطريقة في زمني الاسرة التاسعة عشرة والعشرين ثم عادت في الاسرة الحادية والعشرين ومن المهم أن نرى هل كانت هذه الطريقة متبعة في عصر توت عنخ آمون .

من هو توت عنخ آمون؟

بينما كان المرحوم المستر تيودور ديفز جادا في البحث والتنقيب في وادي مقابر الملوك في عامي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ عثر على مجموعة من الأدوات عليها اسم توت عنخ آمون والارجح انها سرقت من مدفنه ابان حكم حرمحب وبعد دفنه ببضع سنين . .

ووجد المستر ادوارد ايرتون الذي كان يعمل في ابحات المستر ديفز عام ١٩٠٦ تحت صخرة كبيرة في سفح تل مرتفع كأشأ جميلة زرقاء نقش عليها خاتم توت عنخ آمون . .

وفي العام التالي بينما كان المرحوم المستر هارولد جونز ينقب عثر على حجرة مفرغة في الصخر تحتوي على أدوات تحمل اسم توت عنخ آمون فظن المستر ديفز انه اكتشف مدفن ذلك الملك . وفي الكتاب الذي طبع عام ١٩١٢ شرح لما أجري من البحث في عام ١٩٠٦ و ١٩٠٧ و ١٩٠٨ (وفي أثناء السنة الاخيرة منها وجد قبر حرمحب على الجانب الجنوبي من الغرفة المذكورة) وعنوان ذلك الكتاب « مدفنا حرمحي وتوت انخ امونو (توت عنخ آمون) » (من حفريات تيودور ديفز في « (بيان) الملوك »)

وذكر المرحوم السير جاستون ماسبرو كل ما كان يعلم وقتئذ عن تاريخ حياتي حرمحب وتوت عنخ آمون ولكنه لم يلاحظ الحجرة التي فتحها مستر هارولد جونز زاعما انها مدفن توت عنخ آمون اذ انه قال في ختام تقريره الذي كتبه من حياة توت عنخ آمون وأعماله « أظن أن قبره في الوادي الغربي بين اوقرب تبر امنوفيس الثالث (موميا منحتب الثالث هي آخر موميا ملكية عرف عنها انها دفنت في طيبة قبل توت عنخ آمون لان اخناتون وسمنقرع دفنا في تل العمارنة ونقلوا بعدئذ الى طيبة) واما « آي » (الذي خلف توت عنخ آمون) في الحكم فانه حينما كانت الثورة قائمة في وجه آتون واتباعه اخذت

مومياء وإثاته الى مخبأ كما حدث للملكين « تي » و « خوناتون » في عهد حرمحب ثم عثر عليها المستر ديفز بعد نقل ونهب كثير « الا ان هذا خير لا تقطع بصحته ولكن السير جاستون كان غير مصيب في زعمه ان الحجره التي اكتشفت عام ١٩٠٧ ليست بمدفن توت عنخ آمون وان مدفن ذلك الملك ربما يكون بجوار سابقه امنحتب الثالث ومن خلفه « آي » هذا زعم ظهر بطلانه باكتشاف المستر كارتر . . والحجره عبارة عن مخزن ربما حفرها العمال الذين كانوا يصنعون مدفنا لحرمحب الذي خبأ فيه لصوص مقبرتي توت عنخ آمون وآي غنائمهم . . ولم يتضح بعد سبب عجز هؤلاء اللصوص عن استخراج كل الذهب الذي كان بالمدفن

وكانت الحجره مدفونه على عمق ٢٥ قدما وكانت ملائ بالطين الذي جرفته أمطار القرون المتواليه ووجد في هذه الغرفه صندوق مكسور فيه بضع قطع ذهبية مختومه باسم توت عنخ آمون وزوجه « انخ سن آمون » وغيرها مما عليه اسم خلفه الملك « آي » وزوجه « تي » ولكن بلا لقب . ووجد في الطين التمثال البديع المصنوع من المرمر الشفاف وعلاوة على قيمته الفنية فان هذا التمثال بديع بالنسبة للوشاح الذي يغطي حقويه فانه مربوط على النمط السوري ولكن لسوء الحظ لم يكتب عليه شيء ويظن المسيو دارس أن هذا التمثال ربما يمثل الملك « آي » قبل ارتقائه العرش

ولقد وجد في المدفن المكتشف حديثاً أن بعض صفائح الذهب منزوعة من العرش ومن بعض الأثاث ومما يلاحظ أن الصفائح الذهبية المنقوشة والمكتشفة عام ١٩٠٨ وعليها مناظر انتصارات توت عنخ آمون والاسرى وجدت لتزين أثاث القبر وقطع أخرى من الذهب تمثل مناظر شبيهة بالمناظر التي سرقت من مدفن خليفة توت عنخ آمون (آي)

وبعد أيام قلائل من اكتشاف الحجره التي تحتوي على المسروقات وجدت حجرة غير بعيدة منها تحتوي على آنية خزفية فيها باقات أزهار وأكياس صغيرة

من مائة مسحوقة ووجد غطاء احدى هذه الآنية مكسوراً وملفوفاً بقطعة من التيل عليها كتابة بالمداد تشير الى السنة السادسة من حكم توت عنخ آمون وقد ذكرت في هذا الكتاب ان السير جاستون ماسبرو جمع نتف المعلومات القليلة عام ١٩١٢ مما تتعلق بحياة وحكم توت عنخ آمون

ويوجد في المتحف البريطاني نموذجان لاسدين منحوتين من الجرانيت الاحمر وقد صنع أحدهما في عهد امنحتب الثالث ليوضع في معبد في السودان وأما الثاني فربما نحت لتوت عنخ آمون الذي يدعى « انه أصلح آثار أبيه امنحتب » وقد ظل العلماء مدة قرن يتساءلون عن لفظة « أبيه » هنا

هل الحقيقة ان توت عنخ آمون أخ أو نصف أخ لجموه الملك اخناتون ولكن ربما استعمل اللفظ كصيغة التبجيل لسلفه أو لان تبوؤ توت عنخ آمون العرش كان لقرانه بابنة اخناتون وهي العادة في مصر القديمة لتأسيس حق وراثة الملك . .

وكان توت عنخ آمون وقت زواجه وارتقائه العرش تابعا لدين آتون الذي أسسه جموه وكان اسمه توت عنخ آمون ولكن بعد أن مات اخناتون نبذ توت عنخ آمون وزوجه (انخسنباتون) تلك العقيدة وعادا الى ديانة آمون وغير اسمهما دليلا على تغييرهما للعقيدة فاصبح اسمهما «توت عنخ آمون» و«انخ سن آمون» وهاجرا من العاصمة الجديدة التي بناها اخناتون الى طيبة مركز كهنة آمون الذين كانوا بلا شك المسؤولين عن السبب الفجائي في تحول توت عنخ آمون إلى ديانته القديمة . .

وكل ما نعلمه عن حكمه هو من الكتابات المنقوشة على معابد طيبة التي أصلحها بعد رجوعه الى الدين القديم ولو أن معظم هذه التقارير غير صادقة لان حرمحب وضع اسم توت عنخ آمون على كثير منها . .

وثمة مصدران مهمان علمنا منهما شيئا عن توت عنخ آمون وهما : قطعة التيل المكتشفة عام ١٩٠٧ والتي كانت الدليل على ان حكمه دام ست سنوات

وثانيهما مجموعة بديعة من صور الجدار في مقابر « هوي » في (المراي) والتي هي الدليل الوحيد عن علاقات توت عنخ آمون بالحبشة وآسيا وهي الصور المألوفة في حياة قدماء المصريين التي ذكرها شامبليون ولبسيوس وبروجس وبيل وأما الكتابة التي تصف تلك الصور فقد ترجمها الأستاذ برستد الى الانجليزية (راجع كتابه عن سجلات قديمة عن مصر الجزء الثاني من صفحة ٤٢٠ الى ٤٢٧)

الفصل السابع عشر

أهمية اكتشاف مدفن توت عنخ آمون

ان عيون العالمين شاخصة الى مدفن توت عنخ آمون وما يخرج من عجائب عن أعمال قدماء المصريين السامية في الفن والصناعة وفي الحق ان هذا الاكتشاف الجديد أثر على موقفنا ازاء تاريخ التمدن وزادنا معرفة عن الثروة الوافرة التي كانت مخبأة منذ ثلاثين قرنا في وادي مقابر الملوك فان الاكتشاف الجديد يظهر لنا بمرأى الجمال الباهر أكثر مما يزيد من علمنا وأن تأثيره ليحمل الاديب والعامي على الاهتمام بالمدينة التي استطاعت اخراج مثل تلك الأعمال الفنية والتهذيب السامي

ولكن ما يعنينا الآن هو اعتبار أهمية الاكتشاف بما تضمن على أثاث ورياش لم يصنع قبلها أنغر منها في الصناعة والزخرفة والتيل بجماله ونعومته وآنية المرمر التي لم ير العالم مثلها من قبل والتماثيل التي تحقق زعم القدماء أنها صور حية فما معنى مظهر المهارة والجمال ؟ ولماذا خزنت كل تلك الثروة في طيات الخفاء في تلك المغارة المنفردة فتدفن في هذه المقبرة الغريبة بعيداً عن الانظار أجمل مارأى العالم من حسنات الفن القديم والصناعة الغابرة ؟ أن الاجوبة الحقة على هذه المسائل لتكشف لنا عن القوة الباعثة على رقي المدينة المصرية . واليك كلمات تفسر ذلك : —

الفصل الثامن عشر

كلمة في التحنيط والخلود

كل تلك المعدات المتقنة والعمل الشاق الكبير في تفريغ القبر في الصخر الصلب وتجهيزه بمثل تلك الروعة قد صنعت لان قدماء المصريين اعتقدوا أن جثة الملك اذا حفظت فيها فانها لا تبديد وخالوا انه مادام الجسم محنطاً فان بقاء الملك وخلوده مضمونان وعلى ذلك زودوه بالطعام واللباس والرياش والاثاث والجواهر والحلي والنفائس الاخرى التي اعتاد التمتع بها قبل أن يؤخذ الى مقره الابدي في وادي المقابر المهجور

ولا يخفى ان في أوائل أيام التاريخ المصري كان هذا الاعتقاد سائداً وظهر ايمانهم هذا في شكل محسوس في صنع الحاجيات المادية لكل ما يحتاج اليه الميت . وكان هذا اليقين مؤسساً على ممارسة تحنيط الميت أو صيانة الجسد حتى يصبح خالداً لا يبلى في كر الغداة ومر العشي وتلك عقيدة راسخة في إمكان حفظ جثة الميت

وكان الامل في تجديد الحياة مبنياً على القوة الفعالة في فن التحنيط وفي تلك المثابرة الغريبة على جهدهم لمدة تربى على ثلاثين قرناً لترقية هذا الفن وابلاغه درجة الكمال

واقدر اخترعت صناعة النجارة في بدء أمرها لصنع النعوش التي يحفظ فيها الجثث وكان فن البناء وقفا على إعداد القبور وتهيئة أماكن للميت وملحقات لها يمكن لذويه وأقاربه أن يأتوه فيها بالطعام الضروري له ومحال لتحفظ فيها تمثاله . .

فكانت عناصر المدنية كالفنون المعمارية والحفر والنجارة والبناء نتائج لازمة لفن التحنيط الذي كان له أثر كبير في العقائد والطقوس

الفصل التاسع عشر

عقائد عريقة في القدم

ان تاريخ الاعتقاد بإمكان استمرار الحياة بعد الموت ربما كُنْ أقدم من المصريين أنفسهم . ولكن يظهر أن العقيدة بالخلود لم تنشأ الا بعد أن استنبطت الوسائل التي تؤدي الى خلود الجثة . وفوق ذلك فإن طقوس الديانات الأولى القديمة كانت مؤسسة على أعمال المصريين الأول في إنعاش المومياء أو التمثال الممثل لها بحرق البخور وفتح فم الجثة لتستنشق نسائم الحياة وأداء فصول روائية لانعاشها

وبهذه الطقوس زعم أن الكاهن المنوط بهذه الخدمة قادر على إرجاع الشعور الى الجثة وجعلها تأخذ قسطاً من الحياة بل ويمكنها أيضاً أن تسمع دعوات الارشاد ولتعجب مثل تلك الطقبات ومصر بين الأمم العتيقة هي الامة الوحيدة التي تفسر هذه المعتقدات الغريبة التي نشأت قبل المدنية ومنذ أكثر من ستين قرناً

الفصل العشرون

فجر المدنية

بدأت المدنية حينما اخترع المصريون أولاً طرق الزراعة والري . وكان لمهندس الري شأن كبير في تاريخ العالم اذ ان اعماله تتناول كثيراً من شؤون الحياة ولذا فقد كان له المقام الاول في الامم ولقد اثبت التاريخ سواء في الازمنة القديمة أو الحديثة ان لابد من وجود حكومة مطلقة قوية في وادي النيل يلقي على كاهلها تنظيم طرق الري وتوزيع المياه بالعدل والقسطاس في البلاد وليس من العجيب ان المهندس الذي باشر هذا العمل بنجاح في الازمنة السالفة كان قياً على حياة الامة وفي الحق مليكاً على البلاد حتى عده أهل زمنه إلهاً . هكذا

كان الاله اوزيريس الذي هو إله النهر الذي كان يمنح القوت والحياة . .
ولا بد وانه ظهر من العجيب لشعب لم يمارس مثل هذا النوع من القوة من
قبل ومن الخارق للعادة ان رجلاً فرداً في قدرته المطلقة نجاح امه بأسرها وكل
فرد فيها . .

والعلاقة بين هذه الحكاية وقبر توت عنخ آمون مثلاً ربما لا تظهر جلية
ولكن اذ يتحقق ان أصل النظام الاجتماعي كان متحداً بالاله اوزيريس يمكننا
أن ندرك ان طقوس التحنيط والدفن أشارا الى اتحاد الميت باوزيريس وبتمثيل
الحوادث التي كانت عليها حياته

وأول ملوك مصر الاغنياء الذين عملوا على إثراء مملكتهم لم يترددوا في
اعداد مقابرهم اعتقاداً منهم انهم انما يسعون نحو حياة بعد الموت وكانوا بعد
القرون العديدة متأثرين بنفس الفكرة وصرفوا مبالغ وافرة من المال في سبيل
اعداد قبورهم في وادي الملوك . .

وعلى ذلك فنحن في الكشف عن تاريخ المصريين في التطور العقلي انما
نسبر غور العادات والعقائد في حياتنا العصرية واليومية وعلينا والحالة هذه ان
نعد التحنيط كشيء أكثر من عمل غريب يثير دهشتنا اذ انه لعب دوراً
مهماً في تكوين المدنية سواء في الفنون أم في الصناعات . .



الفصل الحادي والعشرون

اعادة الحياة الموتى

اذا تأملنا في كيفية التحنيط واغراض من مارسوه فاننا نجد ان في العصور الطويلة التي فيها كان المحنط المصري يرمي دائماً الى غرضين الاول حفظ أنسجة الجسم الرئيسية بقدر ما يمكنه مع محاولته ايضا العمل الأكثر صعوبة في حفظ الشكل الطبيعي للجسم لاسيما ملامح الوجه او بعبارة اخرى كان الغرض ان يجعل تمثيل الميت شبيهاً له بقدر الامكان حتى يظل حياً وضامناً للحصول على البقاء واعتقد المصريون الأولون ببساطة انهم كانوا يمنحون فعلاً الحيوية على الصورة التي يصنعونها طبقاً للأصل

وقد استعملوا فعلاً وصف به عمل النحات الذي كان يصنع دمية الميت ويعني هذا الفعل كما قال دكتور جاردنر « يمنح الولاده » بمعنى « يمنح الحياة » وليس ثمة من شك انهم عنوا بهذه الفكرة عن منح الحياة ليسلم بها كحقيقة وليست مجرد رمز ولا يجب علينا ان ننسى انه حينما كانت هذه المعتقدات نشأ باديء بدء منذ أكثر من ٥٠ قرناً لم يكن هناك علم أو فهم لمبادئ العلوم وعلم الحياة لينع اتخاذ مثل تلك الخيالات الساذجة كحقيقة صادقة واضحة وليس من سبيل للشك ان فلاسفة تلك الايام قد أخلصوا في الاعتقاد باستحالة تطويل البقاء

لما كان التحنيط في أول أمره يمارس في زمن الاسرة الاولى (منذ ٣٤٠٠ ق . م) . وجدان جو مصر ملائم لحفظ أنسجة الجسم ولكن حفظ ملامح الوجه لم يتوصل اليه وقد عملت كل التجارب في زمن الاسرة الثانية والثالثة والرابعة بلف الجثة حتى تصل الى شكلها الاصلي وبصبغها بالالوان الطبيعية ولما فشلوا في جعل الصور تطابق الاصل المحي استنبطوا فن التماثيل التي تمثل الميت من الحجر أو الخشب واستعملوا عيون صناعية ملونة . وان المهارة التي تعلب بها المصريون في عصر بناء الاهرام على المصاعب في فن النحت وصناعة تماثيل بالحجم الطبيعي لهي من أعجب الاعمال في تاريخ الفنون .

الفصل الثاني والمشرون

التقدم في الفن بعد ٢٠ قرنا

ولو أن هؤلاء الحفارين الاولين لم ينجحوا في تحقيق غرضهم الا انهم قد يافغوا بفهم درجة الكمال وتوصلوا الى جعل الموميا نفسها كشبيهة بالميت انكبوا على عملهم بصبر ومثابرة في طول القرون ولكنهم لم يحققوا أملهم الا بعد أن حاولوا ذلك أكثر من عشرين قرنا حتى أواخر عهد الاسرة الثامنة عشرة حوالي عهد توت عنخ آمون

وقد نرى ثمرة أعمالهم في موميات يوا وتوا وسيتي الاول التي تعني ان في هذا العهد من الاسرة الثامنة عشرة كان للمحنطين مهارة ومقدرة على جعل الموميات كاملة بقدر ما استطاع الذكاء المصري أن يظهره ولكن لصوص المقابر المصريين لفتوا نظر العالم الى موميات كثيره في أوائل عهد الاسرة الثامنة عشرة وكذلك التاسعة عشرة والعشرين والتي كشفت عن غلطات ظاهرة في تلك الصناعة . .

ويظهر ان كل ما حدث من النهب والسطو على الموميات الملكية في الاسرة العشرين وما حصل عليه الكهنة من العلم كان السبب في تطور فن التحنيط في الاسرة الحادية والعشرين حيث أتاحت لهم فرصة لدرس التحنيط ولا غلاط التي وقع فيها أسلافهم . .

اي أنهم كسبوا بهذه التجربة ما يظهر في التغيرات التي احدثوها في عملهم بعد أن تحققوا أن الطرق المستخدمة في عهد الأسرة العشرين قد فشلت في المقصود فكان جل همهم موجهاً نحو معالجة النقائص الكثيرة الموجودة في موميات الأسرة التاسعة عشرة والعشرين فملأوا الخدود الفائرة حشوا بالقماش أو الطين ووضعوا عيوناً صناعية وحفظوا الاذنين والأنف والشفيتين بالشمع وصنعوا الخدين باللون وأدخلت على الفن عناصر أخرى جعلت المومياء شبيهة بالصورة الحية الأصلية

ووصل فن التحنيط إلى أوج تقدمه أثناء الستة قرون من سنة ١٥٠٠ إلى ٩٤٠ ق. م. وهي المدة التي يرجع إليها عمر الموميات الملكية في متحف القاهرة وتكشف تلك الموميات عن ممارسة قدماء المصريين فن التحنيط أثناء عظمتهم وكما له وتمدنا بالمعلومات التي تبصرنا بتاريخ التحنيط

وقد بينا الغرض الذي يرمي إليه قدماء المصريين من بناء وتجهيز قبور ملوكهم فكانت جثة فرعون تحنط ليضمن استمرار بقائها داخل القبر ودعاهم ذلك إلى تجهيز القبر بسخاء وتزويده بكمية كبيرة من الطعام ليعينه ويعطيه كل الراحة والرضاء حينما كان حياً يرزق

وأضافوا إلى ذلك النقوش على جدار المدفن وعلى تابوته ونعشه وعلى أوراق البردي الموجودة في قبره وكتابة خاصة توضح اتحاد باوزيريس . . ومما وجد في صحبة موميات ملوك الأسرة الثامنة عشرة ما يسمى « اوزيريس المنبت »

ولقد وجدت أمثلة عدة من هذا الرمز في مقابر الأسرة الثامنة عشرة وحتى عهد امنحتب الثاني عام ١٤٢٠ ق. م. كما يلاحظ ذلك في قبر خليفة حرمحب عام ١٣١٥ ق. م. وتحتوي على صندوق مجوف طوله نحو خمسة أقدام يمثل الإله اوزيريس لابساً تاجاً وبيده السوط والعصا وبعنقه قلادة

وبملاون هذا الصندوق بالثري تبذرفيه حبات من الشعير حتى اذا ما نبتت وارتفعت إلى علو بوصتين أو ثلاث ثبت عليها غطاء خشبي وهذا الغطاء منحوت وملون بالأصفر ومكتوب عليه أخبار الجثة والحلي



الفصل الثالث والعشرون

الملك أوزيريس

وان اتحاد الملك الميت مع أوزيريس (الذي كان نعشه في البدن مملكا ميتاً) والذي رمز الى قواه السحرية بالشعير النبات يعتبر كمجدد للحياة وما منح استمرار البقاء

ولقد فسرنا فيما سبق أن كل عادات المصريين الأولين في الدفن وحفلات المقابر كانت موصى بها في تطويل البقاء وكان الجسم يحنط لثلاثي ويبيد ويمد بالطعام الوفير وبكل ضروريات الحياة لتطول بقاء الجثة ومدة حياتها وأخذ الشعير دورا هاما في العقيدة الأولى وكان الشعير قوام الحياة وهو الذي يصنع منه الجعة الشراب المقدس رمز الحياة .

إلا ان الصورة التي تتخذها حبة الشعير في نبتها ونموها أدى الى الرمز بها عن منح الحياة . وأم الغلال أخذت شهرة في كونها قادرة على تطويل البقاء في طرق أخرى غير امداد الطعام والشراب

ولقد ترجم المسيولا كو كتابات النعوش في الدولة الوسطى ٢٠٠٠ ق . م . مما يشير الى اتحاد الميت باوزيريس والشعير

وفي كتابات الاهرام قبل ذلك بقرون طويلة فقرة ترجمها الاستاذ برستد هذه فصحها « انا أوزيريس . أعيش كالآلهة . أعيش كالحبوب ، وأتمو كالحبوب . أنا الشعير »

وكما ان النيل الذي مثل باوزيريس حمل الحياة الجديدة الى حبات الشعير بريها بمائه كذلك اعتبر الاله قادرا على منح اجازة جديدة للبقاء للميت



الفصل الرابع والعشرون

وادي مقابر الملوك

حوالي عام ١٥٠٠ ق . م . حينما اختار الملك تحتمس الأول تلك المفازة المنفردة المعروفة الآن بوادي مقابر الملوك مكاناً لمدفنه وجاراه خليفته امنحتب الأول فيما صنع فصنع قبره بجوار سابقه وكانت المعابد قد أخذت تشيد بجوار القبور إذ حلت مكان الحجرات التي كانت تصنع مع المقبرة لكي يضع فيها أقارب الموتى تقدماتهم وقرابينهم من طعام وشراب ليظل الميت خالداً وكانت تقام في هذه الحجرات حفلات خاصة من حين لآخر بقصد أن يتمتع الميت بمعاشرته ذوي قرباه وبالطعام الذي يأتونه به ولكن هذه الوسائل كانت أيضاً عاملاً لمنع الحياة اليه وتثبيت خلوده . أخذت هذه الحفلات بعد ذلك شأناً اعظم وارتقت تلك الحجرات الى معابد وحدث تغيير في مغزاها فبدلاً من أن كانت طريقة لتوصيل الزاد وضروريات الحياة أخذت هذه الحفلات تقام بمثابة عبادة للميت وعلى ذلك فلم يعد الطريق الضيق الموصل بين المعبد والمدفن ضرورياً كما كان في الأيام السالفة حينما كانت الحفلات في المعبد يقصد بها احياء جثة الملك أو اقامة عوضاً عنه تمثاله وفي أواخر القرن السادس عشر ق . م . بدأ الملك تحتمس الأول يجهز قبراً لنفسه بعيداً عن معبده بعدة أميال وهكذا نرى الآن لكثير من الكنائس في أوروبا مقابر في فناءها منفصلة عنها أما العمل الذي افتتحه تحتمس الأول من تفريغ المدافن الملكية في وادي طيبة المشهورة فظل متبعاً من عام ١٥٠٠ ق . م . حتى أواخر الأسرة الحادية والعشرين حوالي عام ١٠٩٠ ق . م . وشهد امنحتب الثالث الذي دفن سنة ١٣٧٥ ق . م . عن سابقه الأربع الذين دفنوا في الوادي الشرقي وصنع مدفنه في الوادي الغربي ثم لما خلفه ابنه المشهور امنحتب الرابع (اخناتون) أتى ببديعة جديدة في صنع مدفنه في عاصمته الجديدة مدينة (أفق آتون) في الموقع المعروف الآن بتل العمارنة وكان مدفناً

مفرغا في صخور الجبال يبعد نحو سبعة أميال عن شرق عاصمته الجديدة التي شيدها في منتصف المسافة بين طيبة وممفيس العاصمتين القديمتين لمصر السفلى والعليا ويظهر انه دفن هنالك في التابوت المصنوع من حجر الجرانيت الذي يرى الآن مهشما ولما خلف اخناتون زوج ابنته توت عنخ آمون وعاد الي دين طيبة القديم رأى أن ينقل مومياء حموه من مدينة الأفق إلى مدافن طيبة وضع لها مقرها الأبدى في وادي المقابر حيث اكتشفه عام ١٩٠٧ المستر ارثر ويجال الذي كان مفتشاً للآثار في الوجه القبلي وكان يشتغل بالحفريات التي كان المرحوم المستر تيودور ديفز قائماً بها

ولا يعلم ماذا حدث لمومياء خليفة اخناتون سمنقرا ولكن اكتشاف المستر هوارد كارتير أرانا انه اثبت رجوعه للدين القويم بصنعه مدفنه في الوادي الشرقي بين عباد آمون . .

ولأسباب لم توضح بعد لماذا صنع خليفته « آي » مدفنه في الوادي الغربي ودفن بجوار المنحطب الثالث ويظهر انه كان وزيرا له في حياته ويظنه بعض المؤرخين والدا أو متبنياً لنفرتيتي زوجة اخناتون . .

واقعد كان يعتقد البعض حتى اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في الوادي الشرقي في نوفمبر سنة ١٩٢٢ (ومنهم السير جاستون ماسبرو وغيره) ان القبر ربما وجد في الوادي الغربي وكان مدفن الملك « آي » من أسبق المقابر الي الظهور بعد مقبرة أمنحتب الثالث ولما كانا في الوادي الغربي ظهر أنه من المحتمل أن توت عنخ آمون الذي سبق « آي » يكون مدفونا هناك أيضاً . ولكنه أثناء صنعه مدفناً ثانياً لـ اخناتون في الوادي الشرقي كان يصنع لنفسه أيضاً مدفناً هنالك حيث سار على منواله كل من خلفه الا « آي » ويعرف هذا الوادي العجيب عند المصريين الحاليين بباب (أو بيان) الملوك وكان معروفا عند السائحين منذ أن صنع مدفن ملكي وكان اليونان والرومان يعجبون بتلك المقابر الشبيهة بالنفق ويذكر سترابو أنه رأى أربعين من تلك القبور ولكنه

لم يوضح لنا هل رأى ضمن هذه مقابر الوادي الغربي وقبور الملكات وغيرها .
وقد أفتتح باب البحث الحديث الرحالة بلزوني الذي فتح قبر سيتي الأول عام
١٨١٩ ووصف ما على جداره من صور قبل أن ت تلف وتهدم وأحضر معه الى
لندن ناووس هذا الملك الاصنوع من المرمر الفاخر وهو الآن في متحف
السير جون سون في مروج لنكولان

وأشتهر عام ١٨٨١ باكتشاف الموميات الملكية وبعد خمس سنين لما أزيلت
اللفائف عن جثة سيتي الأول ورمسيس الثاني بدأ الناس ينظرون الى الوجوه
الحقيقية لأولئك الحكام المشهورين والذين ظلت شهرتهم أكثر من ثلاثين
قرناً خلت

وقد نوه باكتشاف موميات ملكية في مواضع عدة ولكن ما كانت تلك
الأنباء لتصادف تصديقا إذ كانت تعد جثثا لقوم مجهولين عاشوا في زمن أقدم
من المقابر المنبوذة التي كانوا فيها وحدث مثل ذلك الخطأ في مومياء من الأسرة
الثامنة عشرة وهي الآن في متحف القاهرة وقد وجدت في اهرام سقاره وزعم
أنها مومياء ان الملك ببي في الأسرة السادسة وكذلك في الهيكل العظمي (وليس
المومياء) الموجود الآن في المتحف البريطاني الذي وجد في اهرام مكرينوس
الذي ظن أنه هيكل ذلك الفرعون . . فلا اكتشافات التي عملت في الخبأ المشهور
بقرب الدير البحري عام ١٨٨١ وفي وادي مقابر الملوك بين عامي ١٨٩٨ و ١٩٠٨
كشفت عن الموميات الحقيقية لأعضاء الأسرة المالكة التي وصلت إلينا ولكن
هناك هياكل عظيمة أقدم منها قد وجدها المسيودي مورجان في اهرامات
دهشور منذ نحو ثلاثين عاماً . . وقبل اكتشاف الجثث الأصلية لأولئك
الحكام المشهورين بزمن طويل كنا قد اعتدنا رؤية بعضهم من تماثيلهم وصورهم
وكان يزور السائحون المقابر المنبوذة لبعض الملوك العظماء في الأسرتين
الثامنة عشرة والتاسعة عشرة منذ العصور التي خضعت مصر فيها لليونان
وفوق ذلك فإن الجثث نفسها قبل أن تظهر بعشرين سنة كان تجار الآثار

يبيعون مجموعة من أوراق البردي (التي وصل معظمها الى إنجلترا) وقد ذكر فيها عن المقابر الملكية بظيها

الفصل الخامس والعشرون

اعترافات لصوص المقابر

في مجموعة المرحوم لورد امهرست التي بيعت أخيراً في لندن وجدت وثيقة بردية من حكم رمسيس التاسع (نحو ١١٢٥ ق.م.) تنص على محاكمة ثمانية من خدم رئيس كهنة آمون الذين اتهموا بنهب مدفن الملك « سبكمان » من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . وادترافات المسجونين والذي قدمه الى فرعون وزيره وحاجبه ومحافظ طيبة ترجمها الاستاذ برس نيوبري كما يلي : « لقد فتحنا الأُكفان واللفائف التي كانت عليها فوجدنا المومياء الشريفة وكان معها سيفان وحلي كثيرة وعقود من الذهب في رقبته وكان رأسه مغطى بالذهب فانتزعنا ما وجدناه من الذهب على مومياء هذا الاله (أي الملك الميت الذي اتحد مع اوزيريس) ووجدنا الملكة أيضاً وانتزعنا ما وجدناه فوق ممائها أيضاً وحرقنا اللفائف ثم أخذنا مما وجدناه في مدفنها من أثاث ذهبي وآنية نحاسية وفضية »

وقد اتضح أن أولئك المتهمين الذين اعترفوا بذلك مجرمون وحكم عليهم بالبقاء في سجن معبد آمون لينتظروا العقاب الذي سيقرره مولانا فرعون وثمة أوراق بردية أخرى مشهورة فيها محاكمة المعتدين على المقابر الملكية وفي ورقة « أبوت » البردية الموجودة في المتحف البريطاني تقرير المفتشين عن المقابر التي قيل عنها أنها سرقت وفي متحف مدينة لفربول بإنجلترا ورقتان برديتان تنصان على نهب في وادي مقابر الملوك . واحداها تهمنا الآن لأنها تتعلق بالاعتداء على قبر رمسيس السادس الذي هو فوق قبر توت عنخ آمون مباشرة واكتشف أمر اللصوص لانهم تنازعوا فيما بينهم على تقسيم الغنيمة . وكان من عادة لصوص القبور في سرعتهم إلى الوصول إلى الذهب والجواهر

من الموميات أن يشوهوا من الجثة وأربطتها فني سنة ١٩٠٥ حينما فكت أربطة موميا رمسيس السادس (الذي نقل قديماً الى قبر المنحطب الثاني حيث اكتشفه المسيو لوريه عام ١٨٩٨) وجدت الجثة مقطعة مهشمة وهذا بلا شك أذى مقصود وحسن الحظ أن قبر توت عنخ آمون قد نجا من مثل هذا التنكيل

الفصل الخامس والعشرون

اخفاء الموميات

ان اكتشاف الموميات الملكية في عام ١٨٨١ لاسيا بقايا المالكين المشهورين سيتي الأول ورمسيس الثاني أظهر الاحتياطات التي اتخذت لصيانة تلك الجثث من الأذى والعناية التي قام بها المحافظون على المقابر في نقل الموميات من مكان لآخر لتخليصها من يد العبث وقد كشفت لنا الحالة التي شوهت في مدفن توت عنخ آمون ما كان يفعله اللصوص في السرقة إذ كانوا يبدأون في نهب القبر بعد قفل الغرف مباشرة وأثناء حكم الأسرتين العشرين والحادية والعشرين حينما كانت ادارة البلاد في حالة من الضعف والارتباك سهل الأمر للصوص المقابر فازدادوا جرأه وأن التقرير المكتوب على أ كفان سيتي الأول ورمسيس الثاني ليكشف لنا عن مبلغ التقصير الذي وصلت اليه الادارة حينذاك نخوفاً من العبث بالجثث كانت تنقل من مكان الى آخر وقد نقلت جثة رمسيس الأكبر الى مقبرة أبيه سيتي الأول الذي بقيت جثته لمدة من الزمن محفوظة في ناووسها المرمرى الموجود الآن في متحف السير جون سون في لنكولن ولكنه في حكم سيامون (٩٧٦ - ٩٥٨ ق. م.) خبئت الموميتان في قبر ملكة اسمها « انحابي » ثم نقلتا ثانية بعدها بنحو عشر سنين الى قبر كان قد هيء لامنحطب الاول بالدير البحري وهنا ظلام مع أكثر من ثلاثين جثة ملكية أكثر ثمان وعشرين قرناً حتى استكشفت منذ خمسين عاماً ولكن مازال أحفاد لصوص المقابر في طيبة يتعدون على المقابر لسرقتها . .

ولم يدرس السير جاستون ماسبرو ورقة البردى الراجعة الى الاسرة العشرين
عَبثاً لانه حصل منها على اعتراف قيم

وحكاية نهب المقابر والموميات الملكية ونقلها من مخبأ الى آخر لم تدع مجالاً
للدهشة من رؤية الاكفان منزوعة ولكن بعضاً من الموميات بعد أن ربطت
وافقت ثانياً في زمن الاسرتين العشرين والحادية والعشرين وضعت في ثوابيت
لم تكن لها مثلاً حينما زعم أن الجثة هي مومياء رمسيس الاول (من ملوك الاسرة
التاسعة عشرة) وجد بدله امرأة ذات شعر أبيض مخنطة بطريقة تشبه الطريقة
المتبعة في أوائل حكم الاسرة الثامنة عشرة . وكذلك الحال حينما فحصت مومياء
« ستنخت » أول ملك في الاسرة العشرين وجد أنها جثة امرأة مخنطة بطريقة
أستعمت في زمن ستنخت خليفة الملك سيتي الثاني من ملوك الاسرة التاسعة
عشرة ومن المحتمل أن تكون هي الملكة « توسرت » زوجة الملكين سبتاح ثم
سيتي الثاني ..

مثل هذه الاكتشافات تدلنا على أن وادى مقابر الملوك لم يبح لنا بكل
أسراره الخفية لان هناك موميات ملكية نعرف أنها دفنت هناك ولم تر بعد ..
واذا كان فحص الموميات الملكية يخبرنا عن مبلغ التعدي على المقابر (وليس
ثمة قبر قد ترك على حاله كما كان) فأنها تعطينا أيضاً فكرة عن مقدار الحلي
والجواهر التي أثارت من جشع اللصوص منذ ثلاثين قرناً وأن اللغائف الممزقة
لتحدث عن قيمة الحلي التي كانت الموميات مزدانة بها فوق الرأس والعنق
والاطراف وكذلك ما يكشف منها من حلي الذهب والعقيق وغيرها لثريتنا جمال
ذلك البهرج الذي تحلى به الميت

وفي سنة ١٩٠٩ أثناء فحص مومياء الملكة هوتي التي أعتدي عليها وجد
طبق جميلاً كبيراً من الذهب الخالص غريب في حجمه ونقشه وصنعه
من كل تلك الاعتبارات السابقة يلزمنا أن نقدر سلامة جثة توت عنخ آمون
وما يوجد معها من حلي وجواهر ذات جمال وقيمة . وأن مثل تلك الجواهر كالتى

عثر عليها المسيو مورجان في اهرام دهشور عام ١٨٩٢ لتزيدنا عجباً من دقة تلك الصناعة القديمة والمهارة الفنية المدهشة . .

وجواهر الامرئين الثامنة هشرة والتاسعة هشرة المعروضة الآن في عدة متاحف (لاسيما متحف القاهرة والوفر بباريس) لنعيننا أن تلك المهارة الفنية والمقدرة الصناعية لم تنزل عن مستواها . (راجع كتاب الفن المصري لماسيرو) وأكثر ما يهمننا في اكتشاف قبر توت عنخ آمون المومياء نفسها وذلك لان المومياء تساعدنا على معرفة تقاطيع وجوه الملوك والملكات وعلى استجلاء شخصيتهم أكثر مما ترينا عمرهم وعاهاتهم وأنها النور الذي يسطع في التاريخ معلننا عن القدم وعن رقي فن التحنيط . .

في عام ١٩٠٧ حينما وجدت العظام التي ظن خطأ أنها جزءة من مومياء الملكة المشهورة « تي » ظهرت أنها بقايا هيكل عظمي لشاب يبلغ من السن أكثر من ست وعشرين سنة واليوم لم تترك شواهد علم الآثار دلائل للشك في أنها الهيكل العظمي للملك لفتاتون ولكن الشواهد التاريخية تنطق بأن اخناتون مات وله من العمر ما لا يقل عن ثلاثين سنة (أو كما قال الاستاذ كرت سيت ٣٦ سنة) وهذا الخلاف وسع الدرس في تاريخ اخناتون من الوجهة الطبية فلامح اخناتون التي ترى في وجهه ورأسه وغهاة ساقيه وجسمه مما لا يقل عن نقائص خلقه وفشله السياسي كل ذلك اثبتته الطب الحديث انه ناجم عن اختلال في نظامه الجسدي وبدراسة ذلك جاز اعطاء اخناتون عمراً قدره ٣٦ عاماً

ولم تنزل ثمة معلومات تستفاد من دراسة المومياء الملكية في نور العلم الحديث وباستخدام الوسائل العملية التي تساعدنا على استخراج كل المعلومات الممكنة معرفتها من بقايا أولئك الفراعنة الأقدمين . .

وأن أهمية دراسة فن التحنيط العملي كواسطة الى كشف تاريخ المدنية الغابر لموضوع لا يتسع المقام لذكره في هذه العجالة واقد ذكرته لأن جل ما علمناه يقيناً عن تاريخ التحنيط مأخوذ من المومياء الملكية نفسها

ولقد نشر الدكتوران املين وبرس الفرنسيان مجلة فرنسية عام ١٩٢٠ مذكرة غريبة عنوانها « امنحتب الرابع وعقليته » وقد وصفتها بالغرابة مشيراً الى موضوع كتابهما هذا لانهما يذكران نقطة هامة بالنسبة للتشخيص الذي تخيلاه دون أن يحاولا أن يثبتا ذلك من بقايا الفرعون نفسه وكم من طبيب جهل حالة جمجمة ذلك الملك فبنوا رأيهم على مارأوه من صور اخناتون وتاريخ أعماله رأوا في اجزاء جسده عوارض بنوا عليها الآراء جزافاً مثل ضخامة أعلى الجسم وفي الفخذين وقد وصف باركر عام ١٩٠٧ هذا التأثير الغريب الذي هو نادر في الرجال .

واسوء الحظ لم يقرأ مثل أولئك الأطباء ما كتبه للقائمة العمومية المتحف المصري والمطبوع في الكتاب المسمى « الموميات الملكية عام ١٩١٢ » والا كانوا قد تحققوا ان اخناتون كان خاضعاً (للدستوسيا) مما يراجع من الوجهة الطبية في كتابي الآنف الذكر . .

وقد حير العلماء شكل رأس اخناتون وبناته وبعض أعضاء في أسرته لمدة اكثر من نصف قرن قبل زمنه .

ولا شك ان ذلك الشذوذ في هيئة رأس اخناتون كان ناجماً عن أسباب مرضية وان الانحراف الكبير في رؤوس بناته الممثل في تماثيل تل العارنة والتي توجد الآن في برلين هو نتيجة التشويه الصناعي كما كان وما زال يحدث في اسيا الصغرى وشمالى سوريا وقد كان بين أسرة اخناتون والأسرة المالكة في تلك البقاع صلة وعلاقة



الفصل السادس والعشرون

حول قصة الطوفان

منذ نصف قرن ارسلت جريدة (الديلي تلغراف) الانجليزية المسترجورج سميث الى بلاد الجزيرة (ميزوبوتاميا) لينقب في أطلال تلك الجهة عن آثار مكتبة آشور بانيبال في نينوي وليبحث عن بقايا كتابات تكمّل الموضوع الكلداني عن الطوفان وقد أشار اعلان الاكتشاف عام ١٨٧٢ عجباً كبيراً . ومع ان ما كشف من قصة الطوفان في مكتبة آشورية لا يرجع الى أقدم من القرن السابع قبل الميلاد فان المسترجورج سميث تنبأ أن المستقبل سيكشف ترجمة أقدم من ذلك تكون منبعاً للوحي المذكور في سفر التكوين من التوراة

واكتشاف الكتابة السامرية الحديث عن تلك القصة مما كتب قبل تقرير آشور بانيبال بعشرين قرناً أيد تنبؤ جورج سميث . .

ولكن كم يدهش المرء حينما يعلم أن وادي مقابر الملوك في مصر قد أوحى الفكرة التي قدر لها أن تنتشر في انحاء المعمور حاكية عن الطوفان العجيب وحوادثه الغريبة . .

ففي مقبرة سيتي الأول يرى منقوشاً على جدارها وذلك بعد دفن توت عنخ آمون بما لا يقل عن سبعين سنة قصة هلاك البشر المشهورة ورغماً عن انها أحدث كتابة من القصة السامورية فان وجود هذه القصة في وادي الملوك حير علماء هذا العصر إذ أن اصلها يرجع الى العام الرابع آلاف للخلقة .

ولو ان القصة الواردة في قبر سيتي الأول لا تروي حدوث الهلاك بالطوفان إلا انه من الواضح أن القصص المصرية والأشورية لها أصل واحد

واذا سئل لماذا تكتب مثل هذه القصة في قبر فرعون مصري فالجواب أن غرضها أن تدخر للملك تلك الهدايا التي يدور حول الاحتفاظ بها محور القصة وانها تقول كيف أن الشيخوخة بدأت تدب في كيان الملك الذي يتوقف على

بأسه ووجوده صلاح المجتمع وحل بنفس الملك استياء حينما بدأت رعيته تتدمر من اضمحلال قوته لأنه في الايام القديمة كان الطريق الوحيد لضمان تقدم الامة كما زعم هو قوة حاكمها فاذا بدأت تلك القوة تخور جاز ذبحه واستبداله بمن له بأس وقوة

وتصف تلك النقوش التي تزين جدار مدفن ذلك الملك كيف غلب فرعون القدر وأعاد نفسه الى الشباب وأما اكسير الحياة فاستمده من دم رعية المذبوحين الذي اذنتهم جريمة العصيان والتدمير فيما بينهم على انحطاط صحة الملك ولكن لما ذبحوا وعاد الملك الى قوته وشبابه غلبه طول البقاء على الارض فامتطى ظهر البقرة السماوية ووصل إلى السماء وحصل على الخلود

وهذه القصة المشهورة التي قصد بها حيلة سحرية للحصول على ذاك القضاء لفرعون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كما احتوت على روح الخرافة التي عاشت وانتشرت في أوائل تاريخ المدنية واذا لم توجد هذه القصة في مدفن توت عنخ آمون فلا ريب انها كانت منتشرة في أيامه لانها كانت مكتوبة على جدار مدفن أحد خلفائه بعده بما لا يزيد عن نصف قرن ومن الواضح أن القصة قديمة العهد جدا ولقد أشرنا اليها هنا لان كثيرا من الرموز المكتوبة على بعض ما وجد في مدفن توت عنخ آمون موضحة بهذه القصة الرمزية المذكورة في مقبرتي سيتي الاول ورمسيس الثالث

ولقد أوردت ذكر هلاك البشر لألفت النظر الى غرض مهم في القصة هو منح الحياة وبلوغ الخلود ففي الحكاية قد هلك البشر ليعدوا اكسير الحياة للملك حتى يصل الى الخلود التي هي صفة الآلهة الممتازة فدم الشهداء كان الاكسير الذي به يصعد ساكن الارض الفاني الى سماء الخلود والبقاء . والباعث على اهلاكهم في القصة هو أنهم وعصيائهم كما أنهم أذاعوا التقاويل عن قوة الملك الآخذة في الضعف وديبب الشيخوخة في أجله وأن الحاكم ايعتبر مثل هذه الاقاويل كحكم الاعداء إذ أنه في الايام السحيقة والعصور القديمة التي وصلت منها عناصر هذه

القصة الى عصر الملك سيتي الاول كان من العدل قتل الملك الهرم ليفسح مكانا الى ملك شاب قوى فلا عجب والحالة هذه اذا نار غضب الملك حينما وصل اليه تدمير رعيته عن ضعف قواه . .

ذلك الائم اثم العصيان كان المبدأ الذي يسميه اللاهوتيون « بالخطية الاصلية » وهى التي تظهر بشكل آخر في سفر التكوين من التوراة وأختلطت قصة ذبح البشر مع قصة فيضان النيل وشبه احمرار فيضان مياه النيل بدماء القتلى ولو أنه في الاصل كان كلا الامرين محمود النتأج اذ فيها تجديد قوة الملك وتقدم الامة فلما انتشرت عناصر هذه القصة الى البلاد الاجنبية دخلها خلط وامتزجت بها أقاويل فقيل ان هلاك البشر سببه الفيضان والغمر ولكنها وجدت لها سبيلا فى الآداب الدينية لا لانها تمثل غضب الالهة على الاشرار ولكن لانها تفسر كيف أن الملك أعاد إلى نفسه الشباب وحصل على خاصة من خصائص الالهة

وتلك الشواهد التي نقرأها فى مقابر المصريين ترينا مصادر الاعتقادات الدينية لكل قوم كانت لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بتلك الطريقة الغير مقيدة التي تفسر طرق الحصول على الخلود كما اخترعها كهنة المصريين وأنها توضح احدي السبل التي تري فيها الاداب العبرانية بين هذه التفاسير . .



الفصل الثامن والعشرون

الوصول الى السماء

لسنا نقصد هنا ذكر أدوات ومحتويات قبر مثل مدفن توت عنخ آمون إذ أن قراء الصحف اليومية والاسبوعية المصورة علموا من أمرها كثيراً وقد رأوا الحقيقة التي تتجلى من دقة الصناعة اليدوية التي يدهش لها حتي الذين عاينوا ما وجد في قبور تحتمس الرابع ويوا وتوا وأخناتون ويعجبون من المظهر المصري الجديد الذي تجلى في عشرات من المصنوعات التي وجدت في مدفن توت عنخ آمون كعرشه البديع وتلك العربات والمقاعد والتماثيل والنعال والحلى والجواهر . وفوق ذلك، التابوت الفخم الجميل وأن علماء الآثار الذين اعتادوا مشاهد الفن المصري الدفين الآن في متاحف العالم قد أفرغوا ما في جعبة بلاغتهم من وصف اعجابهم ودهشتهم حينما رأوا كنوز مدفن توت عنخ آمون ومن فوائد هذا الاكتشاف ظهور طائفة كبيرة أعمال الفن ومظاهر المدنية المصرية التي يرجع عمرها الى ثلاثين قرناً . .

ولنتكلم الآن عن الادوات الجنائزية . فان الادوات التي وجدت في القبر قسمان الاول ما كان يستعمله الميت وهو على قيد الحياة والآخر صنع خاصة للاغراض الجنائزية وهذا الفرق يظهر واضحاً في المقارنة بين العربات في الدهليز والتي في غرفة التابوت . . ولا أريد أن ادخل غمار البحث عن محتويات التابوت العجيب الذي يحتوي الجثة ولا أن أحاول وصف التابوت الذي هو قطعة من أعمال الفن الجميل ودقة الصنع . .

وقد دلت الشواهد في المقابر الأخرى التي اكتشفت أن قلب توت عنخ آمون سوف لا يوجد فيه بل يحتوي القبر الرئتان والكبد والمعدة والأمعاء وأكثر ما في مدفن توت عنخ آمون أهمية هي الثلاث فرش أو مضاجع ذات لاشكال الغريبة التي تمثل حيوانات كالبقرة والاسد وفرس البحر . ومع أن مثل

هذه المضاجع مصرية في صنعها ورسمها مألوف في مصر والسودان فانه لم ير مثلها من قبل وهي جديرة بالدرس اذ أنها تفسر الاعتقاد المصري بطريقة تعيد لنا ميزة ديانة السكان القدماء لوادي النيل ..

ان مسألة الوصول الى السماء بعد المات قد اعتبره اللاهوتيون المصريون طريقاً طبيعياً لازماً ..

فكيف يصل ساكن الارض الى العالم السهاوى وأى مركبة يستخدمها ليصل الى الممالك السهاوية ؟

إن الاعتقاد المصري القديم فى السماء كان مسلماته فى عالم العقيدة وجغرافية الحقول السهاوية ورسم السبيل المؤدى اليها وكانوا يمدون الميت بحضور مرشد ليجد طريقة فى السبيل المملوءة بالمصاعب والاعطال

ومع أنه كان يوجد عشرات من الطرق المختلفة التى يأمن بها الانتقال الى السماوات فانه كان هناك عربة واحدة قد اشتهرت منذ بدء التاريخ المصري كالواسطة فى حفظ الميت ومنح الحياة والخلود بحمله الى العالم الاخر وتلك هى البقرة السهاوية هاتور التى لا تمنح الحياة للموتى بولادة ثانية فقط بل هى أيضاً تحملهم فى الحياة باعطائهم اللبن الالهى وتحملهم فى المات الى السماء ..

وبين الكتابات القديمة المشهورة على جدار مدفن سبتي الاول توجد قصة تستحق الذكر عن عمل البقرة السهاوية هاتور أو « توت » كواسطة لرفع الميت الى السماء ليصل الى منازل الآلهة . فبعد أن عاد الملك الى شبابه بقوة الآلهة أصبح تعباً من عبء الحياة فوق الارض بين رعيته الذين أظهر واله تدمرهم وعدم ولائهم فى شيخوخته واضمحلال قوته فرأى الملك أن يهجر الارض ويصعد الى السماوات فاعتلى ظهر البقرة ووصل الى السماء حيث يتحد بالشمس ويصبح من الآلهة



الفصل التاسع والعشرون

وظيفة البقرة هاتور

إن عمل البقرة في وظيفتها كمر كبة لنقل المومياء إلى مقرها السماوي قد ذكره المصريون كثيراً في آثارهم ولكن انفراد البقرة في سيرها كان يبدو بطرق أخرى فكان الحفار المصري في رسمه يحب تمثيل البقرة المقدسة هاتور تحمي الملك الميت أو تسمح له بامتصاص اللبن من أفويقها . .

وقد ذكر السيز جاستون ماسبرو في كتابه « الفن المصري » (١٩١٣) فضلاً كاملاً (الفصل الحادى عشر) عن هذا الموضوع مبيناً في ست لوحات جميلة فيها تماثيل للبقرة مرتبة منذ عهد امنحتب الثانى (١٤٤٠ ق. م) إلى أكثر من ألف سنة بعدها . .

ولكننا نعلم أن وظيفة الحماية في البقرة هاتور كانت تصور بطرق أخرى أقدم في عهدها من بناء الاهرام (ومثل ذلك اللوحة الجميلة التي وجدها الاستاذ رسنر في معبد أهرام منقرع فى الأسرة الرابعة) منذ عام ٢٨٠٠ ق. م) وتعتبر هذه اللوحة لعدة أسباب من الوثائق التاريخية الهامة إذ نقش عليها أقدم مثال للكتابة التي وصلت اليها فى الآثار ولكنها هامة هنا لعلاقتها بموضوعنا الآن إذ أنه يوجد فى أعلى تلك اللوحة رسم رأس البقرة هاتور وكذلك الملك يلبس فى زناره رسوم رؤوس تلك البقرة . .

وكانت هاتور مانحة الحياة التي تطيل فى البقاء بعد الموت متصلة بالسماء تحمل المركبة اللائقة لحمل الميت الى الممالك السماوية حيث يسكن اله الشمس . .
وقد وجد فى مدفن توت عنخ آمون ثلاث مضاجع تمثل احداها البقرة هاتور والثانية نفس الآلهة فى صور لبؤة وربما ابنها هورس فى شكل أسد والثالثة « تورت » الهة فرس البحر . .

ومع أن مثل هذه الامثلة من الالاث الجنائزي لم ير من قبل فان ما رأيناه

على جدار مقابر مصر وايتوبيا وصور كتاب الموتى على الاوراق البردية أصبح عاديا فضلا عن انه في فصول كتاب الموتى ما يشير الى تلك الفرس في « صعود المضجع الجنائزى »

إن في مضجع هاتور صوراً غريبة عن البقرة المقدسة أقدم الامهات العظيمات اللاتى أعتقد أنهن خصصن لمنح الحياة ..

ربما ظهر من الغريب أن مصورى عصر توت عنخ آمون صنعوا مثل مضجع هاتور إذ لما كانت البواعث الدينية تضطر الرسامين أن يجيدوا صنع قطعة من الاثاث تمثيلا للبقرة التى لا تشبه المضجع كان الفنان يعمل في فن حقيقته مستحيلة الوقوع فكان يضحى بأرائه الفنية في سبيل العقيدة وليس هناك شك أنه في هذه الحالة كان يهرب من الحرج بقهر شعوره بالجمال ويفرغ نفسه علي العمل في إبراز نموذج ديني

ولنفهم لماذا أختيرت البقرة دون باقى المخلوقات لهذا الغرض علينا أن نتذكر المنطق المملوء بالاصرار وعدم التهاون الذى أوحى بكل تلك المعدات في القبر وأثاثه أما تحنيط الجثة وتلك الترتيبات المتقنة التى صنعت لصيانتها فكانت ناجمة عن العقيدة بأن استمرار بقاء الميت قد حفظ بفضل هذه المعدات ولكي يتأكد من ذلك لم يترك سبيلاً يوصل إلى ذلك الغرض

وقد جعلت الكتابات على جدار المدفن وعلى الاكفان والتابوت وأوراق البردي لتؤيد اتحاد الملك الميت مع أوزيريس حتى يمكنه أن يشارك الاله في قضائه وقد صنعت صورة أوزيريس بارزة من الشعير المقدس الذى كانت تعتبر كل حبة منه نموذجا للام المانحة الحياة وكصدر لضرورة المحافظة على خلود الميت ومن وقت لآخر كانت تقام حفلات عند المدفن أو في المعبد المجاور له في طيبة لتخفف عن الميت ألم الوحشة وتشجعه على المقاومة والصبر

ورأى قدماء المصريين أنه يمكنهم أن يعملوا على خلاص انفسهم وأن مملكة

السما يمكن الوصول اليها بطرق طبيعية وسحرية فلم يدخروا وسعاً في العمل بصبر وثبات حتي النهاية العجيبة ..

وكانت الأم هاتور في الاصل رمزاً لمنح الحياة كما أن حبة الشعير كانت تعتبر قادرة على استخراج العوامل الضرورية على منح الحياة ثم لما أستؤنست الماشية واكتشف البشر لأول مرة أن لبن البقرة يصلح لغذاء أطفال الانسان تأثر الناس بهذا الاكتشاف تأثيراً عميقاً راؤا علاقة بين البقرة والبشر وأعتبروا البقرة كالمربية وجعلوها تتحد مع الأم العظيمة هاتور التي كانت صورتها حتي منذ ستين قرناً مضت صورة بقرة مقدسة ..

فكانت « الام العظيمة » تمثل ببقرة تارة وبحقة شعير أخرى وكانت أيضاً متحدة مع القمر الذي زعموا أنه يراقب قوى المرأة التي تعطيها الحياة .. وكان في الاعتقاد أن مانحة الحياة والخلود البقرة المتحدة بالقمر والمركبة مخصصة لحمل الملك الميت إلى الممالك السماوية في الاعالى وهناك شعر يقول « قفرت البقرة إلى القمر » . وترى البقره الممثلة بالمضجع كرمز للسماء منقوشة بالكواكب على سطحها الاسفل من جسمها

ويفسر ارتفاع تلك المضاجع بهلاقتها بالسماء ففي كل أدوار التاريخ المصري كان الكتاب والمصورون مغرمين بهذه القصة من وصف حمل الملك الميت الى السماوات على ظهر البقرة وتفسر هذه العبارة في بعض كتابات مدفن سيتي الأول التي سبق الاشارة اليها ولكنه في الأيام التالية أصبح من الشائع تمثيل البقرة المقدسة وهي تحمل الميت أو مومياء الحقيقية الى السماء وفي صور الجنائز تجدد المومياء محمولة على مثل تلك المضاجع التي وجد مثلها في مقبرة توت عنخ آمون فموضوع المضجع الذي على صورة البقرة قصده به ضمان انتقال الميت الى السماء بواسطة قوة سحرية . وقصة هلاك البشر (الطوفان) تبين تفسير المصريين أنفسهم لهذه الحادثة

وانتشر تأثير هذا الرأي المصري عن المركبات الحيوانية التي تصل الى

الآلهة وعم كل مكان في طول البلاد وعرضها في الأزمنة القديمة لانه إذا قدر مثل هذا المخلوق على حمل الملك الميت الى السموات ومنحه وسائل الخلود التي هي من خصائص الآلهة فان مثل هذا الحيوان هو الرمز المصور للاله وأما تفسير صورة اللبوءة التي تمثل الأم العظيمة المتحدة بالبقره فذكر أيضاً في كتابات مدفن سيتي الأول

إذ لما دعيت الالهة لتعيد شباب الملك الشيخ كان كسير الحياة الوحيد المعروف عندها هو الدم البشري وعليه فقد وجدت من الضروري ذبح كائن بشري وشبه عملها الذبحي بعمل رجل يذبح لبوءة كانت متحدة معها ولكن لما كانت اللبوءة صورة مناسبة وخاصة للرمز به عن مقدرة الأم على حفظ المومياء من الأخطار الكامنة في الطريق الى العالم الآخر وأصبح من المحبوب في المركبات الجنائزية تفضيل ظهر اللبوءة على ظهر البقرة وعلى كل حال ففي صور المضاجع الجنائزية يرى أن البقرة أكثر شيوعاً من اللبوءة

ولكن وجدت تفسيرات أخرى لرمز اللبوءة ومن ذلك ما وجد على بعض قطع الأثاث الجميلة الموجودة في قبر توت عنخ آمون ما يمثل الملك نفسه كأسد ذي رأس بشري يطأ أعداءه وكثير من الملوك سابقيه مثل تحتمس الرابع مثلاً كانوا يمثلون كذلك وحتى انه في القديم مثل الملك «مقرينيس» (٢٨٠٠ ق.م) كبشري برأس أسد في تمثال هائل وجد عند اهرامات الجيزة من العقيدة ففي زمن الاسرات كان اله الشمس متسلطاً في مصر وكان هوريس ابناً للشمس وكان الاخير مسئولاً عن العناية بالملك الميت اوزيريس وكان يعتقد أن البقاء المستر للاله (الملك الميت اوزيريس) كان معتمداً على الخدمات التي يؤديها هوريس فكان هوريس على ذلك هو الذي يؤدي العمل المقدس في منح الخلود

لاوزيريس وأيضاً على كل ملك ميت متحد باوزيريس

وباستمرار حمل الميت على مضجع اللبوءة كان مساوياً به رمزياً إلى وضعه في

عناية هوريس

وليس هوريس المرسوم على اثار القبر هو الأسد الحامي للملك الميت الذي يظا أعداءه بقدميه بل هو ابن اوزيريس القابض على عهد هبة الملك الميت انه ضامن الحياة الخالدة

وتظهر حيرة المرء بين مظهري هورس جليلة في صورة اكتشفها حديثاً الاستاذ جورج ريستر (وظهرت في صحيفة « أخبار لندن المصورة » في تاريخ ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ ص ٢٠٤) وهي منقوشة على أثر في السودان قبل عهد توت عنخ آمون بعدة قرون. وتمثل مضجع اللبوءة تحمل مومياء الملك « ارجمينيس » الذي تصور رأسه بشكل صقر هوريس وفوق المومياء ترى السماء منقوشة بالكواكب وبينها قرص الشمس يرسل خمس أشعات كواسطة لمنح الحياة للملك الميت ..

وفي كتاب الموتى في الفصل الثامن والسبعين يقول « الذي به يأخذ المرء هيئة الصقر المقدس » ويمثل الميت قائلاً : أنا أمثل نفسي كالصقر المقدس الذي قلده هوريس بنفسه ليأخذ ميراثه من اوزيريس » (راجع كتاب رنوف) فهل قصد بالمضجع الذي بصورة اللبوءة الرمز به كما رمز بالبقرة أى نقل الملك إلى السماء ليتحد مع الشمس ويتمزج بروح « رع » الاله السماوي ؟
وينذكر الدكتور الان جاردنر في كتابه « قبر امنحتب » في النقرة الثلاثين صورة من الهيروغليفية في شكل نجوم فوق الممياء المحمولة فوق مضجع اللبوءة ويترجمها كدليل على ان الميت « يرغب أن يوضع فوق النجوم في الجو » (ص ١٩١٩)

ونفس الرسم يحدث في الصور المفسرة لكتاب الموتى فالمضجع الجنائزي يمثل عادة بشكل أسد أكثر منه بشكل بقرة أو عجل البحر وفي الصور الجنائزية يرى من الشائع أن المومياء المحمولة على مضجع بشكل أسد موضوعة داخل التابوت (كما في الصور الأولى من كتاب الموتى شكل ٢٠)

وقد ذكر الدكتور الان جاردنر أمثلة جميلة وكذلك مستردي جارس ديفز في كتاب « قبر امنمحت » (١٩١٥) في فقرتي ١٢ و ٢٤ في حكم الملك تحتمس الثالث منذ قرن قبل توت عنخ آمون ولا شك ان هذا يرجع إلى الفكرة في اعتبار هوريس كحارس اوزيريس وأيضاً ان هوريس حارب اعداء رع وكان خير حماة الميت

وغير رمز الأسد هناك أيضاً فكرتان أساسيتان مشروحتان في القصة القديمة العهد عن هلاك البشر التي كانت مكتوبة على جدار عدة مقابر من خلفاء توت عنخ آمون ويرى أن الآلهة هاتور « البقرة المقدسة » مذكور عنها أنها جعلت ضحية بشرية لكي تنال الدم الذي به تعيد شباب الملك . وفي القصة يرفع رع الملك عن الارض على ظهر البقرة الى السماوات ليصير الها للشمس وقد نالت اللبوءة شهرة كذابحة للبشر ورمز لها بلبوءة ودعيت « سخمت » القائلة وعلى ذلك فاللبوءة والبقرة كانتا كلاهما صورتان وهبتهما لها الآلهة العظيمة هاتور ولكن في تطور قصة هلاك البشرية يأخذ الاله هوريس مكان الأم هاتور ويأخذ الثور والأسد مكانين كان يشغلها فيما سبق البقرة واللبوءة وفي حالة المضاجع الجنائزية ترى مع هوريس

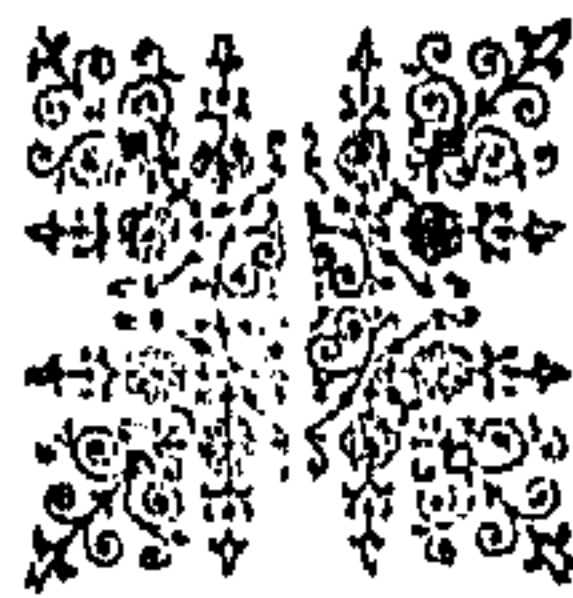
ولكن الانسان يجد صدقة في مقابر أكثر جدة أن المومياء تمثل محموله الى السماء على ثور بدلا من البقرة المعتادة ويوجد لهذا مثل في متحف جمعية الآثار في ادنبرج

ويرى المضجع الثالث مرسوماً رسماً رديئاً ويرى عجل البحر « تورت » ممثل آخر للأم العظيمة هاتور ولكن وضعت خصيصاً لتمثل كنصف زوجة عند ميلاد الآلهة والملوك وترى في صور مصحوبة بالبقرة هاتور عند باب المقبرة في الجبل الغربي وعملها لترأس عند ميلاد الملك الميت الثاني الذي منح حياة أخرى بعد الموت . واذا بدا ذلك غامضاً من اعتبار فرس الماء رمزا للولادة الثانية فلا يجب أن نهمل ما يسمى « شرفة الولادة » في معبد الدير البحري فالمضاجع ذات

الصورة الأسدية تمثل في منظر ولادة الملكة حتشبسوت وكما أشرت فإن كلا من الثلاث حيوانات البقرة واللبوء وفرس البحر يمثل أشكالاً مختلفة لنفس الاله هاتور . .

وكان المقصود من جعل هذه المضاجع ذات الشكل الحيواني الرمز بها الى ذهاب الموتى الى الاقاليم السماوية ومنح الخلود والالوهية اليهم . وقد انتشرت هذه الفكرة وأثرت في الشعوب الأخرى منه

وسأذكر ثلاثة أمثلة من هذه التأثيرات المختلفة فالاعتقاد في هذا الرمز أن الملك المحمول في مثل تلك المركبة يتحول الى اله سماوى أدى الى استعمال مثل تلك الرسوم في تمثيل الآلهة واصبح من الشائع في سوريا وبلاد الجزيرة وفي اليونان والهند وفي انحاء بعيدة من المعمورة حيث لعبت تلك المدنية دوراً هاماً في ربوعها سواء أكان مباشراً أم غير مباشر في ايجاد آلهة ممثلة بصور مركبات حيوانية كالثور أو البقرة والأسد أو اللبوء أو بعض حيوانات غريبة الشكل خرافية الهيئة . فالفكرة كلها عن مركبات الحيوانات التي لعبت دوراً كبيراً في الرمز الديني في الهند وشرق آسيا وأواسط امريكا هو خيال مصري بحث قد نشأ في وادي النيل ثم تناقلته الأمم وعم العالم



الكتاب الثاني

في عالم قدماء المصريين

مقدمة

ردنا في هذه الجولة المختصرة أن نلم بتاريخ قدماء المصريين ونوجز في القول ماشاء ضيق المقام ونحيل القارى المحب لتاريخهم الى مطالعة بعض الكتب التي أوردنا ذكر اسمائها في ختام هذا الكتاب وهى كتب قيمة مشهورة يعرفها العالم وتنقلها الامم الى لغاتها
ن . ي .

الفصل الاول

قبل الاسرات

قال الاستاذ فلندرس : « قام في مصر نوعان من المدنية قبل التاريخ الواحد تلو الآخر وقياسا علي ما نعرف من الزمن الذي تستغرقه المدنية لقيامها وزوالها لابد من أن تكون هاتان المدينتان استغرقتا نحواً من الفين وخمسمائة سنة وعليه فالمدنية الأولى بدأت منذ نحو عشرة آلاف سنة . ولنا دليل آخر على صحة هذا التاريخ في طمي النيل فان متوسط سمك هذا الطمي نحو أربعين قدماً وقد يزيد على ذلك أو ينقص عنه في بعض الامكنة ومتوسط ما يرسب منه كل مئة سنة خمس بوصات وعليه فالطمي بدأ يرسب من النيل على أراضي مصر منذ نحو عشرة آلاف سنة . ولم تكن الاراضي صالحة للزراعة قبل ذلك فلما تغيرت الأحوال وصار النيل يحمل الخصب الى مصر في طميه هرع اليها الناس من البلدان المجاورة القحلاء وأخذوا يفاعحون الارض ويزرعونها وقد خلفوا شيئاً من الآثار في مقابرهم وكبر هذه المقابر وكثرة القبور فيها يبعثان علي الظن أن سكنى الناس لمصر سبقت عهد التاريخ باكثر من ٢٥٠٠ سنة أي باكثر مما قدرنا كما تقدم والمدنية الاولى بدأت منذ عشرة آلاف سنة وانتهت منذ نحو تسعة آلاف سنة وبدأت المدنية الثانية منذ نحو من ٩٠٠٠ سنة وانتهت منذ نحو من ٧٨٠٠ سنة »

وقد ذكر غيره من العلماء أن حضارة مصر قبل الاسرات الملكية ترجع الى نفس ذلك التاريخ وقالوا ان مؤسس تلك المدنية قوم لوبيو الأصل غير أنه كانت بمصر مدنية مستقلة بذاتها منذ أجيال سحيقة (١)

ويقول المؤرخون ان المدنية التي ظهرت بظهور الاسرات الملكية بمصر يعزي أصلها الى أجداد الملك « مينا » الفاتحين وهم قوم ساميو الجنس لم تثبت

(١) يري الزائر في متحف أصوان اليوم آثار لمدينة مصر قبل التاريخ مثل آنية من الفخار وآلات من الطران وتمائيل صغيرة ومدى من الصوان ومصنوعات من الفخاس وغير ذلك

يقيننا أن كانوا قد دخلوا الى مصر من آسيا عن طريق برزخ السويس أو من طريق البحر الأحمر من جهة الحبشة ولكن الثابت أن أجداد « مينا » كانوا يقطنون الجهات الجنوبية من مصر وأن ما وصل اليها من لغتهم يشاهد فيه العنصر الافريقي والسامي مما يدل على أنهم ساميو الجنس

وقد دخل هؤلاء الفاتحون الى مصر ومعهم حضارة تفوق الحضارة المصرية آنئذ رقياً فهم الذين أدخلوا فن التحنيط والكتابة الهيروغليفية وقد أدى اختلاطهم بالمصريين الى اندماج العنصرين ونشوء المدنية وانتقلت الصناعة من الدور الحجري الى دور المعادن وصنعت اوان جميلة من الفخار والأحجار . وتمائيل من الحجر والخشب والعاج وفؤسا من النحاس وصيدت السباع والفيلة وافراس الماء من الغابات المنتشرة في البلاد كما صيدت التماسيح بالنشاب والسهم والحراب والسنار اما التجارة فقد اتخذوا لها سفناً شراعية الا ان الزراعة كانت همهم الاكبر لخصوبة تربة وادي النيل

وكانت مصر تشمل اذ ذاك ممالك عدة انتهى الأمر بانضمامها بعضها الى بعض وتكوين مملكتين كبيرتين احدهما في الشمال وتشمل الوجه البحري والاخرى في الجنوب وتشمل الوجه القبلي وكانت لكلتيهما رموز وشارات تميزها عن الاخرى ومن ذلك ان اهل الشمال كانوا يتخذون رمزاً لهم حزمة من نبات البردي وكان ملوكهم يتخذ النحلة شارة له بينما كان اهل الجنوب يتخذون الزنبق رمزاً وشارة ملوكهم تاج طويل ابيض وكانت عاصمة المملكة الشمالية مدينة « بوتو » وموقعها في شمالي الدلتا وعاصمة المملكة الجنوبية « نخب » ومقرها الآن قرية الكاب الواقعة بين اسنا وادفو

الفصل الثاني

الاسرة الاولى والاسرة الثانية

ومدة حكمهما ٤٣٠ سنة ومقر ملكهما « طينة » . وقد سبق ان ذكرنا استقلال مصر السفلى عن مصر العليا وبقي كل منهما مستقلاً بذاته حتي قبض على صولجان الحكم رجل قوي هو الملك « مينا » أو « مينيس » فتمكن بمهارته الحربية والسياسية أن يتولى حكم الاقليم الجنوبي ثم غزا مصر السفلى وضمها إلى ملكه فكون من الاقليمين مملكة مصرية عظيمة وكان هو أول الفراعنة الذين حكموها ولما رأى أن مدينة طينة (وموقعها الآن العرابة المدفونة قرب جرجا) لا يصلح موقعها لجعلها مركزاً لإدارة مملكته الجديدة بنى مدينة « منف » او منفيس لتكون عاصمة له وقد نظم ادارة البلاد وسن القوانين ورد اهل النوبة الى الجنوب ومات بعد حكم طويل ودفن بقرب « طينة » مسقط رأسه . ويقال ان مينا حول مجرى النيل من الجبل الغربى الى مجراه الحالى

وخلف مينا ابنه « تتي » وكان محباً للعلم والتأليف وله عدة مؤلفات فى الطب وغيره وبقي الاقليمان من بعده يحكمهما فرعون واحد غير انه كان من الصعب امام ملوك الاسرتين الأولى والثانية ارضاء اقليم الشمال وضمه الى اقليم الجنوب وكثيراً ما شق عصا الطاعة ونشأت عن ذلك حروب اريقت فيها الدماء

وكان ملوك هاتين الاسرتين اقوياء شديدي البأس وتقدمت مصر في عهدهم واخذت الهندسة المعمارية ترقى وحفر الترع يزداد والتجارة تنمو بين مصر وما جاورها من البلاد مثل شبه جزيرة العرب وربما بحر ايجه

الفصل الثالث

الأسرة الثالثة

ومدة حكمها ثمانون سنة (٢٩٨٠ — ٢٩٠٠ ق . م) ومقر حكمها مدينة « منف » (منفيس) التي وصلت في أواخر عهد الأسرة الثانية الى درجة كبيرة من الرقي فاقت فيها مدينة « طينة » التي ينسب اليها فراعنة الاسرتين الاولى والثانية ولما انقضى عصر الدولة الثانية أسس « زوسر » الأسرة الثالثة فبدأت (منف) تصعد سلم الرقي والعظمة وفي عهد هذا الملك استمر استخراج النحاس من شبه جزيرة سيناء وساعد زوسر في نجاح وزيره « أمحتب » الحكيم العالم وكان زوسر أول من شيد من الحجر أبنية عظيمة وأول من رقى بناء لمقابر وقد بنى بجهة « بني خلاف » بالقرب من « أبيدوس » مصطبة كبيرة من الطوب وهو صاحب هرم سقارة المدرج المعروف بقرب منف

وآخر ملوك الأسرة الثالثة هو الملك « أسنفرو » وكان بعيد النظر بنى السفن ومهد الطرق التجارية وتاجر مع الممالك الشمالية وبعث أسطولا مؤلفاً من أربعين سفينة لاحتضار أرز لبنان وغزا بلاد النوبة الشمالية وقد ارتقت مصر في عهده وشيد « أسنفرو » تربتين احدهما بجهة « ميدوم » على شكل هرم مدرج والاخرى بجهة « دهشور » على شكل هرم كامل .



الفصل الرابع

الاسرة الرابعة

انقضى عهد الاسرة الثالثة بوفاة اسنفرو فأسس « خوفو » او « كيبس » الاسرة الرابعة وقد حكمت مصر قرناً ونصفاً (٢٩٠٠ الى ٢٧٥٠ ق . م) تقريباً ويرجح ان عاصمة ملكها كانت (منف) وفي عهد هذه الاسرة المشهورة التي يعتبرها الكثير أقوى وأعظم الاسرات المصرية حيث بلغت مصر في عهد هاذرة المجد والرفعة والحضارة ونستدل على مبلغ قوة الملك وجبروته من تلك الآثار الهائلة التي خلفها وتلك الاهرامات المعروفة التي خللت اسماء بناتها بل ان اسم خوفو لاظهر اسم في ملوك الشرق اذ خلف بعده هرما هو أحد عجائب الدنيا وكان القصد من بناء الاهرام ايجاد مخبأ حصين لجثة الملك لاتصل اليها الأيدي في كرا القرون ومر العصور وستأتي كلمة عن الهرم الأكبر . ويمكننا ان نتصور نظام الحكومة وثناء البلاد وعظمة فرعون من التأمل في هذا الهرم العجيب الذي ما زال ثابتاً لاتغلبه الدهور ولا تنثني من رفعتة الأيام الذي قال فيه المسيو ماسيرو العالم الاثرى المشهور « يخشى الانسان الدهر ويخشى الدهر الاهرام » ولمامات « خوفو » تولى العرش الملك « خفرع » (ومعناه المقتبس من نورع) مشيد هرم الجيزة الثاني وخلف « خفرع » بعد وفاته « منقرع » مشيد هرم الجيزة الاصغر وفي أيامه بدأت قوة الملك تضعف قليلا بازدياد قوة كهنة « أون » (عين شمس) الذين دخلوا في غمار سياسة البلاد

وقيل ان « أبا الهول » الذي لا يعلم صانعه يقيناً عمل في زمن الاسرة الرابعة وقيل قبلها يبلغ ارتفاعه نحو ٢٠ متراً وطوله نحو ٤٦ متراً (١)

(١) وتضاربت الاقوال في لفظ أبي الهول فقال البعض انه كان معبوداً يسمى (حورنخوتي) التي تتركب من اللفظين (حور أي المعبود حوريس وخوتي أي الالفين) وكان يرمز به للشمس في النهار وللمريخ في الليل وغير ذلك من الاراء

الفصل الخامس

الأسرة الخامسة

أخذ كهنة « أون » أو كهنة « رع » بعين شمس يستبدون بأمر إدارة البلاد في أوائل عهد الأسرة الرابعة وبقوا على هذه الحال نحو ١٢٠ سنة حتى تمكنوا من إسقاط الأسرة الرابعة وتأسيس الأسرة الخامسة التي حكمت ١٥٠ سنة وكان مقر حكمها مدينة « منف » ولما كان الفضل في تأسيسها يرجع إلى الكهنة كان ملوكها أضعف من الملوك الذين كانوا قبلهم فاتخذ حكام الأقاليم من هذا الضعف ذريعة إلى جعل مناصبهم وراثية بيد أنهم حافظوا على الولاء للمليكهم وساعدوه في العمل على رقيها حتى أن مصر حافظت في زمن هذه الأسرة على حضارتها وراثتها ومن ذلك أن « أوسركاف » أول ملوك هذه الأسرة مد ملكه إلى الجنادل الأولى للنيل وأن « سحورع » الذي خلفه بعث حملة بحرية إلى الشواطئ الفينيقية وأخرى إلى بلاد (بنت) وشواطئ خليج عدن الجنوبية كما أرسل حملة برية إلى شبه جزيرة سيناء وأن الملك « اسيس » أرسل حملة أخرى إلى بلاد (بنت) وفتح محاجر وادي الحمامات (الممتد الآن بين قنا وبين القصير على البحر الأحمر) وأن الملك « أوناس » آخر ملوك هذه الأسرة وطد دعائم سلطانه جنوباً إلى الجنادل الأولى

ولهذه الأسرة آثار عديدة منتشرة في أنحاء مختلفة في الوجه القبلي ومنف وآخر أهرامها هرم « أوناس » بجهة سقارة



الفصل السادس

الأسرة السادسة

وحكمت ١٥٠ سنة ومقر ملكها « منف » وفي عهدها حافظت مصر على حضارتها ولكن زادت سلطة حكام الأقاليم فصاروا يلقبون بالامراء العظام ومع ذلك كان للملك عليهم نفوذ كبير فتمكن بمساعدتهم من غزو بلاد أجنبية فان « بيبي الأول » ثالث ملوك هذه الأسرة ارسل حملاته الى النوبة وفلسطين وفينيقية والى قبائل البدو الشمالية . وتمكن ابنه « مررع » بمساعدة امراء « المنتين » من حفر قناة في حجر الصوان بقرب الجنادل الاولى ليسهل عليه ارسال حملاته الى بلاد النوبة وذهب اليها بنفسه للاستكشاف وفي عهد « بيبي الثاني » الذي تولى حكم البلاد اكثر من تسعين سنة وهو أطول زمن لحكم ملك في التاريخ ارسلت الحملات الى افريقيا وبلاد بنت وكشفت جهات الجنادل العليا وزادت العلاقات التجارية مع السودان وبلاد بنت ولبنان وجزائر بحرايجه ولما مات « بيبي الثاني » خلفه عدة ملوك ضعفاء لم يلبث حكام الاقاليم في عهدهم أن استبدوا بأمر الملك ووقعت مصر في فوضى وانقسمت البلاد على نفسها فكان ختام عهد هذه الأسرة مظلماً مملوءاً بالفتن والحروب الداخلية انتهت بسقوط الأسرة السادسة التي تعد آخر أسرات الدولة القديمة ومن ملوك هذه الأسرة المشهورين الملكة « ينتوكريس » التي اتمت هرم الجيزة الثالث



الفصل السابع

الاسرتان السابعة والثامنة

ولم يصل اليينا من أخبار هاتين الأسرتين غير اسماء ملوكهما لأن مصر كانت تعاني اضطراباً داخلياً واضمحلالاً في عهد ملوك ضعفاء تولوا الحكم في عهد زادت فيه قوة الأشراف والأمراء حتى أدى بهم الأمر إلى تغلب أسرة منهم على ملوك الأسرة الثامنة الضعفاء فانتهت المدة الطويلة التي كانت فيها مدينة « منف » عاصمة البلاد ومقر الحكومة وصار مقر الحكم في مدينة « هرقلو بوليس » جنوبي الفيوم التي نشأت فيها وابتدأت بها الاسرتان التاسعة والعاشر

الفصل الثامن

الاسرتان التاسعة والعاشر

مؤسس هاتين الأسرتين هو « خيتي الأول » (اختويس) وكان ملوكهما ضعفاء ولم يخلفوا آثاراً تخلد ذكراهم واستمر الأمراء مستبدين بحكم الاقطاعات وكان منهم من يحنق على الملك ويعاديه ومنهم من يتقرب اليه ويتزلف مثل أمراء اسيوط



الفصل التاسع

الاسرة الحادية عشرة

وقد حكمت ١٦٠ سنة (من عام ٢١٦٠ الى ٢٠٠٠ ق . م) وأسسها أمراء « طيبة » الذين اشتدت سطوتهم وقوى بأسهم فأخذوا يوسعون ملكهم الى الشمال حتى أخذوا كل البلاد وكان يسمى بعض ملوك هذه الأسرة باسم « أنتف » والبعض باسم « منتوحتب » وقد غزا آخر ملوكها « سنخرع أمنتوحتب » بلاد بنت بطريق البحر الاحمر . ولم يترك ملوكها آثاراً كثيرة ولم يبق شيء منها الآن وكان مقر الحكومة في « طيبة »



الفصل العاشر

الاسرة الثانية عشرة

وحكمت ٢١٣ سنة ومقر حكمها « لشت » ومدينة الفيوم وقد أسس هذه الأسرة « أمنمحات الاول » (امنهات) بعد عدة حروب وكان عصرها زاهرا زاهيا بل هو أزهى عصور الدولة الوسطى قامت في مدة كانت مصر فيها مقسمة الى ولايات صغيرة يرأس كلا منها أمير ورث ملكه عن أبيه ولكنه كان يشعر مع استقلاله بواجب الطاعة لفرعون وبواجب نصرته ومساعدته وكان الملك يحيط نفسه بجيش قائم لحراسته وكان للأمراء كذلك رجال للحرب وبالجملة فكان نظام هذا العهد الاقطاعي مشابها للعهد الاقطاعي الذي ساد في أوروبا في القرون الوسطى فلما تولى أمر الملك « أمنمحات الاول » قام باصلاح البلاد بعد أن زلزلت أركانها أيدي الفتن والاضطرابات الداخلية ونقل مركز الحكومة من

« طيبة » الى « اللشت » التي تبعد عن منف ٢٥ ميلا واستخرج المعادن من مناجم الصحراء وقطع الاحجار وغزا بلاد النوبة حيث كان يوجد الذهب وبعد أن حكم البلاد عشرين عاما ارتقت في أثنائها مصر سلم المجد والعظمة أشرك معه في ادارة البلاد ابنه « أسرتش الأول » لتدريبه على شئون الملك وتوفي « امنمحات الأول » بعد أن حكم ثلاثين عاما خلفه ابنه « أسرتش الأول » الذي اشتهر منذ صغره بالشجاعة والقوة وقاد في حياة ابيه الجيوش لتأديب اللوبيين وبلاد النوبة وبدأ في حكمه مشروع خزان « موديس » وبنى معبداً بوادي حلفا وله هرم بجهة « اللشت » ومسلمته المشهورة بجهة المطرية . وخلفه « امنمحات الثاني » فحكم مصر في ظل الهدوء والسيكون ودفن بهرم بجهة دهشور وتبعه « أسرتش الثاني » ومن آثاره هرمه بجهة « اللاهون » بالفيوم وخلفه « أسرتش الثالث » وكان مولعا بالحرب فغزا بعض جهات سوريا وأخضع النوبة حتى وصلت الحدود المصرية الى ماوراء الجنادل الثانية وبنى هناك قلعتين ووصل النيل بالبحر الأحمر بخليج يعرف بخليج سيزوستريس وهرم هذا الملك بدهشور حيث عثر على حلي بديعة الصنع

وخلفه « امنمحات الثالث » فبلغت مصر في عهده درجة سامية في الحضارة واقضى عهد شوكة الأشراف ونظمت في أيام حكمه مناجم سيناء وأنشئ مقياس للنيل بجهة سمنا بالسودان وشيد خزاناً عظيماً للمياه في المكان المسمى الآن بحيرة موديس وأوصل الخزان بترعة (تعرف الآن ببحر يوسف) وشيد بجوار الخزان قصر « الليبرنت » العجيب الذي قال عنه « هيرودوت » انه يحتوي على ثلاثة آلاف محل ما بين غرفة وردهة نصفها تحت الأرض والنصف الآخر فوقها عدا ثماني ساحات مسقفة وقيل ان هذا القصر العجيب الذي لم يبق منه الآن غير أحجار قليلة كان مركزاً تدار فيه أعمال الحكومة اذ كانت الفيوم مقر الحكم وفي

زمن هذا الملك الساهر على مصلحة البلاد نظمت التجارة وهذا حال البلاد وتمتعت بالرخاء (١)

ولما مات دفن بهرم بدهشور فحكم بعده « امنمحت الرابع » ثم الملكة « سبكنفروع » ولكن كانت مدة حكمها قصيرة وأخذت البلاد تتأخر وأخذت عظمتها تضعحل فسقطت الدولة الوسطى .

~~~~~

## الفصل الحادى عشر

### الأسرة الثالثة عشرة

عقب عهد الأسرة الثانية عشرة عصر مظلم وقعت فيه في فوضى واضطراب لما وقع في البلاد من الانقسام والشقاق حتى أدى ذلك في أواخر أيام الأسرة الثالثة عشرة الى دخول قوم فاتحين من اسيا يعرفون بالهكسوس أو ملوك الرعاة ويسميهم العرب بالعمالقة فأسسوا لهم بالوجه البحري بلدة تدعى « هواره » وازدادت سطوة الهكسوس حتى أخضعوا كل البلاد فدفعت لهم الجزية

~~~~~

(١) ذكرت الصحف (في ديسمبر سنة ١٩٢٣) انه قد كشف مسيو فيرولو رئيس مصلحة الآثار في بيروت قبراً قديماً في جيبيل القريية من بيروت وجد فيه ناووساً ووجد في هذا الناووس عظاماً وأسناناً آدمية وعظام جل وثور وسمكة وطائفة من الاوانى منها ابريق يشبه أباريق الشاى الحديثة وهو مصنوع من الفضة ومنها أيضاً وعاء مصنوع من أعلاء بالذهب وقد وجد منقوشاً على هذا الوعاء امنمحت الثالث أحد فراعة الأسرة الثانية عشرة فاستدل من ذلك على تاريخ القبر الذى يقول ان صاحبه دفن فيه حوالى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد . والمسيو فيرولو يعتقد أن صاحب القبر كان عاملاً من عمال فرعون أيام كانت مصر امبراطورية في الأسرة الثانية عشرة

الفصل الثاني عشر

الأسرة الرابعة عشرة

بانقراض الأسرة الثالثة عشرة خلقتها هذه الأسرة وكان ملوكها مصريين
وكان مركز حكومتهم مدينة « اكسويس » (سخا) بالوجه البحري

~*~*~*~

الفصل الثالث عشر

الأسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة

وملوك هاتين الأسرتين من الهكسوس الذين قبضوا على زمام الحكم ولم
يصل إلينا كثير من آثارهم وتقوشهم لأن المصريين بعد أن طردوهم عبثوا بكل
آثارهم واحتقروهم وأزالوا كل نقش يدل على حكمهم وقيل ان قدوم سيدنا يوسف
الصادق كان في عهد الأسرة السادسة عشرة



الفصل الرابع عشر

الاسرة السابعة عشرة

وحدث فيها كما حدث في الأسرات الأربع التي سبقتها اضطراب كبير وحروب داخلية وفي زمن هذه الاسرة انقسمت البلاد الى ولايات صغيرة منها « طيبة » وأخذ أمر ملوك الهكسوس في الاضمحلال

واليك مقالا نشر في الاهرام عن مجمل تاريخ تلك الفترة لأديب قال — :
« لم تكن هذه الازمان التي تمر بها مصر الآن وهي تقاسى الآلام الوانا لنيل استقلالها التام بقاصرة على أيامنا هذه فقط بل هي سنة الطبيعة أم العجائب تدور في كل زمان دورتها وتعود عودتها محكمة الصنع كأنها دائرة مع الكواكب والسيارات بنظام محكم التطبيق حتى انه لو قام بيننا الآن «سكندرية» لاستغرب عودة التاريخ على نفسه فنحن اليوم في حال كانت عليها مصر أمنا منذ سنة ٣٨٤٢ أى في سنة ١٩٢١ قبل المسيح اذ كان يحتلها الهكسوس عرب الرعاة أو العالقة وذلك بواسطة التجارة مهنة اولئك الهكسوس فقد كانوا يجلبون الخام والمصنوع وكل ما ينقص البلاد المصرية من الشام وفلسطين وأرمينيا والعجم والهند والصين وأوروبا ومن جميع الممالك المعروفة في ذلك الوقت ويرجعون من مصر بعد مبيعها وابلهم محملة بالغلال والكتان والصوف من مصر وصناعتها البديعة التي عملت من المواد المجلوبة كما ذكر لبيعها باوطانها وجلب خلافها وهكذا وكانت تجارة الرعاة بمصر مهنة مالية سياسية أما انها مالية فعلى الذي ذكرنا وأما انها سياسية لان نيل مصر وخصبها وطمانينة أهلها وسعادتهم قد شغل بال الرعاة وبات شغفهم حسداً فابتدؤا يرسلون الجواسيس للتجارة بمصر وهكذا حتى عرفوا مع الوقت كيف يملكون أرض الفراعنة بعاملى الانقسام والحسام فابتدؤا يبدرون الفتن في الأمة المصرية ولكنهم لاتحادها رجعوا بخفي حنين لأن الأمة المصرية كانت كالبناء المتين المرصوص لا يحركه الريح وأنما هو الدهر قلب فع مع الوقت ابتدأت الانقسامات

المادية والأدبية والدينية فمنهم من يتبع منهج «أمين المحمت» وآخر «اوسر تش» وفريق يعبد رع وغيره أيسس وخلافه ازوريس وهكذا دب الفشل في أمة خوفاً بينما الرعاة بالمرصاد يتحينون الفرص لاحتلال بلاد السراغة ولكن لما لهم من اليد الطولى في الحروب وهي ميزة لم تكن للرعاة استعانوا بالمصريين أنفسهم فتطوع عدد ليس بقليل من المصريين قواداً وطلائع جيش ومنظمين ومجهزين وأطباء ومهندسين وصانعي عدد الحرب مما يطول شرحه . عندئذ سنحت الفرصة للعالمقة بالهجوم على وادي النيل بجيشهم الجرار تحت ارشاد وقيادة المصريين كما ذكر بعد مارسوا خطة الهجوم والدفاع وطريقهما والتموين وكلما يلزم لذلك . فسار الجيش كما قيل بالطبول تابعاً الطريق القريبة من البحر الأبيض حتى عبروا برزخ السويس وكانت مصر تحت حكم «واب» الذي ضعفت شوكته فلم تقاوم الدلتا هذا الهجوم للمرة وابتدأ العالمقة كمادة الفاتحين بتحويل وابدال القوانين والتجارة والسياسة المصرية المعروفة اذ ذاك الى هكسوسية وهكذا رضخت الدلتا لسلطتهم وحكمهم بعاصمتهم «تليس» ولم يمكنهم اقتحام مصر العليا (الوجه القبلي) لضعفهم فلجأ الى الوجه القبلي أعظم وفطاحل بقايا الأمة المصرية فانتشروا من اهرام الجيزة شمالاً الى بلاد النوبة جنوباً وصارت عاصمتهم طيبة وصار مقر ملوكهم فيها الى أن قبض لهم الله حوالى سنة ١٩٢١ قبل المسيح «بسكنراه» الأول الذي بنى على ضفاف الهكسوس وسوء ادارتهم ورغد عيشتهم قوة دولته الساهرة على بلادها المغصوبة فجمع بقصر الليرننت أركان الدولة وعلماء ووجهاء أمتهم ليدير شئونهم باقتحام باقي مملكته الى أن قرر ذلك فهاجم الهكسوس شمال اهرام الجيزة ولكن الأمة المصرية لنسيانها الحروب مدة طويلة لم تنتصر عليهم ولما مات نسج خلفاؤه على منواله ولكن بلا جدوى حتى برز احمس الأول (أحمس) رأس العائلة الثامنة عشرة وفكر في ذلك ولكن لخوفه من الحبوط كالذين تقدموه استصوب الاستعانة بجيرانه الاقوياء ففكر برأى دقيق صائب أساسه الاقتران بينت ملك الحبشة واستعان أيضاً بنابغتين وهما (احمس بنحب)

« واهمس ابن ابانا » القائدين والوزيرين المحنكين فانعقد مجلس الامة والاعيان والاحزاب وكل من له رأى وصوت بقصر اللبرنت بالفيوم فقر القرار على ذلك القران النافع ليمدوه بجيش حبشي يقدره المصريون ويكون الصناعات وصناعات الحروب من المصريين الامناء المعروفين وشرع وتمم القران الملكي أولاً وبعد مدة أشار على حميه بانقاذ مصر من الهكسوس وطردهم منها مستنجدة لنقصانه بالمال والرجال فما كان من ملك الحبشة حباً في بنته أولاً وما ستحصل عليه من جاه وملك ثانياً إلا أنه مده بجيش عرمرم فجهزه اهمس بعدد الحرب بادارة القائدين العظيمين « اهمس بنحب » للبر و « اهمس بن ابانا » للبحر وابتدؤا في الهجوم شمال اهرام الجيزة فانتصر الجيش الحبشي المصري انتصاره الاول فطربت الامة المصرية وتطوع عدد عظيم من المصريين في جيش الدفاع الوطني لانقاذ البلاد من العاقبة الامر الذي دعا اهمس الاول الى ترحيل عدد عظيم من الجيش الحبشي وابدالم بمصريين متطوعين كما ذكر وبهذا الجيش المصري الحبشي البري والبحري الجديدين تحت قيادته انتصر انتصاراً عظيماً على الهكسوس في سهول عين شمس (التي خربت من جراء الحروب العديدة) ثم زاد تطوع المصريين لانقاذ البلاد بالمرّة فنظم جيش قوي عظيم جداً بعد ذلك فلم يبق في مصر من الجيش الحبشي إلا النفر القليل جداً الذي لا يعول عليه وأصبح كل الجيش العظيم تقريباً مصرياً ومركباً من صنفين صنف حديث لم يدخل الحرب وصنف حارب في الهجومين المذكورين فأبقى الصنف الذي حارب مخندقا ومدافعاً في سهول عين شمس تحت قيادته برأً وتحت قيادة « اهمس ابن ابانا » بجرأ ليستريح هذا الصنف بعد العناء من الهجومين المذكورين أما الصنف الذي لم يحارب فكان عدده عظيماً جداً أرسله تحت قيادة « اهمس بنحب » برأً ليظهر جنوب وغرب وشمال الدلتا من الهكسوس وبعد إتمام ذلك خندق هذا الجيش في جهة المنصورة وأرسل اهمس « اهمس بنحب » إلى اهمس الاول يعلمه بوصوله للمنصورة ليتدبأء اهمس الاول واهمس ابن ابانا بالهجوم جنوباً برأً وبحراً على قلاع أواريس وهي

البقية الدفاعية الباقية للهكسوس في أرض الفراعنة وليهجم بعد ذلك إهمس بنحجب غربا وشمالا على قلاع أواريس المذكورة ليحصرها كل الجيش والرعاة الهكسوس في هذه النقطة وقذفهم في صحارى سيناء من برزخ السويس الذى هو منفذهم الوحيد فنفذت هذه الخطة حوصرت أواريس شمالا وجنوبا وغربا برأ وبحرا بالجيوش المصرية ولم يبق أمام الهكسوس الا برزخ السويس الذى اجتازوه وتركوا البلاد المصرية في يد أهلها فاقتفى الجيش المصري البري أثرهم حتى طردهم عن آخرهم إلى أعماق صحارى السويس والذي بقى منهم بمصر صار رعية مصرية صرفة وبهذا تم انقاذ البلاد المصرية من العاقبة بعد إقامتهم فيها مدة ٥٢١ سنة تقريبا وأنشأ إهمس الأول نقطا حربية مصرية بالمنابذة على حدود بلاده شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ليأمن شر أعدائه وغوائل الحداث وطواريء الجيران ورجع لبلاده (بعد ما أتم ملكه للفرات والدجلة والشام وفلسطين شرقا والنوبة جنوبا بموكب هائل ونظم ما ألفتته يد الاجانب من صناعة وزراعة وتجارة وعلوم وآداب وعبادة وبالجملة كل التمدن المصرى الذى انقرض وخفقت راية الامة المصرية يعز هذا الملك المنقذ لبلاده مدة أربعين سنة تقريبا بعد ما جعل بلاده دولة عظيمة حدودها منابع النيل جنوبا والبحر الابيض شمالا وما بين النهرين شرقا والصحراء الليبية غربا ومات مأسوفا عليه من أمته (١)

(١) قال الاستاذ برستد في كتابه الكبير تاريخ مصر من غارة الهكسوس على مصر : « أمست الامة في ضعفها لقمة سائفة لغزوة أجنبية فانه حوالى عام ١٦٧٥ ق م . قبل نهاية الاسرة الثالثة عشرة أى من آسيا الى الدلتا غزوة يحتمل كونها سامية مثل ما حدث قبل التاريخ من أنهم مزحوا اللغة بمنصر سامى واضح ومثل ما حدث في عصرنا من تغلب أثر الاسلام وهؤلاء الغزاة ويدعون اليوم عادة بالهكسوس . ولم يخلفوا وراءهم سوى القليل من الآثار في مصر وكما أن جنسيتهم ما انفكت موضعا للخلاف كذلك مازلنا نجعل مدة وشكل عظمتهم ٠٠٠٠٠٠٠٠ وقد قصت الملكة حتشبسوت ما آتوه من خراب بقولها : « لقد أصابحت ما كان خرابا وشيدت ما كان ناقصا » لان الاسيويين كانوا في افارس في الشمال (الدلتا) وكانت البرابرة في وسطهم (سكان الدلتا) يهدون ما صنع بيها حكموا جاهلين رع » . وقد تتبع الجيش المصرى الهكسوس وحاصر أفارس وتمعّبهم الى جنوب فلسطين وفي فينيقيا وهمد أن طردوا من

الفصل الخامس عشر

الاسرة الثامنة عشرة : (١)

ومدة حكمها ٢٣٠ سنة ومقرها « طيبة » ومؤسسها كما أسلفنا هو اهمس الذي طرد الهكسوس وخلفه « إمنحتب الاول » الذي غزا الشام والنوبة وخلفه تحتمس الاول « (طوطميس) وكانت البلاد في هدوء وسلام وكانت منابع الثروة متدفقة والحكومة قوية والملك مستقل بأمر الملك وقد أخضع تحتمس بلاد النوبة (الكوش) وغزا الشام حتى وصل إلى نهر الفرات واهتم بالمباني ولما مات دفن بوادي مقابر الملوك فكان هو الاول لعدد كبير من الفراعنة الذين دفنوا بذلك الوادي المشهور الآن في بقاع الارض وخلفه « تحتمس الثاني » ثم بعد مدة وجيزة خلفته بنت « تحتمس الاول » الملك « حتشبسوت » (حاتاسو) مشتركة مع « تحتمس الثالث » فخفضت مصر لبأسها وسلطانها واستبدت هي بأمر الملك إذ كان « تحتمس الثالث » صغير السن وقد بنت هذه الملكة عدة مباني أشهرها معبد « الدير البحري » وأرسلت إلى بلاد « بنت » بعثة بحرية لاجتار أشجار لغرسها بمعبدها

ولما ماتت « حتشبسوت » خلفها « تحتمس الثالث » وقد كان حامل الذكر قبل مماتها ولكن لم يلبث أن ظهرت قدرته الحربية التي جعلته من كبار الفاتحين في العالم القديم فإنه ما كاد يستبد بأمر الملك حتى قاد جيشاً جراراً لتأديب ولايات

البلاد ومر على عهدهم نحو أربع مائة سنة سارت بين القوم قصة مضمونها : « أنه حدث أن مصر كانت خاضعة للجنسين ولم يكن هناك ملك مترس ولكن كان الملك « سكتنر » حاكماً على المدينة الجنوبية (طيبة) والملك ابو فيس كان حاكماً في افاريس وكانت الارض ملكاً له فجعل الملك ابو فيس سوتخ الها له ولم يخدم ربا سواه وبني المعبد بعمل خالد جميل » ومن تلك الشواهد القديمة نرى أن الهكسوس كانوا من آسيا وقبضوا على زمام حكم الدلتا في افاريس وقد نقل جوزيفاس عن ماتيوتون في هذا المقام ما يجعله شاهداً يثق به » (١) سبق ذكر نبذة صغيرة عن هذه الاسرة المشهورة وسيأتي ذكرها في مكان آخر

سورية الذين نبدوا طاعة المصريين يرأسهم ملك قادش الذي عسكر في مدينة « مجدو » فحمل عليه تحتمس بجيش وحاصر « مجدو » حتى سلمت له وغنم من المدينة وخارجها شيئاً كثيراً من النفائس كما غنم سراق ملك قادش و ٩٢٤ عجلة حربية فيها عجلتا ملك قادش وملك مجدو وألوف من الخيل والدروع وسار تحتمس إلى الشمال ففتح ثلاث مدن من جنوبي لبنان حيث بنى حصنا وعاد إلى مصر بمواكب النصر والتهليل . وعاد تحتمس فغزا تلك البلاد ثانية حتى عمت شهرته الآفاق وخشى ملك بابل بأسه فترلف إليه باهداء الاحجار الكريمة والخيول البابلية وبعد ثلاث سنين من تلك الغزوة غزا سورية ثالثة ثم رابعة وسار حتى فتح مدينة « أرواد » وغيرها من مدن فينيقية وعاد بالغنائم الكثيرة . وغزا غزوة سادسة فتح فيها مدينة قادش المنيعه فسلمت له بعد حصار طويل وفي السنة الثالثة أخذ تحتمس الجزية من جميع بلاد الشام . وفي السنة الثالثة والثلاثين من حكمه سار إلى ما بين (النهرين) فعب نهر الفرات وفتح مدينة « نينوى » وكان الاسطول المصري في ذلك الحين مسيطراً على شرق البحر الابيض المتوسط وإلى ما وراء بحر « إيجه » وغزا تحتمس بلاد النوبة ومع كل تلك الحروب والغزوات التي جعلت مصر سيدة العالم القديم وقمتد وأمسى ملوكه كولاة افرعون يخشون بأس جيوشه وأساطيله فيقدمون له الطاعة والهدايا والجزية لم ينس تحتمس تدير شئون بلاده فأحسن ادارتها

وخلف تحتمس الثالث آثاراً عظيمة منها مسلتان عظيمتان أقامها في عين شمس (١) وبعد وفاته خلفه ابنه « امنحتب الثاني » (أمينوفيس الثاني) فغزا سورية ووصل إلى الفرات وعاد إلى طيبة ومعه غنائم لا تحصى وسبعة ملوك اسرى ثم خلفه ابنه « تحتمس الرابع » وله حروب في سورية والنوبة وتولى بعده ابنه « امنحتب الثالث » (أمينوفيس الثالث) مؤسس معبد « لقصر » وصاحب

(١) نقلت كليوباترا هاتين المسلتين ومنها نقلتا إلى الاسكندرية إلى المغرب واحداهما الآن في لندن والاخرى في نيويورك

المباني العديدة فزاد في معبد الكرنك وشيد طريق الكباش والدلهيز ذا
الاربعة عشر عموداً ومعبداً أقامه في غرب طيبة لم يبق منه الآن إلا (تمثالي ممنون)
المشهورين وشيد قصراً جنوبي المعبد . وغزا « إمنحتب » إتيوبيا وكان نفوذه
يمتد من نباتا إلى نهر الفرات وارتقت التجارة وهندسة البناء في عهده رقياً عظيماً
وخضع ملوك آشور وقبرس وبابل وولاية الشام لأوامره فقضى إمنحتب هذا
الزمن في سلام وصفو ولكن في أواخر أيامه هاجم « الحثيون » الشام وأغار
عليها من الشرق قوم ساميون ومات إمنحتب (إمينوفيس) قبل أن يرد أوائلك
المغيرين خلفه « إمنحتب الرابع » المعروف بالخناطون الذي شغل أيامه في فلسفة
الدين وإليك نبذة (١) عن عهده الغريب عهد الثورة الدينية : مرت على « مصر
في أيام مجدها الباهر وعزها الزاهر أزمة دينية سياسية نشأت عن إنقسام أهلها
وانشقاقهم فتفرقت وحدتهم وتمزق شملهم حتى تلاشت مستعمراتهم وضاع استقلالهم
ولا عجب فكل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب . (١)

أسباب هذه الثورة : — طرد المصريين ملوك الاسرة الثامنة عشر
الرعاة من وادي النيل وتوسعوا في الفتح حتى خفقت أعلامهم على بلاد الشام
ولبنان وتوغلوا إلى نهر الفرات شرقاً وإلى فلسطين شمالاً وإلى النوبة جنوباً وهذه
أشهر بلاد العالم في ذلك الزمان .

وكان هؤلاء الملوك يفتحون البلاد باسم (أمون) إله مدينة طيبة وهو
معبود الاسرة المالكة ونسبوا اليه فتوحاتهم العظيمة وانتصاراتهم الباهرة .
لهذا إرتفع شأن مصر حتى طاولت الكواكب مجداً ورفعة وإنندرت جميع
المعبودات المصرية وتفوق أمون على رع معبود مدينة عين شمس وأضعف
شوكة كهنتها وإنفرد برئاسة المعبودات وبسيادة الوجهين البحري والقبلي حتى
شيد له ملوك تلك الاسرة المعابد الضخمة والهيكل الفخمة في مدينة طيبة
ونقشوا على جدرانها وأعمدتها ومسلاتها « إن هذه المباني أقامها الملوك الامنوفسيون

(١) عن الاهرام لانطون افندى زكري . وراجع كتاب الاسقاذ « برستد »

والتحوتسيون لا ييهم المعبود آمون « وقد شهدت الاكتشافات الحديثة أن أيدي الحدثان وتقلبات الزمان لم تقو على العبث بهذه الآثار . وبهذه المناسبة كثرت الغنائم وذهرت الذخائر عند المعبود آمون وغمرت الثروة الكهنة بما اجتمع عندهم من أسلاب الحروب وأساليب الجبايات كالضرائب التي كانوا يفرضونها على أطيان الوجهين البحري والقبلي حتى إنفرد رئيس الكهنة (وهو الوزير الاول للملك) بالثروة والنفوذ في الديار المصرية وصار أغنى من الاسره المملوكة نفسها . وكان تحت سلطته جيش عرمرم من الكهنة والكتبة ورجال الحكومة والجنود والفلاحين والعبيد فكان له النفوذ المطلق في جميع الشئون المدنية والدينية وجمع بين الوظائف والالقب الآتية في وقت واحد حبيب الله وفم السلام في الديار المصرية والمتصرف المطلق بأمر الملك في الوجهين البحري والقبلي وحامل أختام الملك ووالي مدينة طيبة ورئيس البلاط الملكي وزعيم الشعب وأكبر الامناء للملك ورئيس الانبياء للمعبود آمون في جميع المملكة . فكبر على الملك أن يستأثر هذا الرجل الواحد بكل هذه الالقاب وأن يجمع تحت نفوذه كل سيطرة وخشى أن يتوسع الوزير بهذه السلطة الواسعة فيضعف نفوذ الملك نفسه فاقترضت سياسة الحذر والاحتياط هذا الخطر القريب الوقوع ولم يجد طريقة لذلك إلا إضعاف سلطة المعبود آمون الذي استمد منها هذا الوزير وأتباعه سلطتهم ودعته هذه السياسة إلى عبادة رع هر مخيس خيراتون أكبر معبود لمدينة عين شمس وقدمه على المعبود آمون فأمن بذلك توقع الخطر لكنه اضطرب أن يقف وقفة الحائر لانه لم يستطع التوفيق بين كهنة مدينة طيبة وبين كهنة عين شمس فكان يرضي الفريقين جهد الاستطاعة وفكرت الملكة الشهيرة حتشبسوت أن ترضى كهنة عين شمس فأقامت لمعبودهم هر مخيس معبداً بالدير البحري ورفع تحوتمس الرابع الرمال التي كانت بالجيزة حول أبي الهول الذي كان يمثل هر مخيس رع أتوم المذكور . ولما رأى كهنة المعبود آمون بطيبة ما يفعله الملوك من أنواع الحفاوة وضروب الاكرام لرع معبود كهنة عين شمس حقدوا عليهم وتربصوا

الفرص للايقاع بهم وظهرت نياتهم للملك أمنوفيس الثالث فقاتلهم وقامت الحرب بينهم مسجلاً فعين الملك صهره (وهو أخو زوجته) المدعو (عاش) رئيساً لكهنة عين شمس وفي السنة الحادية عشر من حكمه أمر بحفر قناة لترهة زوجته الملكة (تبي) ومرت هذه الملكة في هذه القناة على سفينة سميت أتون (أى قرص الشمس) ومن هذا العهد أطلق أتون على هذا الشكل وصار معبوداً لمدينة عين شمس ومشاطراً في النفوذ لآمون معبود مدينة طيبة فكان هذا سبباً للخصام بين الفريقين

وبلغ العناد بالملك أمنوفيس الثالث أن شيد معبداً لآتون في الكرنك حيث كانت قلعة المعبود آمون ولهذا إكتشف أخيراً في الزاوية الواقعة في الشمال الغربى للبحيرة المقدسة حجر من الجرانيت الوردي عليه صورة جعل (جمران) طوله متر وعرضه نصف متر فكانوا يسمون هذا الجعل (خبر) وهو رمز للحياة المستجدة واسم للشمس المشرقة ووجد علي هذا الحجر شاهد جميل مرسوم عليه صورة الملك (أمنوفيس الثالث) جائياً أمام آتوم أحد معبودات عين شمس ومنقوش تحت هذا الاسم ما يأتى « يابني أمنوفيس الثالث سيد كل شيء يشرق عليه المعبود أتون (قرص الشمس) أنا خبر (الجعل) أمنحك الحياة والقوة والخلود وأجعل أعداء مصر موظئاً لقدميك لأنك أفرحت قلبي بالمعبد الذي أقمته لى غربى مدينة طيبة »

وعلى أثر انتصار الملك أمنوفيس الثالث للمعبود رع استرد سيادته وألقابه ونفوذه من المعبود آمون في مدينة طيبة وهذا هو الذي دعا كهنة المعبود آمون أن يظهروا العداء للملكين أمنوفيس الثالث والرابع حتى انه عثر على حجر منقوش عليه شكوى أمنوفيس الرابع من هؤلاء الكهنة ترجمتها « أقسم بابى المعبود رع هر نخيس أتون ان تصرفات الكهنة التي رأيتها منهم في السنة الرابعة من حكمي وراها قبلى أبى وجدي مؤلة ومدهشة »

وفي الحقيقة أن مقاومة الكهنة للملوك ابتدأت في عهد الملك تحوتمس الثالث

واستمرت حتى قويت واشتدت في عهد الملك أمنوفيس الثالث الذي كان يخضع للمعبود آمون إلا أنه أبى الخضوع لسلطة كهنته وجبروتهم فقاومهم بعبادة الاله رع هرمخيس أتون والتف حوله الأحزاب المحافظون على العادات القديمة وانقسمت المملكة شطرين لعبت بهما الضغائن التي استحكمت حلقاتها بين الملك وأنصاره وبين الكهنة وأحزابهم فأدى ذلك إلى الثورة الكبرى التي قامت في الديار المصرية في عهد أمنوفيس الرابع الشهير بخوناتون (٢) انتشار الثورة :

لما مات امنوفيس الثالث سنة ١٣٧٠ ق . م كان ابنه امنوفيس الرابع قاصراً فاستمر تحت وصاية امه ست سنوات ثم بلغ رشده وقبض على زمام الملك ولكنه لم يقم التماثيل للمعبود آمون مثل ما كان متبعاً عند أسلافه بل أقامها لمعبوده الجديد اتون (قرص الشمس) وكان شكله على قرص الشمس محفوراً باشعة ممتدة الى الأسفل ومنتهية بأيد قابضة على صلبان رمزاً لعلامات الحياة التي تفيضها على الملك

ولهذا نشأت هذه الثورة الدينية الكبرى في مدينة طيبة عاصمة المملكة لانه أبطل عبادة آمون وحجز أوقافه واسقط كهنته ومنع ذكره في سائر أنحاء المملكة ومحاً جميع الآلهة وازال كلمة الآلهة (بصيغة الجمع) المنقوشة على المسلات والهياكل والمعابد حتى غير اسمه امنوفيس أو امنحوتب (أى حبيب آمون) بغضاً في هذا الاله وقطعاً لذكره وسمى نفسه « خون اتون » (أى مرضى اتون) وترك مدينة طيبة عاصمة المملكة وأسس عاصمة غيرها بالاقليم الوسطى ودعاها خوت آتون (أى أفق قرص الشمس) المعروفة الآن بتل العمارنة بقرب اسيوط وشيد بها المعابد الشاهقة والقصور الباذخة والحدائق الشائقة ولا تزال آثارها باقية للآن

(٣) صبغة هذه الثورة

وضع امنوفيس الرابع النشيد عجيبة لمعبوده الجديد آتون يثرثمون بها في

الهياكل والمعابد ويكتبونها للميت ليتلوها في قبره حسب عقيدتهم ولا تزال
منقوشة باللغة المصرية القديمة بتل العمارنة وهي التي نقلها الى الالمانية المعلم ارمن
والى الفرنسية المعلم ماسيرو ومنها ترجمتهما الى العربية والى القارىء نصها :

النشيد الاول

وصف ضياء الشمس : أنت العالم بأسرار الحياة تظهر بجمالك في آفاق السماء
نشرق في الأرجاء فتملأ الأرض بجمالك ، أنت الجميل العظيم البهي الذي تسطع
أنوارك على وجه الأرض وتحيط اشعتك كل أقطارك التي خالقها وملكتها بحبك
مهما بعدت عنا فاشعتك مائة الأرض كلها

النشيد الثاني

وصف الليل : - حينما تغرب يظهر المساء وينتشر الظلام في الأرض كلها
فينام الناس في بيوتهم ويندرجون تحت غطاءهم وتسكن حواسهم عن الحركة فلا
يسمعون ولا يبصرون ، أنت الذي تحفظ لهم أرواحهم وأموالهم وأمتعتهم وهم في
مضاجعهم غافلون ويرخي الليل سدوله فتخرج الأسود من عرنها والحيات من
أوكارها وتسكن الطبيعة كلها فيستريح خالقها في أفقه

النشيد الثالث

النهار والانسان : - تظهر عظمتك في الأفق صباحا فتملأ أشعتك أرجاء
الأرض كلها ويطلع النهار وينجلي الظلام فتفرح الناس بظهورك ويستيقظون
ويتوضون ويرتدون ملابسهم ويرفعون ايديهم الى السماء متوسلين اليك ثم
ينذهبون الى أشغالهم

❖ النشيد الرابع ❖

النهار والحيوانات : - حين تشرق في الأفق تستقر المواشي في مرعاها
وتزدهي الأشجار والنباتات وترفرف الطيور تمجيداً لك وتنهض الحيوانات
على قوائمها

❖ النشيد الخامس ❖

المياه : - اذ تشرق في الافلاك تسبح في بحارها الافلاك وتمرح في لججها الأسماك
وتتلاأ أشعتك على صفحات الماء فما أبدعك وما أسماك

❖ النشيد السادس ❖

أنت الذي خلقت نطفة الأنام وصورت منها الأجنة في الأرحام وحفظتهم
ووفيتهم الآلام ورفقت بهم في الرضاع والفظام ووضعت لهم الحنان في قلوب
الأمهات والآباء فوفرت عنهم العويل والبكاء وهبت الحياة لسائر المخلوقات
وأطلقت ألسنتهم بالكلام على اختلاف اللغات ومنحتهم ما يحتاجون من قوت
ومعاش ومن غطاء وفراش

أنت الذي تهب النسمة للفرخ داخل البيضة وتحنيه فيصيح ويمشي عند
خروجه منها

تفضلاً منك خلقت الأرض والسموات وأبدعت جميع المخلوقات وأعمالك
لا تحصى وإحسانك لا يستقصى

أنت الذي خلقت البلاد الأجنبية وسوربا وإيتيوبيا ووادي النيل وخلقت
كلاً منها في موقعها وسخرت لها حاجاتها ومنافعها وخصصت لكل إنسان
خاصياته وحددت له أيام حياته . أنت الذي خلقت الشعوب مختلفة الاجناس
واللغات والالوان والصفات

أنت الذي خلقت النيل حياة ابنائه وأنعشتهم بعدوبة مائه . أنت الذي تسوق الارزاق للبلدان القاصية ونزل الاططار على جبالها هامية فتتحدّر المياه الى الحقول والبلاد لخصبها وريها ، مأجماك يارب الازل وما أجل أوامرك العالية . أنت الذي قسمت السنة فصولا لمصالح خلقك ونظام حياتهم ؛ قد ارتفعت في علو سمائك لتبرز منها اشعتك وترى منها ملكوتك ، أنت وحدك الذي تشرق تحت كنه الشمس الحبة المضيئة البارزة اشعتها . قد خلقت الأرض لابنائك ومتى أشرقت علينا تشخص الناس في جمالك



هذه هي الاُنشيد التي وضعها خون اتون لالهة اتون ومنها يستخلص أن هذه الديانة الجديدة قد امتازت عن الديانات التي قبلها بخصائص منها أنهم وحدوا اتون بالعبادة ولم يشركوا غيره معه في اللاهوتية بخلاف المعبود رع وغيره فانهم كانوا يعبدون معه آلهة كثيرة ويدعونه رئيس الآلهة فكان لكل اقليم اله مخصوص يعبدونه دون غيره كما نقل ذلك علماء الآثار فقد قال ليسيس « ان اتون هو الاله الواحد الذي لا شريك له ولا وجود لآلهة آخرين معه وانه الخالق الحي القادر على كل شيء » وقال أيضاً بتري انه لم يظهر قط في العالم مثل هذه التعاليم اللاهوتية السامية المنقوشة بتل العمارنة « ولا شك أن هذه المبادئ قربت الناس الى بعضهم على تباين أجناسهم وربطت الأمم على اختلاف لغاتهم لأنها وحدت ديانتهم وجعلتهم كلهم اخوة يعبدون الهاً واحداً بعقيدة واحدة ومن رأى بعض المؤرخين أنه لم يكن اعتقادهم أن اتون هو الشمس نفسها بل هو الجوهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شيء والذي أنزل الحبة على الأرض فدعوه الحبة بالذات . وقد مثلوا اتون على شكل قرص الشمس تتلأأ أشعته وهو شكل خاص به ولا يشركه فيه غيره فكان يتبادر لكل من رآه لأول وهلة ان هذا هو الاله بخلاف الآلهة قبله فانهم كانوا يمثلونها على شكل صقر أو أي حيوان فلا يكون فيها ميزة خاصة بالاله . وقد وصفوا اتون بالرحمة والشفقة وحب الخير والملاطفة

مع خلأقه وأنه أب لهم عطفوف جميل يملأ السموات والأرض بالخير والبركة
ولطيف بخلأقه يأسرهم بحبه ويلطف الطفل في الرحم وفي المهد ويعطف على
الفرخ في البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعم المنافع لسائر البلاد وجميع
العباد بخلاف آمون مثلاً فإنه كان متصفاً بالقهر والجبروت والانتقام

ومات خون آتون بعد أن حكم ١٨ سنة أقام منها ستاً في مدينة طيبة وباقي
مدته في تل العمارنة وماتت ديانته معه لأنه لم يكن له ابن ينشر هذه التعاليم الجديدة
السامية بل ترك بنات تزوجت أحدهن بالملك توت عنخ آمون الذي أعاد عاصمة
الملك إلى مدينة طيبة وجدد عبادة الإله آمون فتجددت شوكة كهنة مدينة طيبة
وقويت سلطتهم التي كان أضعفها خون آتون ولم يزل يشتد نفوذهم شيئاً فشيئاً
حتى تغلبوا على الفراعنة أنفسهم بعد ثلاثة قرون من موت خون آتون فقهر وأملوك
الأسرة الحادية والعشرين على مشاطرتهم الملك وإنفردوا بحكم الوجه القبلي
وإستقل ملوك الحادية والعشرين بالوجه البحري واستمر الحال على ذلك إلى
الأسرة الثالثة والعشرين وكان هذا الانقسام سبباً لاستيلاء الأجانب على مصر
فملكها الإثيوبيون فالاشوريون فالليونان فالرومان فالعرب فغيرهم

هكذا شغلت تلك الأمور الدينية أوقات اخناتون فلم يلتفت لشؤون دولته
التي أخذت تتقهقر إلى الوراء واستولى الحثيون على شمال سوريا وغيرهم على
جنوبها وتوفي عام ١٣٥٨ ق م مكروها من شعبه

وتولى بعده الملك « توت عنخ آمون » وعرفنا عنه شيئاً . ثم خلفه بضعة
ملوك ضعفاء تولوا الحكم مدداً قصيرة وبهم إنقرضت الأسرة الثامنة عشرة في
خلل وإضطراب

الفصل السادس عشر

الاسرة التاسعة عشرة

ومدة حكمها ١٤٥ سنة (من ١٣٥٠ الى ١٢٠٥ ق . م) ومقر حكمها « مدينة رمسيس » ومؤسس هذه الاسرة رجل يدعى « حرمحب » وكان في أول أمره قائداً حربياً فتمكن من تبوؤ العرش حتى اذا تم له ذلك غني باصلاح مانشأ عن اهل سلفه وخلفه « رمسيس الأول » ويحسبه بعض المؤرخين المؤسس لهذه الاسرة وأهم أعماله تشييده ذلك البهو العظيم بمعبد الكرنك المعروف ببهو الاعمدة وقد جلس على سرير الملك وهو طاعن في السن وخلفه ابنه « سيتي الاول » الذي استرجع فلسطين واستمر في تشييد البهو العظيم واستخرج الذهب من مناجم النوبة وأصلح ماشووه الملك اخناتون من المعابد وتم معبد الكرنك الذي بدأه أبوه وشيد لنفسه معبداً في ابيدوس وينسب اليه أنه حفر خليجاً يوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ويستمد ماءه من النيل

ثم خلف سيتي ابنه رمسيس الثاني أو رمسيس الاكبر الذي ملأ آفاق العالم القديم بشهرته وكما ملأ البلاد بآثاره حتى انه لم يكتف بما شيده بنفسه بل كان يمحو النقوش من الهياكل وينقش اسمه مكانها حباً بالشهرة وتخليد الذكر وصوب رمسيس نظره الى الدولة الواسعة التي كونها جده تحتمس الثالث فوجد أن أخطار المغيرين تهددها من كل جانب وكان ملك الحثيين يجمع جيشاً كبيراً لمحاربة المصريين وتحالف مع ملوك « أرواد » و « قارش » و « حلب » و « بين النهرين » ولكن رمسيس تغلب في عدة حروب من ١٢٨٨ الى ١٢٧١ ق . م وبفضل شجاعته الذاتية وجيشه الجرار فتح معظم « بلاد النهرين » وشمال سوريا وأرواد واسترد معظم أملاك مصر في آسيا التي فتحها تحتمس الثالث وبقيت حدود مصر ممتدة في السودان بالقرب من الجنادل الرابعة وتفرغ رمسيس بعد ذلك لاقامة المعابد والمسلات والتماثيل الهائلة ومن ذلك اتمامه البهو

العظيم بالكرنك وبنائه الرمسيوم المعروف وله تماثيل هائلة بالبدرشين وتمثال
بديع المحبب بدار عادييات « تورين » بإيطاليا وشيد رمسيس أيضاً بلاداً
جديدة بالوجه البحري ومات بعد أن حكم ٦٧ سنة وما زال الكثير يزعمون أنه
أعظم ملوك مصر

وخلفه ابنه « منفتاح » فأخذ نار الثورة في سوريا وفلسطين وصد اللوبيين
غرباً وشيد مباني كثيرة وكان يمحو أسماء الملوك من الآثار وينقش اسمه مكانها
وفعل ذلك بكثير من آثار أبيه نفسه وقيل عنه انه هو فرعون « موسى »
وحكم بعده « سيتي الثاني » ولم يتم في عهده ما يستحق الذكر وتنازع
بعده العرش كثيرون فانفرط عقد الاقاليم اذ تقسمت السلطة بين الاشراف
وحكام الجهات وحدثت فوضى ومجاعات فزحف اللوبيون على الوجه البحري
حتى قبض على زمام الملك رجل قوى اسمه « ستنخت » فطردهم من مصر

الفصل السابع عشر

الاسرة العشرون

وحكمت ١١٠ سنة ومقرها « مدينة رمسيس » اذلمات « ستنخت » بعد عام
أوعامين فقط من حكمه خلفه ابنه « رمسيس الثالث » ويعتبره أكثر المؤرخين مؤسس
الأسرة العشرين وقد كان قائداً حربياً قديراً حارب أربعة حروب هزم في أولها
اللوبيين الذين تحالفوا مع سكان جزائر البحر الأبيض وفي السنة الثامنة من حكمه
سار الى الشام وهزم سكان البحر الذين زحفوا عليها براً وبحراً ثم هزم اللوبيين
ثانية الذين أغاروا على مصر ثم ذهب ثانية الى الشام فاضعها ونظم مستعمراته
الاسيوية وحصن حدودها . وفي أثناء ذلك كانت قوة الكهنة تزداد وثروتهم
تتضاعف .

الفصل الثامن عشر

الاسرة الحادية والعشرون

وحكمت ١٤٥ سنة ومقرها مدينة « تنيس » . ومؤسسها « سمنوس »
أحد أمراء تنيس الذي انتهز فرصة ضعف رمسيس الثاني عشر واستولى على
جميع الوجه البحري فراجع رمسيس الثاني عشر الى طيبة حيث مات بلا نفوذ
نخلفه « حرحور » رئيس الكهنة ملكا على الوجه القبلي وكان ملوك تنيس يعترفون
بزعامة رئيس الكهنة بطيبة الذي تمكن أحدهم من الاستيلاء على كل مصر



الفصل التاسع عشر

الاسرة الثانية والعشرون

فقدت مصر شيئا فشيئا نفوذها على مستعمراتها وأخذت تضمحل وتستخدم
الجنود المرتزقة ثم جنود اللوبيين الذين أخذوا يزدادون قوة بينما كان الحكام
الوطنيون يزدادون ضعفاً حتى أدى الأمر الى قيام أحد قواد أولئك الجنود
اللوبيين « ششنق الاول » أو « شيشاق » فأسس الاسرة الثانية والعشرين
عام ٩٤٥ ق . م وكان مقره مدينة « بوبسطه » أو (تل بسطه) بجوار الزقازيق
الحالية وحكمت هذه الاسرة ٢٠٠ سنة في خلل وفوضى



الفصل العشرون

الأسرة الثالثة والعشرون

وحكمت ٢٧ سنة ومقرها « بوسطه » وفي أثناء حكمها تمكن « بعنخي » ملك السودان من الاستيلاء على الوجه القبلي الى الفيوم وكان ملوك هذه الأسرة اللوبية في ضعف يتزايد وتقهر مستمر أدى بأحد ملوكها « اسركون الثالث » من فقد كل ملكه سوى منطقة « بسطة » وتمكن « بعنخي » من الاستيلاء على منف بعد عناء كبير فاصبح فرعوناً نوبيا وبعد أن عاد بجيوشه الى النوبة ثار « بخوريس » بن « تونخت » أمير صا الحجر

~*~*~*~

الفصل الحادي والعشرون

الاسرة الرابعة والعشرون

ومؤسسها « بخوريس » أمير صا الحجر بعد انجلاء الاتيوبيين وقد تولى ملكها وحده مدة ست سنوات بمدينة صا الحجر



الفصل الثاني والعشرون

الاسرة الخامسة والعشرون

بعد أن جلا « بعنخي » عن مصر بنحو عشر سنين قام أخوه « سباكون » فاستولى على مصر وثبت حكم النوبيين فاعتبر مؤسساً للأسرة الاثيوبية هذه التي حكمت خمسين سنة وكان مقرها « نباتا » في السودان وفي عام ٦٧٠ ق . م كان أحد ملوك النوبيين المدعو « طهراقة » حاكماً لمصر وكان المصريون يساعدون ثوار الشام فدخل ملك الاشوريين « آشور آخي الدين » بجيش كبير واستولى على مصر ففر « طهراقة » الى الجنوب وعاد ومعه جيش عظيم هزم به الاشوريين ولكنهم دخلوا مصر ثانية في أيام ملكهم « آشور بانيبال » واستولى على الوجه البحري والوجه القبلي ودمر « طيبة »



الفصل الثالث والعشرون

الاسرة السادسة والعشرون

وحكمت ١٣٨ سنة ومقرها مدينة « سايس » (صا الحجر) اذ لما مات « نخاو » أمير صا الحجر ومنف خلفه ابنه « ايسماتيك الأول » الذي قوي سلطانه واستعان بملك ليديا باسيا الصغرى على نبذ حكم الاشوريين وتمكن من تأسيس هذه الاسرة وفي عهده نهضت مصر وخلعت عنها ثوب الضعف والاضمحلال ولو أنها فقدت الميل الى الحروب فجمع ايسماتيك جيشاً من الجنود المرتزق من بلاد الاغريق وجزائر البحر الأبيض وفي عهده رحب بنزلاء الاغريق فاستوطنوا في عدة بلاد وازدادت شوكتهم وظهر أثرهم في الملوك والشعب

وخلفه ابنه « نحاو » فنسج على منوال أبيه في الدأب وراء استعادة مجد
 البلاد فأدخل الكثير من الاغريق لترقية الفنون والصنائع وقوي جيشه واسطوله
 ثم غزا سوريا في حين كنت دولة الاشوريين في اضمحلال وانحلال واسترد
 المستعمرات الا سيوية التي فتحها اجداده العظام ولكن لم يدم هذا الفتح طويلا
 اذ تمكن ملوك بابل وميديا من اقتسام دولة اشور وهزم « بختنصر » المصريين في
 « قرقيش » . ومن أعمال نحاو اصلاحه الخليج الموصل البحر الا بيض بالبحر
 الا حمر وارساله بعثة للطواف حول افريقيا فامت الرحلة في ثلاث سنين . وخلفه
 « ايسماتيك الثاني » ثم خلفه « ابريس » (حفرع) الذي استولى على بعض
 مدن فينيقيا وبنى معابد كثيرة . ثم تولى امر الملك « اهمس الثاني » الذي
 اتحد مع البابليين والليدين وغيرهم من الامم الغربية لمقاومة دولة فارس التي
 ابتدأت توسع نطاق ملكها وتزيد من شوكتها وسلطانها . وفي عهده استولى
 المصريون على « قبرس » وكانت البلاد في رقي وحضارة وخلفه ابنه « ايسماتيك
 الثالث » الذي حكم بضعة أشهر ثم أغار الفرس على مصر بقيادة ملكهم قمبيز
 واستولى على الديار المصرية وأخذ قمبيز يهدم في المعابد ويخرب في الهياكل
 واسكن كان « دارا الاول » بعده عادلا في البلاد



الفصل الرابع والعشرون

الاسرة السابعة والعشرون

وكلها من ولاية الفرس الذين استولى ملكهم قبيز عام ٥٢٥ ق . م على الديار المصرية وخلفه دارا الاول ثم اجزرسيس ثم دارا الثاني ثم ارتجزسيس الثاني ثم ارتجزسيس الثالث ثم دارا الثالث



الفصل الخامس والعشرون

الاسرة الثامنة والعشرون الى الاسرة الحادية والثلاثين

قام أمير مصري « امرنوس » بطرد الفرس من مصر وتولى الحكم ست سنين ثم آل أمر الملك الى ملوك الاسرة التاسعة والعشرين . من بعده ثم أسس الاسرة الثلاثين « نختنبو الاول » وفي أيام « نختنبو الثاني » آخر ملوك هذه الاسرة غزا الفرس مصر مرة ثالثة عام ٣٤٠ ق . م . بعد أن غابوا ٦٥ سنة عنها وهنا انقضى زمن الفراعنة وانتهى شباب الامة المصرية مهد المدنية والحضارة ودبت الشيخوخة في هيكلها العجيب الذي استمد من أنواره كل الامم واستضاء بشعاعه كل الشعوب وتوارث ذلك الهيكل بعد الفرس الاغريق فالبطالسة فالرومان فالعرب فالترك فالفرنسيون فالانجليز ولكن :

هي الامور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

الكتاب الثالث

كلمة

عن حضارة قدماء المصريين

الفصل الاول

العظمة المصرية

الى الباحث اللبيب الذي يجد في علم الآثار القديمة أمراً تافهاً وبجثاً مملاً بل ذرية لنش الدارس ونشراً للماضي القديم من رسمه أقول ان كلمتي «مصر القديمة» تشمل وتعني عصوراً متطاولة كما تتضمن ديانة فلسفية تضر في مخبئها علماء بعيد الغور محجبا بالرموز والا لغاز كما تنفي فناً سامياً جليلاً ونظماً راقية للحكومات ومع ان كنوز الآثار قد جد في اكتشافها منذ اكثر من قرن من الزمان وبذل الاخصائيون ما في وسعهم في ازاحة ما عليها من الاستار بيد اننا مازلنا لانعلم كل شيء عن المصريين القدماء وما زالت هناك مسائل من أهم ماتتوق لمعرفة في عالم المجهول

يقول الدكتور فلندرس بينرى المكتشف الشهير والمؤرخ عن مصر « أنه اذا أريد فهم ماضي البشرية واستخدام ذاك الماضي للحاضر فذاك هو طريق النجاح في المستقبل ». وقد أبدى بعض علماء الآثار المصرية المشهورين مثل ارمان دهشة من أن بعض الطرق والأساليب التي تبدو لنا الآن محيرة ناقصة وخرافية في بعض الوجوه كانت ملازمة في عصور عديدة لقوم أذكاء مثل المصريين . ويوجه الانتقاد أحيانا الى طرق كتابتهم الهروغليفية وحسابهم وهندستهم ولو حق الانتقاد على مدد الأسرار الحديثة فانه من الصعب إن لم يكن مستحيلا أن ندرك أن الهندسة والفلك الحسابي وبعض ما يختص بعلم النفس مما نجهله تماما كان مألوفاً عند بناء الهرم الأكبر . وعلمنا أن نتذكر أيضاً أن مانعلمه من علوم المعابد المصرية الخفية محدود لناجدا في الحقيقة

وانا اذا وضعنا النقد جانبا فان الحقيقة الرائعة المدهشة لتظهر أمام كل الناس فيرون أنه في الآباد المصرية السحيقة وعصور المجد والاضمحلال كان يجري تيار خفي فنحس بنبضة حياة النفس ونعلم أن لاهوت روح الانسان الازلي كان

معروفا في مصر. ان الأفكار والمخترعات المألوفة عندنا اليوم والتي ورثناها عن مصر لا تحصى ولا تعد فلم نرث عنهم العدد والآلات الميكانيكية لكل فن وصناعة فقط بل المعتقدات الدينية والفلسفية . فنحن مدينون للمصريين أكثر مما نظن ونتصور فحتى التقويم الزمني الذي نستعمله ولو أن الرومان قد شوهوه هو نفس التقويم الذي استعمله المصريون منذ ستة آلاف سنة . ففي زمن مينا (منذ ٤٥٠٠ عام ق . م كما حسب بيترى) (١) وهو أول ملك لمصر المتحدة كان لعلم الطب وفن الجراحة ست وثلاثون مصلحة لكل منها اخصائيون . ويقول الدكتور ج والش في جامعة فورد هام الطبية في تاريخ له عن الطب أن كيفية لف المخططات وبراعة طب الاسنان عند المصريين تلك الشواهد الطبية التي نختبرها تؤيد الفكرة القائلة ان الطب عند المصريين قد جرى شوطاً بعيداً . واسم أول طبيب مصري نعرفه هو « ايام حتب » أو « مجلب السلام » ويسمى أيضاً « سيد الأسرار » . ونعلم أن الملك تيتا ابن الملك مينا ألف كتابا في الطب وعلم التشريح وقيل أن أمه الملكة اكتشفت علاجا للصلع ولكن لسوء الحظ أن هذه الوصفة لم تحفظ حتى الآن

وإذا قلنا أنه لم يكن للمصريين آلات بخارية فان مشروعاتهم الهندسية راقية فقد أوصلوا النيل بالبحر الاحمر بقناة (١) وغيروا بالتدريج مجرى النيل بقرب « ممفيس » بواسطة سد هائل وقد أنجز هذا العمل في أوائل أيام مينا ومع ذلك فهو يصون مديرية الجيزة حتى يومنا هذا

ومع أنه قد مضى على الأسرار الملكية الاولى أجيال سحيقة مترامية في القدم فان آثارا عديدة قد بقيت حتى اليوم فن أقدم كتب العالم أوراق « براس » البردية المتضمنة نصائح « بتاح حتب » (١) الذي كان مستشاراً للملك « آسا »

(١) وقال . ريبب باشا ٥٠٠٤ ق . م وقال يركش ٤٤٠٠ ق م وارمن ٣٣٠٠ ق . م وبرستد ٣٤٠٠ ق . م

(٢) هذه القناة هي الخليج المعروف بسينوستريس الذي تقدم ذكره

(٣) عثر على هذه الاوراق البردية أحد الفلاحين بينما كان يحفر مقبرة باعدي جهات طيبة فباعها للعالم الفرنسي الاثرى بريسse دافين الذي نشرها سنة ١٨٤٧ وأهداها للمكتبة

أو « ايزوسي » (من الأسرة الخامسة) الذي حكم منذ خمسة آلاف سنة وتتضمن حكمه هذه السلوك في الحياة والواجب نحو الجار وغير ذلك وكانت قراءتها منتشرة ومستعملة لمدة قرون عديدة في المدارس كنموذج للكتابة وكلمات « بتاح حنب » الرقيقة تعطي صورة جليلة للحياة الاجتماعية في عصره وانها لتشبه حياتنا اليوم : فنقرأ فيها عن معاملة الزوجة برفق وعن سخاء المثري وقحة الفظ الذي يشبه شوكة في جنب آله وصحبه . وعن الثرثار . وعن الناصح الثقة الذي يزن الكلام وعن الجاهل العنيد وعن الأديب يتحادث بصراحة مع المتعلم والجاهل وعن الحاكم واحترام الرعية له وعن الخدمة الذين لا يقتنعون بأجورهم . والسكران الذي يعمل بجهد ويحسب طول نهاره وعن التاجر الذي ربما أقرضك ان كنت صاحباً قديماً له وعن النعم الذي يغشى أصحابه وقت الطعام . ولنذكر بعض عبارات من تلك الحكم كما ترجمها جن (w. Gann)

« لا تكن متكبراً ان كنت متعلماً بل عامل الجاهل كالحكيم الكلام الرقيق أندر من الزمرد . . . حب زوجتك التي هي بين ذراعيك وافرح قلبها أثناء حياتها . . . لا تكن فظاً فالرقعة اسود أكثر من القوة . (لم يكن تعدد الزوجات من عادة ذلك الزمان) . . . اذا أردت أن تكون عاقلاً حكماً وأن تجلس في كبار المجالس فاشغل قلبك بالتهذيب والكمال — الصمت أجدى عليك من كلام كثير . . ان كنت قوياً فشرف نفسك بالعلم والعظمة . . . أن مستغلق الابواب تفتح أمام الصامت الحكيم احترس من الاجابة بالكلام الخشن — اضبط نفسك — أنها الأعمال الجميلة هي التي تذكر بعد موت المرء . . »

أما عصر مدنية الانسان في مصر فغير معروف وتدل الاكتشافات في علم طبقات الارض (الجيولوجيا) الآن أن النيل قد جرى في مجراه الحالي منذ العصر الميوسيني على الأقل . وقد عرضت آلات من الظران وحلى من وادي النيل

باريس وهي تشتمل على ١٨ صحيفة مكتوبة بالهراطيقى بالحبر الاسود والاحمر وترجمها الى الفرنسية الالمانيات شاباس ديفري والى اللاتينية لوث والالمانية بروكش والى الانجليزية المستر جن وقررها الانجليز في مدارس الاطفال وسيأتي ذكرها

في نيويورك عام ١٩١٤ ويرجع تاريخها الى عشرات الألوف من السنين وأن علم الطبقات الأرضية أخذ في اكتشاف « طفولة الانسانية » و « فجر المدنية » . ونعلم من أوراق بريس البردية أن المصريين منذ خمس أو ست آلاف سنة اعتبروا مدنيّتهم انحدرت من ذروة رفعتها . ويوافق الاستاذ « مهافي » وغيره من العلماء أنهم ربما كانوا على حق وأنها من المحتمل ما عرفناهم الا في فجر تاريخهم ويقول « مهافي » : « لم يفرق المصريون في أول أسراتهم عن المسيحية العصرية ليس فقط في المدنية العملية بل في كل ما يتعلق أدبياً بحياة راقية » . ويقول بيتري « ان سكان مصر في بدء تاريخها كانوا على درجة راقية وأنهم حصلوا على أشياء أحسن مما تعرفه مصر اليوم »

وأنه في أواخر أيام انحطاطها كانت مصر أعجوبة الأمم العظيمة فالذكاء اليوناني الذي كان يحارب الخرافات التي وقع فيها الناس منذ القدم كان يقدر الحكمة المصرية حق قدرها . ويمكننا أن نقول إن اليونان اقتبست أساس قناتها من مصر مباشرة أو بطريق كريت وان افلاطون لم يتردد في اقتباس كلمات كاهن سايس بقوله « صولون صولون . ما أنتم أيها الهلانيون غير أطفال وما من شيخ هيلاني فيكم . أنكم في العقل صغار أجمعين ولا يوجد فكر قديم توارثتموه بالتقليد ولا علم شبيه القدم »

الفصل الثاني

الهرم الاكبر

إذا القينا لمحة سريعة على عجائب الفن المماري المصري فاول ما يجذب النظر الهرم الاكبر ولو أن منظره الخارجى العام مألوف لدينا فهو قائم على سفح الصحراء كأكبر أثر صناعي وآخر مابق من عجائب الدنيا السبع . وكان يدعى « بشعلة النور » وحينما كان كاملاً في زمن شبابه بغطائه المطلي الساطع في ضياء

الشمس المنير كان منظره ساحرا فتانا وأن حجمه الهائل وصنعه الكامل لما لفت نظر العالمين ويقول بيترى (١) : « ان المر المؤدى الى الداخل مع الغطاء ربما كان الاجمل وان المستوى وتربيع المفاصل لما يضارع أعمال الفن النظري في أيامنا هذه ولكن فوق مساحة من الافدنة بدلا من أقدام ويارات وأن مستوى ومربع القاعدة حقيقي كامل ومخدع الملكة مناسب تناسبها جميلا ... »

ومن العجيب — أن المصريين استطاعوا أن يشيدوا بكل ودقة « ما يضارع أعمال الفن النظري » في مدة قصيرة — نحو قرن أو أكثر قليلا كما قال بيترى والاعجب أنهم قدروا على هندسة البناء الحجري بالآت فحسية .

لنا نعلم أن أقواما شرقيين امتزجوا بسكان مصر الأصليين في زمن بعيد في القدم وتقلوا منهم مدينتهم فان كان هؤلاء هم بناء الهرم فلا بد أن يكون تاريخه يرجع الى ما قبل الاسرة الرابعة من أسرات ملوك المصريين . والاسرة الرابعة هي التي ينسب اليها بناء الهرم الاكبر لأن المهاجرين وصلوا قبل عهدها بمدة سحيقة وعصور متطاولة . وهناسر غريب فان وجود اسم الملك خوفو (٣٩٦٩ ق . م) ثاني ملوك الاسرة الرابعة منقوشا على بعض الجدران الداخلية لا تثبت قطعيا أن خوفو هو باني الهرم (٢) كذلك لا تثبت تصريحات هيرودوت وقد حاول الفلكيون مرارا أن يحسبوا تاريخ الهرم الاكبر بمقارنة زاوية المدخل المنحدر (الزلاقة) بموقع نجوم معلومة في مكان هام لها ولكنهم لم يأتوا ببرهان قاطع . وتشير مدام « بلافانسكي » في تقديرها عمر الهرم باكثر من ستة آلاف سنة قائلة أن الهرم علاقة بالانقلابين الفلكيين وأنه بالنسبة الى نظرية الانقلابين والاعتدالين الفلكية وهي ظاهرة تتكرر في مواعيد كل ست وعشرين الف سنة وان الشاهد في معبد دندره وعلاقته بالبروج ليؤدى بنا الى نتيجة أن الهرم قد شهد أكثر من دور انقلابي

(١) هذا جزء من كثير مما كتبه العالم بيترى عن الاهرام
(٢) أثبت جميع المؤرخين تقريبا ان خوفو أو (كيبس) هو باني الهرم الاكبر في عهد الاسرة الرابعة والله أعلم

الفصل الثالث

رأى فى علاقة الهرم بكتاب الموتى

ايس فى مصر ولا فى غيرها من البلدان ما يدانى الهرم الا كبر (١) وأما داخله فموضع الدهشة وكذا شكله الخارجى ثم المساحة المستوية فى قمته وهى تختلف عن الاهرامات الاخرى وأن فى شذوذ صنعه لمغزى رمزى كما نقرأ فى أبحاث « مارشام آدم » (٢) وأن مغزى الممرات الغريبة والحجرات فى داخل الهرم له مفتاح سره فى الاوراق البردية التى دعاها « لىسياس » (Lepsius) بكتاب الموتى (٣) وكان الاجدر أن نسميه كتاب سيد دار الاسرار ويصف هذا الكتاب المقدس الذى كان يدفن مع الممياء كتذكار للعالم الاخرى نجاح النفس فى طريقها بين أبواب ومناطق التجارب الهائلة لتصل الى عرش المخلص « أوزيريس » الذى هو عين الانسان الكامل ولما كان المصريون يعتقدون بالبعث فلا بد أنهم عرفوا أن هذه الطريقة فى تبديل وترقية النفس فى خلودها تشمل عدة

(١) يشتمل بناء الهرم الا كبر على نحو مليونين و ٣٠٠ الف حجر متوسط وزن الحجر منها طنان ونصف وارتفاع الهرم كان وقت تشييده ١٤٥ مترا ولما تهدمت قمته أصبح اليوم ١٣٧ مترا ومسطح قاعدته يبلغ ١٢ فدانا وهى مربعة الشكل يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها الآن ٢٣٣ مترا وقال هيرودوت انه كان يشغل فى بناء هذا الهرم مائة الف رجل يستبدلون بغيرهم كل ثلاثة شهور وان بناءه استغرق عشرين عاما . وجميع الهرم مشيد من الحجر الجيرى الصلب ما عدا المذبح الاكبر فانه من الجرانيت

(٢) له عدة مؤلفات ذكرنا بعضها فى قائمة الكتب فى الخاتمة

(٣) كتاب الموتى مترجم الى جميع اللغات الحية ما عدا العربية التى قدر لها أن تحرم من كل ما يتعلق بقدماء المصريين تقريبا وربما نرى هذا الكتاب مترجماً الى العربية بعد حين وأقرب ترجمة له هى ترجمة بدج الانجليزية طبع لندون عام ١٨٩٨ فليرجع اليها القارئ المصرى وعنوان الكتاب (The book and he dead) ترجمة (budge) فى ثلاثة مجلدات ولا ترجع أهمية الكتاب الى انه من أقدم كتب العالم اذ كتبه قدماء المصريين أنفسهم منذ آلاف من السنين وربما قبيل الاسرات الملكية فقط بل ترجع أهميته أيضاً الى شرح محاكمة النفس بعد الموت والى ما يتعلمه القارئ من كثير من معتقداتهم الدينية وآرائهم عن الآخرة والبهت وخالود النفس . وسنذكر كلمة عنه آتية :

أدوار للحياة وللرجل التقى العادي يأخذ جزءاً صغيراً من القصة في الدور بين كل حياة وأخرى . .

ويندر أن يكون المتقدم مستمداً ومطهرراً بازمناً حياته الماضية ليكون كفواً ليدخل في الاتحاد مع الالهية والخلود وأن « كتاب الموتى » لكثير من القوم كسجل لنظرية مستقبلية ولو أنها قد ساعدتهم بلا شك في الحياة وبعد المات ويظهر أن « مرشام آدم » قد استنتج أن الهرم الاكبر في حجراته وطرقه ووضع الارضى يشير الى الشروط الواردة في كتاب الموتى وسواء أكانت حجرة الملك قد استعملت كقبر بالمعنى العادي أم لا فقد أتى مارشام آدم بشاهد ظاهر لا ينكر معززا رأي « مدام بلافاتسكي » أن الهرم كان الهيكل الذي تجري فيه التجربة العظمى للمتقدمين اليها في سبيل الحكمة الازلية ويصرح أنها واسطة غير مهلكة للصيانة بلا خداع تلك التي تتوقف عليها المتعاليم التي عليها مدار الحياة القومية المصرية .

ومارشام آدم هو أول من اكتشف المشابهة بين الهرم والوصاف المذكورة في كتاب الموتى وسرعان ما أيد الفكرة الاستاذ ماسبرو العالم الفرنسي الشهير بالأثار المصرية بقوله « انهم مثلوا الفكرة بطريقى الكلمات والحجارة » (١) ومنظر المحاكمة في كتاب الموتى معروف ولا داعي لشرحها وتلخيص في وزن القلب بحجرة « أوزوريس » الذي يمثل الذات العليا فيقرأ « ثوث » (تموت)

(١) أورد مارشام آدم في كتابه دار الاماكن الخفية (house and hidden Places) رسماً مفسراً لما يحتويه الهرم الاكبر من الداخل وفسر كل مكان بما يطابقه من تفاسير كتاب الموتى فمثلاً قال عن الزلاقة المنحدرة من المدخل والمفرغة في بناء الهرم والصخر الى الحجرة التي تحت الارض انها منحدر الغرض والحجرة مكان الامتحان والحنة وحجرة النار الوسطى والزلاقة الصاعدة مخدع الظل والحق في الظلمة ثم فتحة « ثوث » تؤدي الى غرفة الولادة الجديدة ومكان القمر ثم الى عرش رع واوزوريس وقبره المفتوح في غرفة النجم الشرقى وفوقه غرف الاسرار والاله الخفى ومنفذ هاتور والأعلى الخفية وهكذا فسر الزلاقات والاسراب والايوان والممر الموصل من الدكة الى مخدع الملك والسرب الموصل الى الغرفة المعروفة بغرفة الملكة والخمس الغرف المفرغة في البناء والبئر وهلم جراً

الذي يمثل لقانون كارما النتيجة فاذا لم يكن القلب بقيا حضر التنين ليلتهمه . وكل ذلك مفهوم جلي ولكن يجب أن يقال كلمة عن الاثنين وأربعين مثنى ومعظمهم له رأس حيوان . اذ يصعب علينا فهم معنى الآلهة ذوات الرؤوس الحيوانية الا متى عرفنا أنها كانت تخترع في مخيلة المفكرين الذين وجدوا في بعض الحيوانات تلك الصفات المختلفة التي تطابق الرموز المشيرة الى القوى التي يريدون اظهارها وترجع مسئولية النقد المصري الموجه الى مصر لعبادتها الحيوانات الى هيرودوت الذي زار مصر في عصر اضمحلالها حين كانت الخرافات التي يعتقد بها الشعب الذي ورثها عن الكهنة الذين أذاعوها لاجل ما رب شخصية ولم نسمع بمثلها أبان العصور الراقية وقد تنبأ الفيلسوف المصري القديم « هرمس » الملقب (بالمثلث العظيمة) بقوله : « وآسفاه ! وآسفاه ! يا بني فانه سيأتي يوم تكون فيه الهيرغرافية أصناماً فيخطيء العالم في فهم رموز العلم بالآلهة ويأخذون على مصر العظمى عبادتها لوحوش الجحيم »

وقد كان « أوزيريس » رمزاً للذات العليا . وان كل الحوادث في « علم الخرافات والقصص » التي حدثت في مولده وحياته الالهية ومساعدته لعمل الخير وقهره بالشر أحيانا وذاك الموت القاسي والبعث الى المجد . كلها نموذج لفوز النفس وتدرجها الى الكمال

وحينما تصل النفس المجاهدة الى الاندماج بالذات السرمدية تكون غير قادرة على اباداة الاعداء الذين يواجهونها فيقول المتقدم : « أنا أوزيريس ، أنا سونيس (النجم اللامع سيرياس) نجم الفجر الأبدى » فتهرب عندئذ الوحوش الهائجة والرغبات السفلى

يقول « شاباس » إنه لا توجد فضيلة من فضائل المسيحية منسية في القانون المصري (المذكور في كتاب الموتى وغيره) فلقد حث على التقوى والاحسان والرقعة وضبط النفس في القول والفعل والعفة وحماية الضعيف والجود للمحتاج والتواضع للرؤساء وغيرها .

الفصل الرابع

أبو الهول ومعبده

وبالقرب من الهرم لأ كبر يجلس أبو الهول الذي مازلنا نرى في أصله سرّاً وهو الذي يقف كأسمى تمثال موجود لمعنى النشوء الحقيقي وتسلط الحيوان بذلك الانسان السماوي . . وقد أعلن «شمبليون» وجود طريق أسفل بين أبي الهول والهرم الأكبر . ويظهر أنه فقد عن الأ نظار وان اكتشاف مثل هذا الطريق ليكون هاما مشوقا وقد وصف «ماريت» لوحا وجد بالقرب من أبي الهول ومكتوب عليه اصلاح خوفو لأبي الهول وخوفو هو بأى الهرم الأكبر كما نزعهم ومعبد أبي الهول كما يدعى بذلك بناء يستحق الذكر ولكن الغرض من بنائه مجهول وهو مربع البناء من كتل من الحجر المحبب (الجرانيت) وصنعه جميل وليس فيه أثر للكتابة أو الزينة وهو في الواقع قديم مثل الهرم الثاني وربما كان أقدم منه بكثير وأن عدم وجود آثار النحت والزينة فيه لتكشف وجهها للقدم فترى فيه أن المصريين الأول الأقدمين لم يصنعوا أصناما للآلهة وقد وقف هذا المعبد بعد اكتشافه كبناء شاذ حتى اكتشاف في ابيدوس مدفن اوزيريس ومقر أسرار مندفج التاريخ وقد اكتشفه عام ١٩١٣ الاستاذ «نافيل» الاسري الفرنسي وزملاؤه الأمريكيون وقد اكتشف بالقرب من معبد ابيدوس لسيتي الأول ذلك المعبد الفخم المشهور (١٣٥٥ ق . م) تحت الأرض بثلاثين قدما بناء عجيب يشبه في طريقة بنائه معبد أبي الهول ولكن لا يشابهه في مصر سواه ويجد القارئ وصفا مسهباً لهذا البناء العجيب في مجلة (الطريق الصوفي) (١) بكاليفورنيا امريكا شهر اكتوبر ١٩١٤ وابريل سنة ١٩١٥

(١) The theosophical path لصاحبتها كاترين تنجلى وقد نشرت هذه المجلة

الكبيرة كثيرا عن قدماء المصريين وهذا الفصل كما قدمناه معرب عنها

الفصل الخامس

تعليم قدماء المصريين للامم

ويلاحظ من نفاذة تلك الأبنية التي استعمل لأجلها مقدار هائل من الاحجار ويرجع عمرها إلى عصور قديمة جداً أنه من المرجح أن هذه الأمثلة وضعت نماذج لا تار قبل التاريخ الهائلة الكبيرة فشيدها مثلها في شمال غربي أفريقيا وبعض بقاع مختلفة في أوروبا وتقول مدام بلا فاتسكي في كتابها الكبير (التعليم السري) (The Secret Doctrine) شيئاً قما عن رحلة قديمة جدا خرجت من مصر الى غرب أوروبا وبريطانيا وآنثذاظهر كثير من المعلمين الأول للناس كيف يبنون ويستعملون تعاليم الدين والفلك ومازلنا نرى مثل تلك الآثار في (ستونهنج) بإنجلترا و(الكرنك) في بريطانيا بفرنسا و(كلارنس) في سكتلند و(نيوجرانج) في ايرلندة

وقد أبدى «السير فورمان لوكيار» الفلكي البريطاني أخيراً شاهداً قويا ليظهر أن المعابد الهائلة البريطانية التي شيدت قبل التاريخ كانت خاصة لبعض النجوم مثل بعضها في مصر وإن كثيراً من تلك الأبنية مثل الدوائر الحجرية المرتفعة كانت تستعمل في القديم كمراصد للمعابد وليست هي لأغراض الدفن فقط كما يعتقد عادة وما زال يوجد على بعضها منقوشات مصرية رمزية مثل علامة الصليب المقدس ذى الرأس الحلقية (تو) ومثل سفينة امون رع التي تحمل الشمس في سماواتها كما يوجد آثار أخرى كثيرة مما يدل على انتشار الاثر المصري في كل الأزمنة الغابرة ومن ذلك ما نلاحظ من المشابهة والعلاقة بين اللسان الويلزي واللغة المصرية وقد لاحظ ذلك الاستاذ موريس جونس

ويندكرنا هذا الموضوع بالتشابه بين الرموز المصرية والرسوم الأساسية وبين مثلها بأمريكا القديمة وثمة ذوق مصري ظاهر في مباني «مايا» في «شيكن اتزا» وإن الاهرامات العظيمة المشيدة للشمس والقمر بقرب عاصمة المكسيك لتشبه

اهرامات وادي النيل تماما ونجد بين العلاقات الرمزية بين مصر وامريكا القديمة الصليب المذكور والكرة ذات الجناحين في كلا القطرين وكذلك أن هيئة الأشكال الرمزية الهامة في امريكا الوسطى هي عين ارموز في الهند . ويدل تمثيل « كريشنا » في الهند وبوذا الهندي أو اليوجا على اتحاد خاص بين آراء الفلاسفة في مصر والهند فهل كان ذلك قبل أو بعد زوال قارة الاطلنطيق ؟ . ونرى أيضا التشابه في السفينة المصرية التي تحمل الشمس وتجوب بها السماء في آثار وجدت متشابهة في عدة اماكن مختلفة مثل « تيومالاس » التي تسمى « نيوجرانج » قرب « دروغيدا » بايرلنده وكذلك في « لوكماريكر » في بريطانيا . وعدة اشكال منها في « بوهزلان » بالسويد وذكرها « بلزر » في كتابه المسمى « آثار بوهزلان الحجرية » وقد وجد الصليب المصري (تو) في معبد قديم في فرنسا وتكلم عنه « رولستون » في كتاب له اسمه « خرافات الجنس الصقلي » ووجدت كرة بجناحين في معبد الدير البحري بمصر وأخرى مشابهة لها في « شيباس » جنوبي المكسيك . ونشير الى معبد ادفو لأنه من النوع الذي تألفه في مصر وأنه يعطى فرقا غريبا بينه وبين المباني ذات السطوح المقوسة التي نعرفها وقد أنجز بناؤه عام ٥٧ ق . م . وقت أن سار قيصر لفتح بريطانيا ومع أن المصريين عرفوا واستعملوا مبدأ المنحنيات بقلّة وندرة فاتهم فضلو البساطة في السقوف المسطحة والعتب المستوية أما معبد دندره في حاله الحاضرة فقديم أيضا ويرجع الى عام ١٢٠ ق . م ولكنه يحل مكان المعبد الأول الذي شيده أتباع « هورس » في العهد البعيد ويحتمل أن هؤلاء الأتباع كانوا أقدم المهاجرين من شرق اتيوبيا من اسيا الذين أحضروا معهم علم الحديد والعمارة وقد اكتشف الملك يبي من الأسرة السادسة خطة ثانية لمعبد ذي منحنيات واستخدمها في معبده وقالوا أن هذه الخطة مؤسسة على خارطة للسماء وئمة بعض التقاليد الرومانية عن الطريق السري الذي بها صيغت ليسهل اخراجها في الوقت المناسب . وقد عفت آثار معبد يبي اللهم الا بقايا الأسس وبعد مضي خمسة وعشرين قرنا على حكمه بنى البطالسة المعبد الحالي وفيه

صور لكليوباترا السادسة المشهورة وكتابات ذات علاقة بامبراطرة الرومان الذين حكموا مصر مثل طيباريوس وانطونيوس ونيرون وكانت هاتور التي شيد المعبد لأجلها هي الأم العظيمة للضوء والفرح والحب العائلي ووجهها الذي له أذنا بقرة رمزيتان مصور على رؤوس الأعمدة وقد شوهته أيدي التعصب .

وقد كتب كثيرا عن خارطة النجوم ومنطقة البروج في دندرة والأول مسلية بصفة خاصة لما بها من الاشارات الفلكية ومناطق البروج التي عرفها المصريون وعن ثلاثة أدوار انقلابية للشمس في منطقة البروج وكل دور يمثل زمنا هائلا قدره ٢٦ ألف سنة ويقال أن مثل هذه الخارطة موجود في معبد في شمال الهند التي يمكننا أن نعلم فيها تقارير عن مدد فلكية صحيحة في القدم ما زالت محفوظة وقد كتبت مدام بلافاسكي بعض غرائب عن خرائط دندرة الفلكية في كتابها «التعليم السري» الآنف الذكر وقد فند هذا الموضوع الاستاذ فردريك ديك في كتابه «الفلك القديم في مصر وأهميته»

الفصل السادس

طيبة وأثارها

وعلى بعد في أعالي النيل تجلس «طيبة» ذات الأبواب المائة كما يدعوها هوميروس وأنها أكبر المدن التي عرفها التاريخ ويقول عنها شمبليون : «إن الانسان لتأخذه الحيرة والدهشة من جمال الآثار وسموها وبهاء صنعها وعظمتها التي ترى في كل مكان ولا يوجد قوم في الأيام الغابرة أو الحاضرة قد وصلوا بعلم البناء وهندسته الى مثل هذا الابداع والعظمة والحجم كما أبدع قدماء المصريين الا أن الخيال ليجتو عند أقدام أعمدة الكرنك»

وتقول بلافاسكي التي قضت في مصر زمنا طويلا عن طيبة : «إنا اذا ذهلبنا من التأمل فيها اليوم فكم كان رونق مرآها في أيام مجدها ! أن من لا يشعر بالعظمة

العقلية لا أولئك الذين شيدوها وصوروها فانه يكون ولا مرأى مجرداً من الشعور الروحاني للعبقريّة »

ومعظم الجواميع العجيبة للمعابد الباقية في طيبة بنيت أبان عصور الأسرتين الثامنة عشرة القوية والتاسعة عشرة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حينما كانت مصر تنبوء ذروة عظمتها . وقد بنى معبد الكرنك العظيم لأمون رع العلي المخفي عن العيون والغير مخلوق « الذي منه انبثقت السموات والأرض والآلهة وكل الكائنات » وكان يحتفل بأسراره فوق البحيرة المقدسة فيكون قارب رع الحامل الشمس — ذلك القارب الذي وصلت شهرته قديماً الى شمال أوروبا — ساجدا أثناء ذلك فوق مياه البحيرة . ويقول المستر ويجال الذي كان الى عهد قريب مقتشاعاً للآثار المصرية أنه الى يومنا هذا مازالت خرافة وطنية وأن فوق هذه البحيرة في الكرنك يرى أحياناً قارب ذهبي وهو لاشك قارب آمون رع »

أما القاعة العظيمة فكانت ولا بد توص الخوف في النفس من عظمتها فهي تغطي مساحة من الأرض قدرها ٥٠ ألف قدم مربع وتبلغ أعمدتها الضخمة من العلو ثمانين قدماً ومحيطها ٣٣ قدماً ولكن ليس علوها وحجمها هما سبب جمالها فقط . وقد نشر شخص غريب منذ عهد قريب نظرية مضمونها أن حجم الآثار المصرية الهائل يرجع الى ضعف النظر الذي قاساه البناؤون فلم يروا الأشياء الصغيرة واضحة . ولكننا نحيل هذا الرأي الى المصنوعات الدقيقة لجواهرهم النفيسة وفي بعضها نقوش ذهبية فيها صور صغيرة تبلغ ثمانين صورة في بوصة واحدة وأما عن جمال النقوش والطلاء في قاعدة الأعمدة فانه لما أريد صنع نموذج مثل تلك النقوش في القصر البلوري بلندن عجز أمهر المصورين عن تقليدها تماماً وكان لهم عمل شاق تعب فيه الفنانون الماهرون .

وكان لمصر عدد من الملكات المشهورات وأن معبد الملكة حتشبسوت العجيب بالدير البحري بقرب طيبة ليكشف لنا عن مبلغ نفوذ الخيال الانثوي وكانت هذه الملكة إحدى حكام مصر العظام . ونرى في داخل معبدها هذا عدداً

من الصور الواضحة تبين البعثات البحرية التي أرسلتها الى بلاد نائية في جنوب البحر الاحمر (بلاد بنت) وأخرى تمثل ولادة الملكة الخارقة للعادة وهي رمز مجازي عما نسب لأشخاص مؤهلين في ممالك أخرى وقد وصف « جبر الدماسي » في كتابه « التكوين الطبيعي » في الجزء الثاني صفحة ٣٩٨ منظراً مشابهاً لهذا في معبد الاقصر قال : « في هذه المناظر الأربعة المتوالية ترى الملكة « موت أموا » أم « امنحتب الثالث » أحد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ممثلة الأم العذراء التي حماهت بلا رجل هي أم الواحد الصمد

أما المنظر الاول عن اليسار فيرى الاله « تحت » أو « ثوث » أي المريح أو الكلمة الالهية في حال تبشيره الملكة العذراء معلنا لها أنها ستلد ابناً . وفي المنظر الثاني يرى الاله « كنف » مع « هاتور » يث فيها الحياة وهذا هو الروح القدس . . والمنظر الثالث ترى الأم جالسة والطفل محمولا على ذراعي إحدى المربعات . والمنظر الرابع يري منظر العبادة . وهنا يجلس الطفل على العرش ويأكل من الآلهة الاكرام وعطايا الناس . ويرى وراء الاله « كنف » من اليمين ثلاثة رجال يقدمون عطايا باليد اليمنى وحياة باليسرى . وهكذا بشر بالطفل ثم تجسد ثم ولد ثم عبد وهو التمثيل الفرعوني « لأتون » أي الشمس وبالسورية « آدون » وبالعبرية « آدوناي » وهو الطفل المسيح لأتون كطريق للاعتقاد الديني . وهي فكرة عجيبة للأم العذراء الممثلة « بموت أموا »

ولقد تحمس المستر ويجال في وصفه لرسم إحدى الشبه زوجات بالدير البحري بقوله : « إن شكلها مرسوم رسماً بديعاً وليس فيه تلك القسود التي تشوه الفن المصري وربما كان من صنع يوناني »

ولكنه كان مرسوماً قبل أن يرى مثل هذا الفن في بلاد اليونان بألف سنة ومن المعلوم أن المصريين حينما كانوا يمثلون أشخاصاً من طبقة وضعية لم يبالوا بالتقاليد الفنية فكانوا يرسمونها على حقيقتها ولا يجب أن تقع في خطأ التصور أنهم لازموا الاصطلاح في الرسم

وبالقرب من معبد الدير البحري وجد التمثال المشهور لبقرة هاتور المقدسة التي أدهش العالم منذ سنين قلائل . وأنها لتنافس أي تمثال منحوت لحيوان في أي عصر أو أي قطر

وبين المسلات المقامة لفخر الملوك العظماء في الكرنك يوجد اثنتان (وقد سقطت احدهما) وهما الملكة حتشبسوت شيدتهما لامون رع وتكشف لنا الكتابة التي عليها الستر عن خلق تلك الملكة القوية التي لم تكن محبة للقتال بل عاملة على نشر السلام

« سأجعل هذا معلوما للأجيال الآتية والذين سيتحرون عن هذا الأثر الذي صنعه والذين سيتكلمون عنه ويشخصون اليه في المستقبل . كنت جالسة في القصر وكنت أفكر في خالقي فحدثني قلبي أن أصنع لأجله هاتين المسلتين اللتين تطاولان السماء »

ثم تصف الملكة بعد ذلك كيف قطعت صخور المسلتين ونحنت وطلبت وأقيمت في مدة سبعة شهور فقط وبعد أن اقسمت يمينا ومغلظة أن هذا حق قالت « إذا فليس من أحد يسمع هذا ويقول أن هذا الذي قلته كذب وإلا فليقل كيف كانت ! »

وأما علو المسلة منها يبلغ ٩٧ قدماً ونصف قدم وقد قطعت كل منهما من صخرة واحدة وكانت رأسها المحذبة مطلالة بالذهب : وأما معبد الاقصر فقد بناه امنحتب الثالث في القرن الخامس عشر ق . م وهو من أجمل آثار طيبة وما زال حافظاً لرونقه وقد حكم هذا الملك ٣٦ عاماً تمتعت مصر خلالها بسلام وتقدم وصارت طيبة إحدى عجائب الدنيا وما زال الكثير من الكتابة القديمة باقياً يحدث عن نخامة معبد لقصر وكان له أبواب من مزيج الذهب بالفضة وأرض من فضة وأبواب من البرنز المرصع بالذهب وحدائق تجمع أجمل الأزهار وكان هذا النعيم والثراء مقرونا بالذوق السليم . . وما زالت ذكرى امنحتب الثالث حية بالتمثالين المعروفين الذين هما أكبر تماثيلين صنعا وهما في سهول طيبة وكل منهما

مصنوع من حجر واحد وزن نحو ٩٠٠ طن وطول كل قدم فيهما عشرة اقدام ونصف قدم ويباغ ارتفاع كل من هذين التمثالين الجالسين سبعين قدما ويسمى بتمثال ممنون ذي الصوت الموسيقى اذ كان يخرج منه أصواتا موسيقية عند شروق الشمس وظل ذلك حتى سنة ٢٧ ق . م حين حدث زلزال خطير خربه ثم تجدد بعد مائتي سنة من ذلك التاريخ ويقول «هاريت مارتينو» عن التمثالين : —

« لا أقدر أن أصدق أن هناك اعظم من هذين التمثالين في كل ما فكرت في اخراجه مخيلة الفن . لاشيء في الحقيقة حتى في الطبيعة قد أثر في نفسي مثلها... فان أثر الهدوء العجيب الذي يشع منهما على مسافة بعيدة يزيد جلاء حين القرب منهما . . . »

ونعجب كيف صنعا وكيف حملا فوق النيل وأقما في مكانهما ، لانفهم ذلك وكل ما نعلم أنهما كانا مشيدين أمام معبد امنحتب الثالث الذي لم يبق منه أثر : وهناك يقع الوادي العظيم - وادي مقابر الملوك - وهو مكان قفر وحيد تحفه صخور قائمة عمودية فعلت فيها آثار المياه حينما كان المناخ مختلفاً وقد اكتشف منذ خمسة وثلاثين عاما مجموعة غريبة لموميات ملكية في هذا الوادي وكانت مصونة في مقابر محفورة في الصخور في قلب الجبل ومخبأة حتى لا تصل اليها أيدي اللصوص واذا كانت جثث الفراعنة العظام من الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وبينهما جثث محرر مصر احمس الأول ورمسيس الأكبر وأبيه سيتي الأول وتحتهمس الأول وغيرهم من الأبطال الوطنيين العظام محمولة فوق النيل من طيبة الى متحف القاهرة حدث حادث مؤثر يرويهِ البعض قائلاً أن أهالي القرى في طول الطريق برزوا وحيوا المشهد الملكي في سيره وانحنوا صارخين بحزن والنساء بشعور مفكوكة والرجال يطلقون نارا كما يفعلون في الجنائز فكان أرواح قدماء المصريين تقمصت في أشخاص الفلاحين البسطاء لتحيا الموتى العظام باكرام في رحلتهم الأخيرة فوق النهر المقدس وأن من يسمع هذه الحادثة كما يرويها البعض يكاد يؤمن بالبعث بعد الموت

الفصل السابع

فيلة وآثارها

بين حدي مصر ونوبيا بقرب الشلال الأول تقع الجزيرة العجيبة فيلة أو بيلاك حيث يشاهد منظر مؤثر لعلم الآثار المصرية . ولقد بذل كل مجهود لا تقاذه المعابد من مياه النيل لئلا تغمرها بعد بناء خزان اسوان ولكن ذهب هذا المجهود أدراج الرياح وكل ما في الجزيرة من المباني الباقية غير قديم ولكنها رائعة جميلة بل هنا يرى فن البناء المصري بوجه عجيب جذاب وتوجد في غرف معبد ازيس صور لها دريان واغسطس واقلاديوس وكلهم ممثلون برسم اصطلاحى كفر اعنة مصريين ومن الغرابة أن نرى امبراطرة من الرومان يعبدون ازيس واوزيريس ولكن ذلك لم يكن شائماً جداً ولا شك أنهم عرفوا آلهتهم الخاصة تحمت أسماء مختلفة وعلى كل فالرومان كانوا معتدلين في المعتقدات الدينية الا متى رأوا في ذلك ما يهدد الحكومة وقد كانت فيلة آخر مقر للديانة القديمة لأنه في حكم الامبراطور جستنيان عام ٥٢٧ للميلاد حرم الاحتفال بطقوس ازيس وأصبحت المسيحية هي العقيدة الرسمية في مصر وعقبها في القرن التالي الديانة الإسلامية التي سمحت للأقباط المسيحيين بالعبادة في كنائسهم بحرية

الفصل الثامن

أبوسمبل وآثارها

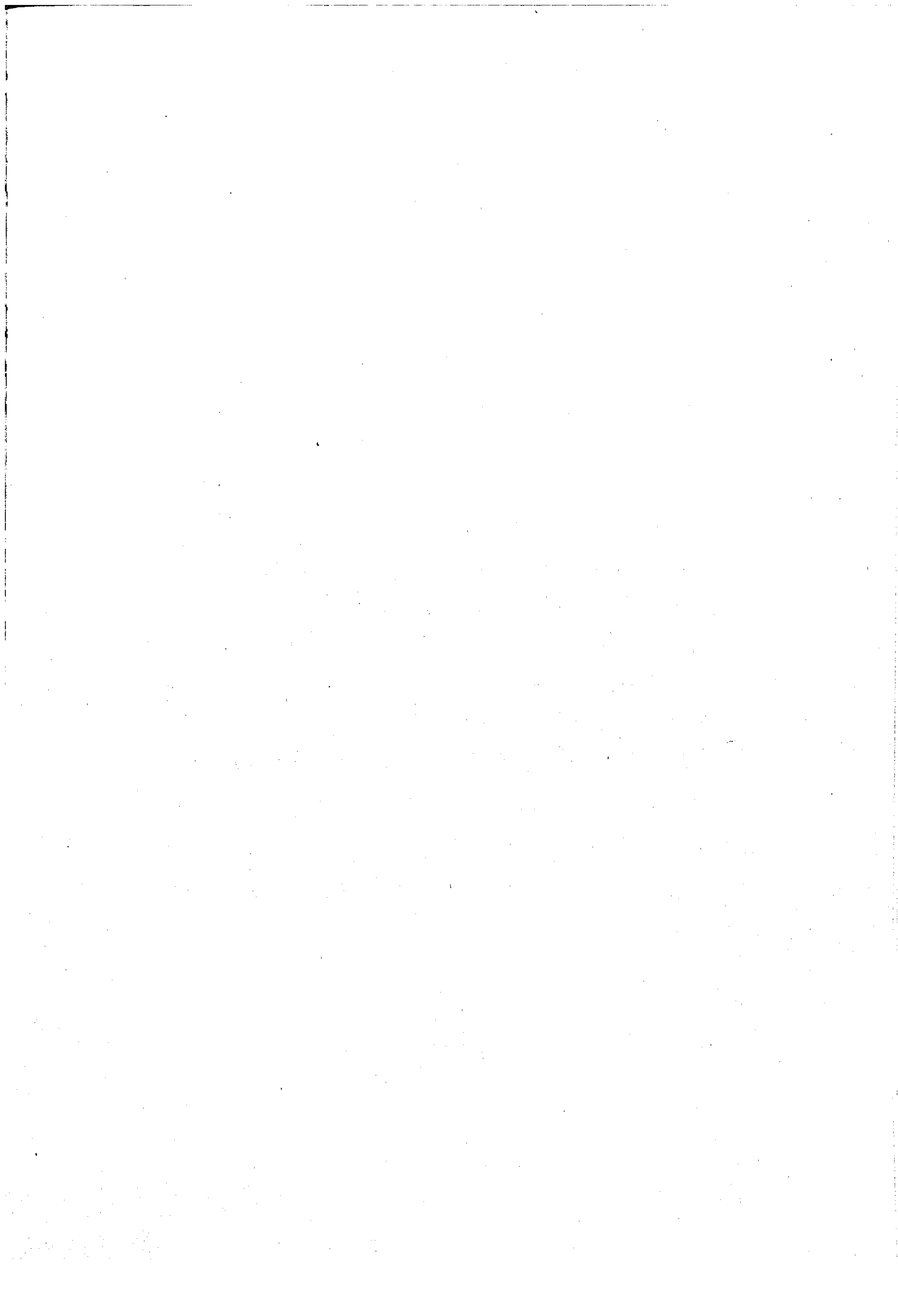
وقد امتد سلطان قدماء المصريين الى السودان منذ أزمنة مبكرة وان المعبدین الصخريين في أبي سمبل لمن أعجب ما في وادي النيل من مباني وان معبد رع الهائل الذي بناه رمسيس الأكبر لمن أعجب ما عمله الانسان على سطح الأرض وتبلغ التماثيل الأربع لهذا الملك التي تبين تقاطيع الوجه في ارتفاعها سبعين قدما

ولا شيء يضارع عظمتها الهائلة وجمالها ولا شك أن صناع هذه التماثيل الهائلة
لرمسيس قد تحققوا من إمكان ألوهية الانسان .

وعند ما يدخل الانسان في المدخل السري للمعبد بقاعاته الصامتة المظلمة وهو
محفور الى مسافة ١٥٠ قدما في الصخر الحى ومغطى بالنقوش والكتابات فان شعوره
يكون أغرب ، وأنسب وقت الاقتراب من المذبح هو في اللحظة التي ينفذ فيها شعاع
الشمس أو ضوء البدر فقد قال المستر ويجال : « أن من يزوره وقت الفجر ويسير
في الدهليز والهيكل تأخذه الدهشة لروعة تلك اللحظة حينما تمر الشمس فوق التلال
واذا بالقاعة المعتمة قد أنيرت فجأة وزهت بالضياء . . . ويمكننا أن نصف ساعة
الشروق هنا كمظمة عميقة مؤثرة وأنه لا يوجد في مصر زمان ولا مكان يفعل في
النفس ما يفعل هذا الأثر فيقدر الانسان روح قدماء المصريين في عبادتهم »

ووصفت « مدام كاترين تنجلى » التي قضت زمناً في أبى سمبل تماثيل
رمسيس الهائلة في هذا المعبد العظيم بقولها . — « أن الموقف الجليل وروعة الهدوء
تلاحظ في تلك الوجوه الحجرية فالعينان حادتان كأن الحياة وراءهما وهما تطلان
على الدكون كأنهما تنظران الى الآتى وكأنهما قد عرفتا أن مجد مصر القديمة
سيعود ثانية . هناك تمكثان كحراس للماضي القوي وكرسل الآتى المجيد وربما
جلس الانسان طول اليوم ناظراً الى هذه الأحجار التويه ويشعر بالحياة الروحانية
حول المكان . . . وحيث أقف يمكني رؤية المدخل حيث ينتظر الانسان أن يرى
بعض الأسرار القديمة العهد آتية لتقابل النهار .





الكتاب الرابع

لمحة الى مصر القديمة

الفصل الاول

أرض الشهرة الغابرة

إذا سئلنا عن أكثر البلدان عجباً في تاريخه فأخال البعض يقول فلسطين وذلك لأن في تلك الأمة ما هو غريب في بابه بل لأنه حدث أيضاً فيها من عظيم الحوادث وعجيب الوقائع ما يجعلنا نحكم بذلك كما أنها موطن السيد المسيح، ولكن من ذكر فلسطين لا يتردد في ذكر مصر بعدها وأنها ترتبط بفلسطين بوثق تاريخي في كل تلك الحوادث الجميلة التي تقرأ عنها في التوراة التي تحدثنا عن يوسف الصديق الذي صار وزيراً لمصر وعن موسى الكليم الطفل اليهودي الذي أضحي أميراً في بيت فرعون وعن خروج بني اسرائيل من أرض مصر ولكنه بالرغم من ذلك فإن لمصر حكاية عجيبة غريبة مستقلة بها وليس ثمة أمة أخرى لها مثل ذاك التاريخ الطويل المفعم بالملوك العظماء والحكام والجنود الشجعان كما أنه ليس في بلاد أخرى من بلاد الأرض أبنية يمكن مقارنته بتلك الابنية العظيمة الجميلة والعجيبة في بابها .

وليس في انكثرا أبنية قديمة وكثيراً ما يطوي الانجليز شاسع المسافات لغشيان الكنائس القديمة واقلاع التي يرجع بها العهد الى خمسة قرون أو ستة . وأكبر هذه المباني تعد في مصر حديثة جداً ولا تقاس بالمعابد الهائلة ومقابر مصر العجيبة التي شيدت قبل أن تبدأ قصة التوراة بمئات السنين . .

فالأهرام مثلاً - تلك المباني المشمخة الهائلة والتي ما فتأت أعجوبة الدنيا هي أقدم من أي بناء آخر يحمله ظهر أوروبا ولقد نصبت قبل أن يباع يوسف الصديق وقبل أن يسمع البشر بالاغريق والرومان بعشرات القرون . .

وكان في مصر آنشد ملوك عظماء يحكمون فيها ويأمرون ويبعثون بجيوشهم لغزو سوريا والسودان ویرسلون سفنهم لتكتشف البحار الجنوبية المجهولة وكان

حكاء مصر يكتبون الكتب التي وصل اليها بعضها وقت أن كانت بريطانيا جزيرة مجهولة همجية يسكنها المتوحشون بينما كانت مصر أمة متمدينة راقية حافلة بالمدن العظيمة والقصور الشائخة والمعابد السامقة وكانت مهبط العلم والنور .

وهكذا أردت في هذا الكتيب الصغير أن أحدثكم وأقص عليكم شيئاً من عجائب تلك الأمة القديمة وعن الناس الذين عاشوا فيها في تلك الأيام السحيقة الغابرة قبل أن يستيقظ العالمون في الأمم الأخرى أو يكون لهم تاريخ .

وأنه لمن العجيب أن نرى أمما كثيرة من تلك الأمم التي لعبت على مسرح التاريخ دوراً هاماً صغيرة الحجم غير مترامية النطاق فأنجلترا جزيرة صغيرة من الأرض ولكن لها تاريخ هام وفلسطين كانت تدعى بأقل البلاد وبلاد اليونان التي يأتي ذكرها بعد فلسطين ان هي الا قطعة من الأرض الجبلية في جنوب أوروبا وكذلك الحال في مصر فهي أيضاً بلد صغير الحجم ولكنك لو صوبت نظرك الى الخارطة لرأيت مصر واسعة النطاق ولكن جل تلك الأرض التي تدعى مصر صحار ومهامه لا يسكنها الأحياء وأن مصر الحقيقية هي ذلك الوادي الضيق الذي يحف بشاطئ النيل العظيم بل أن عرض الوادي في بعض الجهات لا يتجاوز ميلاً أو اثنين ولا يزيد عرضه عن الثلاثين في غير السهل الواقع عند منصب النيل المسمى بالدلتا وقد شبه بعضهم مصر بزنبقة متعرجة الساق وأنها لتشبهه دقيق فالوادي المسمى بالوجه القبلي هو الساق بينما تقع الدلتا موقع الزهرة من ساقها والى جانب تلك الزهرة ورقة صغيرة هي الواحة الخصبية المسماة بالفيوم .

ولم تكن تلك الزهرة قبل أن يبدأ التاريخ نضرة ولا ورق وكان النيل أعظم حجماً منه اليوم وكان يصب ماؤه في البحر عند القاهرة ولكنه بعد قرون طويلة قطع النيل طريقه في الأرض وترك شواطئ من الطمي على كلا جانبيه فتراكم الغرين الذي أتى به عند المصب أمام البحر الملح حتى تكونت الدلتا بعد عصور كما نراها اليوم وقد حدث ذلك قبل أن تبدأ في مصر أي حكاية يعيها التاريخ ولكنه حتى بعد أن ذر مشارق التاريخ ظلت الدلتا أرضاً ملاءى بالمستنقعات وكان

سكان مصر الأصليون يحتقرون سكانها لأنهم يعيشون بين المستنقعات وقد صدق المؤرخ الأغريقي القديم الذي قال أن مصر هبة النيل فلقد رأينا كيف خلق النيل مصر مخترقاً واديه الضيق بين التلال والكثبان مكوناً سهل الدلتا المصطحح ولكنه لم يخلقه فقط بل أبقاه حياً ونعريف أن مصر كانت ولم تزل من أخصب بقاع الدنيا فكل شيء تقريباً ينمو في أرضها وانها لتخرج محصولاً مدهشاً من الغلال والخضر واليوم من القطن وقد كانت كذلك في القديم اذ حينما كانت روما حاضرة الدنيا كانت تأتي بجمل غلتها من مصر لتطعم ألوف الجياع فيها بطريق الاسكندرية ومراكبها المحملة بالغلال . وتقرأ في قصة يوسف الصديق كيف أتى اخوته من فلسطين الى مصر ليبتاعوا قمحاً لأنه بينما كانت فلسطين تقاسى المجاعة كانت مصر غنية بغلتها ..

وما انفكت مصر بلدا يكاد المطر ينعدم فيه وكيف ينتج قطر محصولاً وهو عديم المطر . أن السر في ذلك هو النيل ففي كل عام حينما يسقط المطر في الهضبة الاستوائية وفوق جبال الحبشة حيث تنبع روافد النيل تفيض مياه النيل وتغمر كثيراً من الأرض وتترك وراءها طمياً كما تملأ الترع الكبيرة والصغيرة التي تمتد الأرض بالماء كما تمتد الشرايين الجسم بالدم فتظل الأرض مخصبة

أما طبيعة الأرض فخصبها من نهرها العجيب فهي واد طويل سندسي يشق يباباً أصفر ورملأ أعفر ولكن ما يسي في مصر العقول ويكسب البلاد أهمية لا تبلى جدتها هو ماضيها العجيب وآثاره التي ما زالت قائمة ناطقة فليس ثمة قطر آخر تقدر أن ترى فيه حقيقة أهله الأقدمين وما يتعلق بأيام غابرة بعيدة مثل ما ترى في مصر تصوركم كان الانجليز يقدرّون بناء له صلة بالملك آرثر اذا وجد في انجلترا وكم يعجبون ويهيمون بالتحدث بأسلحة ودروع وخوذات وسيوف وغيرها يعثر عليها . فكم بالحري في مصر حيث يمكنك أن تعين مباني اذا قارنت عهدها بعهد الملك آرثر لكان هذا الملك ابناً للأمس بل أنك لا تنظر في مصر الى أسلحة فحسب بل الى وجوه حقيقية ومرآى أولئك الملوك العظماء والجنود الذين عاشوا

واستبسوا في الذود عن أوطانهم قبل أن يحارب داود النبي ويونانان في مواقع بني اسرائيل المشهورة بمئات السنين ويمكنك أن ترى في الرسوم والصور كيف عاش القوم في تلك الأيام السحيقة وكيف كانوا يشيدون بيوتهم وكيف كانوا يتجرون ويعملون ويلهون وكيف كانت أخلاقهم وعبادتهم لله . وتلمس بأيديك تلك اللعب والأدوات كما تقرأ القصص التي اعتادت أمهاتهم ومربياتهم أن يقصصنها عليهم وهكذا تبدوا لنا مصر القديمة رائعة مذهشة وساقص عليكم شيئاً عنهم حتى تتصوروا حقيقة حياة تلك القرون الغابرة

الفصل الثاني

يوم في طيبة أيام مجدها

إذا رام أجنبي أن يعلم شيئاً عن إنجلترا وكيف يعيش أهلها فأخال أن أول مكان يذهب إليه هو لندن لأنها عاصمة كل البلاد الانجليزية وأكبر مدنها . وكذلك إذا أردنا أن نتعلم شيئاً عن مصر وكيف عاش أهلها في تلك الأيام الغابرة فعلينا أن نرحل الى عاصمتها ونرى ما فيها

ولنفرض أننا لم نعش في القرن العشرين بل رجعنا الى أقدم التاريخ قبل أيام المسيح بثلاثة عشر قرناً وقد أقلتنا سفينة فينيقية محملة بأقمشة ملونة بالقرمز الثمين وبآنية جميلة من البرنز والنحاس وقد مرت بنا في سيرها حسدو الشاطئ بمدينتي كارمل ويافا ميممة شطر مدينة « طيبة » عاصمة القطار المصري وأكبر مدنه ودخلنا إحدى مصبات النيل وصحبنا دليلاً مصرياً عند مصب النهر وكان يقف عند مؤخر السفينة وينادي بتعليماته لرجل من الوطنيين . وإذا بالريح الشمالية تهب بشدة وتيار الماء يحملنا سريعاً بالرغم من تيار النيل فترك له رجال المجاذيف عملهم الساق ومرنا بفضل الشراع الكبير جنوباً نشق عباب النيل

تقلع أولاً بين سهل مستوفسيح يزرع بعضه وتغطي بعضه الآخر نباتات المستنقعات ويأخذ السهل يضيق بالتدريج وإذا بنا عند نهاية الدلتا وندخل في وادي مصر

الحقيقي فنمر في سيرنا بمدينة كبيرة قائمة تحت زرقة السماء الصافية جليلة واضحة
وتقوم معابدها بأبوابها العظيمة المرتفعة تخفق فوقها الأعلام وتعلو المسلات العالية
الى السماء فيقول دليلنا أن تلك هي مدينة « ممفيس » وهي من أقدم مدن القطر
وكانت عاصمته مدة طويلة وعلى مسافة من ممفيس ترى ثلاثة أهرامات كبيرة تقوم
في الفضاء كأنها كتل هائلة من الحجر بقرب النيل فيقول الدليل وهذه مقابر
لبعض الملوك العظام في قديم الأزمان وتقوم حولها أهرام عديدة صغيرة ومقابر
كثيرة للملوك والعظماء ..

ولكننا نسير الى مدينة أكبر حتى من ممفيس ولذا لا تقف في رحلتنا بل
نسرع الى الجنوب وبعد عدة أيام تحملنا السفين مارين في طريقنا بمدن كثيرة
تزدحم على شاطئ النيل وبينها مدينة خربة قام في مكاتها أطلال من الحجر والبن
واذا بدليانا يخبرنا أن هذه المدينة كانت حيناً عاصمة الملك شيرير أراد أن يمحو
جميع آلهة مصر ويقيم إلهها جديداً بدلها. وأخيراً نرى مباني قائمة على شاطئ النيل ..
وكما نتوغل في النهر كلما نرى أن هناك مدينتين حقيقتين ، فعلى الشاطئ
الشرقي تقع مدينة الأحياء بمنازلها الكثيرة وأبراجها المنيعة ومعابدها الهائلة
وعدد لا يحصى من الدور المختلفة الحجم والشكل فن القصور المنيفة الزاهية ودور
الأمراء الى أخصاص من الطين يسكنها الفقراء وتقع على الشاطئ الغربي مدينة
الموتى وليس فيها طرق ولا قصور ولا هرج ولا مرج لكنها أعجب من مدينة
الأحياء المجاورة لها في الشاطئ الآخر . فهنا ترى في التلال والصخور تقوياً
فيها فتحات طويلة داخلة فيها حيث ينام موتى طيبة في ما مر عن الدهور وهناك
بين التلال فوق السهل يقوم معبد في أثر معبد وبعضها صغير والبعض أنماخ عليه
الدهر بكلكله والبعض نخم عظيم تراه وقد سطعت الشمس فوقه فتوهج ذهبه
وأرجوانه وألوانه التي ترد الطرف وهو حسير

وتسير بنا سفينتنا الى المرفأ في الشاطئ الشرقي من النهر وبعد برهة ينزل
الشراع بصوت عظيم وتسير السفينة الى مستقرها في المرفأ وترسو فتنتهي الرحلة ..

عندئذ يتقدم موظفوا دار العوائد الى السفين ويختبرون متاعنا وبضائعنا
ويجمعون ما يدفع المستحق عنها ونحن نراقبهم بسرور لأنهم يختلفون في مظهرهم
ومنظرهم عن بحارة الانجليز ذوى اللحي الطويلة والانوف المنحنية ومعاطفهم
الملونة فان هؤلاء المصريين يقصون الشارب واللحي وبعضهم يتزين بشعر مستعار
وبعضهم يقصه من الامام ويتركه مسترسلا من الورا بصفائر . وجلهم لا يرتدي
أكثر من رداء من التيل الابيض ولكن رئيسهم يلبس رداء أبيض جميلا فوق
كتفيه وثوبا من تيل مزركش الأطراف وطوقا ذهبيا ، وفي يمينه عصا طويلة
لا يتوانى في ضرب مرؤوسيه بها ان هم خالفوا له أمرا .
وبعد جدال تدفع الضريبة المفروضة ولنا الحرية في الدخول الى المدينة العظيمة .
ولا نسير طويلا حتى نرى أن الحياة في « طيبة » عجيبة مسلية . واذا بنا نسمع
ضجة عظيمة من الطرق المجاورة للنهر ونرى جمعا من الرجال مهرولين صارخين
هاتفين يتقدمهم رجل يلهث تعباً لضخامة جسمه وفي منطقتة أدوات الكتابة مما
يدل على أنه كاتب وانه ليجري خشية على حياته لان مطارديه رعاى نصف عراة من
العمال صائحين وراءه غيظا ومنهم من يرميه بالحجر . حتى يصل الى بوابة فخمة
لبيت جميل تقابل أسوار حديقته الطرق وبسر للبواب بكلمات فيفلق الباب في
وجوه العمال الذين يحيطون بالباب صارخين مهديدين . وبعد لحظة تفتح البوابة على
مهل ويرز رجل حسن البزة والمنظر عليه ثياب ثمينة ويتبعه ست من العبيد مساحين
لحراسته فيتقدم ويسأل العمال عن سبب وجودهم وضجتهم ولم يطاردون وكيله
ويرجمونه . وليس هذا النبيل غير الامير « بازر » الذي يعهد اليه ادارة حكومة
« طيبة » وأوائك العمال هم بناؤن مستخدمون في عمل من أعمال مقبرة في طيبة
ويجبون كلهم عن سؤال الأمير ثم يختارون نائبا عنهم فيقول أنه هو ورقاؤه كانوا
يعملون عدة أسابيع ولم ينالوا على عملهم أجرا ولم يأخذوا غلة وزيتا مما يجب منحه
لعمال الحكومة فاضربوا عن العمل وأتوا الى مولاهم ليتوسلوا اليه أن يعطيهم
حقهم أو يلتمس من فرعون مدداً اذا لزم الأمر ثم يقول : لقد ساقنا الى هنا الجوع

ودفعنا الظأ وليس لدينا لباس ولا زيت ولا زاد فاكذب الى مولانا فرعون فيمد
اليينا يد المعونة ولما بث المتكلم شكواه وافق الجمع على قوله وأرغوا وأزبدوا. أما
الأمير « بازر » فرجل مدرب منذ القديم على مثل هذه الشكايات فينتسم لهم
ويعددهم بارسال خمسين كيساً من الغلال الى المقبرة مباشرة أما الزيت فينخابر
بشأنه ولكن على العمال أولاً أن يعودوا الى عملهم ولا يطاردوا الوكيل « أمين ناشتو »
فيتنمر العمال لانهم طالما سمعوا مثل تلك الوعود ولم تنفعهم ولكن ليس فيهم
قائد شجاع يقوم بنورة معهم وليس لديهم سلاح بينا يرون في الحراب التي مع
حراس الأمير النوبيين خطراً. وبعدئذ يعودون ويختفون متنمرين في الطرق التي
أتوا منها ويهز الأمير « بازر » كتفيه ويدخل الى داره ولكن هل يرسل الخمسين
كيساً من القمح

ان الاضراب عن العمل كما ترى كان معروفاً حتى في تلك الازمنة البعيدة ..
ولما انتهت من رؤية اضراب البنائين نجول بمدئذ في قلب المدينة ونرى
الطرق ضيقة ملتوية وتري الدور هنا وهناك متقابلة في أعلاها فنمر بينها كأننا في
مرداب شحيح النور . ونصادف بيوتا كبيرة مرتفعة ولكنها لا تزيد كثيراً في
روثق الطريق وبعضها مزين الداخل وله فناء محوط بالأشجار وفي وسطه بركة ماء
وله غرف مزينة بالمملقات ولكن جدارها الخارجية بيضاء غير مزينة يعترض
وجهها باب ثقيل

ونمر ببعض الأحياء والأنحاء حيث لا نرى غير الخصاص الطينية مزدحمة
بجوار بعضها وتلك هي أحياء العمال وأنتك لتجد الحرارة فيها شديدة والرائحة
منتشرة حتى يعجب الانسان كيف يستطيع هؤلاء المعيشة فيها . . ونسير فنأتى
الى مكان فسيح هو احدى اسواق المدينة حيث تشتد الحركة وكل الحوانيت
صغيرة مفتوحة والبضائع منتشرة حول صاحب الحانوت الجالس متربها وسط
بضائعه مستعداً لخدمة زبائنه جاذباً التفاتهم نحوه بمناداته بصوت عال موضحاً ما عنده
وما هي عليه من رخص في الثمن

ونرى كل أنواع الناس غادين رائحين ففي طيبة يرى جميع أجناس الشعوب
وهنا نرى سكان المدينة من رجال ونساء خارجين ليشتروا لوازم بيوتهم أو ليعلموا
أخبار اليوم ويحضر الفلاحون الخضروات والماشية من القرى المجاورة ليستبدلوها
باحتياجاتهم من بضائع المدن . وثمة سيدات جميلات وفتيان يرتدون هندا ما هو آخر
طراز ولهم شعر مستعار وملابس طويلة من التيل الشفاف الجميل وأحذية ملونة
بالوان زاهية ويمر بك في سيرك قتي من مدينة قادم بزى غريب وقبعة طويلة
عالية وله صبغة شاحبة وحذاء ثقيل وتراه ينظر حوله بهشة كأنه يرى في طيبة
مدينة لا ثقة للنهب .

ثم يمر بك كاهن عالي المقام حليق الرأس واضعاً على كتفيه جلد نمر مدلى
منها فوق ردائه الأبيض وفي يده ملف من ورق البردي ؛ ثم سرديني من رجال
الحرس يسير وراء ذلك الكاهن مرتدياً خوذة تلمع في ضوء الشمس متقلداً سيفاً
كبيراً يهتز في غمده الى جانبه أثناء سيره ثم قواس لوبي له غطاء على رأسه من
الجلد وفوقه ريشتان لامعتان

ونرى أن كل ما حولنا قوم يبيعون ويشترون ولم تكن النقود التي نعرفها اليوم
قد اخترعت بعد . وكل التجارة تقريباً تستبدل وحينما يريد أحدهم الاستبدال
يسأل عن كم سمكة تعطى في مقابل فراش أو هل وزنة من البصل تدفع بدلا من
مقعد وتجد هناك جدالا ومناقشة والمصريون مولعون بالمساومة لما فيها من تسلية
في ذاك اللفظ والجدال المصمم للأذان

وهنا وهناك نجد بائعاً أو اثنين يتقدم أحدهما ويقدم بدلا من البضائع
حلقات من النحاس والفضة أو مصوغات من الذهب فالفلاح الذي أتى بحمل ليبيعه
تعرض عليه تسعون قطعة نحاسية تسمى الواحدة «أتن» ولكن بعد احتجاج وجدال
طويل يضطر التاجر الى دفع ١١١ «أتن» فتنتهي المساومة وتوزن القطع النحاسية
لثلاث يكون هناك غش وهنا ترى ميزانين كبيرين أحضرا لذلك فتوضع «الأتن»
في كفة وتوضع في الأخرى موازين بشكل رؤوس التيران . ولكن بعد انتهاء

المشكلة لا ينتهي عندها ذكاء التاجر الذي يغري الشاري على بضائعه حتى يتنازع منها ما يعيد « الأتن » الى جيبه كما كانت

ونبتعد عن هذا المكان قليلا فترى التجار الذين حضرننا في مركبتهم لهم حانوت مظلمة بمظلات من العشب المجفف وترى تحتها كل صنف من معروضاتهم الزاهية بألوانها التي لا يعرف سرها غيرهم منذ أن قضى « كنوسوس » على تجارة كريت

ونرى على مقربة منهم صائغا حوله عقود وأساور من ذهب وفضة مرصعة بالأحجار الكريمة وهو منهمك في عمل سوار لسيدة الى جانبه . وهناك في إحدى أركان السوق منزل لا ينقطع عنه تيار الزائرين وترى العمال يدخلونه وعليهم علائم الخجل من أنفسهم ثم يظهرون ثانية مترنحين في مشيتهم ويبدو شاب ذو محياشاحب ثم يسرع الى الداخل فيقول أحدهم لصاحبه « ها بنتوري ذاهب ليمتع نفسه يوما آخر وأن نهايته سيئة » وإذا بالبواب يفتح ويخرج « بنتوري » بعد برهة مترنحا متايلا يلتفت حوله ويحاول المسير ولكن تخونه قدماء فيسقط في الطريق في حالة يرثي لها فيضحك المارة منه ويستهزؤون به ثم ترى رجلا عالي المقام يشير الى ابنه الصغير قائلا : « انظر الى هذا الشخص يابنى ولا تتعلم شرب الخمر لئلا تسقط قهشم عظامك وتتمرغ في حمأة الوحل كتمساح ولا يمد لك أحد يد المساعدة . يذهب رفاقك للشرب ويقوانون ابتعدوا عن ذاك السكر وأن من بحث عنك وجدك منطرحا على الأرض كالطفل الصغير »

ولكن بالرغم من النصيح الكثير فان المصري مغرم باللهو في يوم جميل كما يدعوونه في حانة الجمعة . وحتى النساء الحسان يشربن أحيانا بكثرة في مجتمعاتهم العظيمة الى أن يحملن فاقدات الشعور .

وشر من ذلك ما عرف عن قضاة المحاكم العليا الذين كانوا يستريحون من عملهم يوما في إحدى القضايا الطويلة ويشربون الخمر مع المجرمين الذين يحاكمونهم

ولكنهم لم يمهلوا طويلا حتى جدد أنف اثنين منهم عقابا لهم على ارتكاب مثل هذه الموبقات

ولا نسير بعيدا حتى نبلغ الحى المقدس من المدينة ونرى الأبواب العالية ومسلات المعابد العظيمة بادية من فوق دور البلدة وإذا بنا أمام جمع غفير مقبل نحونا ومعه أصوات الأ بواق والمزمار تتصاعد من وسطه فنسأل عن مغزى هذا المهرج فيقال لنا أنه احتفال باحدى تماثيل الاله آمون رب طيبة العظيم جىء به لأقامة حفلة دينية سيحضرها الملك فنقف ونشاهد الموكب فى مسيره ونرى جماعة الموسيقيين والمنشدين وعددا من النساء يرقصن فى سيرهن ثم يأتى ستة رجال يسرون فى وسط الموكب والعيون تراقبهم وهم طوال القامة حليقو الرأس يرتدون أثوابا بيضاء نقية من التيل المصرى الجليل ويحملون على أكتافهم نموذجا صغيرا لقارب مدلى بجبل فى وسطه معبد صغير فيه إله مختبىء عن الانظار . ثم يوضع تمثال آمون فوق حجر عال أمامنا ويقبل نحوه شخصان بالمباخر يحركونها فيتصاعد البخور ويأتى أحد الكهنة فيرتل بصوت مرتفع ترنيمة للرب آمون الذى يخلق ويعدم كل شىء ويتقدم البعض وينثر الأزهار ويعم الصمت ويسكت القوم ويرفع الحجاب عن التمثال الخشبي فيبدو مرتفعا نحو ثمانية عشرة بوصة مرتدا ومزينا باللونين الأخضر والأسود فيهتف الجمع باحترام وعجب ثم يسدل الحجاب ويمر الموكب

ونسرع لتناول الطعام لنتنظر مرور فرعون



الفصل الثالث

فرعون في وطنه

جاء موعد ذهاب الملك الى المعبد العظيم في الكرنك ليقيم ذبيحة. وقبل أن يسير الى قصره ونشاهد مجده يجدر بنا أن نذكر شيئاً عنه فليس اسمه الحقيقي « فرعون » ولا لقبه الحكومي بل هي لفظة تدل على شخص عالي المقام رفيعه حتى أن القوم لا يجرأون على ذكر اسمه وأن لفظة « الباب العالي » التي يلقب بها الترك سلطانهم لأشبه شيء بذلك. فالمصريون يعنون بفرعون « بيرو » « البيت العظيم » حينما يعنون الملك

لأن ملك مصر رجل عظيم يعبده شعبه فوق البشر . وأن في مصر آلهة عديدة ولكن الآله الذي يعرفه الناس أكثر ويظهرون له التبجيل هو الملك ومنذ ذاك الحين جلس على عرش الملك فراعنة كثيرون وكان الملك في نظر رعيته الها متجسداً على الأرض وكان يسمى نفسه ابن الشمس وأنتك لتجد صوراً على جدار المعابد تمثل الملك في طفولته جالساً على حجر الآلهة تداله كاله صغير. ويقدم للملك الأكرام والذبائح وحينما يموت ويذهب لمشاركة اخوته الآلهة في السماء يشيد له معبد عظيم لذكوره وتصلي له فيه طوائف كبيرة من الكهنة وثمة ميزة واحدة بينه وبين الآلهة ذلك أن آمون اسمه إله طيبة وفتاح إله ممفيس وباقي الآلهة بالآلهة العظام أما فرعون فيلقب بالآله الصالح

والآن نحن في عصر الآله الصالح الملك رمسيس الثاني وهذا جزء صغير من اسمه إذ أن له مثل باقي الفراعنة من الألقاب ما يملأ صفحة من الكتاب ولم تر رمسيس رعيته منذ زمن لأنه كان متغيباً في سوريا كما أنه بنى له عاصمة أخرى جديدة في « تانيس » التي يدعوها اليهود « زوان » وهي واقعة في الدلتا ويقضي الملك فيها معظم وقته وان القوم ليحدثونا عن جمال تلك العاصمة الجديدة ومعبداتها العظيم وتمثال الملك العظيم القائم في الفضاء وعلوه تسعون قدماً ومكانه أمام باب

المعبد ولكن لم تزل طيبة مركزاً للحياة القومية . ولما تأكد الملك أنه ستشب حرب أخرى مع أولئك الحثيين في شمال سوريا أتى الملك الى طيبة ليأخذ رأي آمون وليعد العدة لجمع الجيش ويرى الناظر الى القصر هرجا ومرجا وقوادا ومستشارين يروحون ويندون ومعهم الأمر والتقارير

وقد بنى المصريون معابدهم لتبقى مدى الابد سرمدية خالدة ولكن قصور الملوك لم تبقى لتعيش طويلا لأن لكل ملك ذوقا خاصا به فيشيد له قصرا آخر ويحيط بالقصر سوراً مرتفعاً وأبراجاً وحصوناً وأبواباً هائلة لأن فرعون وإن كان إلها إلا أنه قد لا يأمن جانب رعيته في بعض الأحيان . ويتقى شر المؤامرات الشائعة في ذلك الحين وقد حدث مرة أن ملكا اضطر أن يقفز من عربته ويحارب بمفرده جمعا من الفادرين الذين افتحموا القصر على حين غرة فرأى فرعون أنه لابد له من أسوار مشيدة يحتمى بها وحرساً أمناء من السردنيين يتقى بهم شر الفوائل . .

ووراء تلك الأسوار ترى العين حقائق غناء وبساتين فيحاء تزهر فيها صنوف الازهار والرياحين وبركاً صناعية تبدو مصقولة كالمرآة تعكس صور الاشجار والأفنان وأما القصر فأبيض اللون من الخارج يتوسطه باب كبير يؤدي الى قاعة عظيمة تزهر بزخرفتها وألوانها وتحمل سقفها عمد مزينة وعلى كلا جانبي هذه القاعة قاعة صغيرة ووراء ذلك حجرتان عظيمتان للطعام ثم خلفها غرف النوم ولرئيس عدة زوجات وعدد كبير من الأبناء والبنات وغرفة نوم الملك نفسه منفردة عن باقي الغرف تحيط بها شجيرات الزهور

ولابن الشمس أعمال يومية كثيرة فلديه كثير من الرسائل ليقرأها ويفكر في محتوياتها وقد أرسل اليه الأمراء السوريون لوحات منقوشة بكتاباتهم الغريبة يخبرونه بتقديم جيوش الحثيين وطلب نجدة الجيوش المصرية فعلى الملك وقتئذ أن يفكر في الأمر مع قواده وأعوانه .

ففي إحدى أطراف غرفة الاستقبال شرفة غير مرتفعة تقوم فوق أعمدة

مزر كشة من الخشب بشكل نبات الحندقوق ووجهة تلك الشرفة مرصعة بالذهب ومزينة باللازورد والعقيق وهنا يمر الملك أمام رعيته مصحوبا بزوجه المحبوبة الملكة « نفر تارى » وبعض أبناء الأمراء وبناته الأميرات. ثم تفتح الأبواب فيظهر النبلاء وحكام الأقاليم ورؤساء الجيش والحكومة ويتقدمون ليظهروا طاعتهم للملكهم

وفي لحظة ينتظم دق الجع ويبدو لهم ملك الأرضين مع أسرته وزوجه . وقد كان من عادة الرعية حينما يظهر الملك أن تخر على وجوها أمامه وتقبل الأرض ولكن بتقدم العهد أصبح النبلاء والأمراء ينحنون أمام فرعون بخشوع ويرفعون أيديهم كأنهم فى صلاة للاله الصالح ويظلون صامتين حتى يتكلم ملكهم بما يشاء ويلقى رمسيس نظرة على الجمع المحتشد ثم يشير الى قائد فرق طيبة ويسأله غما أعد من ذخيرة للجيش فيتقدم الجندي وينحني واسكنه لا يجيب عن سؤال ملكه فورا إذ ليس ذلك من خلق البلاط بل يبدأ فى القاء مزمور مدح عن عظمة الملك وقوته ومهارته فى الحرب وعن أعدائه الذين يهربون ويهلكون أمام وجهه ثم يجيب عن السؤال. ويتلوه مستشار بعد آخر يلهمجون بالمديح والثناء على ملكهم ثم يجيبون على أسئلته وينفرط عقد الجمع فيصدر الملك أوامره لحجابه وتعدله مركبته للسير بالموكب الى المعبد وحينما يغادر الغرفة ينحني النبلاء أمامه ويرفعون أيديهم تبجيلا . .

وما هي غير لحظة قصيرة حتى تفتح أبواب أسوار القصر وتظهر ثلة من رجال الرماح وعلى رؤوسهم خوذات من الجلد وتقف على مقربة من الباب ويأتى بعدهم حرس الملك السردينييين مدججين بالسلاح ولهم خوذات لامعة ودروع مستديرة كبيرة وسيوف حادة الشفار ثم يصطفون على جانبي الطريق فى صمت وسكوت حتى يخرج فرعون ويسمع صوت عجلات المركبات ثم تخرج المركبة الملكية وتسرع الى المعبد فينحني الشعب المكتظ حينما يمر ملكهم ولكن فرعون لا يلتفت بمنة ولا يسرة بل يقف فى مركبته ثابتا وفى يده سوط ويلبس على رأسه خوذة

الحرب الملكية مصورة بشكل حية كأنها تهدد أعداء مصر وتراه وقد وضع لحية مستعارة وارتدى جلباباً جميلاً من التيل الأبيض وتمنطق بسير من الذهب مغشى بالنياء الخضراء ويتبدل إلى ركبتيه وفي نهايته رأس حيتين . وعلى جانبي الملك حملة المراوح ومعهم ريش النعام المعطر يحركونه حول رأس مليكهم بمهارة حتى أثناء عدوهم . .

ويتبع مركبة الملك مركبات عديدة أقل نخامة من مركبة رمسيس وترى الملكة نفر تاري في أولها تشتم زهرة بفتوز وثم مركبة تحمل بعض الأمراء الملكيين وبينهم الأمير الساحر « خيمواس » أكبر سحرة مصر الذي يقال أن له المقدرة من اخراج الموتى من قبورهم أحياء وترى في الجمع من يخشى نظرة عينه الحادة لأنه يعلم أن معه ملفاً من البردى أخذ من قبر أحد الأمراء الأقدمين الذين اشتغلوا بالسحر

وبعد قليل من الدقائق ينتهي الموكب الذي يخطف البصر بلائاً ذهبه وبديع رونق ألوانه وارجوانه ويتبع ذلك الحجاب الكثيرون مسرعين وراء فرعون أعظم رجل في الأرض . فرعون ذو الأوتاد

الفصل الرابع

حياة الجندي المصري القديم

إذا قلبت في صحائف التوراة وقرأت فيه عن المصريين ظهر لك أنهم كانوا لا ينقطعون عن الحرب والقتال . والحقيقة أنهم حاربوا حروباً طويلة كثيرة كما حاربت كل أمة أخرى من أم ذلك العهد البعيد ولكن لم تكن مصر بالأمة الحربية إذا قيست بدولة آشوريين والبابليين . ولا يخفى أن المصري لا يحب الجندي و مع أنه يصلح أن يكون جندياً كفواً صبوراً عاملاً إذا قاده كفاء لكنه ليس كالسودانيين الذين يحبون القتال ويولعون بالحرب . بل يفضل كثيراً أن يعيش هادئاً في قريته ووطنه ويزرع أرضه كما زرعها أجداده . وأن مصري اليوم لا يفرق

عن المصري القديم الذي حارب تحت لواء فرعون حينما دعاه للقتال في السودان وسوريا واستبسل ولكن قلبه لم يكن ليبرح موطنه ولشد ما طرب لعودته اليه عاملا في مزرعته ومسراتها الساذجة

أن المصريين كانوا أمة آمنة مطمئنة ليس فيها من القسوة والوحشية ما كان بين الأشوريين

فالحق أن المصري القديم كان ينظر الى الجندي كهيئة محترمة أو ألعوبة خطيرة إن لم يكن المرء قائدا فيها فقد شقي وناء تحت أعباء تعسها ولم ينله شرفا وإنما على يقين أنه لم يخطيء في زعمه . . .

وكان يرى من السعادة أن ينال وظيفة كاتب في الحكومة أو عند أحد العظماء وكان من الفخر أن يكون الشاب كاتباً موظفاً وكان ينظر الى أبيه وأخوته العاملين في الحقل نظرة الاحتقار

ولقد وصل اليينا من ذلك العهد كتاب عتيق غريب في بابه ذكر فيه كاتبه رأييه في الجندي وقد كان جنديا وضابطا كبيرا في الحكومة أو مانسميه الان موظفاً اداريا يصف فيه لصديقه الشاب ان الجندي مهنة فدهش الشاب وعجب حينما فكر أن يكون فارسا أو راكب عربي لأن الجنود المصريين لم يركبوا الخيل كما نفعل الآن بل كانوا يشدونهم الى مركبات يحمل رجلين أحدهما يسوق الخيل والاخر يحارب بقوسه أو سيفه وسلاحه . ولكن هذا الصديق الحكيم يخبره أنه وإن امتطى مركبة في القتال فلا يلقي مسرة ربما تراءت له في بادئ أمره

ويزهو الجندي الجديد بريشه وثيابه حتى يدخل في غمار خدمة عسكرية فيقع تحت طائلة العقاب الشديد اذا لم يحسن عمله

ولكن اذا كان عمل الفارس شاقا فعمل المشاة أشق وأصعب فانه يضرب بالسوط اذا هفا أو أذنب حتى اذا ماشيت نار الحرب لا بد له من المسير مع الجيش الى سوريا وينقضى يوم بعد يوم وهو يسير على قدميه بين التلال والمفاوز التي تختلف كثيرا عن أرض بلاده المستوية الممهدة وعليه أن يحمل معداته الثقيلة وذخيرته

فكانه حمار الحمل وكثيرا ما يضطر الى شرب الماء القذر الذي يسبب له المرض وفي الحرب يصاب بالخطر والجروح بينما ينال قواده ورؤساؤه ثمرة عنائه واذا ما انتهى القتال عاد الى وطنه راكبا حمرا وهو مهشم العظام مسلوب الثياب ويراه العاقل فيقتنع بأن وظيفة الكاتب مع الراحة خير من ذاك الشقاء ولكن مع كل ذلك كان لفرعون خير الجنود في ميادين الحرب

ولم يكن الجيش المصري عرمرما أو مثل تلك الجيوش الجرارة التي نسمع عنها اليوم أو نقرأ عنها في التاريخ فكان عدد احدى الجيوش التي كان الفرعون يقودونها الى سوريا نحو ٢٠ ألف جندي وقلما تزيد عن ٢٥ ألف جندي وفي هذا العدد من الأجناس المختلفة ما يشبه جيوشنا الهندية الآن ففيه تجد الوطني المصري برمح وقوسه ودرعه أو فأسه وحرسته وسيفه ولرماة المصريين مهارة في قذف السهام ثم يأتي بعد رجال الرماح رجال العربات وهم من المصريين الأعلى مقاما . والعربات خفيفة حتى أنه كان من الصعب على رماة السهام أن يصيبوا منها مرمى وكانت الخيول تزين وكثيرا ما تحلي رؤوسها بالريش . ويربط رجال العربات أحيانا السرعة حول وسطهم ولا يتركون أصحابهم في الحرب وشأنهم اذا حمى وطيس القتال

وكان يحوط فرعون الواقف في عربته الجميلة حرسه الذين دعاهم المصريون « شردن » أو السردينيون الذين أتوا من البحار واستخدموا في خدمة الملك وجيشه وتراهم يلبسون خوذات نحاسية لها قرنان في جانبيها ويتقلدون سيوفا ثقيلة ودروعاً مستديرة . وقد سار وراء السردينيون والجنود الوطنيين فصائل من السودانيين على اكتافهم جلود حيوانات برية ثم فصائل من اللوبيين السمر الألوان وسار بجوار عربة الملك أسد عظيم أليف تدرب على حراسة الملك ومحاربة أعدائه وأخيراً حملة الذخائر والمتاع وحمير كثيرة محملة بالأعباء . وكان المصريون لا يكلون من المسير حتى في شمس سوريا وفي الطرق الوعرة المجهولة وكانوا يمشون خمسة عشر ميلا في اليوم في اسبوع من الزمان دون أن تخور عزيمتهم . . . وكان

رجل اسمه (منا) من أمهر راكبي العربات في الجيش المصري حتى أنه أختير منذ
 حدثته ليسوق عربة الملك رمسيس الثاني حينما خرج من زاروا إحدى المدن
 الحامية في مصر ليحارب الحثيين في شمالى سوريا ولما سار الجيش مخترقاً الصحراء
 في أرض فلسطين وفوق الجبال الشمالية لم تر طلائع الجيش أثراً للعدو وكان (منا)
 يسير العربة آمناً وعرج الجيش على وادي الاورنت الضيق سائراً نحو مدينة
 قادس وانتظر الجيش ظهور الحثيين حتى بدت لأعينهم مباني قادس وابرأجها في
 الأفق وكانت أشعة الشمس تنعكس على مياه النهر المحيط بالأسوار وعادت
 طلائع الجيش المصري تنبأ بأن الحثيين قد تقدموا إلى الجنوب فظن الملك رمسيس أن
 قادس لا بد وأن تسقط في يديه بالاحرب ولا قتال فقسم جيشه أربعة أقسام ورأس بنفسه
 فرقة منها وأسرع بها تاركاً باقي جيشه خلفه ليحارب وراءه وسرعان ما وصلت
 تلك الفرقة الأولى إلى معسكرها الذي نصبته في شمال غرب قادس حيث القت
 الجنود عصا الترحال رغبة في الراحة وإذا بطلائع الجيش قد أقبلت على رمسيس
 ومعها اثنان من البدو ظنوا أنهما من جيوش الأعداء فأمر رمسيس بجلدهما ليقرأ
 بالحقبة فاعترف البدويان أن ملك الحثيين كمن مع جيش عظيم في الجانب الثاني
 من قادس يرقب فرصة لمهاجمة الجيش المصري فأسرع رمسيس بفرقة ولكنه لم
 يكدهم حتى عربته حتى حدثت في معسكره ضجة عظيمة إذ أقبل عليه بقايا الهاريين
 من الفرقة الثانية من جيشه تتبعها فرقة عجالات الحثيين وتبلغ نحو ٢٥٠٠ عجلة
 في كل منهما ثلاثة رجال وهي مندفعة وراء الهاريين إذ أن ملك الحثيين لبث
 منتظراً حتى رأى الفرقة الأولى من جيش رمسيس تنصب معسكرها ففاجأ الفرقة
 الثانية التي انهمك قواها التعب وبدد شملها ونظر رمسيس حوله فرأى فوضى
 جيشه وقدم الجيش الحثي ولكنه بفضل شجاعته الذاتية قفز في عجلته ونادى
 جنوده القليلي العدد ليتبعوه وساط (منا) خيل العجلة ولكنه مارأى قلة عدد
 المصريين وكثرة الحثيين كادت قواه تخونه فخاطب مولاه قائلاً : « أيها القوي
 القادر في يوم المعركة ها نحن وحدنا في وسط الأعداء نخلصنا يا رمسيس مليكنا

الصالح « فأجابه رمسيس بقوله « اثبت مكانك فأني منقض عليهم كالصقر » . وما هي الا لحظة حتى كانت العجلات المصرية القليلة تتغلغل بين جيش الحثيين الذي ارتاع حينما رأى بريق عجلات الأعداء المنقضة عليهم بلا خوف ولا وجل وتقهقر الحثيون وعمل (منا) الماهر على قيادة خيل عجلة الملك الذي كان منهمكا في رمي السهام وفي كل مرة يجندل بطلا حثيا من عجلته وحملت فرقة الحرس مع ملكها المقدام وتركت الأرض ملأى بالحثيين ما بين قتيل وجريح وخيل مرتعبة

وفي أثناء تلك المعركة التي لولا شجاعة رمسيس الذاتية لقضى بين فرق عجلات الحثيين كانت رساله قد أسرعت لاحتضار الفرقتين الباقيتين من جيشه وكان على الشاطئ الثاني من النهر جمع من ثمانية آلاف رجل من جيوش الحثيين يرأسهم ملكهم ولو تمكنوا من عبور النهر بسرعة لأصبح مركز المصريين حرجا وساط (منا) الخيل ثانية وحمل رمسيس على أعدائه ثانية حتى لحق به فلول الفرقة الاولى والثانية ونزلوا الى ميدان القتال وما هي الا برهة حتى فرغت جمعة سهام المصريين فأعملوا السيف والحراب وتقهقرت الجيوش الحثية الى النهر ومليكم واقف في الجانب الآخر غير قادر أن يأتي عملا وهو ينظر الى عجلاته المتقهرة

واذا بصيحة قد علت وبشرت بوصول الفرقة الثالثة من الجيش المصري فانهزم الحثيون من وادي الأورنت الى النهر وتبدد شملهم فأخذ بعض الجنود المصريين يجولون على الشاطئ ليروا من قتل من قواد الحثيين فوجدوا فيهم شقيقى الملك ورئيس حرسه وحامل درعه ورئيس كتبته واندفع جنود الحثيين في النهر وراء قائدهم الذي كاد يفرق واقتدوه وجمع ملك الحثيين فلول جيشه وسار بهم على كره مهزوما في القتال بعد ان كان محققا النصر والظفر ولم يعبر المصريون النهر ليتبعوا أعداءهم بل عادوا الى معسكرهم لقلة عددهم ونصيبهم ثم دعا فرعون رؤساء جيشه ووقفت بقايا جيشه حوله وأحضر (منا) قائد عجلاته فانحنى التفتى أمامه وخلع فرعون من رقبته زيقا ذهبيا والبسه للفتى الأمين ثم أنب

فرعون عساكره وقواد جيشه الخجلين عن تركهم اياه يحارب وحده في أول المعركة ثم قال « أما عن حصاني عجلتي فسيأكلون كل يوم أمامي في قصري الملكي » وقد كانت خسائر الجيشين كبيرة فعقد الهدنة وانسحب الحثيين الى الشمال وعادت الجيوش المصرية الى موطنها غير مهزومة ولا منصوره بل شاكرة خلاصها من هلاك كان محققا

ولما وصلت جيوش فرعون الى زوررو كانت الطرق مكتظة بمجموع النبلاء والسكينة والكتابة ينثرون الأزهار ويطأطئون رؤوسهم أمام مليكهم

الفصل الخامس

النشأة المصرية القديمة

نسائل أنفسنا كيف عاش الصغار في تلك الأزمنة البعيدة القديمة منذ آلاف السنين وكيف كانوا يلبسون وبم كانوا يلعبون وماذا كانوا يتعلمون والى أي المدارس كانوا يذهبون . .

وانك لو كنت عائشا في مصر في تلك الايام الغابرة . لرأيت فروقا عدة بين حياة اليوم والأمس ولكنك تجد في الوقت نفسه أنه مازالت هناك مشابهة غريبة بين صغار القرن العشرين بعد الميلاد وبين القرن العشرين قبله فأطفال قدماء المصريين كانوا مثل أطفال اليوم يلعبون لعبهم وينهبون مذهبهم

وقد كان الطفل المصري يلقي عناية أكثر من طفل اليوم وكانت أمه تعني بأمره لمدة ثلاث سنين وهي تحمله معها أين ذهبت على كتفها أو على ذراعها فإذا ما مرض دعى الطبيب الذي لا يعلم كثيرا عن الطب والأعراض فيصف أدوية وعقاقير لمرضاه جهلا منه بالمرض فيصف مثلا مركبا كدواء من دم السلحفاة وأذني خنزير وشحم ولحم رديشين وغيرها من المركبات السكرية وكثيرا ما كان الطبيب يعبس ويقول أن الطفل غير مريض ولكنه مسحور ثم يجلس ويكتب

مانعاً للسحر مثل « دواء لطرد السحر . خذ خنفساء كبيرة واقطع رأسها وجناحيها واغلبها مع زيت ثم خذ رأسها وجناحيها وضعها في شحم الأفعى واغلبها ثم اسق المريض من الخليط وأظن أن القاريء ليفضل أن يبقى مسحوراً يقاسي الشعوذة عن أن يشرب جرعة من ذلك الدواء

وقد لا يعطى الطبيب دواء لمريضه بالمرة ولكنه يكتب كلمات سحرية فوق ورقة عتيقة ويربطها الى مكان الألم في الجسم وكثيرا ما تعتقد الأم أن طفلها سليم من الأمراض ولكنه يتألم من أثر السحر فإذا صرخ وبكى ظنت الأم أن الجن في غرفة الطفل وقريبة منه فتنهض مذعورة وتردد هذه العبارات :- « هل أتيت لتقبيل هذا الطفل ؟ أني لا أطيق أن تقبله . هل أتيت لتسكنه وتهديه ؟ أني لا أريد أن تهديه . هل أتيت لتلحق به ضررا ؟ أني لا أطيق أن تضره . هل أتيت لتأخذه ؟ لا أطيق أن تأخذه . »

لما شفي الطفل (تاحوتي) وهرب من حوله الجن وبدأ في اللعب والجري وفي الصباح لا يعني هو وأخته بشأن الملابس كثيرا مثل ما يعني بالاستحمام لأن جو مصر حار لا يحتاج الى ملابس كثيرة وقد لا ترى على جسمه الأسمر غير رداء خفيف واحد وعند تاحوتي لعب تمثل رجلا يدور حول عقلة أو تمساحاً صغيراً يفتح فكيه ويقفلهما وعند أخته لعب جميلة وسيدة مصرية وفتاة نوبية وكثيرا ما يلعب تاحوتي الكرة مع أخته وكل هذا يحدث الى حين يبلغ الرابعة من عمره حين يسميه المصريون « بالعائل الصغير » وحينما يبلغ الرابعة من عمره يأتي الزمن الذي ينبغي فيه أن يصير « كاتباً في دار الكتب » يسمونه بالتلميذ ووقتئذ يذهب تاحوتي الى المدرسة وعليه أقل الثياب وشعره مقصوص الى أذنه اليمنى وأول ما يجب أن يتعلمه هو كيف يقرأ ويكتب ولبس هذا من السهل لأن كتابة المصريين وإن كانت جميلة المنظر ألا أنها عسرة التعلم ومن الغريب المدهش أنه وصلت إلينا مما وصل من الآثار المصرية بين الكتب دفاتر قديمة عليها تصحيح المعلم في هواشئ صحائفها وتسويدات مبعثرة ومن تلك الدفاتر المدرسية التي أصبحت

ثمينة لدينا عرفنا ماذا كان التلميذ المصري القديم يتعلم وماذا كان يكتب ويقرأ .
وأكثر تلك الكلمات حكم الأقدمين الماثورة وأحياناً قصص الأيام القديمة . .
وأن تلك الدفاتر تحدثنا اذا نطقنا عن ساعات طويلة في المدرسة وعن آلام
التلميذ ودموعه لأن المعلم المصري القديم كان يعتقد بالعصا ويستعملها دائماً ويقول :
« أن أذني الغلام في ظهره فاذا ضرب بالعصا سمع ووعى » وفي إحدى الرسائل
التي بعث بها تلميذ لأستاذه بعد أن كبر قوله : « لقد كنت معك في طفولتي
وكنت تضربني على ظهري وقد دخل تعليمك في أذني » واذا أذنب الغلام لقي
عقاباً أصرم من الضرب ومن رسالة ولد الى أستاذه القديم قوله « كنت تلميذك
وقضيت وقتي في الحبس وسجنت في المعبد ثلاثة شهور »

وكان وقت الدرس في المدرسة يستغرق نصف اليوم فاذا انتهى خرج الأولاد
صائحين صياح الفرح والسرور وقد بقيت هذه العادة حتى اليوم ولم تكن لديهم
واجبات منزلية فلم يكن زمن الدراسة مكروها مع شديد العقاب الذي يلاقونه فيها
ولما يشب تاحوتي ويكبر وقد ألم بأصول الكتابة يأمره المعلم بكتابة نماذج
مختلفة من أحسن الكتب المصرية المعروفة ليلى باللغة المصرية ويكتب لغة
صحيحة وقد يعمد الى نقل باب من كتاب في الدين أو من ديوان شعر أو قصة
خرافية وسنأتي على شيء من أقدم تلك القصص . ولكن كانت العادة في اختيار
قطعة يكتبها التلميذ مفيدة لتقويم خلقه واصلاح نفسه مع تمرينه على الانشاء
والكتابة وكثيراً ما كان يعلي المعلم على تاحوتي فقرة من النصيحة التي خلفها ملك
عظيم في سالف الأزمان الى ابنه ولي العهد أو من كتاب من هذا القبيل . وقد
يكون التمرين على شكل رسائل يتبادلها المعلم والتلميذ

وأما في علم الحساب فكان الطفل تاحوتي موقفاً الى حفظ القواعد الحسابية
وقد علمه أستاذه الجمع والطرح وطريقة عقيمة في الضرب وقليلاً من القسمة كما
علمه كثيراً من حساب المقاييس لتساعده مثلاً على إيجاد مساحة حقل ومقدار
القمح اللازم لجرن معلوم فاذا تعلم كل ذلك نجح في تعليمه الاولي

وبالطبع كان المجهود يصرف لتعليم الطفل ينفعه في مهنته المستقبلية فإذا كان معترضا اتخاذ الكتابة مهنة له فإن تعليمه لا يتعدى ما ذكرنا لأن مهنته لا تخرج عن حد الكتابة والقراءة والحساب ولكنه إذا اختار مهنة الجندية ليكون ضابطا في الجيش دخل مدرسة حربية أما إذا رام أن يكون قسيساً فعليه أن يلتحق بأحدى الجامعات التابعة لمعابد الآلهة المختلفة وهناك يتعلم كما تعلم موسى النبي حكمة المصريين ويتلقن الآراء الغريبة عن الآلهة وعن الحياة بعد الموت والعوالم العجيبة في السماء وفي الأرض حيث تعيش أرواح البشر بعد الحياة الدنيوية . .

وأهم ما يوجه إليه نظر الطفل في المدرسة هو احترام من هم أكبر منه سناً وأنه لا يجلس في حين أن الأكبر منه سناً يكون واقفاً وعليه أن يكون مستقيماً في خلقه وأن أول من يحترم في من هم أكبر منه سناً والده لا سيما أمه لأن المصريين احترمو أمهاتهم أكثر من أي شخص آخر في الأرض واليك نقرة من نصيحة تركها مصري قديم حكيم لابنه قال : « عليك ألا تنسى ما فعلته أمك لأجلك فإني قد حملتك وغذتك وربتك ثلاث سنين ولما دخلت المدرسة وكنت تتعلم الكتابة كانت تأتي بنفسها كل يوم إلى معلمك وتقدم له خبزا وجعة . أنك إذا نسيتهام لا تمتك ورفعته يديها نحو الله فيسمع شكواها » ولكن قلما يتذكر أطفال اليوم مثل تلك الكلمات الحكيمة من أقدم كتب العالم . .

ولم تكن حياة الطفل تعلما وتهديبا فقط فان تاحوتي كان يخرج في أيام المسامحة مع والديه وأخته ليصيدوا السمك والطيور فيأخذون معهم رماحاً رفيعة ذات شوكتين في طرفها ويصيدون بها الأسماك في بحيرات المستنقعات الضحلة الساجية واصيد الطيور يأخذون عصياً منحنية تساعد على إسقاطها وبدلاً من أن يصحبوا كلاب الصيد كما نفعل اليوم كانوا يأخذون قطة مدربة على إحضار الحيوان الجريح لسيدها وكانوا يسرون باحتراس بين المستنقعات ووسط الغاب حيث يعيش البط البري وطيور الماء ويجمعون في سيرهم زهر الخندقوق

وحينما يرى تاحوتي أو أبوه طيراً يرفرف في الفضاء عاجلوه بقذفه بالعصي المنحنية

الخصيصة لذلك فيقع بين الغاب ويقفز القط الجالس في طرف القارب ولا يهمل
الحيوان على الهروب
ولا أخال إلا أن قوم الأُمس كانوا يسعدون بأيام جميلة وكان أطفالهم أسعد
من أطفال اليوم

الفصل السادس

آثار أبحاث قدماء المصريين في السودان

ليس ثمة أجهل من القصة التي نخبرنا عن كيف اكتشفت مجاهل افريقيا
جزءاً فجزءاً وكشف خفايا أسرارها ولكن هل فكرت في طول تلك القصة
وفي مبدأ وقوعها
هناك في مصر نجد أول صحف تلك القصة ولم تزل واضحة تقرأ في تلك
الكتابة المصرية الغريبة المملوءة بالصور على أحجار المقابر في جنوب مصر
بجزيرة الفنتين

ومنذ أول الأيام كانت حدود مصر تنتهي عند الشلال الأول حيث يجري
النيل بين جنادل وجزر صخرية وقد اختفى في تلك البقعة جنادها لأن مهندسي
الإنجليز شيدوا هنالك خزاناً عظيماً على النيل

وقد اعتقد المصريون حيناً أن النيل الذي يدينون له كثيراً بدأ عند الشلال
الأول مع أنهم كانوا يعرفون بلاد النوبة منذ خمسة آلاف عام وكانوا يرسلون
البعثات الاكتشافية في صحاري تلك الأرجاء التي نسميها الآن بالسودان
وبقرب الجنادل الأولى تقع جزيرة الفنتين التي سكنها الأمراء أن يصدوا
غارات قبائل النوبة إلى جنوب الجنادل وليروا أنهم يسمحون لقوافل التجارة
بالمرور آمنة وأن يقودوا تلك القوافل إلى الصحراء بأنفسهم ولم تكن القافلة كما نراها
اليوم خطأ طويلاً من الجمال لأنه وإن كان في مصر صوراً قديمة العهد جداً منها

نرى أن الجبل كان معروفا في مصر قبل أن يبدأ التاريخ المصري ويظهر أن هذا الحيوان النافع قد تلاشى من مصر عدة قرون وكان الفراغة يبعثون برسائلهم ويأتون بالعاج والتبر والأبنوس التي تأتي من السودان على ظهور مئات الحمير وحمل أمراء الفنتين المسمى « حماة باب الجنوب » كما لقبوا « بقواد القوافل » ولم يكن من السهل في تلك الأيام قيادة القوافل في السودان والعودة بها آمنة مطمئنة محملة بالنفائس بين القفار والقبائل المتوحشة الساكنة في أرض النوبة وقد ذهب هناك أكثر من أمير مع قافلة ولم يرجع بل ترك عظامه وعظام رفاقه بين رمال الصحراء وقد قص علينا أحدهم أنه لما سمع أن أباه قد قتل في إحدى تلك المخاطر سار إلى الجنوب مع مائة من الحمير وعاقب القبائل التي ارتكبت تلك الجريمة وعاد بجثة والده ودفعها بالأكرام

ويروي لنا بعض تلك التقارير عن تلك الرحلات الأولى أن أحدها حاول اكتشاف أعماق أفريقيا وما زلنا حتى اليوم نقرأ ذلك على جدار مقابر أولئك المكتشفين الشجعان

وحدثنا أمير اسمه خرخوف عما لا يقل عن أربعة غزوات متفرقة قام بها في السودان . .

ففي رحلته الأولى حينما كان صغيراً ذهب مع أبيه وغاب سبعة شهور وفي الثانية ذهب وحده وعاد بقافله سالمة بعد غياب ثمانية شهور وفي الثالثة ذهب أبعد من السابقة وجمع كمية كبيرة من العاج والتبر حتى أن ثلثائة حمار كانت محملة بتلك النفائس التي عاد بها إلى وطنه . وأغرى خرخوف أحد رؤساء السودانيين ليمده بكثير من تلك النفائس وكانت القافلة محروسة قوية حتى أن القبائل الأخرى لم تجرأ على مهاجمتها بل كانت مرتاحة لمساعدة قائدها ومده بالهدايا من الماشية ولما عاد خرخوف بنفائسه إلى مصر سر الملك بنجاحه وأرسل إليه قارباً لاستقبله في النيل بالهدايا

ولكن أكثر رحلات خرخوف نجاحاً هي رحلته الرابعة فإن الملك الذي أرسله

في الرحلات السابقة مات وخلفه على العرش ولد صغير اسمه يبي في السادسة من عمره وهو الذي حكم أكثر من تسعين عاماً وهذا أطول حكم عرفه التاريخ. وفي السنة الثانية من حكم يبي بهم حرخوف ثانية بوجهه شطر السودان وعاد في هذه المرة ومعه شيء عجيب راق في نظر الملك الصغير أكثر من الذهب والعاج ونحن نعلم أن الرحالة استأنلي حينما ذهب ليعبث عن أمين باشا اكتشف في أواسط غابات أفريقيا قبيلة غريبة من الأقزام يعيشون وحدهم ويخجلون من الأجانب فلا بد وأن يكون أسلاف أولئك الأقزام قد عاشوا في القارة المظلمة منذ آلاف السنين وقد تمكن أحد خدام الملك مرة أن يأسر أحد الأقزام وأحضره إلى مليكه الذي سر به مع حاشيته وتمكن حرخوف أيضاً من أسر أحد أفراد تلك القبيلة وأحضره مع قافلته ليهديه للملك

فلما سمع الملك الصغير بالتقدمة التي سيحضرها إليه حرخوف طار فرحاً وبعث برسالة إلى المكتشف يقول له فيها : « تريد جلالي أن ترى هذا القزم أكثر من أي كبز سواه فإذا أتيت إلى القصر ومعك القزم سالماً آمناً فاني أهبك أكثر من وهب الملك آسا إلى بوردد (وهذا اسم الرجل الذي أثر القزم الأول في الأيام القديمة) وأصدر الفرعون الصغير يبي تعليمات دقيقة مع حراسه ليروا هل سلم القزم من السقوط في النيل وليراقبوه أثناء نومه وينظروا في فراشه عشر مرات في الليلة حتى يروا أنه لم يلحق به ضرر ولعل القزم المسكين مع كل ذلك كان يقاسي نوماً مزعجاً . وقد أهدى حرخوف القزم للملك يبي الصغير سالماً وداخل حرخوف زهواً من رسالة مليكه حتى أنه نقشها بحروفها على جدار القبر الذي صنعه لنفسه في جزيرة الفنتين وهناك حتى يومنا هذا يمكننا رؤية تلك الكلمات التي تخبرنا عن اكتشاف المصريين لأفريقيا وأن طباع الأولاد لا تتغير ولو عاشوا في أقدم العصور ولو جلسوا على عروش أمم عظيمة

الفصل السابع

بعثة اكتشافية

جلست على عرش مصر منذ ٣٥٠٠ سنة ملكة عظيمة . وليس من المألوف في العرش المصري أن تقبوا امرأة ولو أنهم كانوا يبعجلونها وكانت لمنزلة أم الملك ما لأبيه من عظيم الاحترام والأهمية . ولكن كانت تلك الملكة التي حكمت مصر مدة عظيمة جدير بشهرتها أن تذكر لاسيما وقد أخذت مكانة بين النساء العظيمات مثل ما أخذت الملكتان اليصابات وفكتوريا . . .

وفي أثناء حكم الملكة حتشبسوت كان يشاركها الحكم زوجها ثم ابن أخيها الذي خافها في الحكم ولكنها ظلت عشرين عاما الحاكمة المطلقة في مصر ومما يجدر ذكره في حياة تلك الملكة ما حدث من بعثة اكتشافية أرسلت فيها أسطولها . . .

ولما كانت الدنيا في طفولتها قبل عهد حتشبسوت بالوف السنين كان المصريون يبعثون بالسفن الى جنوب البحر الأحمر الى بلاد يسمونها بلاد بنت وأحيانا يدعونها بالأرض السماوية ومن المحتمل أنها كانت جزء من الأرض التي ندعوها الآن ببلاد الصومال ولكن هذه البعثات انقطعت الى عهد بعيد ولم يعد يسمع عنها أحد الا الاشاعات والقصص المتوارثة من سالف الأزمان . . .

وتقص علينا الملكة حتشبسوت في كتابتها أنها كانت ذات يوم تصلي في معبد الاله آمون في طيبة فشعرت بوحي الاله يأمرها بإرسال تلك البعثة الى تلك البلاد النائية التي كادت تنسى . « سمع أمر في الهيكل هو وحي من الاله نفسه أن الطرق الى « بنت » يجب أن تكشف وأن السبل المؤدية الى سلم المباخر يجب أن تطأ » فاطاعة لأمر الوحي أعدت الملكة في الحال أسطولا صغيرا من السفن المصرية وأرسلتها لتبحر جنوبا في البحر الأحمر بحثا عن تلك الأرض العجيبة

وكانت تلك السفن محملة ببضائع شتى لتستبدل بموارد « بنت » كما أقلت فرقة من الجنود المصريين لحمايتها

ولا نعرف الوقت الذي استغرقه الاسطول الصغير في الوصول الى قبلته لأن البعثات البحرية في ذلك الزمان كانت بطيئة خطيرة . ولكن وصلت السفن المصرية أخيراً الى مصب نهر النيل في بلاد الصومال وأبحرت في النهر مع المد حتى أقبلت على قرية من تلك البلاد ورأى المصريون أن أهل « بنت » يعيشون في بيوت غريبة الشكل تشبه خلايا النحل وبعضها مشيد فوق آكام يصعدون اليها بالسلم ولم يكن لونهم أسود ولو أنه قد عاش معهم بعض العبيد بل كان لونهم أشبه بلون المصريين . وكان الرجال يتحلون بحلي محددة الطرف كما كانوا يرتدون بما يستر عوراتهم فقط بينما كان النساء يلبسن رداء أصفر لا كم له

وكان رئيس البعثة المصرية اسمه « نهسي » وصل مع ضابط وثمانية جنود ولكي يرى أهل البلاد أنه آتى للسلم قدم بعض الهدايا لرئيس بلاد « بنت » وهي خمسة أسورة وعقدان ذهبيان وخنجر بغمد وفأس حربي واحد عشر عقداً من الخرز الزجاجي وتشبه تلك الهدايا ما يقدمه المكتشف الأوروبي الحديث لزعيم أفريقي

فأقبل السكان بدهشة ليروا الأجانب الذين أحضروا معهم تلك النفائس وسألوهم كيف استطاعوا الوصول الى بلاد يجهل مقرها الناس ثم أقبل زعيم بنت المسمى « باريهو » وزوجه المسماة « آتى » وابنته وكانت « آتى » راكبة حمرا ثم ترجلت لترى أولئك الغرباء والحق أن الحمار قد استراح من حمله لأن زوجة الزعيم كانت بدينة كبيرة الجثة وابنتها ولو كانت صغيرة لكنها بدينة كأُمها وبعد أن تبادل الزعيم ورئيس البعثة التحيات نصب المصريون لهم خيمة أحاطوها بالجنود لحراستها وعرضوا ما أحضروه من بضاعة فأتى الأهليون بنفائسهم وببضائهم المصنوعة من أنياب الفيل والذهب والابنوس والقردة وكلاب الصيد وجلود الفهود حتى امتلأ الأسطول المصري بالأحمال وجلست القردة فوق

البضاعة تنظر الى موطنها نظرة الوداع

ولكن أهم ما حملته تلك السفن الى مصر البخور وشجره ومقادير عظيمة من الصمغ الذي يحرق في البخور واحدى وثلاثين شجرة بجندورها وقد عاد مع البعثة بعض زعماء « بنت » الى طيبة ليرواعجائبها ولا شك أن عودة السفن كانت شاقة لما كانت تحمله من أعياء . .

ولما وصلت البعثة الى مصر سارت في القناة الموصلة للنيل والبحر الأحمر وكان يوم وصولها يوم عيد ومهرجان فخرجت الجموع لتستقبل المكتشفين الشجعان ومتع الناس أنظارهم بالغرائب التي حملت من بلاد بنت لاسيما بزرافة أتواها فراها أهل طيبة من العجائب ونقل البخور والصمغ الى المعبد

فنجحت هذه البعثة الاكتشافية ولكن الملكة حتشبسوت لم تقنع بذلك ولم

تقف عند ذلك الحد من البعثات

وعلى مقربة من طيبة كان والد الملكة يبنى معبداً عجيباً بجوار بعض الأطلال القائمة منذ مئات السنين وكانت حتشبسوت تتم ذلك العمل حتى كان يرى المعبد يتم شيئاً فشيئاً وكان عجيباً في بابه يختلف في منظره عن المعابد المصرية المعتادة وله اعمدة جميلة من الحجر أما الحجرة المقدسة فيه المسماة بقدس الاقداس فأنها محفورة في الصخر وأرادت الملكة بتشديد هذا المعبد أن تجعله فردوساً الآله آمون الذي أوحى اليها بارسال البعثة فغرس في المعبد أشجار البخور المقدسة التي أحضرت من « بنت » ووجهت العناية الى تلك الأشجار ثم أمرت بنقش كل قصتها على جدار ذلك المعبد وزخرفة النقوش ولم نعلم أسماء الحفارين والفنانين بل نعرف اسم المهندس الذي بنى المعبد وهو « سنحوت » ولا شك أنهم كانوا ماهرين في الفن المعماري وفي النحت والنقش يدل على ذلك قصة البعثة المصورة على جدار ذلك المعبد العجيب فيرى فيها الناظر كل شيء من تاريخها واضحا جلياً كما حدث منذ ثلاثة آلاف عام . فتري السفن مبحرة بالقلاع والمجاديف وتري استقبال أهل بلاد بنت لرجال البعثة وتري التجارة وتعبئة السفن كما تري صفوف

الجنود خارجة من طيبة لاستقبال المكتشفين وليس ثمة شيء تركوه دون أن يصوروه ويصفوه على جدار المعبد وأنا لنشكر الملكة وحفاريها الذين دونوا لنا ذلك التاريخ فأمكننا اليوم أن نذهب لنرى كيف كان البحارة يعملون وكيف عاش الناس في تلك الاصقاع النائية من افريقيا ونعلم أن مكتشفى ذاك الزمان كانوا يسوسون أهل البلاد كما يفعل مكتشفو عصرنا هذا

وفي عهدنا يعود المكتشفون فيدونون وصف رحلاتهم في كتب كبيرة ولكن ليس ثمة مكتشف أتى بمثل ما فعلته الملكة حتشبسوت التي نقشت أخبار الرحلة الى بنت على جدار معبد الدير البحري وليس هناك من صور ورسوم تدوم كما دامت صور تلك البعثة التي ظهرت للعالم كما هي بعد أن دفنت عصورا طويلة في رمال الصحراء

وقد تركت حتشبسوت غير ما ذكر تذكرات أخرى لعظمتها فلقد كتبت لنا أيضاً أنها بينما كانت جالسة ذات يوم في قصرها تفكر في خالقها اذ قد خطر ببالها أن تشيد مسلتين عظيمتين أمام معبد آمون في الكرنك فأمرت مهندسيها البارع « سنحوت » بصنعهما فسافرا الى محاجر اصوان وقطع قطعتين هائلتين من الصخر المحبب (الجرانيت) وأحضرهما في النيل معه . ولدينا اليوم على شاطئ نهر التيمس مسلة لكيلوبترا طولها ٦٨ قدما ونصف وتبدو لنا حجر هائل يتعذر على الناس نقله ولقد تعب المهندسون الحاليون كثيرا في نقل تلك المسلة الى البلاد واقامتها فيها . ولكن مسلتي حتشبسوت تعلوان ٩٨ قدما ونصف وترن كل منهما ٣٥٠ طناً ولكن « سنحوت » الماهر قطعهما وأبحر بهما وأقامهما وكل ذلك لم يستغرق أكثر من سبعة شهور وما زالت احدهما منصوبة للآن في الكرنك وسقطت ثانيتهما وكسرت بجوار رفيقتها وهاتان المسلتان تحدنان عن حكمة تلك الملكة ومهارتها في تلك الأزمان الغابرة وأنها كانت تفكر في خالقها وأنه ليس بعيداً في الحقيقة عن قلوب عبيده . .

الفصل الثامن

المعابد والمقابر

أن كل من يجوب البلاد الأوروبية ويشاهد المباني العظيمة القديمة يجد أن جل تلك المباني قلاع وكنائس وأن منها العظيم الفخم وفيها القصور ذات القلاع حيث عاش الملوك والنبلاء في الأيام السالفة . .

فإذا سرت الى مصر ورأيت مبانيها القديمة وجدت أن هناك بونا عظيما اذ بهاعددها ثل من المعابد العجيبة والقبور ومما مصر في الواقع الأرض المعابد والمقابر . . والسبب في تشييد المصريين لتلك المباني الكثيرة أنهم كانوا شعباً متديناً أحب تقديم الاكرام والتبجيل لآلهته . ولا توجد في العالم الغابر أمة فاقت مصر في اعتقادها الراسخ بالحياة بعد الموت وأن تلك الحياة الثانية أهم من الحياة العالمية ولقد بنى المصريون بيوتهم وقصورهم من الخشب وطين الصلصال لأنهم علموا أنهم سيعيشون فيها فترة من الزمن لا تلبث أن تنقشع بينا دعوا مقابرهم بالمساكن السرمدية وبدلوا كل ما في وسعهم في اجادة صنعها حتى أنها خللت دون مباني البلاد التي عفت آثارها وزالت رسومها

والآن نتصور كيف كان المعبد المصري في أيام مجده وأن القوم يقدون اليوم من كل صوب وفج ليشاهدوا أدلالها وبقاياها فيجدونها أعجب ما شيد فوق الأرض وليكنها اليوم كالحياكل العظيمة بالنسبة لما كانت عليه في القديم وأنها تريك لمحة عن مجدها الدارس وجمالها للغابر أكثر ما يدرك هيكلك العظم عن جمال الجسد الزائل وروثه

ولنتصور الآن أيضاً أننا في تلك الأيام أمام أحد تلك المعابد في زمن بهاؤها ومجدها حينما كان يؤمها المئات والألوف من الناس وحينما نمر في طرق المدينة الضيقة اذا بنا أمام طريق فسيح يمتد مئات من الأذرع وعلى كلا جانبيه صف

من تمائيل أبي الهول ابعضها رؤوس بشرية ولكن معظمها هنا برؤوس كباش
أو بنات آوى

واذ نمر في ذلك السبيل نشهد ببرجين عاليين يرتفعان ويبنهما باب مرتفع
وأمام برجى الباب مسلتان عاليتان من (الجرانيت) المنقوش بالهيرغليفية
والمصقول كالمرآة ولكل مسلة قمة مذهبة تتلألأ في أشعة الشمس كما يوجد بجانب
المسلات تمائيل ضخمة للملك الذي أمر بتشيد المعبد له وتمثل تلك التماثيل الملك
جالساً على عرشه لا بساً تاج مصر المزدوج . الأبيض والأحمر . وهذه التماثيل
مقطوعة من كتل الأحجار فإذا تطلع إليها الانسان عرته الدهشة والعجب إذ
لا يدري كيف استطاع الانسان أن ينقل تلك الكتل الهائلة من محاجر الأحجار
ونحتها واقامتها. وما زال الناظر يرى أمام أحد معابد طيبة قطعة مكسورة من تمثال
رمسيس الثانى الذي حين كان سايما كان يعلو ٥٧ قدما ويزن نحو ألف طن وأنها
لأ كبر قطعة مفردة من الحجر قطعتها أيدي البشر ويندكرنا ذلك أيضا بتمثالي
ممنون الهائلين

وترى جدران الابراج مغطاة بالصور التي تمثل حروب الملك قتراه في عجلته
يطارد أعداؤه أو قابضا على شعر أسراه ورافعا سيفه ليقتلهم وكل تلك النقوش
ملونة بأزهى الألوان وكل وجهة البناء مزينة بالنقوش وهى نوع من التاريخ المصور
الممثل للملك ..

وتقف أمام الباب المصنوع من خشب الأرز المجلوب من لبنان ولكنك
لا ترى الخشب لأنه مصفح بالفضة ومصور بأجمل الرسوم ونمر من الباب فنجد
أنفسنا في فناء فسيح بين بناء أشبه بالدير تحمل سقفه عمود من الحجر منقوش
عليها أعمال فرعون العظيمة وعطاياه المقدمة الى اله المعبد وفي الوسط عمود مرصع
بالعقيق واللازورد والأحجار الكريمة

وعلى جانب معبد من ذلك البناء نرى برجين وباباً آخر مؤدياً الى القاعة
الثانية ونمر من ضوء الشمس الى دهليز معتم صاحب الضوء لأن له سقفاً يحجب

النور ويلتفت الانسان حوله فيرى أكبر حجرة بناها الانسان وفي وسطها صف من الأعمدة الهائلة ثم صفين من الأعمدة الصغيرة على الجانبين وننظر الى الاثنى عشر عمودا قراها تعلوا سبعين قدما في الفضاء وقواعدها منبسطة على شكل الأزهار وكل قاعدة من قواعد العمود تستطيع أن تحمل مائة رجل وتزن كل حجرة من أحجار السقف مائة طن والأعجب من ذلك كيفية رفعها الى ذلك العلو الشاهق ووضعها في أماكنها وكل عمود منقوش بالرسوم والألوان وكذلك الجدار المحيط بالأعمدة ولكن لو نظرنا الى تلك الصور في داخل المعبد لا نرى فيها أخبار حروب الملك لأن المعبد أقدم من ذلك بل نرى صور الآلهة وصور الملك يقدم لها القرابين والهدايا التي لا تحصى

ثم نسير الى قدس الأقداس فلا نرى أثرا لضوء النهار ونرى الغرفة أصغر من باقي الحجرات ويضيء ظلمتها مصباح ضئيل يحمله تابع الكاهن الذي يقف الى جانب هيكل والغرفة مغلقة الأبواب مصفحة بالذهب وفيها تمثال الآله ولما كانت الأبواب مختومة ولا يسمح لنا بالدخول قد نفري الكاهن ليسمح لنا أن ننظر الى داخلها فاذا بنا نرى تمثالا صغيرا خشبيا أشبه بالتمثال الذي رأيناه محمولا في موكب الطيبة ومزين ومقدم له الماء كول والمشروب والرياحين . ويقوم جيش من الكهنة كل يوم بخدمته ويلبسونه ويزينونه ويقدمون له القرابين وينشدون ترانيم في مديحه ووراء الهيكل مخزن مملوء بالطعام والشراب من قمح ونبذ وفواكه تزود بها مدينة بأسرها في زمن الحصار

وأن هذا الآله غني كبير فله من الأرض أكثر مما لأي أحد من النبلاء وله دخل أكبر من دخل فرعون نفسه وله جيش خاص به لا يطيع الا أمره ونهييه وله على شاطئ البحر الأحمر أسطول يجلب له من البلاد الجنوبية الأظياب والبخور وعند مصب النيل أسطول آخر ليحضر له من لبنان خشب الأرز والعطور ولكهنته من النفوذ والسلطان أكثر من أي أمير في البلاد وأن فرعون نفسه ليفكر قبل أن يقدم على عقاب نفر من لهم القوة على هز عرشه . وتلك كانت حال المعبد

المصري منذ ثلاثة آلاف عام وقت أن كانت مصر أقوى أمة في الأرض . .
ولكن ان كانت تلك المعابد عجيبة فلا زالت المقابر أعجب فند أوائل
التاريخ والمصريون يظهرون شعورهم بأهمية الحياة بعد الموت بإقامة المباني العظيمة
المحتوية على جثث العظماء وحتى الملوك الذين عاشوا قبل التاريخ كانت لهم غرف
تحت الأرض مدودة بكل ما يلزم للحياة الأخرى ولكن منذ أن أتى خوفوا
رأينا عجائب القبر المصري

وغير بعيد من مدينة القاهرة عاصمة مصر الحالية تقوم في الصحراء مبان
غريبة تناطح السماء — تلك هي الاهرام مقابر ملوك مصر العظام وإن شئنا أن
نعرف شيئاً عن البنائين منذ أربعة آلاف عام فلننظر الى الاهرام وهاك أكبرها
وهو هرم كيوبس وهو اسم آخر لخوفو وليس على وجه الأرض بناء أعظم منه
فارتفاعه اليوم ٤٥٠ قدماً وقبل أن تهدم قتمه كان ارتفاعه نحو ٤٨٠ قدماً وطول
كل ضلع من أضلاعه ٧٥٠ قدماً ويشغل مساحته نحو اثنتي عشر فدانا ولا يمكنك
تعجب أكثر إذا علمت أن ما فيه من أحجار كافية لبناء مدينة تكفي لسكن أهل
الاسكندرية أو أنك إذا كسرت أحجاره الى أحجار حجمها قدم مكعب وصفت
بجانب بعضها فان صفها يحيط بكرة الأرض ، وأن كل حجر من أحجار الهرم وزن
من ٤٠ الى ٥٠ طناً وكلها موضوعة فوق بعضها بأحكام عجيب ومن العجيب تلك
الممرات والغرف في داخل الهرم العظيم وفي وسط الهرم غرفتان صغيرتان تسمى
أحدهما بمخدع الملك وفيها كانت جثة أكبر بناء في العالم وكانت الممرات
مقفلة بحجرين ثقيلين حتى يتعذر على انسان دخول الهرم ويقلق الملك خوفو من
نومه ولكن رغماً عن كل التحفظات فان اللصوص تمكنوا من الدخول الى الهرم
ونبش التابوت وانتهاك جثة الملك وبعثرتها حتى صدق قول الشاعر بيرون « لم يبق
من بقايا كيوبس حفنة من التراب »

وأما الاهرامات الأخرى فأصغر من الهرم الأكبر ، وبجوار الهرم الثاني
يجلس أبو الهول وهو تمثال هائل رأسه رأس بشري وجسمه جسم أسد وقد قطع

من صخرة واحدة ولا نعلم من صنعه ولا من يمثل وجهه الذي يعلو سبعين قدما
ولكن هناك يربض ابو الهول مراقبا العصور في كرها بجوار قبور الفراعنة وهو
أعجب تماثيل الارض التي صنعتها أيدي الانسان

وبعد عدة قرون أخذ الناس يحفرون في الصخر مقابر لدفن موتاهم بدلا من بناء
الاهرام وهناك حول طيبة تزدحم القبور المفرغة في الصخر وتجد جدارها مزينة
بالصور الجميلة الملونة تمثل حياة الميت التي كان يحياها فوق الارض فتراه جالسا
أو واقفا وبجواره زوجته وخدمه يعملون في أعمالهم مثل الحرث والزرع والحصاد
وجني الكروم وعصرها أو يقدمون الفواكه لسيدهم وفي صور أخرى ترى الرجل
العظيم ذاهبا للصيد والقنص واللهو أو ترى التجار يتعاملون وصفوة القول ترى
كل حياة مصر القديمة تمر أمامك وأنت تنتقل من غرفة الى أخرى وان من تلك
القبور علمنا معظم تاريخ المصريين ووصف حياتهم

وفي واد يدعى وادي الملوك كان يدفن كثير من الفراعنة واليوم أوضحت
قبورهم عجائب للنظر في طيبة وإذا نظرنا الى أجمل تلك المقابر مثل قبر سيتي
الاول والد رمسيس الثاني الذي رويناه عنه شيئا فحينما ندخل اليه ننحدر من ممر
الى آخر ومن قاعة الى أخرى حتى نصل الى الغرفة الرابعة عشرة المسماة ببيت
أوزيريس الذهبي وتبعد ٤٧٠ قدما من الباب الخارجى وفيها تابوت الملك وأن
كل الجدار والاعمدة في كل غرفة منقوشة ومنحوتة بالكتابة ويرى على الاعمدة
صور الملك يقدم القرابين للآلهة وهي ترحب به ولكن الصور التي على الجدار
غريبة تمثل مرحلة الشمس في العالم السفلي والاضطراب والمصاعب التي تصادفها الروح
المصاحب لقارب الشمس في رحلة ويطارد الشرير أفاع وخفافيش وشماسيح تنفث
النار أو معها سهام فمن وقع في قبضتها عذبه بكل أنواع التعذيب والتشكيل فتمزق
قلبه وتقطع رأسه وبعدها تغلى أطرافه في آنية أو تعلق فوق بحيرات النهر ثم يمر
الروح بين تلك الاضطراب الى الرؤيا المنيرة في الحقول المقدسة حيث يبدش المختارون
في السعادة يزرعون ويحصدون . ثم نرى الملك يصل مطهرا بعد مرحلته الطويلة

وترحب به الآلهة وتسكنه معها كآله في حياتها الخالدة

وتابوت الملك سيتي الجميل الذي كان فيه مومياء الملك سيتي موجود الآن في متحف « الساؤون » بلندن وقد اكتشف منذ قرن تقريبا وكان فارغا لان بعض نابشي القبور وجدوا جثة الملك مع مومياء الملوك الاخرين مختبئة في حفرة عميقة بين التلال وهناك في متحف القاهرة يمكنك أن ترى وجه ذلك الملك العظيم كما كان منذ ٣٢٠٠ عام تقريبا ويمكنك أيضا أن تنظر الى وجه تحتمس الثالث أكبر جندي مصري والى رمسيس الثاني مضطهد الاسرائيلين والى مرنبتاح (منفتاح) الذي قسا قلبه حينما طلب منه موسى النبي أن يدع بني اسرائيل يخرجون من مصر والذي غرقت جيوشه في البحر الأحمر وهي تطارد بني اسرائيل وأنه ليظهر لنا أن من العجيب رؤية أبطال الفراعنة ولكن لما اعتقد المصريون أنه حينما يموت انسان يجب روحه الرجوع الى موطنه الارض بعد مروره الى الحياة الاخرى ويبحث عن الجسم الذي كان يسكنه في الحياة وقد ذهب اعتقادهم الى أن بقاء النفس في العالم الآخر يتوقف على صيانة الجسد فعمدوا الى التحنيط وكأنهم قد عملوا على حفظها وصيانتها لتعرض بعد ألوف السنين في المتاحف لينظر اليها القوم الذين عاشوا في أيامهم في حال من الهمجية والتوحش

الفصل التاسع

السماء والعالم الآخر عند قدماء المصريين

سأحدثكم هنا عما تخيله المصريون عن السماء وعما كانت وأين كانت وكيف كان يصلها الناس بعد الموت وما نوع الحياة التي عاشوا فيها حينما كانوا هناك فلقد كانت لهم آراء غريبة شاذة في بابها عن السموات فاعتقدوا مثلاً أن تلك القبة السماوية الزرقاء مجبولة من شيء وهي كصفحة الحديد العظيمة فوق العالم ومقامة في الجهات الاربع — الشمال والجنوب والشرق والغرب — فوق دعائم من الجبال

العالية وأما النجوم فصايبح صغيرة مدلاة من تلك الصفحة . ويجري حول الدنيا
نهر سماوي عظيم تسير فيه الشمس يوما بعد يوم في قاربها مضيئة العالم وتراها الانظار
وهي تعبر من الشرق لان النهر يجري بعد ذلك وراء جبال عالية ثم تدلج في عالم
الظلمة فلا تراها العيون

وبعد أن تغيب الشمس يقبل القمر سابحا في قاربه تهرسه عينان لا تغفلان
عنه وهو في حاجة الى الحراسة لأنه يهاجم بعدو هائل كل شهر ويسير مدة أسبوعين
أنا فينمو ويستدير ولكنه لا يكاد يتم نموه في منتصف الشهر حتى يهاجمه عدوه
ويشطر منه جزءا ويلقيه في النهر السماوي وفي مدة أسبوعين يعود بالتدريج الى
ما كان عليه حتى أول الشهر التالي. تلك كانت طريقة المصريين الغربية في تفسير
أوجه القمر وكثير من آرائهم الاخرى غريبة شاذة مثل هذه الطريقة

ولا أريد هنا ذكر معتقداتهم عن الله لانه كان لهم آلهة كثيرة اعتقدوا فيها
غرائب يضيق المقام عن سردها ولكن أهم ما في ديانة المصريين اعتقادهم في السماء
وفي الحياة التي يحياها المرء بعد موته وليس ثمة أمة قديمة رسخت فيها عقيدة خلود
النفس أكثر من المصريين وعن ابتداء حياة قشبية بعد الحياة الدنيا تعيسة كانت
أم شقية بالنسبة الى ما كانت عليه في الحياة الارضية ولدهم معتقدات عديدة عن
الحياة بعد الموت بعضها صعب فهمه ولكني سأذكر أهمها وأبسطها :

رأى المصريون أنه منذ أزمان متوغلة في القدم وقت ان كانت الارض في
طفولتها عاش ملك عظيم صالح اسمه اوزيريس حكم مصر فكان عادلا في حكمه
طيبا مع شعبه مرشدا اياهم الى ما فيه النافع ولكن كان لاوزيريس أخ شرير
يسمى « ست » كان يكرهه ويحسده فدعا « ست » ذات يوم أخاه اوزيريس
لوليمة العشاء حيث جمع عددا من أصحابه المتآمرين معه . أحضر صندوقا جميلا
وعد باعطائه لمن يناسب حجمه فدخل في الصندوق الواحد بعد الآخر ولكنه لم
يوافق أحدا منهم حتى جاء دور اوزيريس فدخل حتى اذا ما احتواه الصندوق
أحكم أخوه الشرير وأصحابه القفل عليه وألقاه في النيل الذي حمله الى الشاطئ

وفيه جثة الملك الصالح إلا أن ايزيس زوج اوزيريس بحثت عن زوجها في كل مكان حتى عثرت على الصندوق وفي داخله الجثة وبيننا هي تبكيه اذ أقبل عليها « ست » وقطع جثة أخيه اربا وبعثر القطع في كل واد ولكن ايزيس الوفية اقتفت آثار تلك القطع ودفنت كل قطعة من الجثة

وكان لايزيس ولدا اسمه هورس فلما شب وترعرع طلب من « ست » النزال ولما حاربه هزمه فاجتمع كل الآلهة وحكمت لاوزيريس ضد ست ثم أقامت اوزيريس من بين الأموات وجعلته الهاً وعينته قاضيا للناس بعد المات ثم اعتقد المصريون تدريجيا أن اوزيريس قام من الموت وعاش خالدا وأصبح كل من يعتقد به يحيا ثانية بعد الموت ويسكن معه الى الأبد وأنتك لترى جلليا ما بين قصة اوزيريس وحياة المسيح من مشابهة غريبة

واعتقد المصريون أنه اذا مات انسان على هذه الارض وحنطت جثته وتوارت في القبر ذهب روحه الى أبواب قصر اوزيريس في العالم الآخر حيث توجد « قاعة الحق » التي تحاكم فيها الأرواح . ولا بد للروح من معرفة الأسماء السحرية للأبواب قبل ولوجها بحيث اذا لفظت تلك الأسماء فتحت الابواب ودخل الروح ويوجد في قاعة الحق ميزان كبير يقف بجانبه اله يكتب نتيجة المحاكمة بينما يجلس حول القاعة اثنان وأربعون مخلوقا مريعا لهم السلطة في معاقبة الآثمين ويعترف الروح لهؤلاء القضاة المنتقمين أنه كان خاطئا واذا ما اكمل اعترافه يؤخذ قلبه ويوزن في كفة تقابلها ريشة يرمز المصريون الى الحق فاذا لم ترجح كان الرجل كاذبا ويلقى قلبه الى وحش هائل نصفه بشكل النمساح ونصفه الآخر ذو شكل عجل البحر وهو جالس وراء الميزان فيلتهم قلوب الفاسدين ولكن ان كان القلب صالحا يأخذ هورس ابن اوزيريس الرجل من يده ويقوده الى حضرة القاضي اوزيريس فيحكم له بالحق ويحول له الدخول الى السماء

ولكن ما هي تلك السماء أو تلك الجنة ؟ لقد رأى المصريون فيها عدة آراء مختلفة منها أن النفوس النقية تؤخذ الى السماء وتصور نجوما تنير فوق العالمين ومنها أن

يسمح لها بالدخول في القارب الذي تسير فيه الشمس حول العالم يوما بعد يوم .
وتؤنس الشمس في مرحلتها السرمدية ولكن الرأي الذي اعتقد به الكثيرون
وأحبوه أنه في مكان بعيد من الجهة الغربية تقع أرض جميلة عجيبة تسمى حقل
المزروعات حيث ينمو القمح الى ارتفاع ثلاث ياردات ونصف وتعلو السنابل ثلاثة
أقدام ويشق سطح تلك الحقول قنوات جميلات مملآة بالسمك ويكتنفها الغاب
ونيات المياه

فاذا ما اجتازت الروح قاعة المحاكمة تمر بمسالك وعرة وبين أخطار عظيمة
حتى تصل الى تلك الأرض النضرة الجميلة وهناك يحيا الميت ويعيش سرمديا في
السلام الأبدى والسعادة الدائمة يزرع ويحصد ويجدف في قاربه في قنوات الماء
أو يستريح ويلعب في المساء تحت أشجار الجيز

ونخال أن كل هذا الوصف يصور جنة فيحاء ملاي بالسعادة لمعظم الناس
الذين اعتادوا في كل حياتهم العمل الشاق والأجر النذر وبالتدريج فكر النبلاء
أن سماء مثل هذه لا تروق في عيونهم لأنهم لم يعملوا على الأرض عملا فكيف يعملون
ويتعبون في السماء ؟ ففكروا في طريقة ليصبحوا عبيدهم معهم في العالم الآخر فحاول
بعضهم ذلك بأن كانوا يقتلون عبيدهم عند قبور أسيادهم ففي جنازة الرجل العظيم
كان بعض خدمه يقتلون بجوار مقبرته حتى يمكنهم أن يصبحوه الى السماء ليخدموه
هناك كما خدموه على الأرض ولكن كان للمصريون من الشفقة والعدل بحيث
كانوا يبغضون تلك الفكرة القاسية وقد فكروا في طريقة أخرى لذلك فأتوا
بتمائيل من الطين تمثل شكل الخدمة ولأحدهم مفرقة على كنفه وآخر مسلة في يده
وهكذا فحين يدفن الرجل يدفنون معه مثل تلك التماثيل حتى اذا وصل الى السماء
وطلب منه أن يعمل في الحقل قام عبيده وأخذوا على عاتقهم عمل سيدهم

وأنا نرى مع جثث المصريين المخططة عددا من هذه التماثيل الصغيرة ونرى
أحيانا شيئا من الشعر مكتوبا عليها مثل « أنت أيها المحيب . اذا دعيت وسئلت

أن أعمل أى عمل مما يعمل فى السماء وطلب منك أن ازرع الحقل أو أحمل الرمال من الشرق الى الغرب قل هأنذا »

وأنها تبدو فكرة غريبة عن الجنة ومن العجيب أيضاً أن يصحب الميت معه الى الآخرة حزمة من اللعب الخزفية ولكننا اذا رأينا فى ذلك مدعاة للسخرية فلا حاجة بنا أن ننسى أنه كان للمصريين عقيدة ثابتة ان خالق المرء فى هذه الحياة هي التي تصيره سعيداً أو شقياً فى الآخرة ومن عمل صالحاً أو طالحاً يلق جزاء ما قدمت يدها

الفصل العاشر

بعض القصص الخرافية عند قدماء المصريين

كان أطفال المصريين مولعين بسماع القصص المدهشة وأريد فى هذا الفصل أن آتى ببعض تلك القصص المصرية التي اعتاد الأطفال سماعها فى المساء بعد أن ينتهي وقت المدرسة واللعب وهذه القصص هي أقدم القصص فى العالم التي عرفناها

يحكي أن الملك خوفو الكبير صاحب الهرم الأكبر فرغ ذات يوم من عمله فدعا اليه أبناءه وحكامه وقال لهم « من منكم يقص على قصص السحرة الأقدمين » فوقف ابنه الأمير « بوفرا » وقال « أني أقص على جلالتيكم اعجوبة حدثت فى أبيك الملك « سنفرو » وقد وقعت فى يوم كان فيه الملك تعباً مملولاً متبرماً فبحث فى قصره عن شيء يسره فلم يجد فقال لحاشيته احضروا لى الساحر « زازامنخ » فلما حضر الساحر قال له الملك « لقد بحثت يا زازامنخ فى كل قصري عن شيء يسر نفسي فلم أجِد شيئاً يفرح قلبي » فأجابه زازامنخ : فلتأخذ جلالتيك قاربك فيحملك فوق بحيرة القصر ولتحضر عشرين فتاة جميلة ليحدفن فى القارب بمجاديف من أبنوس مرصعة بالذهب والفضة وسأذهب معك بنفسى فيسر قلبك من منظر طيور المساء والشاطئ الجميل والعشب الأخضر

فذهب الملك مع الساحر الى البحيرة وجدف العشرون حسناء في قارب الملك وجلس تسع منهن يحدفن من جانب وتسع من الجانب الآخر وجلس اثنتان من أجملهن في مقدمة القارب وأنشد الحسان غناء شجيا فأخذ الارتياح يتسرب الى قلب الملك ويتملكه السرور وأخذ القارب يقبل ويدبر والمجاديف تلمع في شعاع الشمس

وبينا كان القارب سائراً أصاب طرف المجداف رأس إحدى الفتيات فسقط التاج من على رأسها في الماء فانقطعت عن الغناء ووقفت كل المجاديف عندئذ قال الملك : « لماذا أوقفت التجديف أيتها الصغيرة ؟ » فأجابت الفتاة « لأن حليتي سقطت في الماء » فقال الملك : « لا بأس فسأعطيك غيرها » ولكن الفتاة أجابت « أريد حليتي القديمة دون سواها » فدعا الملك سنفرو اليه الساحر زازامنخ وقال : « والآن يا زازامنخ لقد عملت بمشورتك وسرى السرور في نفسي ولكن انظر ها حليتي هذه الفتاة قد سقطت في الماء وسكنت عن الغناء وأبطلت التجديف ولا تريد للحليتي القديمة بديلاً »

عند ذلك وقف الساحر زازامنخ في قارب الملك وفاه بكلمات عجيبة واذا بنصف ماء البحيرة يرتفع ويتراكم فوق ماء النصف الآخر فارتفع قارب الملك فوق المياه المرتفعة ورؤي قاع النصف الآخر تلمع فيه الأصداف وفوقها الحلية التي سقطت من رأس الفتاة . فقفز « زازامنخ » الى القاع وعاد بها الى الملك ثم تتم بكلمات عجيبة فعاد الماء كما كان أولاً فسر الملك وقضى يوماً سعيداً وقدم للساحر زازامنخ مكافآت عظيمة .

فلما سمع الملك خوفو تلك القصة أنى على الرجال الأقدمين ثم وقف ابن آخر له اسمه الأمير « حوردادف » وقال : « ان القصة المذكورة أيها الملك قصة قديمة لا يعلم عنها ان كانت صادقة أم كاذبة ولكني أريك ساحراً يعيش في أيامنا هذه فسأل الملك خوفوا قائلاً : « ومن هو ؟ » فأجاب حوردادف « إن اسمه ديدى وعمره مائة وعشرة أعوام ويأكل كل يوم خمسمائة رغيف من الخبز ويشرب

مائة أناء من الجعة وله المقدرة أن يعيد الرأس المقطوعة الى جسمها ويعرف كيف يجذب اليه الاسد من الصحراء فيتبعه كما يعلم رسم بيت الله الذي تريد أن تعرفه منذ زمان »

فأرسل الملك خوفو الامير حوردادف ليحضر اليه الساحر ديدى فذهب وأحضره في القارب الملكي وخرج الملك وجلس في شرفة القصر ثم قال للساحر: « لماذا لم أرك من قبل ياديدي ؟ » فأجابه « فلتكن لجلالتكم الحياة والصحة والقوة ان الانسان لا يمكنه أن يأتى الا اذا دعى » فقال الملك . أحقيقى أنه يمكنك أن تلتصق رأسا مقطوعة في مكانها ؟ » فأجاب « نعم يا مولاي » فقال الملك « لنحضر أسيرا من السجن ولنقطع رأسه » ولكن ديدى أجابه « أطل الله في عمر الملك لا تجرب ذلك في انسان ولنجر به في حيوان أو طائر » . فأحضرت أوزة وقطعت رأسها ووضعت الرأس في شرق قاعة القصر ووضع الجسم في غربها . ثم قام ديدى وتكلم بكلمات عجيبة فاذا بجسد الازة يتحرك ويسير ليقابل الرأس وسارت الرأس لتقابل الجسم والتصقا أمام عرش الملك وعادت الازة الى الحياة كما كانت عند ذلك سأل الملك خوفو الساحر قائلا « وهل حقيقة أنك تعلم رسم بيت الله » فقال الساحر نعم يا صاحب الجلالة ولكن استأنا الذي أعطيك إياه . فسأل الملك ومن هو فأجاب « أنه أكبر أبناء ثلاثة سيولدون للسيدة (رد ديت) امرأة كاهن رع اله الشمس ولقد وعد رع ان سيحكم أولئك الثلاثة هذه المملكة التي يحكمها مولاي الملك » فلما سمع الملك خوفو ذلك انتفض ولكن ديدى قال : لا يخاف الملك لأن ابنك سيحكم أولا ثم يليه ابنه ثم يلي ذلك أحد هؤلاء فطلب لملك أن يعيش ديدى في بيت الأثير حوردادف وأن يقدم له كل يوم ألف رغيف ومائة اناء من الجعة وثور ومائة حزمة من البصل

ولما ولد أبناء (رد ديت) الثلاثة أرسل رع أربعة آلهة لتكون لهم أمهات في زي راقصات متجولات وصحبهن اله في زي جمال ولما ربين الثلاثة أطفال قال زوج رد ديت لهن « ماذا ترون من الأجر أيتها السيدات ؟ » ثم أعطاهن شيئا

من الشعير وذهبن الى حال سبيلهن حتى اذا ما ابتعدن قالت احدهن — ايزيس لرفيقاتها « لما اذا لم نفعل اعجوبة لهؤلاء الأبطال ؟ » فوقفن وصنعن تيجان مثل تاج مصر الأحمر والأبيض وخبأنها في الشعير وربطن الزكبة ووضعنها في مخزن (رديت) وسرن في طريقهن

وبعد أسبوعين أرادت رديت أن تصنع جمعة لدارها ولكنها لم تجد شعير وقالت لها خادمتها انه كان في المخزن زكبة من الشعير ولكنها أعطيت للراقصات فأبقينها في المخزن مختومة بختمهن فقالت السيدة لخادمتها . « اذهبي واحضريها فاذا أردنها أعطيناها أكبر منها » فنزلت الخادمة ولما دخلت المخزن سمعت صوت موسيقى ورقص مما يسمع في قصر الملك فعادت أدراجها خائفة وأخبرت سيدتها بالامر فنزلت رديت وسمعت ما أخبرتها عنه الخادمة فلما عاد زوجها في الليل أخبرته بالامر وسرت قلوب الجميع لأنهم علموا أن أبناءهم سيصيرون ملوكا

وحدث بعد ذلك أن رديت تشاجرت مع خادمتها وضربتها فقالت الخادمة لباقي الخدم الذين معها « أنها ولدت ثلاثة ملوك وسأذهب لأخبر ذلك للملك خوفاً » وذهبت أولاً الى عمها وأخبرته بما دبرته فغضب منها لأنه رأى في ذلك وشاية بالأطفال . وضربها بسوط من الكتان . ولما سارت بجوار النهر خرج منه تماسيح كبير وحملها الى قاع البحر . »

ولكن الأسف أن هذه القصة قد وقفت عند هذا الحد إذ فقد باقي الكتاب ولا ندري هل حاول الملك خوفاً قتل الصغار الثلاثة أم لا وكل ما نعلم أن أول الثلاثة ملوك الذين خلفوا أسرة خوفو يحملون أسماء مثل أبناء رديت وكانوا يدعون مثل باقي الملوك الذين بعدهم بأبناء الشمس

وهذه أقدم قصص في العالم واذا لم تظهر عجيبة لديك فلتذكر أن لكل شيء بداية وأن واضعي تلك القصص القديمة لم يزاولوا كثيراً فن القصص

وانذكر قصة ثانية من خرافات قدماء المصريين التي رويت بعد ما ذكرناه من القصص السالفة بوضع مئات من السنين ولقد كان له شأن كبير عند أطفال

المصريين ما لقصة السندباد البحري عندنا واسم هذه القصة « حكاية البحار الغريق »
وقد قصها البحار بنفسه على شريف مصري قال

كنت ذاهبا الى مناجم فرعون فأبحرت في سفينة طولها (٢٢٥ قدما) وعرضها
(٦٠ قدما) وكان معي مائة وخمسون من خيرة بحارة المصريين وكان كلهم
يتغيا بسفرة سعيدة ولكننا ما كدنا نقرب من الشاطئ حتى هبت زوبعة عظيمة
ارتفع لها ماء البحر وأرغى وأزبد وتهشمت سفينتنا ولكنني تعلقت بقطعة خشب
وحملتني البحر ثلاثة أيام حتى قدقي الى جزيرة ولم يبق أحد من رفاقي حيا بل كلهم
كانوا من المغرقين

فكنت تحت ظل بعض الشجيرات حتى اذا عاد لي صوابي قليلا نظرت حولي
باحثا عن طعام فوجدت حولي كثيرا من التين والعنب والكريز والقمح وكل
صنوف الطيور ولما شبعنا أوقدت نارا وقدمت قربانا للالهة التي أنقذتني وسمعت
بغثة صوتا مثل قصف الرعد واهتزت الأشجار وزلزلت الأرض فنظرت حولي
فاذا بحية عظيمة تسعى الي وطولها خمسون قدما ولها حية طولها ثلاثة أقدام وكان
جسمها يلمع في الشمس كالذهب ولما فردت جسمها تملكني رعب ووقعت
على وجهي

ولكن الحية بدأت تتكلم وقالت : « ما الذي أحضرك هنا أيها الصغير اذا لم
تخبرني حالا لجعلتك تفنى كل هيبة » قالت هذا وحملتني في فمها برفق الى بيتها
ووضعتني فيه

ثم خاطبني هذا الثعبان الهائل قائلا : « ما الذي أحضرك هنا أيها الصغير الى
هذه الجزيرة في البحر ؟ » فحدثته عن قصتي وعن غرق المركب وكيف نجوت
وحدي من بين برائن الأمواج . فقال لي : لا تخف أيها الصغير ولا تكن حزينا
فاذا كنت قد أتيت الي فأنا أرسلك الى هذه الجزيرة المملوءة بكل خير والآن
ستسكن هذه الجزيرة أربعة شهور ثم تأتي سفينة فتحملك الى وطنك حيث تموت
فيه أما أنا فأسكن هنا مع اخوتي وأطفالي ونحن هنا خمسة وسبعون غير فتاة صغيرة

أتت الى هنا بالصدقة وحرقت بنار من السماء ولكن ان كنت شجاعا وصبوراً فعانق
أطفالي وعد الى وطنك »

فأنحيت أمامه ووعدت بأن أتحدث عنه أمام فرعون وأن أحضر له سفناً
محملة بنفائس مصر ولكنه ابتسم لكلامي وقال : ليس عندك شيء مما أريد لأنني
أمير بلاد بنت وكل ما فيها من أطياب وعطور ملك لي وفوق ذلك فانك اذا رحلت
عن هذه الجزيرة لن تراها ثانية لأنها ستتحول الى أمواج

ولما حان الوقت اقتربت السفينة وقال لي الشعبان الطيب «وداعاً وداعاً اذهب
الى وطنك أيها الصغير والى أولادك واجعل اسمك طيباً في بلدك وهذا
ما أرغبه منك »

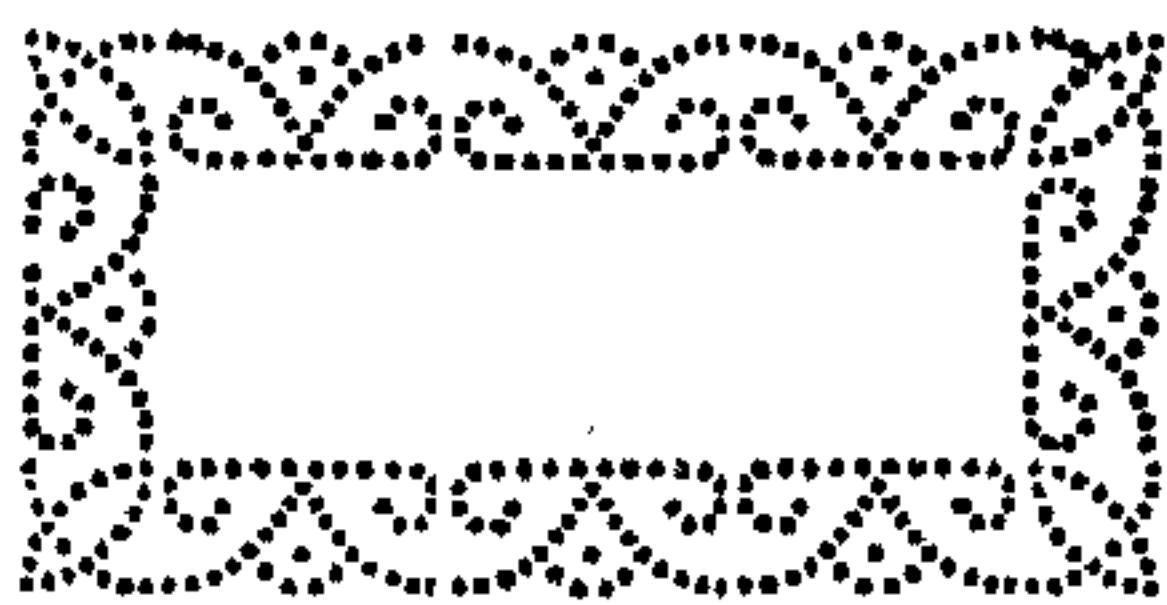
فأنحيت أمامه وحملت بهدايا ثمينة من العطور والأخشاب الطيبة والعاج
والخيزران وكل أنواع النفائس وأقلتني السفينة

وبعد أن مر شهران من الرحلة كنت سائراً الى قصر فرعون ودخلت عليه
لأقدم الهدايا التي أحضرتها معي من تلك الجزيرة وأن فرعون سيشكرني
أمام العظماء »

وآخر قصة تأتي بها هنا يأتي تاريخها بعد سابقاتها فانه منذ ١٥٠٠ سنة قبل
المسيح وجدت في مصر طائفة من الملوك العسكريين أسسوا دولة عظيمة امتدت
من السودان جنوباً الى سوريا شمالاً والى الشرق حتى الجزيرة ونهر الفرات وكانت
الجزيرة أو « بنهارينا » كما دعوها مجهولة لديهم قبل أن يغزوها ولكنها أصبحت
لديهم كما أصبحت أمريكا الشمالية لعصر اليصابات أو أواسط أفريقيا للأجداد
أرض العجائب والخيال والقصة التي سأذكرها تختص « بنهارينا » وقد رواها
قدماء المصريين كما يلي :

حكم مصر مرة ملك لا ولد له فكان قلبه حزيناً لأنه لم يرزق مولوداً وصلى
الى الآلهة لتجيب أمنيته حتى ولد له على مر الايام غلام فأتت العرافات لتتنبأ عما
سيحدث له ولما رأينه قالوا : « أن آخرته موت بتمساح أو بشعبان أو بكلب » فلما

سمع الملك ذلك حزن على ولده وعزم على وضع الغلام في مكان بعيداً عن كل
أذى فبنى له قصراً جميلاً في الصحراء وذوده بكل حسن جميل وأرسل ابنه إليه
يحرسه خداماً ليدفعوا عنه كل أذى وهكذا شب الغلام آمناً في قصره الصحراوي
ولكن حدث ذات يوم أن الأمير الصغير نظر مرة من سطح قصره فرأى
رجلاً سائراً في الصحراء يتبعه كلب فقال لمن معه . « خبرني ما هذا الذي يسير
وراء الرجل السائر هناك في الطريق »



تتمية

الاستكشافات حول مدفن توت عنخ آمون

نقلا عن أهم المصادر التاريخية الموثوق بها

الآثار العجيبة في مدفن توت عنخ آمون^(١)

نلخص مكاتب « الديلي كرونيكل » في الاقصر ما وقع في اليومين الماضيين فقال :

« أبلغني ثقة ان الآثار التي وجدت في الغرفة الداخلية وكان لاكتشافها رنة عظيمة في العالم تعد ثانوية بالنسبة إلى الآثار التي وجدت حول مومياء الملك نفسه . وقد تركت القلائد والثياب الموشاة بالذهب ومحتويات الصناديق الملكية والجواهر والمنقبين في حالة تعب وعياء كلما أخرجوها ملأ أيديهم ساعة بعد أخرى . والمرجو ان لا يأتي مساء الاربعاء حتى ينجلي السر الخاص برفع اللغائف عن المومياء نشرت جريدة المورنينج بست تلغرافا من مكاتبها في القاهرة جاء فيه ما يأتي :

« اذيعت اليوم أسرار في غاية من الاهمية عن عمر توت عنخ آمون فقد كان المؤرخون غير واثقين من عمره عند ما توفي ولكن كان معروفاً انه مات حديث السن . أما الآن فقد دل فحص قدميه على انه توفي في نحو الخامسة عشر من العمر . وقد وجدت في قدميه نعال موشاة بالذهب تشبه في شكلها النعال التي يلبسها البدو في هذه الايام . ووجدت أعضاء أخرى من جسمه مغطاة بالذهب

(١) عن الاهرام في يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٥

ولا سيما ركبته . ووجدت يدها مطويتين على صدره . ومن فوق صدره جعرا نان
كبيران من الذهب وعلى جانبيه سيقان بقبضتين من الذهب ورمحان ووجد
على رأسه تاج رائع من الذهب لم تنزع عنه اللفاقة بعد »

توت عنخ آمون

الجنة والنفائس التي معها^(١)

لا يزال العمل يجرى في التابوت الثالث الذي يحوي جثمان الملك العظيم
توت عنخ آمون والذي نقل الى فناء قبر سيتي الاول
ولما كانت الجنة لاصقة بالتابوت وكان من المتعذر على القائمين بالعمل
اخراجها منه أو انتزاعها وكان من المحتم عليهم ان يعمدوا في استخراجها الى الدقة
الكبرى فقد اتبعوا طريقة تستغرق وقتاً طويلاً إلا أنها تضمن عدم إلحاق أي
ضرر بالومياء وهي ان يقطعوا اللفائف التي حولها بعناية كبرى
ولما كانت هذه اللفائف تحوي في كل لفة منها جواهر ثمينة ونفائس على
أعظم درجة من الاهمية وجمال الصنع — فان القائمين بالعمل لا يقطعون قطعة من
اللفائف إلا ويخرج منها شيء من تلك الكنوز الغالية التي تحير العقول بما ينجلي
فيها من رقي عصر ذلك الملك وغنادوهم يتوقعون ان يصلوا اليوم الى أشياء هامة.
أما الكشف على الجنة فيقتضى بضع أيام أخرى

توت عنخ آمون^(٢)

نشرت وزارة الاشغال عصر الاحد ما يأتي :

في يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ بحضور حضرة صاحب السعادة صالح عنان
باشا وكيل وزارة الاشغال العمومية وحضرة صاحب العزة سيد فؤاد الخولي بك

(١) عن السياسة في يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥

(٢) عن المقطم في يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥

مدير قنا وجناب المسير بيير لا كو مدير عام مصلحة الآثار التاريخية وحضرة صاحب العزة الدكتور صالح حمدي بك مدير الصحة بالقومسيون البلدي بالاسكندرية وجناب الدكتور دو جلاس دبوي استاذ علم التشريح بكلية الطب بالجامعة المصرية وجناب المستر الفرد لو كاس الكميائي بمصلحة الآثار التاريخية وجناب المستر هري برتن من متحف المتروبوليتان بنيويورك وحضرة توفيق بولس افندى كبير مفتشى آثار أقسام الوجه القبلي وحضرة حامد سليمان افندى السكرتير الفني لسعادة الوكيل وحضرة محمد شعبان افندى الامين المساعد بالمتحف المصرى قام جناب الدكتور هيوار دكارتر بفحص جثة (مومياء) الملك توت عنخ آمون

وقد تم فحص الجثة وهى فى التابوت حيث لم يمكن اخراجها منه بدون الحاق اذى بها ولما كان الجزء الخارجى للفائف فى حالة سريعة العطب جداً قد صار تقوية هذه الفائف بأن وضعت عليها طبقة خفيفة من الشمع (البرافين) وبعد ذلك قام جناب الاستاذ دبوي بعمل شق طولي يمتد من القناع الى القدمين

وبعد رفع الغلاف الخارجى ظهرت طبقة أخرى من الفائف كانت أيضاً مفحمة (مكربنة) وفي حالة اضمحلال . وفي هذه الحالة كان فك الارتباط بطريقة منتظمة مستحيلاً بكل تأكيد

وفي أثناء العمل ظهر على التوالي عدد كبير من الاشياء المهمة الجميلة وكما تقدم العمل شيئاً فشيئاً كانت تؤخذ مذكرات كتابية وصور شمسية ومن ضمن الاشياء التي ظهرت ويمكن اعتبارها من أهم ما وجد الاشياء الآتية بيانها — عقود من تماث — خنجر جميل من الذهب بيد من البللور — معاصم (أساور) ذات صنع دقيق — عدد عظيم من الخواتم من معادن مختلفة مركب بعضها على بعض منها جعارين مكتوب عليها أسماء الملك — خنجر ثان أجمل من الاول — جملة صديريات مرصعة — حلقات من الخرز المشبك — أطواق من الذهب — الى آخره ولغاية الآن (ظهر يوم ١٣ نوفمبر) لم يتقدم عمل نزع الفائف الا لدرجة أظهرت الجزء الاسفل من الجسم والسيقان

وقد ظهر للآن من الوجهة التشريحية أن هذه الجثة هي جثة ذكر مراهق
(لان هيكله العظمي يدل على ان نموه الطبيعي لم يكمل بعد)
وكان الجسم في حالة هزال عظيم ومفجأ (مكربناً) وفي القدمين حذاء
(صندل) من الذهب وفي كل ابرام من اقدمين وكذا في كل أصبع غطاء من
الذهب . ولم تظهر الآن آثار استندات كتابية وكلا الساعدين محمل بجواهر نفيسة
والمصوغات التي اكتشفت على جثة الملك الراقد في تابوته الذي هو من الذهب
الصب تفوق بكثير كل ما كان يمكن تصوره
والعمل الذي لا يزال جارياً على جانب عظيم من الدقة لدرجة انه لا يمكن
السير فيه إلا بكل ببطء

وتنظيف وترميم هذه الاشياء البديعة سيبدأ في الحال بعد اتمام فحص الجثة
ولهذا السبب ولكي يمكن نقل هذه الاشياء الى المتحف المصري لعرضها فيه في
القريب العاجل ستمنع بتاتاً كل زيارة سواء كانت للمقبرة أو لعمل التنظيف
والترميم حتي يتم العمل

كنوز توت عنخ آمون^(١)

نشرت جريدة « الديلي كرونيكل » تلغرافاً من مكاتبها في الاقصر قال
فيه مايلي :

« يتضمن البلاغ الرسمي خلاصة عن فحص مومياء الملك توت عنخ آمون حتى ظهر
يوم الجمعة . وقد اكتشف تاج الملك وهذا التاج من أعجب الآثار التي وجدت بل
ربما عد أعظم أثر يدل على المهارة الفنية بين العاديات القديمة كلها ولم يذكر البلاغ
الرسمي الذي صدر في شهر اكتوبر ان التابوت من الذهب الخالص . فقد ظل
وادي الملوك ألوفاً من السنين قفراً موحشاً وأغارت عليه عصابات الصخراء ،
يقول البلاغ الاخير انه لم توجد أوراق الى الآن وهذا القول يناقض ما علم

عنه ان المستر كارتر وجد كتاباً عن الموتى ولكن ربما وجده في أحد التوابيت الخارجية لا في التابوت الداخلي

في وادي الملوك^(١)

مقبرة توت عنخ آمون

أذاعت وزارة الاشغال أمس الظهر بلاغها الثاني عن مقبرة الملك توت عنخ آمون وهذه صورته :

لقد استمر فحص الجثة يومى ١٤ و ١٥ نوفمبر الجارى وظهرت جملة تمائم ومصوغات ووجدت مايقرب من ست عشرة طيقة منها على بعض أعضاء الجسم ومن الاشياء المهمة التي اكتشفت مجموعتان من خواتم الاصابع ويبلغ عددها ثلاث عشرة قطعة ونحو العشرين معصما وكان الصدر كله مغطى بصدریات من ذهب مرصعة ترصيعاً بديعاً اثنتان منها احدهما على شكل نمر الوجه القبلى (نخيت) والآخر على شكل ثعبان الوجه البحرى (بوتو) وتحت هذه وجدت صدریات أخرى أصغر من الاولى ولكن أجمل منها ذات شغل معقد بعض منها ذات شكل جعارين مجنحة وعيون مقدسة وآخر يمثل نسراً طائراً ذا شكل عجيب وهو نموذج قى لأدق صياغة الذهب وهذا النسر مرصع بأحجار من اللازورد ومن العقيق الاحمر ويمثل بصناعته الدقيقة فن الصياغة في عهد الممالك الوسطى وتبين بطريقة واضحة كفاية لكل من جناب الدكتور ربوي وحضرة صاحب العزة الدكتور صالح حمدي بك ان جسم الملك الذي هو في حالة حفظ رديئة جداً هو جسم رجل لا يتجاوز من العمر ثمانى عشرة سنة ولم يتم أحد فحص رأس الملك التي لاتزال الآن مغطاة بقناعها الذهبي ولكن هذا الفحص يمكن القيام به في القريب العاجل ويرجى بناء على ملاحظة عملت ان الرأس الذي يصونه القناع يكون في حالة حفظ أحسن من باقي الجسم

ومن المتفق عليه بالاجماع انه ليست فقط النتائج التي صار الحصول عليها للآن هي على غاية من العجب بل ان الاشياء التي وجدت على الجسم تشهد بالدقة العظمى في صناعة صياغة الذهب في الاسرة الثامنة عشرة وتعطي معلومات جديدة عن الديانة

كنوز مذهشة^(١)

في مقبرة توت عنخ آمن

أبلغتنا وزارة الاشغال ما يأتي :

لقد استغرقت عملية فك أربطة الجثة الملكية سبعة أيام وقد انتهت الآن ان أشعة اكس التي كان ينتظر ان تسهل الفحص لم يمكن استعمالها لسوء الحظ لانه لم يتيسر انتزاع الجثة من التابوت الذهبي الذي التصقت الجثة به بشدة بواسطة مادة تشبه القار البالغ سمكها في بعض الاجزاء عدة سنتيمترات وهذه المادة والذهب المصنوع منه التابوت بلغا من السمك ما يكفي لمنع تأثير أشعة اكس وأربطة الجثة (المومياء) كانت مفحمة (مكرنة) ومفتتة ولما كانت هذه الاربطة سميكة جداً فقد يستغرق فكها وقتاً طويلاً ورغماً عن هذه الصعوبات فان الاشياء التي اكتشفت وضعت عليها الارقام بالنسلسل وصار تسجيلها وأخذت صور شمسية منها وجميع هذه الاشياء تكون اذن مجموعة فريدة في بابها من المستندات المتعلقة بالطقوس الجنائزية لاحد الفراعنة

والاشياء المذكورة يمكن ترتيبها الى ثلاثة أقسام - التمام - والزخارف الملكية - والحلي الشخصية وبذا يمكن اعادة ترتيب الحلية الملكية بأكملها لاحد ملوك مصر والدوق السليم الذي تشهد به دقة صناعة هذه الاشياء يجعلها في مصاف أجمل القطع المعروفة للآن من صياغة الذهب المصرية وأهمها هي التي بيانها على الرأس - التاج الملكي وعليه شعار الملك وهو النسر والشعبان المقدس

حول العنق - تمائم تمثل الآلهة

على الصدر - عدد كبير من الصدريات ما بين كبيرة وصغيرة الحجم يتخللها تمائم مختلفة جميع ذلك يكون من سبت عشرة طبقة وبعض هذه الصدريات تحتوي على مئات كثيرة من قطاعات الذهب المصطنعة بالفصوص والتي يتعين فكها جميعها وتنظيفها ثم إعادة تركيبها

على الذراعين - احد عشر سواراً نفيساً بالقرب من اليدين - ثلاثة عشر خاتماً صلباً من جملة معادن مختلفة

حول الوسط - حزامان معلق على كل منهما خنجر ذو صنع جميل ما بين الساقين - المثزر الملكي المصنوع من الذهب المرصع في القدمين - حذاء صندل جنازى من الذهب وكل ابهام من القدمين وكذا كل أصبع من أصابع اليدين طمس بغمد من الذهب وخلاف الاشياء السالفة الذكر قد صار اكتشاف عدد كبير من التمائم التي كانت مخصصة للمحافظة على الملك في رحلته الى العالم الآخر ولم يكتشف أي مستند كتابي

والقناع الذهبي الذي يغطي الرأس وكتفى الجثة ذو قبعة عظيمة من الوجهة الفنية ويمثل تماماً صورة الملك الشاب

ولقد شرع حالا في ترميم هذه الاشياء وسيواصل العمل بأسرع ما يمكن حتى يتسنى في القريب العاجل نقلها لعرضها بالمتحف المصرى في القاهرة وستستدعى طبعاً إعادة بعض هذه الاشياء لحالتها الاولى وقتاً طويلاً فان منها ما يستغرق ترميمه عدة أسابيع

عند ما شوهدت جثة الملك لأول مرة وجد انها ملتصقة بشدة بقاع التابوت الذهبي بمادة جافة تشبه القار وهي التي استعملت لتطهير الجثة وكان القناع الذى يصل الى الجزء العلوى يبلغ الصدر ملتصقاً أيضاً بالتابوت

وبالجثة (المومياء) ولهذا السبب كان يستحيل انتزاع الجثة
واقعد نظر في استعمال أشعة (اكس) الا انه للأسباب التي ابديناها سابقاً
ووجود طبقات عديدة من أشياء من ذهب وصيني وخلافه التي كانت تغطي الجثة
تماماً لغاية الركبتين رؤي من العبث استعمال هذه الاشعة

وقد لوحظ ان شبه احتراق فجائي أنلف الاربطة وكان سبباً في ان جلد الجسم
والانسجة التي تليه أصبحت رقيقة جداً وسريعة العطب وتنتج عن ذلك ان بعض
المفاصل كانت ظاهرة للعيان فتيسر تقدير عمر الملك عند وفاته بأرجحية كبرى
بحوالى ثمانى عشرة سنة وظهر بكل تأكيد ان هيكله العظمى كان ضعيفاً
وعند ما ظهرت تقاطيع الوجه ثبتت صحة الرأي السائد القائل ان التماثيل
والرسوم التي تمثل الملك كانت في الواقع صور حقيقية له

الامضاء (الدكتور صالح حمدي)

الامضاء (الدكتور دوجالاس دري)

توت عنخ آمون^(١)

صيده و كلاب صيده - بقلم المستر هوارد كارتو

كلما أراح اكتشاف أثري الستار عن آثار عهد غابر ، وعن الاحياء
البشرية التي طواها ذلك العهد أتجه نظرنا بطبيعته الى ما نؤثره بعطفنا من الاشياء
التي يزيح هذا الاكتشاف عنها الستار . وهذه الأشياء بشرية فيما يعيننا منها .
فلرب زهرة لوتس ذابلة ، ولرب رمز حنان رقيق ، ولرب مظهر بسيط من مظاهر
الحياة المنزلية تعيد اليها الماضي من ناحيته الانسانية أشد ضياء مما نستشف من
صحف التقى ومن النقوش الرسمية المفخمة التي تفخر بأن « ملك ملوك » غامض
السيرة قد سحق أعداءه وأذل عزتهم

(١) عن السياسة في ٢٩ - ١١ - ٢٥ ترجمة محمد عبد الله عنان المحامي

وذلك حق الى حد ما بالنسبة لاكتشاف قبر توت عنخ آمن . فلسنا نعرف سوى النزر اليسير عن هذا الملك الغلام ، لكننا نستطيع الآن أن نكون عن أذواقه وميوله بعضا من الفروض الحصيفة . ونكاد لا نحقق لهذا الملك القنى صورة واضحة من حياته كواسطة اتصال كهنوتية تحمل نفوذ الآلهة الى عالم طيبة ، ولا كممثل على الارض لزع آله الشمس العظيم . اما كمشغوف بالصيد ، وكمولع بالرياضة ففي مقدورنا أن نحقق منه صورة يسير علينا ادراكها ومحبتها . وهنا يبدو لنا « سر الطبيعة الذي يجعل من العالم أسرة واحدة »

ونحسب ان حكمه وحياته القصيرين كانا من الوجهة السياسية فترة ولا ريب فياضة بالاضطراب . ولعله كان آله في قبضة قوات سياسية خفية تعمل وراء العرش . وهذا فرض معقول نرجعه على الاقل الى مالدينا من المعلومات اليسيرة وقد كان نسبه عظيما بالمصاهرة ان لم يكن بالمولد ، فقد كان زوجا لابنة امنهتسب الرابع المشهور لدينا باسم « آخ آن آتن » والذي الغى عبادة آمن وهجر طيبة ثم أسس مدينة آخت آن التي يعرفها الغربيون « بالعمارة » حيث اختار سهلا شاسعا على ضفة النيل الشرقية يقع على مسافة مائة وتسعين ميلا جنوب القاهرة أسس فيه عبادة آتن — أشعة الشمس الوضاعة التي تهب الحياة ، وهو دين وفن واخلاق جديدة

ولكن الصهر توت عنخ آمون — أو بالحري توت عنخ آتن كما كان يسمى قبل أن يعتنق عبادة آمن (وربما اعتنقها على كره منه) — لم يكن من دم ملكي على الأغلب ولعله كان ولدا لاحد النبلاء بل احد العامة ، ولعله كان غريبا عن طيبة — غريبا عن المدينة وعن تقاليدها . وربما كان قد ولد في العمارة ثم انتقل حين اعتنق دين آمن الى طيبة ، اما ان كان لنا أن نتخذ من تسميته في اسم آمن « هيك اون شيا » أى « أمير (اون) بمصر العليا » دليلا على منبته كان اذن من اشراف « هرمونتس » أو ارمنت ، وهى القاعدة الجنوبية لاله الشمس القريب من طيبة .

ونحن نعرف انه قد تزوج من الابنة الثالثة لآخن آتن وهي « آنخ ايس ان باتن » واضحي بهذا الزواج طبقا لقانون الوراثة المصري القديم مرشحا لوراثة العرش . وأئن كنا نجهل سبب هذا الزواج فانا نستشف باعته السياسي . وقد زوج « آخن آتن » كبرى بناته من « سمنخ كارا » الذي ظفرنا بالدليل القاطع على اشتراكه في الملك ، ولعل توت عنخ آمن قد خلف بمقتضى زواجه « سمنخ كارا » كشريك في الملك واقام في طيبة قبل ارتقائه العرش لكي يغنم « لاخن آتن » نصيرا لدين « آتن » في عاصمة « آتن » ، ولعله اضطر لاسباب سياسية ولكي ينقذ عرشه بعد وفاة « آخن آمن » أن يقر سيادة آمن ، وان يغير معنى اسمه واسم زوجته الديني — من اتن الى آمن — وان يستقر في طيبة

وليس شك في أن مسألة الاشتراك في الملك ماتزال غير واضحة ؛ ولكن المرء اذا وقف في قبر توت عنخ آمن ، وتأمل المنظر المسطور فوق جدرانها حيث مثل الملك « آي » أمام توت عنخ آمن المتوفي وحيث قرنت فوق أثاث الجنازة اسماء « سمنخ كارا » والقباه (وهو سلف توت عنخ آمن) باسماء آخن آتن والقباه ، تسرب الى اعتقاده ان فرع اسرة طيبة الملكية في العمارنة قد مثل بسلسلة من شركاء في الملك متوالين ، ونهض الدليل شيئا فشيئا على أنه توت عنخ آمن وزوجته الصبية الملكة « آنخ ايس ان آمن » لم يكونا سوى طفلين واثنين في يد القوى التي تعمل وراء العرش . وان الدسائس السياسية التي تتعاقب على التاريخ هي واحدة في جميع العصور ، ومن المرجح ان الذين كان بيدهم تصريف الامور اتخذوا من القتي توت عنخ آمن ممثلا لاله الأعظم على الارض وسيلة لتحقيق أغراضهم :

دفن توت عنخ آمن عملا بالدين الذي اعتنقه او حمل على اعتناقه في مدينة طيبة وحفر قبره طبقا لتقاليد طيبة في مرتفعات وادي قبور الملوك . فخلفه الملك « آي » كبير امنائه الذي كان يلتب نفسه « بالاب الالهى » والذي كان بلا ريب قرينه في الملك ولو لمدة قصيرة كما نستنتج ذلك من النقوش المسطورة في غرفة قبر توت

عنخ آمن ، ثم تغلب قائد توت عنخ آمن حور محب على «آي» واستولى على العرش واسس الاسرة التاسعة عشرة الشهيرة المعروفة بالاسرة الرميسية ومهما يكن توت عنخ آمن آله في قبضة الحركة السياسية الدينية ، ومهما يكن للملك الصبي من النفوذ السياسي الصحيح ، ومهما تكن مشاعره الدينية الخاصة — وهذا أمر يجب أن يبقى مشكوكا فيه — فانا ندين الشيء الكثير عن أذواقه وميوله من المناظر العديدة التي نقشت فوق أثاث قبره ، وفيها نجد اسطع الرموز المعربة عن حب الملك للملكة الفتاة ، والدليل على ولعه بالرياضة ، وشغفه بتسلية الملوك انفسهم بالصيد شغفا يستثير منا أشد العطف عليه بعد مرور زهاء ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام

وهل شيء يسحر النفس ما سحرها تلك الصورة على عرش الملك نقشت نقشاً آخذاً باللب. ان لحظة تشهدها فيها لحظة تسمو بنا فوق هاوية العصور وتمحو الشعور بمر الزمن . فهند آنح ايس ان آمن الملكة الصبية الساحرة تمس بالعطر طوقه وتم له زينته قبل ان يشهد احدي حفلات القصر الكبرى . وكيف ننسى باقة الزهر الصغيرة مازالت تحتفظ بلوحة من لونها « لون اللوتس الازرق والاصفر ، وضعت على جبين تمثال الملك الشاب لما رقد في أووس من الحجر البلوري تحية للوداع الاخير

وتمت من المناظر الاخرى ما ينم عن شيء من الفكاهة . فبين القصص التي صررت عن الحياة اليومية للملك والملكة صورة نقشت على ناووس ذهبي صغير تمثل توت عنخ آمن والى جانبه شبهه يصيد البط بقوس ونشاب وقد جلست الملكة الفتاة القرفصاء الى جانبه وهي تناوله باحدى يديها نشابا ، وتشير له بالآخرى الى بطة سمينة . ذلك منظر ساحر فياض برقة نزعم أنها خاصة بعصرنا الحاضر وقد وجدت مروحة ذهبية من مثل ما يرى مصورا في العصور الرومانية ، ومما يستعمل مثله اليوم في قصر الفاتيكان ، على أحد وجهيها صورة بديعة لتوت عنخ آمن وهو يصيد نعامة ، وعلى وجهها الآخر صورته وهو عائد الى قصره وحشمه

من ورائه يحملون فرائس الصيد

وانت ترى مناظر الرياضة في كل موطن قبرى صورة الملك على طقم جواد
عربة وهو يمارس اطلاق السهام . ويظهر انه كان كـ بعض ملوكنا الاقدمين في
الشغف بالرماية . ودليل براعته في هذا الفن ان قد وجد في قبره بين ادوات
الصيد قوس بديع مغطى بقشرة ذهبية مزين بوشى دقيق من الذهب ، مرصع
باحجار شبه كريمة وزجاج ماون قدم اليه اعترافا بهذا التفوق ، كما وجدت في
صندوق طويل في مدخل المقصورة عدة اقواس مختلفة صنعت بادق اسلوب ،
اقواس مجزعة وسهام بديعة الطراز

وكان توت عنخ آمـن ولوعا بالحيوانات ايضا ، فقد زينـت حتى اقـصته وهى
من النسيج المزركش ، وغيرها من ملابس جنازة بصور الطيور ووحوش البـداء ،
ورسمت كلابه السلوقية المحبوبة في المناظر التي شـدماتم عن شغفه بالرياضة الخملوية
وحياة الهواء الطلق

ولنحد قليلا عن جادة موضوعنا فنقول ان المباحث الاثرية في مصر التي
زادت في معارفنا من نواح شتى ، تلقي ضياء هاما على تطور كلب الصيد سواء
من مناظر الصيد الدقيقة التي نقشـت على أـثاث الجـنازة ، وفي غرفة القبر والهيكل ،
أو من بقايا الموميـات التي وصلت اليـنا . فما زالت ذرية هذا النوع من كلاب الصيد
الكلب السلوقي — توجد في بلاد العرب وسوريا والعراق وفارس ، وكذلك في
الحبشة وفي مصر حيث جاء على الأرجح مع الجواد اثناء غزوة الرعاة (الهكسوس)
ما بين سنة ١٧٠٠ و ١٤٨٠ ق . م . ومع ذلك فانا نجد في عصر الاقطاع ، أى
قبل العصر الذي نتحدث عنه بنحو ألفى سنة نقوشا فوق قبور بني حسن الصخرية
تمثل انواعا من كلاب الصيد التي قد تنسب الى النوع السلوقي النوبي لولا آذانها
المرهفة . ولعلها أسلاف كلاب الصيد الحاضرة . والكلاب السلوقية كلاب صيد
ظريفة الشكل آية في نبالة المظهر ، ذات آذان مرخية ناعمة الشعر ، وأذنان
وأفخاذ ناعمة الشعر ، وخواصر مرنة ، وصدر عريضة ، وسيقان طويلة دقيقة شد

ما تصالح لمهمة الصيد ، ويسمىها العرب «الكلاب السلوقية» أو السلوجية (والمؤنث سلاقية أو سلاجية) نسبة الى سلوق من أعمال اليمن ، وهي مازالت تستعمل في بلاد العرب ومصر في صيد الغزال لاسيما مع انصقر الذي يدهم الفريسة باجنحته بينما تحوطها السلوقية وتصرعها . وكان البدو والمصريون القدماء يعلقون أهمية كبيرة على نسب كلاب الصيد حينما كان نقاء الذرية والمنبت أمرا يعني بشأنه اشد عناية . ويجدر بنا هنا أن نرجع الى صحائف «دقي» الحافلة في كتابه «صحراء العرب» فقد قال في حديثه عن العرب المحدثين ما يأتي «رغم ما تبديه الكلاب من الغيرة فانها لا تجزي بكلمة خير» فهي المخلوق الوحيد الذي لا يعطف عليه العربي الوديع في نيته بل يدفع بهاته المخلوقات النجسة بالوخز والضرب الى خارج البيت ولا يلمس الا الرضيع منها واذا ما اعتاد الكلب السرقة واختلاس الطعام فانه يطارد أشد مطاردة ويضرب بالضرب المبرح ، ويحلف الرجل اليمني المغلظة «بان هذا الكلب سوف يموت وانه يستحق الموت» وهذا مما يجعل هذا المخلوق الطفيلي في تلك البلاد أشد ذلة أمام سيده ولا يسمح لغير الكلب السلوقي البدوي ان ينام في الخباء لاعتبار انه من أصل نبيل»

ولكن قدماء المصريين خلافا للعرب كانوا خلال تاريخهم الطويل يحبون جميع الحيوانات حبا جما وكانوا يلهون بها ، بل كانوا يعنون بدفنها عنايتهم بدفن أنفسهم ، ومن ذلك ان انتيف الأول انشأ في قبره في طيبة قبل الميلاد بنحو الف وستمائة سنة عريشة لكرابه المحبوبة التي كان أحدها يسمى بيخا ، كذلك نجد في مدفن الوزير الأكبر رخيمارا وزير الفرعون العظيم توتيمس الثالث ما يدل على ان الكلاب السلوقية مما اشترط ادائه في الجزية التي فرضت لمصر على الاجانب ، ووجدت اطواق جلدية بديعة لهااته الكلاب في قبر ميرها برى حامل مراوح الملك امنهوتب وفي وادي الملوك القفر ذي الجلال الرهيب ، ذلك الوادي الذي تشير ذكرياته العميقة مالا تثيره في النفس أية بقعة من بقاع الأرض ، والذي لا يقطع سكينته الا ما قد يكون من عواء ابن آوى أو نباح الثعلب ، أو انين بومة الصحراء

الكثيب وجد قبر خرب مملوء بموميات القروء المقدسة - وهي قروء كانت
تصلى للشمس الآله - « الآله العظيم ، خالق العالم الوحيد ومدبر شئونه ، والذي
يسيطر على جميع الأشياء حين يخرق السماء في قاربه » ووجدت مع هذه القروء
في عزلة محزنة مومياء كلب سلوقي قد جردها لصوص القبور من جهازها ولا
ريب انها جثة كلب ملكي دفن بالقرب من سيده

وكانت مناظر الصيد نقوشا محبوبة ترسم في المدافن بل في المعابد ولدينا منها
مثل حسن في صورة نقش في مدفن في طيبة الغربية مثل فيها صياد عائد من
الصيد وفي مقوده كلبان سلوقيان وعلى كتفه وعل صاده

ويجب ان ندحض القول بان المصريين القدماء وحكامهم كانوا شعبا رخوا
مشغوبا بالترف على ما جاء في بعض أقوال محترقة لكتاب يونانيين ورومانيين .
كان المصريون في الواقع ولعين بالرياضة الشاقة ولا سيما الصيد ، بل كان الصيد
مرموقا بالاجلال حتى ان حكامهم كثيرا ما مثلوا في صورة صيادين ذوى براعة ،
وكان مما يطمح فيه في مصر على ما يظهر ان يبدو المرء « نمرودا » كذلك يجب
ان نذكر انه كانت لدى المصريين حظائر شاسعة تحفظ فيها حيوانات الصيد ،
وما زالت آثار جدران حجرية لحظيرة من هذه الحظائر باقية في طيبة الغربية في
الوادي الشمالي . وكانت الاختتام الملكية والرسمية والشخصية توسم بمناظر الصيد
وفي حكم امنهتب الثالث سكت أختام تاريخية على شكل الجمارين ليسجل عليها
« عدد الاسود التي حملها جلالته من صيده الخاص مبدئة من السنة الاولى
ومنتهية في السنة العاشرة : اسود متوحشة عددها ١٠٨ »

وسك فوق ختم آخر في نفس هذا العهد ما يأتي : « حدث لجلاله أمر عجيب
فقد وفد رسول يقول ان دواب متوحشة توجد في الصحراء في منطقة
شتيب ، فاجتاز جلالته النهر في قاربه « المنير في الحقيقة » في هذا الوقت من
المساء ، وبعد أن قطع مرحلة طويلة وصل سالما الى منطقة شتيب عند ملاح
الصباح ؛ وكان جلالته يقتعد غارب جواد ومن ورائه كامل جيشه وقد نظم النبلاء

والضباط الى صفوف متعاقبة ، وأمر غلمان المكان بمراغبة هذه الدواب المتوحشة ثم أمر جلالته أن تحاط هذه الدواب المتوحشة بشباك وسدود ، وأمر بعد ذلك أن تحصى هذه الدواب المتوحشة فبلغ عددها مائة وتسعين دابة متوحشة ، وبلغ عدد الدواب المتوحشة التي حملها جلالته من صيده في هذا اليوم ستا وخمسين . ثم ارتاح جلالته أربعة أيام لينعش جياده ، ثم امتطى جلالته جوادا وبلغ عدد الدواب المتوحشة التي حملت الى جلالته من الصيد اربعين دابة متوحشة فبلغ مجموع الدواب المتوحشة بذلك ستا وتسعين

وقد قال بعض المصنفين ان توت عنخ آمن كان أميرا صغيرا من بيت أمينتهب الثالث . ولكن ليس ثمة من دليل على ذلك ، بل ليس هذا من المحتمل غير أنه يلوح أن توت عنخ آمن كاسلافه قد ورث الشغف بالرياضة . واذك لتجد كلابه السلوقية المحبوبة واضحة جدا في الموضوعات المتكررة المتعلقة بمناظر الصيد التي وجدت في قبره . وكان سواد مستنقعات مصر في هذا العهد يحتوي كميات كبيرة من الصيد . وكان الصيد يكثر أيضا في اطرافها الصحراوية وكذلك في ادغال الوديان المقفرة وكان الملك يصيد في المستنقعات كل أنواع الطيور البرية وكانت حظائر شاسعة في الصحراء تمتد الملك الصياد بميادين مختلفة ليبيدي فيها براعته فكان يصيد في عربته الصغيرة ومن ورائه حاشيته في العربات ثم اتباعه وحشاه راجلين . وكانت العادة أن تودع في هذه الحظائر كل أنواع الصيد الممكن جلبها . وكان الملك يستعمل أثناء الصيد القوس والسهم ثم تطلق كلابه السلوقية على الفريسة متى لاحت

ولدينا على هذا الشغف بالرياضة . الذي يتجلى في مناظر الصيد هذه . دليل ساطع في صورة قوية بديعة وجدت حين افساح مدخل القبر رسمها بلا ريب أحد الفنانين الذين استخدموا في صنع قبر الملك الفتى . وقد نقشت فوق طبقة رقيقة من اللازورد وهي تمثل الملك الشاب يذبح بحرته أسداً بمعاونة كلابه السلوقية . وإذا استطاع فنان عاды أن يخرج مثل هذا النقش القوى الغريب فإن لنا بالطبع

أن يتوقع اخراج بدائع الفن من مهرة الفنانين الذين كان يستخدمهم حكام مصر . وقد كانوا على ما يظهر وعلى العموم رجالا أولى براعة فنية . وهامى النفائس التي وجدت في قبر توت عنخ آمّن توضح الى أي أحد عظيم كانت هذه البراعة . ومن أنفس ما وجد من الذخائر الفنية صندوق خشبي منقوش . واجهته الخارجية منطاة بطبقة من الحجر المسمى (Gesso) وفوق هذه القشرة المهيأة نقشت عدة رسوم بديعة الصنع والتلوين وقد حفرت على غطاءه مناظر صيد ، ونقشت على جوانبه مناظر حرب ترى فيها توت عنخ آمّن وحاشيته يملون بمنتهى الحماسة وتجد في أطرافه صوراً للملك في شكل الاسد يطأ بقدميه أعداءه من الجانب . كل ذلك ببراعة وخيال وقوة تمثيل خارقة لا نظير لها . وفي مناظر الحرب تجد الملك الشاب الظافر يسحق بقدمه أعداءه الافريقيين والامويين بفرح شديد . بيد انك تجد روح الغرور ظاهرة في هذه المناظر رغم ابداعها . تجد الملك القوي ولم يعد لهذه الغاية شاباً نحيفاً يصرع أعداءه من عربته مثات . وقد ساد الرعب مامه . وتكس القتل عند قدميه . ولا ريب ان تصوير ملوك مصر على هذا النحو أمر تقليدي . وامله في حالة ملكنا الشاب لم يكن إلا اعرابا عاديا عن الاجلال من جانب مصور البلاط . أما انه كان يقود الجيش بنفسه خصوصا في هذا السن فأمر غير محتمل . ولكن الملوك والفاطمين في العالم الشرقى القديم كانوا شديدي الاعضاء عن مثل هذه التخيلات الظرفية

بيد انه اذا كان ثمة شك في صحة ما يعبر عنه هذا الصنع البديع من الوجهة التاريخية . فانه ليس ثمة من خلاف بالنسبة لبراعته . والوصف لا يعطى سوى لمحة من الدقة الساحرة التي تتجلى في النقوش الصغيرة التي رسمت على الصندوق . بل انها لتذكرنا ببراعة بنوتسو جوتسولى أحد أقطاب المدرسة الفلورنتية في القرن الخامس عشر أكثر مما تذكرنا بذلك الاستاذ المصرى القديم الذى يرجع الفضل اليه في انها تفوق في الاتقان أي نقش آخر من نوعها وجد في مصر

وهذه المناظر مختلفة متنوعة فيما تمثل ولكن توت عنخ آمّن يبدو فيها جميعا

والى جانبه كلابه السلوقية . بل انك لتراها في صور الحرب تثب وتمزق العدو المغلوب . هذا وتتجلى في النقوش التى رسمت على غطاء الصندوق الملقى روح غريبة . ففيها ترى مناظر صيد تفيض بمعانى السرعة والنشاط

ترى الملك في عربته التى تجرها جياد متحفزة . رائعة فى وثباتها وهو يطارد وحوش الصحراء . وأمامه تفر الوعول والنعام والجر الوحشية والضباع وكل ضواري الصحراء بما فيها الآساد ذكوراً وإناثاً . وترى بين أشباح الحيوانات الطائرة وبين أقدام حشمة صوراً بديعة للشجيرات والأعشاب التى تثبت فى الوادي . ثم ترى توت عنخ آمون ومن حوله كلابه السلوقية ومن ورائه حشمة على بعد مناسب . وهو يشب مرعداً الى بطن الوادي والفرائس المنذرة تفر أمامه من كل صوب . وهذه الصور ملأى بالحياة . بل هي فى الواقع مثل أعلى لمناظر الصيد اقتنصت فيها روح الصيد ومثلت على أكمل نحو . ولا بد أن الصانع بما تجلى من ضبطه للأبعاد والخطوط . وتقديره للتفاصيل التى نراها ماثلة فى الأزهار والآساد واتقان خبب الخيل — لا بد أنه كان فناً ذا مواهب ومعارف نادرة . فقد صورت الحيوانات المحتضرة أدق تصوير . بل ان هناك مواقف — فى جماعة الآساد المصيدة مثلاً — يصل فيها الفنان الى قوة تكاد تكون محزنة . فقد أخرجت الحيوانات المحتضرة التى اخترقتها السهام بقوة رائعة . وقد طعن أحدها — وهو ملكها الاسد — فى قلبه فوثب فى الهواء وثبة المحتضر . ثم هوى الى الارض صعباً . ومد أسد آخر مخالبه لينتزع سهما دخل فى فيه المفتوح . وعلق مكسوراً بأنيابه . وأما الشبل الناشئ فتراه ينسل هارباً وذيله بين ساقيه . بينما ترى رفاقه الجرحى تنن وقد تمددت فى أوضاع مؤسسية . بيد أن الكلب السلوقي كان حتى فى ذلك الحين أضعف من أن يقتل فريسته وحيداً . وقد مثلت خواصه وشجاعته فى هذه

المناظر باتقان ساحر . فبينما ترى في أحد المناظر أن الكلاب السلوقية لم تتردد في أن تهاجم أسداً جريماً . أو نلاحظ أنها حين تطارد وعلاً أو حماراً وحشياً تجعل مهمتها أن تطاول الفريسة حتى يصل السيد ويصرعها بسهم صائب

وهكذا تكشف لنا فأس المنقب خطوة فخطوة . في فروع مختلفة من المباحث الاثرية عوالم الماضي . وكلما تقدمت معارفنا كلما اشتد بنا العجب - وربما الاسف - من أن الطبيعة البشرية لم تتغير إلا بهذه النسبة الضئيلة خلال بضعة آلاف السنين التي استطعنا أن نلم بشيء من تاريخها . وانا لنتجه بأنظارنا خاصة الى مصر الغابرة التي قدمت الينا مثل هذه اللوحات الباهرة عن ماضيها الرائع فترى فوق صندوق منقوش أو كرسي مزخرف أو ذخيرة مقدسة أو قبر أو مدفن أو جدار معبد حياتها الغابرة تمر امامنا في صور عجيبة مؤثرة . ان ميول عالمنا وميول مصر الغابرة تتلاقى في مواضع عدة . بيد أن فنونها هي أشد ما يقرها من عواطفنا وأدعى ما يحملنا على ان نرى في الرياضى . ومحبة الكلاب . والزوج القتي والزوجة النحيلة مخلوقات تكاد تماثلنا في الذوق البشري وفي التأثير والعطف وكذلك نرى انه يجب ألا نبالغ في تقدير الحاضر . وأن عالمنا الحديث يغدو أقل مرحاً وأكثر تجهماً . بل انا لنحمل على الاعتقاد بان المباحث الاثرية لم تتقدم إلا قليلاً في الكشف عن بعض الخواص التي غدت فطرية في الانسان في هاتيك العصور الحالكة . فهناك رجعات ساطعة الى أصل الجنس لانكاد نشعر بحدوثها . ولعل هذه الرجعات هي التي تثير عطفنا على توت عنخ آمين القتي وعلى ملكته وعلى كل ضروب الحياة الماثلة في أثاث جنازه . كذلك لعل هذه الغرائز هي التي تجعلنا نشغف بان نكشف خفايا هذه الدسائس السياسية السوداء التي ربما كانت تعصف بمخيلته حتى أثناء ان كان ينبع كلابه السلوقية خلال المستنقع والصحراء أو يصيد البط بين الغاب مع زوجه الطروب . ان مكنونات

حياته ما زالت تفر أماننا . وان الاشباح تغدو وتروح ولكن القناع الحالك لم
يرفع الا قليلا . هذا وانا لا يسعنا اذما فكرنا فيه إلا أن نكرر الدعوة التي نقشت
على قدحه والتي ربما نقشتها ملكته

« فليعيش روحك . وليطل بقاؤك آلاف آلاف السنين . أنت عاشق طيبة
الجالس ووجهه الى ربح الشمال . وعيناه تنمان بالسعادة »
(ترجمها محمد عبد الله عنان)



الكتاب الخامس

كتب

وشؤون قدماء المصريين

الفصل الاول

كتب قدماء المصريين

ان لم يكن المصريون هم أول من دونوا أفكارهم بالكتابة وبتصنيف الكتب فهم على الأقل بين أولئك الذين لهم شرف الأولية في هذا المضمار ومن بين أقدم مؤلفاتهم كتاب مملوء بنصائح وحكم والد الى ولده وربما كان هذا الكتاب أقدم مؤلفات الأرض ..

ونحن مدينون لهم بكلمتين هما أكثر كلماتنا استعمالا وانتشارا وهما كلمتا التوراة والورق فالأولى تعنى « الكتاب » وهى ما نقلها اليونانيون واستعملوها عن اسم النبات الذى صنع منه المصريون الورق أذ أن المصريين هم أول من صنع الورق واستعملوه منذ عدة قرون سحيقة وقبل أن يدرك غيرهم ما هو

واذا رأيت كتابا مصريةا خلت لأول وهلة أنه شئ يستدعى الغرابة وأنه يفرق كثيرا عن تلك الكتب التى تتداولها أيدينا الآن بل وأن البون بين الاثنين شاسع كبير فانه لما كان المصري يريد أن يصنع كتابا كان يجمع سيقان نوع من الغاب يدعى البردى كان ينمو غزيرا فى المستنقعات المصرية ويعلو هذا النبات عن الأرض من ١٢ الى ١٥ قدما وسمكه نحو ست بوصات وكان يقسم الى ألياف رفيعة وتلصق تلك الألياف بعضها ببعض ثم تلصق فوقها بالصمغ طبقة اخرى من الألياف ثم تضغط وتجفف فتكون منها أوراق تختلف فى عرضها حسب الارادة وأعرض ما نعرف منها ما يقاس بسبعة عشر بوصة ولكن معظمها أقل من ذلك كثيرا .. وبعد أن يصنع هذا الورق لا يكون منه مجلد مثل مجلداتنا بل كانت تلصق بجانب بعضها ويكتب عليها ثم يلف الجزء المكتوب وهكذا حتى ينتهى الكتاب ويوجد فى المتحف البريطانى كتاب عظيم طوله ١٣٥ قدما وإذا بدا لنا مثل هذا الكتاب غريبا فى بابهِ فالأغرب ما يحتوى عليه من كتابة

لأن كتابة المصريين كانت أعجب وأبداع ما عرف من أنواع الكتابة والخط وتدعى هذه الكتابة بالهيرغليفية « أى النقش المقدس » وهو صور من أولها الى آخرها فكان المصريون يصورون ماتعنيه الكلمة التي يريدون كتابتها وبالتدريج كانوا حروفا للهجاء تركب منها الكلمات ودلالات تبين مقاطع الكلمة فمثلا أشاروا الى حرف الألف بشكل نسر وللميم بأسد وهلم جرا فاذا نظرت في كتاب هيرغليفى رأيت أعمدة مصفوفة وراء بعضها بنظام مركبة من صورطيور وحيوانات ورجال ونساء وزخافات ومراكب وغيرها واذا رغب المصريون في تخليد كتابتهم لم يلجؤوا الى لفائف البردي بل عمدوا الى نقشها فوق الاحجار فكم من كتبهم ما زالت باقية ومنقوشة فوق حجر الجرانيت الصلب فقرأنا فيها أخبار الفراعنة ووقائعهم وأعمالهم وكثيرا منها ما قىء واضحا فوق المسلات وجدران المعابد وقد اعتاد ملوكهم حينما كانوا يعودون من الحروب والغزوات أن يدونوا انتصاراتهم فوق جدران المعابد العظيمة أو فوق أعمدة منصوبة بجوارها وكانت سطور الكلمات تلون بأزهى الألوان وأجملها حتى كانت تظهر فتانة في رونقها وكانت الجدران تظهر كأنها محلاة بالزخارف البديعة اللون . . وقد تلاشت معظم تلك الألوان على كر الدهور وبعضها مازال حافظا رونقه البديع في بعض المعابد والمقابر كأنها قد كتبت بالأمس ومنها نرى جمال كتب قدماء المصريين الحجرية التي بذلوا فيها جهدهم في سبيل رونقها وبهائها وتلوينها

واذ كان الكاتب يشرع في تسطير كلمات فوق البردي كان يضع تحت يده قطعة من الخشب كما يفعل المصور لكن هذه القطعة طويلة ومجوفة يوضع فيها عدة أقلام مصنوعة من غاب رفيع ذى طرف حاد وفيها بعض تجاويف يوضع في أحدها حبر أسود للكتابة به وحبر أحمر للكتابة بعض الكلمات الخاصة ثم لون أو اثنان من حبر آخر اذا أراد الكاتب أن يبدع في كتابة شيء يروق له وحينما يكتب يجلس مربعا رجله ويبدأ في تقرير رسومه متجهة كلها الى ناحية واحدة حتى يعرف القراء أين يبدؤن في قراءة الكتاب وحينما يصل في كتابته الى نقطة هامة يرسم

صورة صغيرة بألوان زاهية تصف المغزى الذى يريده وإذا كانت تلك الكتابة ليست من السهولة بمكان عهد المصريون الى تسهيل الهيرغليفية بكتابة مختصرة عنها تدعى الهيراطيقية أو كتابة القسوس وهى التى تكثر الكتابة بها ولو أن بعض الكتب الجميلة ما زالت ترى مكتوبة بالطريقة الاولى . وقد كتب المصريون على البردي كل شئ يكتب فيها كتب النصائح والحكم وكتب الاقاصيص والخرافات وأنباء الآلهة وكتب التاريخ ودواوين الشعر

الفصل الثانى

كتاب الموتى

وأشهر كتاب لهم عندنا هو « كتاب الموتى » وبعض الناس يسميه كتاب المصريين المقدس أو انجيلهم ولكن ليس من هذه الاسماء ما هو حقيقى أو هام لأن المصريين أنفسهم لم يدعوه بكتاب الموتى كما اشتهر بهذا الاسم بل كانوا يدعونه « فصول التقديم فى اليوم الآخر » وسبب تسميتهم له بهذا الاسم أنهم كانوا يعتقدون أنه إذا علم أصدقاؤهم الموتى بكل ما فيه من حكمة قدروا أن ينجوا من الأخطار التى تصادفهم فى العالم الثانى وقدروا أن يروحوا فى السماء ويغدوا كما كانوا على الأرض ويكونوا سعداء الى الأبد وهذا الكتاب مملوء بكل أنواع السحر لا تقاء شر الأفاعى والدبابات الهائلة وكل أنواع المساوىء الأخرى التى تسعى فى أهلاك الميت فى العالم الثانى وكان يكتب من هذا الكتاب عشرات من النسخ وتحفظ فى غلاف عليه مكان أبيض لاسم الميت الذى سيستعمله فإذا مات شخص ذهب أصدقاؤه للكاتب وابتاعوا ملنا من كتاب الموتى فيملأوه بالكاتب باسم الميت فى الأمكنة المعدة له ثم يدفنون الكتاب مع جثته المحنطة حتى إذا ما قابل الشياطين والأفاعى فى سبيله الى السماء يعرف كيف يبعدها عنه حتى يصل الى الأبواب المعلقة والأنهار التى يجب عليه اجتيازها فيكون علما بالكلمات السحرية التى يجب أن يفوه بها

وبعض مخطوطات كتاب الموتى مكتوبة بكتابة جميلة للغاية ومفسرة بصورة صغيرة آية في الابداع تشير الى مناظر الحياة المختلفة في العالم الثاني وأنه من هذه علمنا كثيراً مما اعتقده المصريون عن الدينونة بعد الموت وعن السماء ومنها ما كتب باهمال لأن الكتبة كانوا يعلمون أن الكتاب سيدفن دون أن يراه أحد فلم يعنوا بما آتوه من خطأ في كتابة كلماته أو اهمال بعض أجزاء من الكتاب ولم يدر في خلدكم أن بعد آلاف من السنين سينقب العلماء عن تلك الكتب التي خطتها أيديهم وسيقرؤنها ويرون ما فيها من خطأ واهمال . . .

ولا شك أن جزءاً عظيماً من هذا الكتاب يبدو لنا سخيفاً كذلك الخرافات التي تحتويها بعض كتبنا وهاك ترجمة بعض من سطره في فصل الأفاعي فقد فرض المصريون أنه اذا هاجم ثعبان أحداً في سبيله الى السماء فما عليه الا أن يرتجل هذه المقر فتخور قوى الثعبان ولا يأتي باذى : « ويحك أيها الثعبان (ريريك) لا تقترب بعد وقف الآن سا كنا فستأكل الفأر التي يكرهها رع وستهشم عظام قط آمين » . وربما عجبت كيف أن قوما عقلاء كالمصريين كانوا يعتقدون بهذه السخافة ولكن لو دريت أن بجانب ماتراه سخافة تجد آراء عجيبة وأفكاراً غريبة نبيلة اوصى بها أولئك الرجال الأقدمون فاعلموا كيف أن كل انسان لابد أن يحاكم أخيراً عما قدمت يداه وان الأولى عملوا الصالحات كانت لهم جنات تجري من تحتها الأنهار



الفصل الثالث

حكم بتاح حتب (١)

إذا كنت رئيسا فعامل من هم أقل منك مرتبة برفق واعلم أن رؤسك هو عضدك وساعدك وأن التشدد في معاملته يعقل أسانه ويختم على قلبه فيخفي عنك ما قد يفيدك العلم به أما إذا استعبدته بالحسنى فلعله يبوح لك بما يضر ويفتح لك خزائن قلبه وعوده الحرية في القول يصدقك فيما ينفعك ولا يخذلك فيما يضرك وإذا أتاك في أمر له فلا نجبه بل كن شفيقا صبورا وإذا استطعت اجابة سؤاله فلا تبطئ نغير البر عاجله . وإياك والشدة في معاملة من يطيعون أمرك فقد تكون داعية الى سوء الظن بك . واعلم ان الاصفاء للضعيف والمكروب فضيلة يمتاز بها الأخيار على الأشرار

إذا شئت أن تستبقى حب أخيك وإخلاص صديقك فاحذر مشورة النساء لانها مجلبة الشر في كل زمان ومكان واعلم أن حب المرأة مجلبة الهلاك وماطاب عيش امرئ يقضى على سعادته ويستهن بحياته في سبيل لذة لا تدوم أكثر من طرفة عين وتورث آلاما تبقى مدى الحياة

اجتنب جلساء السوء فإن في بعدهم غنا وفي قربهم غرما . إذا شئت أن تكون صادقا في قولك أميناً في عملك فطهر نفسك من أدران العناد والطمع واحذر الشراة والجشع وإن كنت خلوا من تلك النقائص فحذار أن تقع في هونها فانها أدواء لا تستقيم حال المرء مادامت جرائيمها عالقة به واعلم أن تلك المعائب تفرق بين الوالد والولد وتشتت شمل الجماعات وتبديد أوصال الصداقات وتقطع ما بين الرجل والمرأة من صلات الود والمحبة وتغرس بذور النفور والبغض

(١) هذه الحكم تعريب الاستاذ محمد لطفي جمعة في مجلة البيان عام ١٩١٢ وهي كما أسلفنا

من أقدم كتب الأرض ومترجمة الى لغات العالم الحية

كن عادلا فان العدل يضمن لك الفوز في مضمار الحياة لأن له صولة تدوم وتبقى في الأرض . لا تحاول أن تنال بالبطش والظلم ما ليس لك ولا تحسد جارك على نعمة أصابها إنما الحسد سم لا ترياق له وقد رأيت الحسود والشره يقضيان عمرهما في فاقة ولو كانا غنيين أما القنوع الذي يرضى بالقليل اذا لم يستطع الكثير ويغبط غيره اذا ناله الخير فانه لا محالة غني ولو بات على الطوى وتقلب في الثرى اذا كنت ذا أهل فاعد لهم عدتهم وأوفهم حاجتهم ولا تحرمهم خيرك وبرك واخلص لزوجتك التي تفرس لك وتنميك وأطعمها اذا جاعت واكسها اذا عريت وداوها اذا مرضت وأسعدها اذا شقيت فهي أغلى ما ملك وأعز نعم الله عليك وحذار أن تقسو في عشرتها وكن بها رحيا فان الرحمة تحببك اليها وتقربك من قلبها والقسوة تنفرها منك وتقضي ودها عنك والمرأة أسيرة من يكرمها وهي كثيرة الولع يزهو الدنيا وزخرفها فان لم تذللها ماتحب من المتاع هجرتك .

أحسن الى خدمك وحشمك وأعظمهم مما أعطاك الله فما منحك المال الكثير والخير الوفير الا لتمنح ذوى القليل . علمت أن ارضاء الأجير محال فهو كثير الطمع قليل الاخلاص ولكنك اذا غمرته باحسانك وأسرته بكرمك أنطقت لسانه بشكر . واعلم أن الله ينقم على بلد أجراؤه أرقاء وعماله أذلاء فارعهم بعين الاحسان يرفعك الله بعين الرحمة .

إياك أن تفوه بفحش القول وان سمعت القول فمر كريما وصن أذنيك عنه واعرض عن قائله وإياك أن تعتب على قائله أو تؤنبه فان في سكوتك وعفوك عنه درساً نفعا وعظة بالغة فان الخير يصلح الشرير بخيره ويرده عن غيه وشره .

اذا أمرك من هو أقدر منك بمعصية فاعصه لأن العصيان في النقيصة طاعة للفضيلة . لا تستعن على قضاء حاجتك بالسكتان فلعل فيه أذى ومضرة وربما منع السكتان عن الانتفاع بعملك .

اذا تطلبت الحكمة وشئت أن ترتفع الى مجالس الكبراء وأن تعاشر الحكام والعظماء فهذب نفسك واقض زمنك في تكوين عقلك بالعلم وتكميل قلبك بالفضائل

لان العلم والفضيلة يوليانك البطش والقوة واعلم أن الاقتصاد في القول خير من الاسراف فيه فلا تنبس بكلمة حتى ترزها واذا كنت في مجلس الدولة تجادل وتناضل فلا تنطق الا بمقدار فلست تدري مكان من يناضلك من البيان وقوة الحجة . اياك والادعاء فانه فتنة وان حذقت في فن فلا ترز بمصدقك على أقرانك فقد يكبو اللبيب ويخبوا الارهب ويصيب الغبي ويخطيء الذكي .

اذا كنت في مجلس فلا تلزم الصمت البتة وحذار أن تقطع حديث محمد ذلك أو تجيب على ما لم يسألك عنه . اياك والحدة في القول فقد يعقبها الندم . اعتد كبح جماع نفسك والزم صون لسانك عما يجول في صدرك . لا تجعل كنز المال معقد آمالك ولا غاية أعمالك ولا تكن كالذين يقضون أعمارهم ويبذلون نفوسهم ويريقون أمواه وجوههم في جمع الثروة فان هؤلاء كالخنازير لا يرفعون خياشيمهم من الوحل .

اذا لهوت فلا تهادى في لهوك فان التهادى في اللهو والافراط في السرور يذهبان بالخير من الحياة

اذا أردت أن تصيب غرضاً فكن كأخذق الرماة تصويبا . انعم النظر في هدفك قبل توتر قوسك فاذا وطدت نفسك ووترت قوسك اطلق سهمك واعلم أن ربان السفينة لا يبلغ المرفأ الامين الا اذا ساير الريح

اذا اصطفاك الملك واصطحبك واستعان بك فلا تغتر بمالك عليه من الدالة فتلهيه عما يهمه بان تسمعه مالا يحب أو تنبئه بما يكره فانه ان وسعت حلمه مرة لا يسمعك أخرى وهيئات أن يؤمن شر من اذا قال فعل . اعلم أن رفعتك لا تكون بعلو نفسك ولا تعلو الا النفس التي اختارها الله والله لا يختار الا نفسا تحب اعداءها كما تحب أصدقاءها وتبغض الشر لذاته وتعمل الخير حبا فيه لا جلبا لنفع تريده . اذا وكل اليك تهذيب صبي من ابناء الاشراف والأمرأ فلا تخش بأس أهله في تقويم خلقه واصلاح حاله فانك . ان قمت بعملك كما توحى اليك نفسك وذموك في الحال اثنوا عليك في المال وكان نصحك كالدواء يسوء استعماله ويحسن

مآله . أوصيك بتهديب الصغير بحيث يستطيع مجالسة الكبراء فان في هذا من الفضائل ما لا يحصى واذا وفقت الى القيام بعملك وقدر أهل الصبي حسن فعلك أغدقوا عليك نعمهم ورفعوك الى مراتبهم وقد تعلوهم وتفوقهم بعد أن تصير مربيهم واستاذهم : اذا كنت من رجال الدين ووكل اليك أمر الفصل في مشكلة عويصة بين الملك والرعية فاحكم بالقسطاس وكن عادلاً ولا تظلم الشعب لتصانع الملك لئلا توصم بوصمة الأشراف وهي أنهم يشعرون القريب والصديق ولو كان على ضلال مبين ويخذلون العدو الغريب ولو كان على حق وهدى بل كن يا ولدي مع الحق والعدل ايما كانا يكن الله والخير معك . ان أساءك من أحسنت اليه فاعف عنه واجنب عشرته فان كان حراً فاعفو قتل له وان كان وخبداً ففي هجرك اياه منجاة لك من شره .

اذا عظم قدرك بعد حقارة شأنك واستغنيت بعد فقرك فلا تقصر خيرك على نفسك انما انت خليفة الله في أرضه وحارس نعمته وولي خلقه رزقك لتعطيهم وهداك لتهديهم وأحسن اليك لتحسن اليهم فلا تخن الله في امانته ولا تكفر بنعمته فما كفر بها الا كل معتمد أثيم . أطع ولي أمرك واخضع له بالحق فان عيشك رهن الطاعة وان عصيته ولم يكن قد اعتدى عليك فقد أسأت الى نفسك

اذا وليت أمر قوم فلا تتحكم في أعناقهم بظلم ولا تسع في سلب نعمتهم فان الخير يذهب عنك بقدر ما تذهب عنهم . ولا تغدر أخاك فيما له من مال لأن الغدر منبت الأحقاد .

اذا شئت أن تسير غور رجل تريده صاحباً فإياك وسؤال الناس عنه فإذكروا لواحد حسنة الا وأردفوها بمساوى لاتعد بل اكتف بعشرته أمداً محسناً اليه ما استطعت فينبسط الرجل ويفضي لك بما في نفسه فان راقك بعد التجارب فاقبل عليه وفاتحه فيما تود والا فاتركه بالمعروف والحسن وان صحبته فلا تحتجر عليه في الحديث وان استصغرت شأنه فلا تشهره بما تراه فيه فينفر عنك وده ولا تحرم أخاك لك نفعا تملكه .

اعلم أن كل سعادة يتبعها شقاء وكل غنى يتلوه فقر وكل صفاء له كدر . وان
للأيام دورات فكم من رفيع خفضت ووضع رفعت وكم صعلوك أسكنت قصرًا
وكم كريم أذاقت بؤسا وفقراً .

إذا اتجرت فأوصيك باكتساب ثقة الناس فانهم لك خير نصير إذا كبا بك
الزمان وعاكستك صروف الحداث . اعلم أن الذكر الرفيع أعظم قدراً في نظر
العاقل من المال الكثير لأن المال يجيء لينذهب ولكن الشرف إذا حل ألقى
رحله ولم يتحول . إذا سألت فاسأل بالحسنى وإذا سئلت فتلطف في الجواب .

إذا أسأت الى امرأة في عرضها ودعوتها الى بذل ماء حياؤها وجلبت عليها
عارا يخلق أديم وجهها فكن بها رحيماً واقض من نعمائك عليها بقدر ما أسأت اليها
فان في ذلك احساناً وعدلاً وتكفيراً عن الذنوب

اعلم يا ولدى أنك إذا أطعني وعملت بما نصحت اليك به فقد نهجت سبيل
الخير ومن ينهجها لا يضام

إذا أردت أن تقوم من اعوجاج أهلك ومن حولك فلا تضن على الاحداث
والجهلاء منهما بعلم وأضرب لهم الأمثال وعلمهم الحكمة ليرجعوا في أمور معاشهم
اليها ولعلك مؤد تلك الامانة الى أهلها وتارك وراءك أثراً يبقى في بلاد النيل الى
ما شاء الله فيكون نبراساً يستنير به الشعب والملك لان في كلمي ما يستفيد به
المسترشد فينال من الخير ما ينفعه . وقد نصحت بالرفق والكرم والقناعة لعلمي
بأن الحكمة أفرغت في هذه الفضائل الثلاث .

ان من يقرأ قولي سيرضى به وتروقه حكمتي فتستنير بصيرته وتحل عقدة
لسانه . ويصفو ذهنه ويقوى جنانه فيهرب أولاده ويورثهم الحكمة من بعده
وهم يورثونها أبناءهم .

اعلم أن لا شيء احسن لدى الوالد من طاعة الولد البار الذي يعني بقوله ونصحه
وإذا تكلم أحسن الكلام وان ألقى اليه القول أحسن الاصفاء فان الصغير اذا شب
على الطاعة استطاع أن يأمر وينهى في شئبه كما كان يأمر وينهى . ان الطاعة زارع يغرس

المودة واكسیر یجلى صدأ القلوب ودواء ناجع يشفي داء البغض وآلة تنال بها حكمة الشيوخ
 وحنكتههم وهيبات أن يخلص لك النصيح حكيم لا تطيعه . ان الله يحب الطاعة ويأمر
 بها في الخير ويبغضها وينهى عنها في الشر ولا ريب في ان القلب هو الذي يأمر
 صاحبه بالطاعة أو ينهيه عنها لأن حياة الرجل بحياة قلبه فاذا كان طاهراً تقياً
 كانت حياته طيبة شريفة واذا كان القلب خبيثاً دنيئاً كانت حياة صاحبه كذلك.
 اذا كنت في فتوتك مطيعاً ووليت الرئاسة في رجولتك كنت رئيساً عادلاً
 وان للعدل قوة تؤثر في النفوس الجامحة وتستل منها سخائم العناد .

رأيت الأمراء يحبون المطيع لأنهم يعلمون ان الطاعة فضيلة مكملة للاخلاق
 فعليك بتعليم الطاعة ولدك ليكون مقرباً من الأمراء والكبراء

رأيت الجهال يمضون فيهلكون لأنهم لا يفرقون بين الخير والشر ولا بين
 الربح والخسران فيقتربون الذنوب فيندوقون أنواع الهوان . ان الجاهل قد يغلب
 العاقل بالثروة والهدر ولكنه يقصر عن مدى الاطفال في مجال العلم والحكمة
 فيجتنبه الناس ويبقى طول حياته مهجوراً محسوراً

اذا رزقت ولداً فلا ترض عليه بالحكمة التي جدت بها عليك فيناله من الخير
 بنصحك ما نالك بنصحي وأوصه أن يبلغ رسالتك الى ابنه من بعده فتبقى الحكمة
 في بيتنا وهذه نعمة كبرى . توخ الصدق فيما تقول للاطفال لأن نفس الحدث
 كالعجينة اللينة يسهل تشكيلها على أية صورة تريد واعلم أن الصدق اذا كان أول
 ما يقابل النفس اعتادته وبذا يمكن استئصال الرذائل منها وغرس الفضائل مكانها
 اعلم انك اذا فعلت ما أوصيتك به كنت قدوة عشيرتك وأهلك فتتولى أنت
 وأولادك قيادة الشعب وزعامته وتلك الدرجة اسمى ما تتطلع اليه النفوس الكريمة.
 عليك بالعدل في قولك وفعلك واحرص على ما تفوه به حرص البخيل على درهمه
 والجبان على دمه . كن خاضعاً في حضرة الملك وعيوفاً في نظر أقرانك واذا انطلقت
 فليكن حديثك مدعاة للاعجاب بك والتحدث بفضلك . قدر قولي قدره واعلم
 أن نصيحة الوالد أئمن ما يقتنيه الولد

إذا بلغت مناصبي فاجتهد يا ولدي في ارضاء الملك باتقان ما تمارس من الاعمال
احفظ شبابك تحفظ مشييك . اذا مرضت فبادر الى علاج جسمك فيطول بذلك
عمرك وتنتفع بحياتك أنت وغيرك وتعيش كما عشت مائة وعشر سنين خدمت
أثناءها بلادي بالحق والعدل فغمرني الملوكة بالاحسان وأغدقوا على النعم فكنت
أسعد حالا من آبائي وأجدادي . » انتهى

الفصل الرابع

كتب البردي

ذكرنا كيف كان قدماء المصريين يصنعون من جذوع نبات البردي
الغليظة أوراقاً لكتبهم فيقطعونها الى قطع طولها من ستة الى ثمانية عشر بوصة
ثم يزيلون الغطاء الخارجى ويضغطون الأوراق ومع قدم العهد ومرآلاف من
السنين على ذلك البردي كان يبلى كما يبلى الزمان ولم يصل اليها الا نقطة من بحر
ما كتبوا كما أن جل ما نقشوا وحفروا فوق جدار المعابد والهياكل والمسلات
قد تخرب ولم يبق لنا الا قليلا . وقد أسلفنا الذكر أن أنفس وأكثر الآثار
المصرية مبعثرة في جميع متاحف العالم ونقول هنا ان أوراق البردي مشته أيضاً في
متاحف العالم ومكاتبه وأنفس أوراق البردي أو كتب قدماء المصريين موجودة
في المتحف البريطاني ومتاحف المانيا والنمسا وفرنسا ومكاتبها لاسيما مكتبة باريس
وقد تقدم الذكر أن في المتحف البريطاني كتابا منها طوله ١٣٥ قدما وهو من
أكبر الكتب وأن الأوراق التي اشتراها العالم بريس موجودة في مكتبة باريس
منذ عام ١٨٤٧ وتتضمن كتاب بتاح حنب الحكيم المصرى القديم ونصائح
« قاقنا » الحكيم ويجد القارىء ترجمتها العربية في كتاب الحضارة القديمة تأليف
العالم الأثرى احمد باشا كمال ومن أقدم كتب العالم أيضاً كتاب نصائح « آنى »
الحكيم المصرى التلميذه « خوانسو حنب » وقد عثر على أوراقه البردية عام ١٨٧٠
مارييت باشا العالم الفرنسى المشهور ومؤسس مصلحة الآثار المصرية كما سيأتى في

أحدى مقابر الدير البحري بطيبة وهي محفوظة للآن بفضل ماربيت بالمتحف المصرى بالقاهرة فى غرفة أوراق البردي حرف S بالدور الأعلى وتحتوي هذه الأوراق على تسعة صحائف بالخط الهيراطيقى وقيل انها كتبت فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وترجمها من الهيراطيقى الى الفرنسية العالمان شاباس وديروجيه والى الألمانية أرمن والى الانجليزية ماسبرو . ومن الأوراق البردية الهامة ورقة « نسيامسو » باللغة الهيراطيكية وقد ترجمها العالم « بدج » الى الانجليزية عام ١٨٩١ وقد اكتشف أخيرا على جدران معبد ادفو أنه كان بجوار هذا المعبد دار كتب المعبود « حورش » وبين تلك الكتب كتاب خاص « بجغرافية » مصر القديمة ولكن لم يبق لنا من هذه الدار أثر

ونعلم أيضاً أنه كان بالسرايوم دار للكتب وقد وصل الينا جزء من قاموس هيرغلىفى جمعه « كرمون » أمين دار الكتب هذه فى القرن الأول للميلاد كما وصل الينا كتاب فى اللغة الهيرغليفيه وضعه « حورش » المصرى وفسر فيه ١٨٩ كلمة هيرغليفيه وقد ترجم الى اليونانية

ونعلم أيضاً أنه كان بمصر دار للكتب فى عهد فراعنة الاله اهرام أو فى عصر الاسرة الرابعة .

ويقول المؤرخ المصرى « مانيتون » فى القرن الثالث قبل الميلاد أنه ينسب لهرمس ٣٥٥٢٥ كتابا وقد عاش لنا قليل من تاريخ هذا الكاهن مانيتون الذى كتبه بالاغريقية . وكان بمصر دور كتب ملكية بجوار المعابد وكان تحفظ فيها الكتب المقدسة وكتب السحر والطب والحكمة والكيمياء وغيرها

وسندكر كلمة من مقال عن الآثار المصرية فى متحف برلين ومنها أوراق البردي فى ذلك المتحف فقط وهو غير مافى متاحف ميونخ وهدسهيم وفينا ورومه والبندقية وتيرن ولندن وباريس خصوصاً ومافى باقى متاحف الأمم عموماً

ويجد القارىء فى كتاب للاستاذ برستد بالانجليزية اسمه « تقارير قديمة عن مصر وشواهد تاريخية منذ فجر التاريخ الى الفتح الفارسى لمصر » مترجمات

كثيرة للاستاذ من أوراق بردية ونقوش وكذلك في كتاب الاستاذ ويجال عن دليل الآثار مترجمات عديدة لنقوش المعابد والهياكل وكل يوم تأتينا الاخبار باكتشاف العلماء لأوراق بردية بمصر وآخر ماسمعنا أن أعضاء معهد الآثار الفرنسي الذي يديره الاستاذ « فوكار » قد عثرت على جرة كبيرة من الآجر بقرب إحدى قرى الصعيد ملاءى بأوراق البردى وقد علم القارىء عن ذلك الصندوق الكبير المملوء بأوراق البردى الذى كتشف حديثاً فى مدفن الملك « توت عنخ آمون » بوادي مقابر الملوك وهذا الصندوق أشبه بمكتبة صغيرة ستزيل الستار عن مخبآت العصور وأسرار الدهور

الفصل الخامس

شئ من حكم « قاقنه »

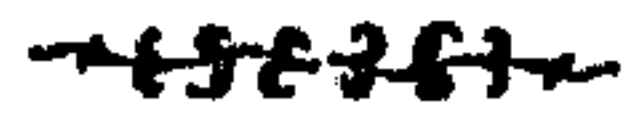
سر فى سبيل الاستقامة لئلا تغضب الله - لا تكن عنيداً فى الخصامات - قليل الأدب مذموماً - الابن الناكر الجميل يحزن والديه - من خبر الدنيا سهل عليه أن يقود أبناءه - اذا قدم لك طعاماً تشبهه فى ولية فلا تسرع اليه لئلا يبعدك الناس نهماً

الفصل السادس

مجموع كلمات الدينونة

بعد أن يزن الآله هوريس والآله أنويس قلب الانسان أمام أوزوريس فى الآخرة يتلو الانسان ليبري نفسه ما يأتى :
« لم أسرق الناس قط . لم أعذب الارملة . لم أكذب فى المحكمة . لم أكن ذا قصد سيئ . لم أرتكب محرماً . لم أجبر العملة على أن يعملوا أكثر مما كان يجب عليهم أن يعملوا . لم أكن مهملاً ولا بطالاً ولا ضعيفاً خائراً لم أصنع ما يسخط

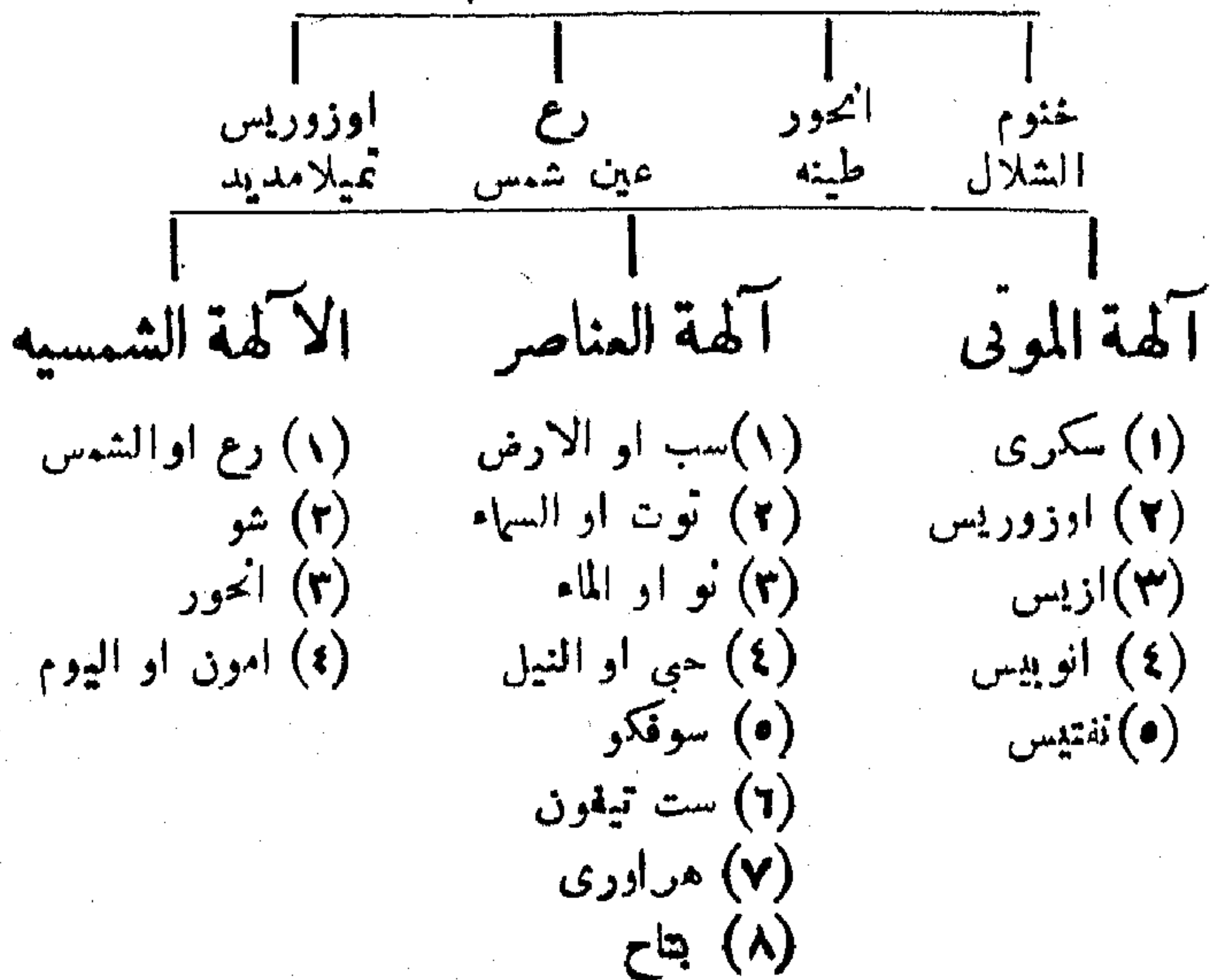
الآلهة . لم أعلم العبد أن يفر من سيده . لم أجوع أحداً . لم أهلك أحداً . لم أقتل
ولم آمر أحداً بالقتل . لم أختلس قربان الهياكل ولا حلويات التقدمة التي تقرب
للآلهة . لم أنزع عن الموتى لفائفهم ولا غصبتهم مؤنتهم . لم أربح ربحاً حراماً . لم
أغش كيل الحبوب . لم أخدع أحداً ببيعه حلياً مغشوشة . لم أسرق شيئاً من
الحقول . لم أتلاعب بالميزان . لم أنزع اللبن من أفواه الأطفال . لم أقتنص البقر
المقدس في المروج . لم أنصب الحبائل للعصافير المقدسة . لم أصد الاسماك المقدسة من
بركها . لم أرفض الماء حين نزوله في حينه . لم أقطع مسيل ماء في جريانه . لم أطفئ
النار المقدسة في أوقاتها . لم أهن أحداً من الآلهة في أبان احتفالاته . أنا نقي . أنا
نقي . أنا نقي »



الفصل السابع

آلهة قدماء المصريين وتمثيلهم وتفرعهم

الاله الاعظم



كتب الاستاذ الانجليزي « بـدج » (Budge) مترجم كتاب الموتى السالف الذكر كتاباً من أهم ما ألف عن قدماء المصريين وأسماء « كتاب آلهة المصريين » في جزئين ظهر ا بلندن عام ١٩٠٢ ونكتفى هنا بذكر أسماء تلك الآلهة باختصار .

(آمون) وهو ملك لآلهة ورب الارباب ومقر عبادته طيبة مثل آمون رع وكانوا يمثلونه بكبش ذي تاج طويل وقرنين عموديين
(رع) إله الشمس وكان أهم معبد له بمدينة (أون) (عين شمس) وقد اعتبر الملك متجسداً من رع . وابناً للشمس

(بتاح) (فتاح) وهو إله « منف » الاعظم كما كان (آمون) إله طيبة الاعظم وقد ساعد الاله « خنوم » في خلق العالم

(خنوم) انذى خلق الدنيا بمساعدة (بتاح) وهو إله جزيرة اسوان
(أوزوريس) إله الآخرة وحامي الموتى ووالد (هورس) قتله أخوه « سخت » وقام من الاموات ودعاه الناس بالاله الصالح لانه عمل على خلاصهم من الجهل وعلمهم كثيراً

(ايزيس) أخت أوزوريس وزوجه (ويرمز اليها أحياناً برأس صقر)
(حورس) ابن أوزوريس وايزيس والذي يكمل الثالوث المقدس لايدوس
(خونسو) إله القمر (ويرمز اليه بصقر)
(أنوبيس) ابن « سخت » و « نفريس » ويصور برأس ابن آوى وهو الذي يقود الموتى الى العالم الاسفل

(موت) وهى أم الآلهة وزوجة آمون ويتركب منهما ومن خوانس الابن
ثالوث طيبة

(هاتور) وهى إلهة الحب ويرمز اليها برأس بقرة أو مع أذن بقرة أو مع قرنيها
(أييس) وهو عجل منف المقدس المشهور يمثل تجسد (أوزوريس)
أو يمثل الاله

(بتاح) وهو أهم معبوداتهم الحيوانية التي تحمل فيها روح الآلهة وكانوا يبحثون عنه بين مولودات البقر بحيث تجتمع فيه عدة صفات منها سواد جلده ووجود شاة بيضاء مثلثة الشكل في جبهته وعلى ظهره شكل نسر حتى اذا عثروا عليه احتفلت البلاد بذلك ويكون يوم سرور فاذا مات حزنتم عليه حتى تجدد سواه ولهذا العجول مقبرة كبيرة تسمى بالسرايوم بسقارة

(بس) إله حجرة النوم والاحلام ويصورونه بقزم له تاج من ريش
(جب) أو (سب) أو (كب) إله الارض القديم وزوج (نوت) ووالد
أوزيريس الذي خلفه على عرش مصر

(نوت) آلهة السماء والضوء وترسم على غطاء التواييت بريشه في كلا يديها
(هابي) إله النهر وله زهرة قائمة فوق رأسه من زهر الخندقوق
(حار نخيس) إله الشمس ويرمزون اليه برأس صقر فوقها قرص الشمس
أو أحياناً بأبي الهول

(مات) (معت) آلهة الحق : ولها ريشة نعامة فوق رأسها

(مين) إله المحصول والانتاج

(نيث) آلهة قديمة للوجه البحري للصيد

(نفتيس) أخت أوزيريس التي حزنتم معها على فقد أوزيريس حزناً شديداً ورثاه بالمرائي والبكاء فرق لها الآلهة وأقاموه من بين الاموات ونصبوه إلهاعليهم.
ويروى أن الكهنة المصريين كانوا يلمون بقصة أوزيريس ومقتله وقيامته ولكنهم كتبوها وروى المؤرخ بلوتارخ عنها قصة مشهورة في تاريخه وقال انها ترمز الى النيل والارض والبحر وقال غيره بل هي مشتقة من علم الفلك وقال آخرون غير ذلك من الآراء والشروح

(ست) وهو الذي قتل أخاه أوزيريس ويعتبره عباد (حورس) إله الشر ويرمزون اليه بذي رأس غريبة مثل رأس الحمار . وكان هذا الاله في أول أمره يعيش مع أخيه أوزيريس الصالح ولكن حباً بالاستئثار بالملك دبر مكيده

لاخيه وقتله ورماء في النيل ولكن حورس ابن أوزيريس انتقم لابييه من عمه
(تحوت) أو (ثوث) وهو خالق العالم بكلمته وهو إله الحكمة والذي يقرر
وزن نفس الميت بحضرة أوزيريس ويعتبر أيضاً إلهاً للقمر
(بسطت) (بستيت) آلهة السرور وحرارة الشمس المفرحة . وترمز بقطعة
وعبدت في بوسطة

(سيرايدس) إله مصري عبد في حكم البطالسة والرومان بدلاً من أوزيريس
ليتجسد في العجل أيس (أوزيريس أيس أو أوزيريس)
(سبك) إله الماء ويرمز بالتمساح
(سخمت) آلهة برأس لبؤة للقوات الشريرة وللحرارة الزائدة للشمس
والوباء

(طوريس) آلهة ولادة الطفل وتمثل بفرس الماء له صدر انثى
(أيموس) وهو الذي يكمل ثلوث منف المؤلف من (فتاح وسخت وأيموس)
(آمي) آلهة الشريعة والعدل
(أتون) إله قرص الشمس الذي بشر به أمنتب الرابع

الفصل الثامن

ديانة المصريين

قبل أن نكتب نبذة من ديانة المصريين نشير على القارئ أن يقرأ بعض
ما كتب كبار العلماء عن هذه الديانة أمثال ارمان الالماني الذي ترجم كتابه
جريفث الى الانجليزية (لندن ١٩٠٧) وستندورف الذي ترجم الى العربية
حديثاً وويدمان وبدج وبعض مؤلفات العالم الفرنسي ماسبرو والعالم الانجليزى
يترى وغيرها مما لا يتسع المقام لذكر أسماؤها فقط لانه من المحال أن تروى نبذة
أو مقال عطش محب البحث لاسمها في موضوع ديانة المصريين الذي لا تلم به أضخم

المؤلفات وهذا ما جعلنا ندكر قائمة صغيرة لاهم الكتب المشهورة في ختام هذا
الكتيب الصغير

كان قدماء المصريين في أول عهدهم يعبدون الله تعالى ويعترفون بوحدايته
ومع الزمن عمل الكهنة على الاستبداد بهذه العقيدة الصحيحة وأخذوا يرمزون
لصفات الله برموز وأخذت تلك الرموز تختلف في اقليم عنه في آخر ثم رمزوا الى
القوى الطبيعية برموز أيضاً حتى نسي الناس التوحيد وأصبح قاصراً على الكهنة
المتكتمين ثم اعتقد المصريون بتجسد الآلهة وحلولهم في الحيوانات مثل العجل
أييس والتمساح والقط والجل والكلب

وأقدم ما وصل إلينا عن ديانة المصريين ما اكتشف من نقوش الاهرام وما
في داخلها وعلى جدارها من كتابات لاسيما ما كتب على جدار غرف بعض اهرام
سقارة في الاسرتين الخامسة والسادسة ومنها نعلم أن الملك كان مقدساً على الارض
حتى اذا مات صعد الى السماء في مملكة رع فيصل اليها بالسير في الجهة الشرقية
وقت الفجر ليقابل الاله في شروقه بعد أن يجتاز في قاربه ظلمات المستنقعات فاذا
رفض الاله قبوله تسلق الملك سلم أشعته الشمسية وقابل الاله في قلب السماء أو
أخذ له جناحي صقر وطار الى البقعة التي نهرها نهر المجرة وسكنها ربوات النجوم
فيساعده في الصعود الى السماء بعض الآلهة الرحماء أما حياة الملك في مملكة رع
فتحاكي حياته الأرضية ويصبح الملك الممجد إلهاً ومستشاراً للآلهة وقد نرى في
بعض كتابات الاهرام ثناء ومديحاً للملك فيلقب بملك الآلهة الذي يفوقهم في القوة
والمجد وأن الآلهة خدم له يحففون جسده حينما يستحم ونرى في أقدم الكتابات
التي ترجع الى ما قبل التاريخ أو بعده قليلاً أن الملك يصيد الآلهة وينبجهم اذا شاء
وليس هذا من الغريب اذا علمنا أن (رع) كان ملكاً على مصر في العصر
الذهبي وأسرأت الآلهة وقبل أن يصعد الى السماء فراراً من شرور الناس فنزحهم
يعمهون في الظلمات والجهل لولا أن أوزيريس إله الموتى بعد قيامته من بين الاموات
عمل على تعليمهم الزراعة وغيرها وساعدهم على الخروج من ظلمات الجهل وقت أن

كان رع إله الأحياء وأصل الملوك وخدمهم ولو أنه في مدد متأخرة تمتع الإشراف
بنعمة الصعود إلى إله الشمس مثل الملوك واعتقد أن الملك الساكن في مملكة رع
كان ينزل إلى الأرض ليحتفل بالقرابين والذبائح التي لا تحصى عند الأهرام .
وكان من وظيفة الآلهة تحوت أن يحضر الملوك أمام إله الشمس أو أنهم يحملوا إليه
في قارب الشمس

وكان الغرب مملكة أوزيريس وكان من المخدور على عباد رع أن يسيروا
في طريقهم نحو الشمس لأن النفس في هذا الطريق لا تعود منه ثانية

وأن كتابات الأهرام لمزيج محير من بقايا اعتقادات دينية عديدة في مختلف
العصور وبعضها يرجع عهده إلى قبل التاريخ وفجر المدنية المصرية وفي مر الزمن
انحصرت هذه الكتابات فيما ذكره ذلك الكتاب المشهور الذي دعى خطأ « كتاب
الموتى » الذي مع قيمته التاريخية لا يعطينا فكرة عن مجمل العبادة المصرية أو يعلمنا
كثيراً من ديانة المصريين كما يتضح من قراءته ومثله مثل أنجيل المسيحيين أو
قرآن المسلمين الذي لا يعلمنا كلاهما طقوس العبادة وشرائع الدين . وقد ترجم
المسيو ماسبرو كثيراً من متون الأهرام وكتاباته في كتابه الفرنسي والمترجم إلى
الإنجليزية (Pyramids Texts) ومنه نتعلم شيئاً هاماً عن ديانة المصريين
ولما كانت قصة أوزيريس التي كتبها الكهنة وذكريها بلوتارخ وأشرنا إليها
كيف تأمر الآلهة ست على أخيه وقتله فتبحث عن جثته أريس حتى تجدها فيعلم
ست إله الظلام بذلك فيقطع جسم أوزيريس ويدفن القطع في عدة بقاع بمصر
فتقوم أريس بمساعدة تحوت وأنوبيس ونفتيس وحورس وتجمع أشلاء أخيها
المبعثرة وتلصقها ببعضها ثم يرثي الآلهة لبكائها مع أختها نفتيس فيقوم أوزيريس
من بين الأموات ويحكم في الآخرة . وإذا كانت هذه القصة المشهورة هامة رأينا
أن نلخص بعض التفاسير الخاصة بها :

كان أوزيريس إله الآخرة وقاضي العالم الأسفل هو إله المحصول والنهر المعطى
الحياة والخصب والغلال فترى في قصة موته وبعثه رمزاً إلى المحصول وحصاده

وزرعه وجنيه وأما ست فهو اله الظلام الخالك الذي كان يقوم بينه وبين حوريس اله الشمس المنير نضال في كل شروق وغروب فكان حوريس يهزم الغروب بأنواره وضياءه ولكن سرعان ما كان ست يهزم النور بظلامه فكانت الحرب سجالا . ويفسر ست بالصحراء القاحلة ورمالها وحرها والتي هي عذرة الخشب والنبات والزرع والحياة

وجاء في قصة أخرى أن حوريس لما قام ينتقم لآبيه أوزيريس من ست فقد في النضال عينه فقدمها الى آبيه الميت الذي صار نفسا حية فأعاد تحوت العين الى صاحبها وتفسر هذه العين بالشمس وأن المحصول يتوقف على تأثير عين الشمس ويفسر تقطيع جثة اوزيريس وبعثرتها في طول البلاد وعرضها ودفن اجزائها في بقاع مختلفة الى بعثرة الحبوب وزرعها في الأرض . وما زالت هناك عادة أو كانت هذه العادة باقية الى زمن قريب في بعض جهات افريقيا واليونان ورومية أن تقطع جثة الملك الميت وتدفن القطع في جهات مختلفة من البلاد فينتج من دفنها في تلك الجهة محصول كبير ويظهر أن بعض متون الاهرام تنص على أن هذه العادة كانت موجودة في أزمنة مبكرة وأن جثة الملك كانت تصان في الاهرام ليمجز الشعب عن أخذها وتقطيعها حبا في غني المحصول الزراعى . وهذه فكرة من الآراء التي تفسر القصد من بناء الاهرام ولو كانت أضعف من غيرها . وما زال أيضا عند قبيلة الزولو عادة مثل هذه وهي أن يقطعوا جثة شاب مات في عنفوان شبابه وهناك تفسير لزواج اوزيريس من أخته اريس وهما أولاد الآلهة « كب » ونوت » وهو أن اوزيريس يمثل النيل وازيس التربة فينتج من الاثنين الزرع والنبات وأما الأخوان ست ونفتيس فيمثلان الصحراء والوحوش المفترسة التي فيها

وقد عبد اوزيريس قبل أن تظهر اريس كزوجة له وقبل انهما حوريس اله الشمس لمدينة ادفو وقد بدأت العلاقة بين الآلهة تظهر حينما اتحدت الاقاليم التي تعبد كل منها الها مختلفا ولعل هذه القرابة بين الآلهة قد ساعدت في اتحاد الاقاليم

لأن قدماء المصريين كانوا شديدي التمسك بدينهم وكان لكل من معبوداتهم
مقام أرفع في إقليم أو بلد عنه في غيره وكثيراً ما نجم عن هذا الاختلاف في تنضيل
معبود عن آخر مشاحنات وقتن بين سكان الجهات المصرية ومن المحتمل أن قصة
الحرب بين حورس وست كانت تمثل الحرب بين عباء كليهما وتنص الكتابات
القديمة على أن حورس وست كانا الهة شمال مصر وجنوبها في القديم

ولما نهضت طيبة وصارت عاصمة البلاد أصبح الهها آمون ملك الآلهة ورب
الأرباب ورأس ثلاث طيبة المكون من (آمون ومرت وخونس) ولما ذاع صيت
هليوبوليس اعتبر الآله آمون والآله رع الهما واحدا فلم تختلف طيبة عن هليوبوليس
في العقيدة وصار يدعى الآله «آمون رع» الخالق العظيم

ومنذ بدء الأسرة الخامسة اعتبر الملوك أبناء الآله رع من ام بشرية وبعدها
أخذ الملوك يلقبون أنفسهم بأبناء الشمس ثم انتشرت قصة فخواها أن ازيس
خلقت ثعبانا لدغ رع وأبت أن تشفيه حتى يخبرها عن اسمه فصار لها سلطان عليه
وكان المصريون يحتفلون بوفاة اوزيريس وقيامته وطواف ازيس واخلاص
حوريس احتفالات كبيرة في ابيدوس المشهورة مكان قبر اوزيريس وتدل كتابة
الآثار أن آمون رع كان يعبد ويصلى اليه وله الأناشيد الكثيرة التي تشير أنه
خالق العالم وما فيه من يابس وماء وهو مظهر النور والظلام ومخفف الأحران
ومعزي الاشجان وهو الآله الكامل الممجد المحبوب المسى بخو بري في الصباح
ورع في الظهر وآنوم في المساء وبلغت عقيدة هليوبوليس أوج علاها حتى قام
اخيئاتون كما قدمنا وأراد أن يحو هذه العقيدة ويعلى شأن آنون وقد مر على
القارىء كيف قاوم كهنة آمون ونقل العاصمة وبذل كل ما في وسعه ليغير العبادة
ولكن سرعان ما أعاد كهنة آنون نفوذهم بعد موته حتى أخذت هذه العبادة الروحية
في الانحطاط وأخذ السحر يثبت اقدامه في الديانة والعبادة حتى خيل أن بعض
التعاويد السحرية هي كل ما يحتاجه المرء بعد موته لينال بها السعادة في الآخرة ثم
أقيمت في طيبة حفلات ظن أنه بدونها لا تشرق الشمس يومياً

وانتعثت العبادة الروحية بعد سبي طيبة عام ٥٠٠ ق . م ورأينا آمون رع يعبد باسم (آمون رع ونوفر) وتعني لفظة (ونوفر) التي هي اسم لاوزيريس (الكائن في الجبال)

وكانت « منف » أو منفيس تعبد الاله فتاح منذ القديم وتعتبره الخالق الخلق القابض علي صولجان القوة والحياة والأزلية ثم اتخذت لعبادته رمزاً هو تجسده في العجل ايس وكاثوا أيضا يعتقدون بتجسد اوزيريس في العجل ايس وسمي (اوزيريس ايس) أو (اوزير ايس) حتى عبد باسم (سير ايس) وهو الذي اتخذه الرومان والأغريق الها بصورة انسان ووصلت طقوس اوزيريس وازيس في العالم القديم والى الشمال وفي إنجلترا حيث استمرت حتي زوال حكم الرومان فيها قريبا

وقد عبدت مدينة هرموبوليس الاله تحوت واعتبرته الخالق الخالد ثم صار تحوت الها صغير الشأن وكاتبا في السما لاسما أمام اوزيريس واعتبر أنه هو الذي علم الناس الكتابة والعلوم

واعتقد المصريون بالتثليث وهو تمثيل الاله بثلاثة أقانيم وقد سبق ذكرها في الهة المصريين وكان ثلاث طيبة (امون وموت وخونس) هو غير ثلاث منف (فتاح وسخت وايموس) وغير ثلاث ابيدوس (اوزيريس وازيس وحورس) وغير ثواليث اخرى غيرها وغير التشيع أو تسعة أقانيم في اقنوم واحد واعتقدوا أيضا بالبعث والنشور والثواب والعقاب وشرحوا يوم الحساب لاسما في « كتاب الموتى » وكيف توزن النفس بميزان التسطاس وكيف تعاقب أو تنال خير الجزاء وكيف يدافع الميت أمام اوزيريس عن نفسه ويبرر أعماله في الحياة الدنيا كما اعتقدوا بخلود النفس وبعقيدة التقمص التي أخذها افلاطون عنهم وشرحها شرحا لا محل لذكره ثم نقلها هو هيرودس في شعره . ومن ديانة قدماء المصريين أخذ العالم جميع طقوس الديانات الموجودة في الأرض وأدخل عليها قليلا من التحسين والايجاز

لا شك أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بوجود آله واحد يرى ولا يرى
ومعبود صدي قديم أزلي لا أول له ولا آخر وانهم كانوا يقدسونه باجلال نعمه
الجليلة ويتقربون اليه بعمل الصدقات واجتناب السيئات وبمعرفة واداء شعائر
عبادته وانهم ارتقوا في مادة معنى الالهية الى درجة قصوى وقد ورد في آثارهم
كثير من الجمل والعبارات المثبتة لوحداية الله وقدرته وأفعاله وصفاته منها قولهم
« كل شيء خلقه الله العظيم بنفسه » و « خالق الكائنات والأشياء » و « الخالق
لكل مخلوق الذي لم يخلق وهو فاطر السماء والارض » و « الموجود لكل
ما يكون اماما لم يكن فهو في مكنون علمه » و « الله معبود باسمه الأزلي
خالق الأرواح في الاشباح » و « يمضي الدهور وهو باق دائماً » و « ذو الأزلية
الذي يمضي دهوراً لا تحصى وهو على حالة وجوده » و « ذو الأزلية الذي لا حد
له » و « لا يمسك بالذراع ولا يقبض باليد » و « لا تدركه الأبصار » و « سميع
لمن يتضرع اليه » و « الذي يكون والذي لا يكون يختص به » و « الواحد الذي
لا شريك له » الخ الى كثير مما وجد في المخطوطات القديمة. وقد وافق على اعتقاد
المصريين بوحدانية الاله كثير من علماء اللغة المصرية منهم « بيره » الذي قال :
ان الديانة المصرية التي خفي علينا حقيقة أمرها لكثرة وجود المعبودات هي نفس
الاعتقاد بوحدانية الله ويتضح لنا جلياً من النصوص الاثرية اما تعدد المعبودات
التي قالت بها الآثار ليست الا مظهر يقصد من تمثيل الذات العلية وان كثرة
الاشارات التي نراها على الكتابة الهيروغليفية ليست الا تصورات دينية كثيرة
الرموز صعبة الفك . وأن السبب في تخفى المصريين في دياتهم وعدم اظهار حقيقة
مظاهرها هو حب في عدم اطلاع الأئمة المتجاورة على اسرارها

قال جريبو في هذا الموضوع: يجب أن نستنتج من جميع ما يظهر لنا من تعدد
أسماء المعبودات القديمة أن كلامها تقدر بصفة بالغة من العزة الالهية وأن مجموع
هذه الصفات الالهية تمثل المعبود الواحد الأزلي الذي لا تدركه الأبصار ولا يرى
ولا يمس بالحواس

فكانوا يعتقدون أن إله القدرة والنمو والازدياد والذي يرشدكم إلى النور هو المعبود «أمون» وهو «المحجوب» والاله الذي علق الشمس في السماء والقمر أيضاً وحرك الأرض هو المعبود «بتاح». وغير ذلك من المعبودات التي يعبدتها الشعب المصري القديم بينما نرى الكهنة وهم الواقفون على سر الديانة القديمة يقولون بأنها رموز لأفعال الله عز وجل... فلو تأملنا في هيئة أبي الهول لوجدنا وجهه ورأسه على صورة إنسان وجسمه جسم أسد فنحكم بأن هذه الصورة التي لا وجود لها بين المخلوقات هي رمز القوة المستمدة من الاله الاعظم الذي لانهاية له

—•••••

الفصل التاسع

قبور قدماء المصريين

قلنا أن المصريين اعتقدوا بالحياة بعد الموت وأن من عاش في دنياه عيشة راضية طاهرة تمتع في الآخرة بما قدمت يداه ولتزد أنهم كانوا يعتقدون بأن الجسم يتركب من جسم و «كما» وفي حياة الجسم تلازمه وهذه «الكا» كما نعتقد نحن الآن بملازمة الروح للجسم وهي مكونة من مادة أقل من مادة الجسم كثافة وتشبهه في تركيبه تماماً فإذا مات الجسم بقيت هذه «الكا» بعده وقد قام في عصرنا هذا العلماء الروحانيون ومذهب استحضر الأرواح ومناجياتها وكلها تقول بحقيقة وجود «الكا» وحياتها بعد الموت وأنا لانبالغ إذا قلنا ان قدماء المصريين الذين نبغوا في الفلسفة والعلوم الروحانية والسحر والكيمياء والالهيّات قد عرفوا عن الأرواح مالا نعرف الآن وأن العلماء الروحانيين الآن ما هم الا أطفال في المدرسة الروحانية العجيبة التي سيهتز لها العالم يوماً ما ولكن الكهنة المصريون قد أضعوا كثيراً من الفلسفة وعجائب العلوم بكتمتها في صدورهم خوفاً من افشائها للعامة الذين يجب أن يكونوا جهلة لتسهيل قيادتهم وكبح جماحهم بل أعجب من ذلك أنهم كانوا يعلمون الشعب غير ما يضررون ومن ذلك أنهم اعتقدوا

منذ البدء بوحداية الله ووجوده ولكنهم ساءوا العامة غير ذلك
 وظن المصريون أنه لكي يبقى الروح متمتعاً بعد موته كما كان متمتعاً في دنياه
 وجب حفظ الجسم سليماً فعمدوا إلى تخنيطه وشيدوا المقابر ووضعوا فيها من الطعام
 والشراب ما يحتاج إليه الميت كما نقشوا على جدرانها ما اعتاد الميت رؤيته في
 حياته مثل منزله وحدائقه وعمله وغير ذلك لتذهب عن الروح وحشته في القبر
 وأقدم قبور المصريين حفر في الرمل يوضع فيها الميت على حصير ويدفن معه
 بعض ممتلكات تافهة وكانت تغطي بأحجار ويبنى فوقها كوم من الحجارة ويوضع
 خارج هذه أواني من طعام التقدمة وقد وجد من هذه التقدّمات في المقابر القديمة
 شيء لا يحصى وهكذا كان يدفن الفقراء بهذه الطريقة أو يدفنون في مقابر منعزلة
 أو في كهوف أو خنادق وكل ما كان يدفن معهم قليل من التعاويذ وعصا ونعلان
 لتساعدهم في رحلتهم الروحية بعد الموت وفي السير فيها على الأقدام ويرى الزائر
 لمتحف القاهرة في الدور الأسفل والحجرة رقم ٥ كثيراً من تلك الأشياء التي كانت
 تصاحب الميت منها عصي ونعال وآنية فيها قمح وآنية من البرنز والنحاس من
 الأسرة الرابعة وقوارب صغيرة فيها تماثيل رجال لتساعد الروح في زيارته المكان
 المقدس وعودته بالقرب في النهر أو لتذهب به إلى العالم الثاني كما يرى في تلك
 الغرفة ما اكتشف في مقبرة يبيناخ الأسود من صور مناظر زراعية ومواشي تروى
 ومنظر صناعة الجمعة وبعض موسيقيين وفتيات منشآت ومغنيين يصفقون بأيديهم
 وغير ذلك .

ثم تقدمت المقابر فصار الميت يوضع في تابوت خشبي مربع مثل غرفة صغيرة
 ويدفن معه وكانت التقدّمات توضع في آنية من الطين ثم ارتقت إلى آنية حجرية
 وكان يرى في المناظر الريفية وغيرها صورة الحمار الذي كان حيوان الحمل في مصر
 وأما الخيل فدخلت أخيراً مع المكسوس ولكن صورة الجمل لا ترى بين هذه
 النقوش لأنه على الأرجح لم يستعمل في مصر إلا بعد أزمنة متأخرة وقد وجدت
 نماذج طينية له في عصر الأسرة التاسعة والعشرين

فكانت القبور في الأسرتين الأولى والثانية قليلة التأنق وكانت توضع الجثة بعضها في حجرة عميقة تحت الأرض فوقها حجرتان فوق الأرض إحداهما للعطايا المقدمة للروح والاخرى لتوضع فيها تماثيل الميت . وكانوا يبنون القبور في أول أمرها من اللبن المجفف ويشيدونها على شكل هرم ناقص هو ما يسمى بالمصطبة وارتقت فكان يبنى فوق المصطبة مصطبة أخرى أصغر منها وهكذا حتى نشأ من ذلك ما يسمى بالهرم المدرج كما نرى في هرم زوسر مؤسس الأسرة الثالثة والذي يعتبر هرمه أقدم بناء كبير من الحجر في التاريخ وأنه من السهل دخول هذا الهرم ودرس بنائه كقبر هائل وقيل ان القصد من بناء الاهرام الباذخة الهائلة هو ايجاد مكان حصين لاختفاء جثة الملك وحفظها سليمة في مخدعها داخله ولذا عملوا على اخفاء مدخل الهرم وصعوبة الدخول اليه .

وفي زمن الأسرة الثانية عشرة في الدولة الوسطى صنعت نماذج من الخشب لتوضع مع الميت زيادة عن النقوش المرسومة على الجدران والمنقولة من كتاب الموتى وغيره وكانت مثل هذه النقوش مستعملة منذ الدولة القديمة ثم تحول الاعتقاد الى مجرى آخر فاعتقدوا أن الروح تخرج من القبر وترحل الى مملكة حيوية أخرى أما الاعتقادات الخاصة بالعالم الآخر فقد اختلفت باختلاف الزمان والمكان فاعتقد البعض أن الروح يسير في التلال الواقعة غربي ابيدوس الى (امنتي) او يسير فوق المستنقعات الغربية للدلتا وان النفس المنتصرة تتحد مع رع في مركبه السماوى وتساعد في محاربة واعلاك اعدائه وعند الغروب ترى عند الشمس حمرة في الافق هي حمرة النار التي تأكل أولئك الاعداء وفي تلك المرحلة التي يرحلها يجد من الضروري ان يتزود بمؤن التعاوين وطلاسم السحر ليدفع عن نفسه اذى الوحوش والشياطين التي تعترض طريقه في مرحلته

وكانت « الكا » تنقش كثيراً على الجدران وكذا تاريخ حياة الميت والملوك

الذين حكموه

وكانت القبور في زمن الاسرة الثانية عشرة اصغر واضيق بالنسبة لغيرها
وكانت لها سقوف ذات قباب

اما اهرام الملوك فكان يبنى بجوارها معابد للتقدمات وللاحتفال بها وقبل
عصر بناء الاهرام كانت الملوك تدفن في حجر من الحجر ويوجد من هذه
القبور كثير في ابيدوس اما اقدم الاهرام فكما قدمنا هرم زوسر المدرج بسقارة
اما ملوك الاسرة الثامنة عشرة واشرافها فقد هجروا فكرة بناء الاهرام والمصاطب
وعمدوا الى صنع مقابر محفورة في الصخور والجبال وكان مكان هذه القبور يكتم
سره خوفا من اللصوص والعابثين وكانت الاحتفالات بالتقدمات تقام في معابد
خاصة مشيدة فوق السهل المفصول عن وادي مقابر الملوك بهضبة عالية

وكانت مقابر الملوك تحتوى على عدة غرف وكانت جدرانها تغطى بالنقوش
والمناظر والصلوات والتعاويد السحرية وصحف من كتاب الموتى وبعضها منقوشة
نقشاً بديعاً جميلاً وأما الفقراء فكانوا يدفنون موتاهم راغبين في القرب من
نبلائهم ما أمكن فيقدر الأموات على التمتع بتقدمات الأغنياء أما بالسرقة
أو بالاحسان

واما عن التوابيت وزخرفتها فيأخذ وصفها موضوعاً آخر واقدم ما في المتحف
المصرى من التوابيت يرجع عهده الى الاسرة الثانية عشرة ومنذ الاسرة السابعة
عشرة كانت المقابر تنقش نقشاً بديعاً وظلت كذلك حتى قبيل المسيحية حين
انحطت صناعة التحنيط وتجهيز الاكفان والتوابيت

وكانت الأرواح الحافظة تصور داخل التابوت وفوق غطاءه تظل الميت
بجناحيها كما تحفظه التعاويد والطلاسم المكتوبة معه من عقبات الشياطين والأرواح
الشريرة وأنه لمن الصعب أن نتصور كم كان يعتقد المصريون بأن من عمل في دنياه
صالحاً لقي خيراً كثيراً في الآخرة ولقد سبق ذكر بعض المعتقدات الدينية التي
تساعد القارىء في فهم مبادئ هذا الموضوع فللقبور بالديانة علاقة متينة

وأما تحنيط الجثث القديمة فكان معروفاً من البدء للمصريين ولكنه من

الصعب أن نميز في الجثث القديمة في الدولة القديمة بين الممياء المحنطة وبين الجثث
المحفوطة في الرمل الجاف
وأما موميات الاسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة فكثير حيث بلغ
التحنيط درجة راقية

الفصل العاشر

علوم المصريين

لا شك أن ما وصل إلينا من أنباء علوم المصريين هر النذر اليسير وأن الناظر
لاهرامهم ومعابدهم ومسلاتهم الهائلة ليعجب كيف قدر على تشييد ذلك من لم
يعرفوا قوة البخار وآلاته الرافعة أو الحديد والفولاذ
وقد اشتغل المصريون بعلوم الفلك منذ أزمان قديمة وقد وجد في بعض المقابر
آلات للرصد ومصورات للسماء وأبراجها ونجومها وهم أول من حسب طول السنة
وأول من وضع التقويم
وأما نبوغهم في فن الهندسة والعمارة منذ عهد مينا فلا يحتاج إلى شرح وأما
علم الكيمياء فقد ضربوا فيه بسهم وكفى بفن التحنيط شاهداً وكان بمصر معامل
كيميائية واستعملوا الذهب في التذهيب بلصق أوراقه على ما يراد تذهيبه كما
استعملوه في التطعيم ونقش الانسجة وعرفوا تركيب الأصباغ الثابتة التي مازالت
حتى يومنا باقية وكذلك الألوان المختلفة وصنعوا من خليط الذهب والفضة نقوداً
واستعملوا البرنز في صنع الرايات والدروع وغيرها كما استخدموه في صنع آلات
صلبة لقطع الأحجار ونحتها وصنعوا من الحديد سيوفاً وأسلحة وأزاميل وصنعوا من
الرصاص أنابيب المياه واكتشفوا صناعة الزجاج وتلوينه لتقليد الأحجار القيمة
واستعملوا في ذلك أكسيد الحديد للتلوين باللون الأحمر وأكسيد النحاس للتلوين
بالأخضر وأكسيد الكوبلت للأزرق وكانت لهم اليد الطولى في صناعة الخزف
والجلي وسبك المعادن

وقد تقدم الكلام على نبوغهم في الطب والجراحة
 وكان للمصريون القدر المعلى في العلوم السحرية وقال في ذلك ما سبرو « ان السحر
 عند قدماء المصريين علم يرجع تاريخه الى أقدم الأزمان » وكما كان للفلسفة مدارس
 مثل جامعات عين شمس كان للسحر أيضاً مدارس وكانت كتب السحر معدودة
 في الكتب المقدسة ونبغ في السحر كثير من أبناء الفراعنة أنفسهم
 وأما علوم الحكمة والفلسفة والقوانين الادارية فكان المصريون مصدرها
 وعندهم نقلتها الامم وعندهم درس كبار الفلاسفة مثل افلاطون وفيثاغورس وصرولون
 واقليدس وغيرهم

وأما التخنيط فما زال سرا من أسرارهم ولكن يشرحه البعض بقولهم أن
 طريقته اختلفت باختلاف العصور ويغلب على الظن أن الجسم كان ينقع في محلول
 الصودا الطبيعية أو النثرون وكان الجسم يفرغ من محتوياته الداخلية خصوصا
 بطريقة الضغط والمصر فكان المخ يخرج من الأنف وأما الأمعاء والأعضاء
 الداخلية ما عدا القلب فكانوا يخرجونها من شق في الجانب ثم يملأون فراغ الجسم
 بالطين والصمغ والعطور وأما العناية بلف الجسم والشعر فكانت كبيرة وكانوا
 يصبغون الوجه ويصنعون عيوناً صناعية ليعيدوا للوجه رونقه ولسوء الحظ أن جل
 علوم المصريين لم يحفظ حتى يصل اليها لأنهم لم يدونوا معظمها بل كانت مثل
 أسرار يتوارثها الابن عن أبيه كما أن بعض العلوم كانت قاصرة على الكهنة
 وتلاميذهم أو أبناء الملوك وأمثالهم



الفصل الحادي عشر

زراعة المصريين

اشتهر وادي النيل منذ فجر التاريخ بالزراعة فكانت مصر وما زالت بلدا زراعية تعتمد في معيشتها على الزراعة وأهم مازرعه قديما المصريين القمح والكتان والذرة وحبوب أخرى وكذلك الفواكه والتمر والعنب كتبت مجلة رعمسيس عن حدائق المصريين ما يأتي « تفنن قديما المصريين في تنسيق الحدائق وغرسها حول منازلهم ودورهم وقصورهم حتى كانت الروائح العطرية تفوح من الازهار والورود في طول المدينة وعرضها ناهيك بأشجار الكرم التي كانت تظلل رحبتهم الواسعة وطرقاتهم ومماشيتهم حتى شبه كثير من المؤرخين بعض المدن المصرية بجنت مظللة بالخضرة النظرة والغياض الفيحاء قال الاستاذ ولنكس من علماء الآثار في محاضرة القاها بجامعة شيكاغو بأمريكا : ان المصريين وجهوا عنايتهم الاولى بعد تفليح أرضهم الخصبة الى نقل الأشجار المثمرة والأزهار العطرية من الأقطار الأجنبية الى بلادهم . وكانوا يرسلون البعوث العلمية والفنية الى البلاد الاسيوية لاختيار أنواع المغروسات العديمة النظير في وطنهم وأول بعثة يذكرها التاريخ المصري بعثة الملك «حتشبسو» المشهورة من العائلة الثامنة عشرة الى بلاد العرب والصومال وقد نقلت من تلك الأصقاع الى بساين طيبة نوعا من شجر التين كانت له رائحة عطرية . وغرست في الضواحي أشجار العنب في مسيرة أميال طويلة حتى غطت بعروشها الجبل وصيرته مهوي المتنزهين بعد أن كان سعيها يتقد من حرارة الشمس . ثم جاء تحوتمس الثالث الذي يعد من كبار الفاتحين ونقل الى مصر من بلاد آشور التي غزاها اعشابا كثيرة وأشجارا متعددة . وأعقبه سيتي الأول من العائلة التاسعة عشرة فأوفد وزيره « تختمينو » الى أرض الخيتاس لحفر الآبار في طريق مناجم الذهب والفيروز فاحضر معه بعد عودته شجرة ذات ثمر لذيذ يمتليء عند نضجه

بمادة لبنية وغرسها بحديقة قصره فأثمرت ثمراً يانعا وشبهها شعراء مصر وقتئذ بالاله توت اله العلوم والفنون والسحر . ولم يكتفوا بذلك كله بل غرسوا الكروم فوق عروش متوازية الخطوط واركزوها على عمد من الخشب ذات تيجان محفورة في شكل رؤوس شجر البشنين وزينوها بألوان زاهية تزيد المنظر بهاء وجلالا وقد عثر الاثاريون في مقبرة بمدينة طيبة لرجل من العائلة التاسعة عشرة يسمى « انا » على رسوم وصور تمثل شكل بستان كان يمتلكه هذا الرجل وفيه ترى أشجار الجميز والرمان والكرم والبلح ونبات المستحية وأنواعا مختلفة من الزهور الفياحة وكل تلك النباتات الجميلة كانت منسقة تنسيقا فنيا وهندسيا ومسيجة من جهاتها بالأشجار المتنوعة وتتوسطها البرك تلعب في جوانبها الأسماك . وتنتشر وراءها هنا وهناك الفوارات وأعشاش الطيور وأماكن الراحة المظلمة بعروش من النباتات المختلفة الألوان

وأغرب من كل هذا وذاك أنهم كانوا يستخدمون القروود ويمرنونها لجمع الأثمار الناضجة وفي آثار بني حسن بمديرية النيا لوحة تمثل هذه الحيوانات وهي تساعد العبيد في أعمالهم . وتوجد لوحة أخرى تمثل القردة وهي تقطف العنب وتضعه في سلال بل وتحمله الى المعاصر لعصره خمرأ وكانوا يستخرجون من البلح أو اتمر خمرأ أيضا يسمونه « سكودون » ومن الشعير خمرأ يسمونه « مريسا » أو « هك » ومن العسل والتين والنبق والمحيط والتفاح والرمان وبعض الأعشاب خمرأ أخرى كانوا يتناولونها ويستعملونها في علاج بعض الأمراض . ويؤخذ من بعض الأوراق البردية الباقية الى اليوم أنهم كانوا يطبخون خمر البلح مع التين والمحيط ثم يصفونه ويستعملونه مسهلا . وكانوا يطبخون دهن الاوز وكبريتات الرصاص مع نبيذ العنب ويستعملونه لتسهيل البول وتحسين المزاج . ويعالجون المعدة والقلب بمحلول مركب من النبيذ والحبة السوداء الخ الخ

الفصل الثاني عشر

الخمر

وقد انتشرت تلك الخمر التي استنبطوها فانتشرت بذلك الحانات في مصر بحيث لم تبق قرية ولا مدينة خالية من حانة أو حانات كان يختلف اليها الرجال للسكر وترى في آثار بني حسن صورة تمثل رجلا سكارى محمولين على رؤوس بعض الجنود الى منازلهم . أما النساء فكان يتناولن الخمر أيضا ولكن في منازلهن وفي آثار طيبة صورة تمثل طائفة من السيدات يتقيأن ماشربنه في آنية يحملها بعض الخدم ثم يستنشق دواء لم تعرف مواده بعد لاعادة صوابهن

وقد كنا نظن الى عهد قريب أن مشكلة المسكرات في مصر القديمة كان مسموحا بها للجميع ولكن المباحث الأخيرة التي أجراها علماء الآثار دلت على أن القانون المصري كان يمنع الشبان المصريين من تناول أى شيء من المشروبات قبل بلوغهم سن الثلاثين . ثم لما انتشرت المسكرات الفت الجمعيات لمحل الناس على الامتناع عن الخمر واليك ما قاله أحد أعضاء تلك الجمعيات ووجد مكتوبا في ورقة من البردي : « لا تدخل حانة المسكر لئلا ينقل عن لسانك ما تقوله وأنت لا تدري به وإذا سقطت أرضا تهشمت أعضاؤك ولا تجد من يمد لك يداً بل يقول ندمائك وصاحب الحانة اتركوه انه سكير ابله » . وجاء في ورقة أخرى : « السكير كهيكل بلا آلة وبيت بلا خبز ولا سكان » .



الفصل الثالث عشر

تربية الحيوان

كان المصريون يعتنون بتربية الحيوان عناية كبرى وكانوا يقتنون قطعان الغنم والبقر والماعز والاوز والدجاج وكان الحمار حيواناً شائعاً يستخدم في الحمل والنقل وأما الخيل فادخلها الهكسوس ولهم طريقة مازالت للآن أفضل الطرق في التفريخ الصناعي ولا يجد العلماء الآن طريقة تفوقها وهم أول من امتاز منذ العصور الغابرة بتربية النحل وثمة ما يؤيد ذلك مما نقش على القبور القديمة والآثار العتيقة وكانوا يرون في تربية النحل صناعة من أهم الصناعات لأنها تدر عليهم العسل والشهد وكانوا يصنعون خلايا النحل فوق مراكب شراعية وينقلون بها في النيل إلى حيث يطيب الطقس ويجد النحل له مرعى جيداً وكانت مراعي النحل كثيرة في حدائقهم ورياضهم وزارعهم الواسعة النضرة .

الفصل الرابع عشر

فرعون واشتقاقه

اختلفت الآراء وتشعبت في معنى ومصدر لفظة فرعون وقد رأينا خير سبيل لشرحها ذكر مقال نشره المرحوم أحمد باشا كمال في الجرائد قال :
« ان فرعون لفظ مصرى مركب من اشارتين : الاولى رسم بيت مستطيل الشكل له فتحة في أسفله دالة على بابه . والثانية رسم مثقب يشق به الأخشاب — فاما البيت فيلفظ به ب . ير وأما المثقب فلفظة ع . غ وكل واحدة من هاتين الاشارتين تستعمل اما على افرادها مخصصة بصورة الشيء الذي وضعت له واما يضاف اليها جزء آخر مكمل لها للدلالة على كلمات أخرى متنوعة المعاني واليك بيان هذا الاستعمال .

البيت — ب . ير . يقلبان بعض الأحيان ف . فر . فل . بل — أى الباء
فاء والراء لهما مع ادخال المتحركات عليهما فيقال : بأة . بيثة : منزل من اباء
بالمكان حله وأقام به وهي كلمة توجد في كثير من اسماء الاعلام الدالة على المدن
نحو . يسير بوصير ومنها البوصيري وهي قرية قديمة في مديرية بني سويف . .
يبست يئته البسة أى القطة الشهير الآن بتل بسطة الواقع في الجهة الشرقية من
مدينة الزقازيق لان في هذه المدينة كانوا يعبدون القطة لذلك يعثر في اطلالها على
كثير من صور هذا الحيوان . يتوم — بكثرة المعبود توم وتعرف في التوراة باسم
فيتوم وكانت مدينة قديمة لاتزال اطلالها موجودة بجهة القنطرة على طريق السويس
والحاصل أن لفظة (ب) توجد كثيراً في أوائل اسماء البلاد محرفة عن أصلها
فيقولون ابو قرقاص وأبو صير الخ

بر — القمح ويرسم بعض هذا اللفظ ثلاث دوائر صغيرة دالة على الحبوب
ويقال في اللغة المصرية والعربية . الحنطة والسويداء والفوم الخ .

بل — ندي ويرسم بعده شفتان يسيل منهما اللعاب اشارة الى معنى الفعل .

برع — بزيادة العين عليها . فاق غيره في العلم ومنها البارع جاء بهذا اللفظ في
المصرية والعربية على أنه مشتق في اللغتين من مادة برع

برح — وتقلب أيضاً الحاء هاء . أى برح المكان وبرح منه برحا وراحا
بالتحريك فيها . زال عنه

المنقب . ع . غ يدخلان جزءاً في بعض الكلمات الواردة بلفظها في المصرية
والعربية من ذلك

عجلة . عجل واعجال وعجال . آلة يجرها الثور أو غيرها من الحيوانات
محمولا عليها الاثقال

عقاص . من عقص شعره لواء وفتله جمع عقص . خيط يشد به أطراف
النواشب . عشق . وبالعربية عسق أى ألح في الطلب عليه لأن الشين تقلب سينا
مثل شلم بالمصرية وبالعبرية ويسلم بالعربية

عائى - وبالقبطية . «أيه» وبالعربية أغيا الرجل بلغ الغاية فى الشرف والأمر
وأعيا الفرس فى سباقه كذلك والمغبي الموضوع له الغاية أى الراية لعظم شأنه
وقد جمع المصريون هاتين الاشارتين فرسموا البيت فوق المثقب وقرؤه
«برعو» فأخذه عنهم العبرانيون واليونان وقالوا «فراعو» وكتب فى
النصوص المصرية الاثيوبية بحروف هجائية بسيطة «برر» «بروي» فنقل فى
القبطية بهذا اللفظ «بور» أى تلك لكن ذكر «هورابولون» فى صحيفة ٦١ من
الجزء الأول الذى حرره باللغة اليونانية ان معنا «برعو» الباب الكبير ولما رأى
شاه . بي أن المصريين القدماء لم يبينوا معنى الكلمة ولا اشتقاقها ذهب الى أن
«فرعو» مأخوذ من «ب . رع» أى الشمس مستنداً على أن الفراعنة كانوا يعزون
أنفسهم للشمس اذ ورد فى النصوص المصرية أن كل ملك حكم مصر يلقب بابن
الشمس . ورأى غيره من الأثريين خلاف ذلك فقالوا ان الكلمة تنصرف الى
معنى البيت الكبير أو الباب الكبير اقتداء «هورابولون» وكل ذلك من باب
الاجتهاد ليس الا والحقيقة أنه اسم جامد وضع للدلالة على كل من تولى الملك فى
الديار المصرية وقد نوع الكاتب المصري رسم الكلمة بنحط المثقب أولاً ثم خط
أسفله ييتين كالبيت السابق وصفه اشارة الى أن معنى الكلمة الكبير «المغبي»
لبيتين أى القطرين القبلي والبحري من وادي النيل وبالجملة فان للملك اسماء كثيرة
ذكرت فى النصوص المصرية ونقلت عنها الى العربية من ذلك

صيداني - حق . فيتنق . آني كفي وزناً أى نافذ يتأتى للأمر
هذا ما أمكننا الحصول عليه لظاهر حقيقة الكلمة التي ذكرت فى الكتب
المقدسة وربما يتسنى لغيرنا من دقة البحث استيفاء هذا الباب حقه اذ فوق كل
ذي علم عليم «

الفصل الخامس عشر

النيل

وكما تضاربت الآراء في لفظة « فرعون » تضاربت أيضاً في لفظة « النيل » وقد جاء في التوراة أنه كان يسمى بشيخور . ففي سفر اشعيا (٢٣ : ٣) « وغلتها زرع شيخور حصاد النيل » وفي سفر أرميا (٢ : ١٨) « وأنا مالك وطريق مصر يشرب مياه شيخور » كما ورد النيل باسمه في التوراة أيضاً ولندكر مقالا نشره أيضاً أحمد باشا كمال في صحيفة الاهرام عن أسماء النيل قال :

« الى الآن لم يهتد أحد من الاثريين الى اسم النيل بالتحقيق بل وجدوه في العربية واليونانية فقالوا انه مأخوذ من اللغة الفنيقية أو الاشورية الى نحو ذلك ووقف بحمهم الى هذا الحد فخرجه (جروف) بطريقة لا تنطبق على الحقيقة لما فيها من التكلف . لكن هناك لفظ مصرى دال على النيل لانه ذكر في الجدول الشامل لاسماء هذا النهر المبارك المنقوش على الآثار وثقله بروكس في قاموسه الجغرافي فراجع في الصحيفة ١٤٠٨ وهذا اللفظ هو نونو ونينو ورد أيضاً في قاموس اللغة للآثري المذكور (جزء ٣ الصحيفة ٧٧٩ وجزء ٤ للصحيفة ٦٧٨) وذكر كثيراً في النصوص المصرية . ونونه الاخيرة تقلب في العربية لاما اذا أريد مقارنته بالنيل كماسترى في الاسئلة الآتية من انقلاب النون المصرية الى اللام في العربية .

ن . حرف في المصرية ويقابلها في العربية والعبرية لا

نن . معناه الليل بقلب النونين لامين (وخلفه اشارة السماء مزينة بالنجوم)

نن . نونو . الاء . اللائى . اسم اشارة في اللغتين .

نز . لوز شجر معروف

نت . التي الذى (لان التاء تقلب ذالا) اسم موصول في اللغتين

نبن . نبن . لبنى وهى شجرة الميعة أى المصطكي

نخب . لقب والقاب الخ

إذا علمنا ذلك جاز لنا أن نقول ان (نئو) أو (نينو) هو النيل لان هذا التخريج لا يخرج الكلمة من المعنى الذي وردت بها في اللغة المصرية أن قد ذكر في ورقة هريس (harris 1, 48, 9) نص معناه. قربان الاعياد الكبيرة لمبدء (نئو) أى القرايين التي كانت تقدم للنيل في مبدء الفيضان. وفي نقوش دندره عبارة معناها (dend. his. ins. 29) دمهم مثل (نئو) أى مثل النيل وجاء أيضاً في صحيفة ٢٥٦ من قاموس بروكس الجغرافي هذا النص . جبلا (نئو) أى الجبلين المحيطين بالنيل عند الشلال الاول - و (نئو) تطلق أيضاً في اللغة على جدول القسم العاشر في الوجه البحري (راجع كتاب الجغرافية بروكس بصحيفة ١٥ و ٢٥٢ والجزء الثالث منه الصحيفة ٢٩)

أما اسم النيل المقدس فهو (حعب) و (حعبى) والباء في المصرية تأتى لتضعيف الحرف الاخير

واعلم أن (الحاء) و (النون) و (الراء) تسقط في بعض الكلمات المصرية وهذا أمر معلوم عند الاثريين فمثلا كلمة (أمن حتب) اسم من أسماء ملوك مصر ذكر في اليونانية باسم (أمنوفيس) فاء فاء الكلمة تحذف منه متى أول الى العربية فهو يقابل طاب يطيب طيبة . والصفة منه طيب وطيبة الخ
فكلمة (حعب) تقابل اذن في العربية (عب) (البحر عباً . ارتفع وكثر موجه) وعبت مياه متفرقة (وعباب) . معظم السيل وارتفاعه وكثرته وقيل موجه والبعيوب (قال أهل اللغة ان الياء فيه زائدة) النهر الشديد الجرية والجدول الكثير الماء (مخعب) أى (اليعيوب) اسم متداول كثيراً في اللغة وذكر في مدحة النيل التي كتبها ماسبرو وترجمها في كتاب قصص العوام المصرية واليك مطلع هذه المدحة عن ترجمتي لا ترجمة ماسبرو .

« تعظمت أيها اليعيوب نزهت أيها اليعيوب » (حرف النداء محذوف كما يأتى ذلك في العربية) البارز في هذه الارض السائر لعيشة مصر مسيرك كمين ليلا ونهاراً مسيرك ممدوح لانه يروى الحقول التي أوجدتها الشمس ليعيش جميع

الحيوانات ويروى الصحراء البعيدة عن الماء . نداه هوى السماء (أى مياحه من المطر لان هوى السماء هو ما يهوى منها فى الماء أى المطر) فالارض تروم (٥) وتتقرب بالحب (أى تجود بالمحصول) الخ

أما أسماء النيل الواردة فى الجدول المنقوش على الآثار فهي اثنان وخمسون اسما استعملت أما بوجه الحقيقة أو بوجه المجاز لعلاقات معلومة عند أهل اللغة قديماً وسأذكرها هنا حسب ترتيبها فى الآثار مع ما يمكنني مقابلته ومقارنته بالعربية وان كانت هذه المقارنة تحتاج الى تحقيق ونظر . -

١ - « اتور » تور ادت (بالقلب) نار المأثورا . جرى . طرى . طريا . جرى . روط (نهر) والكلمة الاخيرة الثالثة ذكرها بروكس فى جغرافيته بعدد ١٠١

٢ - « أكب » أجب (لان الكاف والجيم ينوب بعضهما عن بعض) . كب صب وأجب سال وجاب . حوض . منافع الماء .

٣ - « ععم » . أم . نهر كبير (والحرف المشدد بحرفين)

٤ - « ارت » (راجع عدد ١) نهر . عرض . وسط البحر (أو هو مقلوب ترع . توعة)

٥ - « عق » عق . صفر وعقيق . كل سائل شقه الماء قديماً عقيقة . نهر

٦ - « ارى » وبالقبطية ايول . عيل الماء الجارى فوق الارض . بعول . غدير أبيض مطرد

٧ - « ارم » عيلم (ا . ع . ر . ل) . بحر

٨ - « ارش » ارشت العين الدمع أسالته ورش أسقا

٩ - « اجمعتح » معناه (معبد الحياة) ؟

١٠ - « اشر » شريج أشرة . بحر

١١ - « استن » سطون : بئر عميق ؟

١٢ - « اج » أى لجة

- ١٣ - « وجورى » جارور . بحر
- ١٤ - « بمع » مقلوب فياح أفيح (الباء فاء والعين حرف متحرك) ؟ بحر
- ١٥ - « يب » أبواب الماء عبابه . أبواب سال وموج
- ١٦ - « بد » (ب . ف . ود . ص) فيض افاض وفيوض بحر
- ١٧ - « مو » ماء
- ١٨ - « مميت » محيط
- ١٩ - « مورنب » مأراى (لان رنب يقابلها رنى بسقوط النون)
- ٢٠ - « مؤأو » (الماء الواسع) ؟
- ٢١ - « مونزم » وبالأدغام . ماذا اعظم الغلمان وهو الذي يسقي الارض كلها
- ٢٢ - « معى » و (العين حرف متحرك والتاء قلب ذالا) مدى . حوض
ليس له نصائب
- ٢٣ - « متر » ؟
- ٢٤ - « نو » نؤماء السماء
- ٢٥ - « نفنف » . نفنف كل هوى بين جبليين . نفت السحابة ماءها . مجته
- ٢٦ - « نئو » نيل
- ٢٧ - « نه » نهى ونهى وانهاء ونهى ونهاء : الغدران والاخاديد
- ٢٨ - « نئى » نوض وفض نضنا أخرج الماء . نئة . حفرة يجتمع فيها الماء
- ٢٩ - « ترم » ؟
- ٣٠ - « نز » نز الماء نزاً اذا خرج من الارض . نزت الارض تحلب منها الزئ
وصارت منابع
- ٣١ - « هتهت » الهت . الصب
- ٣٢ - « حعت » (والعين حرف متحرك) حوض وحياض وأحواض من
حاض الماء جمعه
- ٣٣ - « حعت » شمع : الحوض القبلي أى النيل الاعلى

- ٣٤ - « حعت محى » الحوض البحري أي النيل الاسفل
- ٣٥ - « حعب » يعبوب
- ٣٦ - « حيب » حبب الماء : جرى وحباب الماء معظمه
- ٣٧ - « حرت » خريص : بحر
- ٣٨ - « نبح » منحاة . مسيل ماتوي من نحي
- ٣٩ - « خنب » . شنب ؟
- ٤٠ - « بحر » . بخر بحر
- ٤١ - « سرف » : زفر . بحر بالقلب
- ٤٢ - « سرم » . شرم : لجة البحر
- ٤٣ - « سخت » ؟
- ٤٤ - « سدف » . ستف وهو متعدي من الفعل دف : طاف طوفاً ومنه الطوفان .
- ٤٥ - « قدنو » . قدن : الكفاية والحسب في اللغتين والمراد منه هنا . كفاية المياه
- ٤٦ - « سمنو » ؟
- ٤٧ - « قبيح » ؟
- ٤٨ - « قز » . غمر وانغار . الماء الكثير معظم البحر
- ٤٩ - « كك » ؟
- ٥٠ - « تونو » ؟
- ٥١ « ات » آتى والجمع أتى كل مجرى ماء (اضاءة . غدير جه أضيأت وأضى) ؟
- ٥٢ « شن » شن : صب . شن الماء على الشراب وعلى الارض انتثر وشانه حرشوان من السوائل كالرحبة . وقيل مدفع الوادي الصغير
- هذا وقد ذكرت بعض الكلمات في الجدول الوارد في قرطاس (أمثتم أبو)

المحفوظ بمتحف لندرة وهو شامل لأسماء الغدران والبحيرات والالبار والبرك الخ لكن لا نرى فيما ذكرناه من أسماء النيل ما يدل على اليم مع أنه ذكر في المصرية والقبطية والعربية بهذا اللفظ وقد نص عليه القرآن في قوله تعالى . قاله في اليم ولا تخافى . وفي قوله فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدوله . والضمير راجع الى سيدنا موسى عليه السلام حين ألقته امه في النيل بعد أن وضعتة في سفظ من البردى

أما ما ورد في الجرائد عن (سيحور) و (شبحور) وغيرهما هي أسماء للنيل فلم أر في نص من النصوص المصرية ما يدل على أنها اسم لهذا النهر فلذلك أقول انه قول مردود مادام لا يوجد في اللغة المصرية نص يؤيد ذلك . هذا ما وفقني الله اليه وربما يتيسر لى فى المستقبل أن أوفى كلامى هذا حقه حتى يكون حجة دامغة انتهى .»

وقد ذكر غير ما قدمناه عن لفظ « نيل » آراء مختلفة نذكرها كآراء لا كحقائق لأن حقيقة اللفظ مازالت سرا لكنها بنت البحث قال بعضهم ان لفظة « نيل » مشتقة من « نى يالو » المصرية ولما كان البشارة ينطقون الراء لاما فلا بد أن تكون الكلمة الأصلية « نى يارو » التى ربما اشتقت منها كلمة نهر وكان لهذه اللفظة مرادفات منها « دى اميرى » أى الفيضان النيل وما زالوا فى الصعيد يقولون « زمن الدميرة » وقد ذكر المؤرخون الأقدمون مثل ديدورو وبلوتارخ وسترابون وبطليموس الفلكى وغيرهم أسماء يونانية مختلفة فقالوا « ايجبتوس — ايتوس — اغاثودمنون — استابوراس — استابوس — استوساباس — استوسايس — خريسورواس — جيون — تريتون — سيريس — الاقيانوس — ينجرس ميلو — ميلاس — ماجناس فلافيوس

وأن البحث فى لفظة النيل أو تاريخه عند قدماء المصريين فقط لتضييق عنه المعاجم ولكن محب البحث لا يجد نصاً فى الرجوع الى لفظة « نيل » فى دوائر المعارف الاوروبية لاسيما دائرة معارف بريتانكا الانجليزية ودائرة المعارف الفرنسية

الكبرى ودائرة المعارف الألمانية غير ما ذكر في هذا المقال من المراجع التاريخية والجغرافية . ونختتم بحثنا في موضوع النيل بكلمة مقتطفة من مقال للاهرام عن عيد النيروز لاختصاصها بالنيل اجمالاً . « قديماً قدس المصريون من أعيادهم السنوية الاحتفال بعيد النيل واليك ما يقوله المؤرخ الانجليزي الكبير (ولكنش في كتاب مصر القديمة جزء أول صحيفة ٢٨٢) .

وكان من أنحر الاعياد السنوية عيد « النيلوا » أو دعوات التبرك بالفيضان الذي يقام للآلهة حامية النيل — وقد قل (هيليدورس) انه كان أحد أعياد المصريين الكبرى وكان يقع عند ما يبلغ الصيف أشده ويأخذ في الزيادة وكانت شدة رغبة المصريين في الفيضان العميم تجلبهم يببالغون في الاحتفال به الى حد غير المعتاد — وأكد (لبانيوس) أنه كان لهذا العيد شأن عظيم عند المصريين الى درجة أنهم كانوا يعتقدون أنه اذا لم يتم ذو الشأن باقامة الاحتفالات اللائقة به في حينها فان النيل يمتنع عن الزيادة ولا يغمر الماء الاراضى — وكانت هذه العقيدة المتأصلة عن تأثير الاحتفالات في الفيضان تحملهم على اقامتها كل عام بدرجة هائلة فقد كانت النساء والرجال في جميع القطر يجتمعون في أقاليمهم و يقيمون الاعياد وتختلط جميع الملاحى المعروفة بوقار العيد المقدس وكانت موسيقاهم والرقص والاغاني الخصبية تنبى بمقدار احترامهم لآلهة النيل وكانت القسس تحمل تمثالا خشبياً لتلك الآلهة ويسرون في القرى باحتفال شيق ليباركوا الناس ويستمتطروا بركاته التي سيهمهم اياها .

ولا عجب ولا غرابة اذا قدس المصريون نيلهم المبارك واحتفلوا بزيادته من غابر الازمان وماضى الايام فهو أصل حياتهم . ولقد ألهوا هذا البحر العذب الذي يفيض على بلادهم تبرا ويملاً أرجاءها طيباً ونداً .

فعلماء علم تكوين الارض وطبقاتها حققوا قول « هيرودوت » — أن مصر هبة النيل — فالوجه البحرى بأجمعه بل ان جزءاً عظيماً في الوجه القبلى من تربته الذهبية السودانية ومن فيضه العميم في وقت معلوم لا يتغير وان تأخر أو نقص

فيضه كان البلاء بل كان الويل العظيم على من بمصر من عالم الأحياء . وصدفيات البحر المالح وقواقعه وغير ذلك من مخلفاته لاتزال بجانب الاهرام وبصعيد مصر تؤيد انتصار هذا النهر الخضم وهذا المعبود المصري القديم على الماء الأجاج والبحر المتلاطم بالأمواج . بحر - راقودة - اوسكندرية الفيحاء . والهرما - بور سعيد - الغناء حتى لقد جعل المصريون عيد أول سنتهم مطابقا للوقت الذي يصل فيه النيل الى أعلاه . وأيد ذلك ماجاء على لسان ملك الوجه القبلي وكان ملكا للنوبة بصنخي حينما غزا فرعون مصر البحرية توحيدا للتاجين وتقوية لدعائم الملك المصري فقال .

« أقسم بحياتي وبما يحمله قلبي من الحب والخشوع للاله - رع - وبما أسد له على الأب - آمون - من العطف والشرف لأذهبن بنفسي وآنزان النيل الى أرض - تونخت - وأقوص أركان ملكه وأقيم بنفسى الاحتفال بالسنة الجديدة وأقدم الهدايا للأب - آمون - وأجعله يظهر بمظهره القدسي في عيده الجميل في معبد الجنوب - معبد لقصر - في ليلة أول السنة في طيبة - عبت - ويتبوا عرشه القدسي في معبده في هذا اليوم الذي يوافق اليوم الثاني من الشهر الثالث من أشهر الصيف وبومئذ أقول بأنني سأجعل أرض الشمال تحس بضغط أصابع يدي »

فمن هذا يتبين لنا أن أول السنة المصرية القديمة كان يوافق أوائل الشهر الثالث من أشهر الصيف وأول سنتنا الزراعية - القبطية - تقع أيضا في هذا الوقت من فصل الصيف وتبلغ زيادة النيل قوتها المعتادة فلا عجب اذا دعاخواننا الاقباط أول يوم في توت « بعيد النيروز » الذي معناه عيد السنة الجديدة .



الفصل السادس عشر

دار الآثار المصرية

ظلت الآثار المصرية مشتتة في بقاع لا تحصى من وادي النيل لا يعنى بغير ما يجده من النفيس فيها أحد ولم يهتم بحكام مصر بها حتى أواخر أيام محمد علي الكبير الذي فتح مصر للأوروبيين فنشطت تجارة العاديات لاسيما بواسطة قناصل الدول الذين لم يفتروا عن تبديدها وارسالها الى بلادهم فتفرقت الآثار أيدي سبا وكانت بعثة نابليون لمصر قد جمعت من وادي النيل ذخيرة قيمة في أبحاثها ولكن الانجليز باحتلالهم الاسكندرية استولوا على تلك الكنوز التي جمعتها البعثة وفيها حجر الرشيد المشهور وفي عام ١٨٢٧ أرسلت الحكومة الفرنسية بعثة يرأسها شامبليون الفرنسي مكتشف الابجدية الهيروغليفية وروزيليني الأثري الإيطالي فبذلت هذه البعثة جهداً كبيراً وعملت أعمالاً هامة لاسيما في نقل المناظر والكتابات الكثيرة من النقوش . وفي عام ١٨٣٠ عرض شمبليون على محمد علي انشاء مصلحة خاصة بالآثار المصرية ولكن قناصل الدول الذين وجدوا في مشروع شمبليون العظيم كساداً لتجارتهم حرضوا الوالي الكبير محمد علي فلم ينفذ المشروع ولو أن النصيحة أثرت في نفسه حتى أمر بعد ذلك بخمس سنوات بمنع تصدير الآثار الى خارج القطر والتي امتلأت بها متاحف العالم وقصور العظماء وفي شهر اغسطس عام ١٨٣٥ انشأ مصلحة للآثار لتعمل على حفظها والبحث عنها ولكنها لم تنتظم الا عام ١٨٤٩ اذ أمرت وزارة المعارف لينان بك أن يعمل فهرساً للآثار ويجمعها في مكان واحد ولكن هيئات أن يمنع ذلك دون اختطافها وسرقتها وتبديدها حتى انه وليعجب القاريء ما شاء حينما نقلت الآثار الى القلعة بعد تلك المجهودات وانشاء مصلحة خاصة بها لم تملأ الا غرفة واحدة

وفي عام ١٨٥٠ أتى الى مصر العالم الأثري الفرنسي المشهور المسيو مرييت « مريت باشا فيما بعد » المتوفي عام ١٨٨١ الذي أرسلته الحكومة الفرنسية لشراء

مخطوطات قبطية من وادي النيل ولكنه لشغفه بعالم الآثار ودراستها عكف على درس آثار سقارة حتى اكتشف بها السرايوم المشهور أو مدفن العجل ايس الذي خلده ذكر مارييت في عالم الآثار ولم تكن له علاقة بمصلحة الآثار المصرية وقتئذ ولكنه ساعدها كثيرا حتى زادت الآثار في عام ١٨٥٤ زيادة كبيرة ولكن لسوء حظه وحظ مصر زار مصر عام ١٨٥٥ الارشيدوق مكسمليان النمساوي فسأل عباس باشا الأول أن يهديه شيئا من العاديات والآثار المصرية فسمح له الباشا بأن يجمع ويأخذ ما شاء من القلعة وهكذا في لحظة صغيرة انتقلت أنفس الآثار الى فيينا

أما المسيو مرييت خدام مصر الأمين فظل منهمكا في الآثار وتوسط المسيو ديابس عند الخديوي سعيد باشا فجعل مارييت منذ يولييه ١٨٥٨ مأمورا لأعمال العاديات بمصر ومنذ ذلك الحين عكف مارييت على البحث والتنقيب طول نهاره بين الأطلال وسعى في تنظيم الآثار على قلة المال الذي كان يستمده لمشروعه العظيم ثم سمح له سعيد باشا بنقل الآثار الى مخازن في بولاق أعدت لها ومات سعيد باشا فيئس مرييت من نجاح مشروعه ولكن كان اسماعيل باشا اكبر من عضده وفي عام ١٨٧٨ فاض النيل وكاد يغرق مخزن الآثار ببلاق وما فيه ولكن مارييت حفظها في صناديق وبذل وسعه في اتقاذها ومات مرييت تاركا وراءه بجده ومشاربته متحفا مصريا من أعظم متاحف العالم

وفي عام ١٨٩١ نقلت دار الآثار الى الجزيرة وفي عام ١٩٠٢ نقلت الى مكانها الحالي وخلف المسيو مرييت المسيو ماسبرو وخلف الأخير بعد خمس سنين المسيو جريبو ثم المسيو مورجان ثم أخذ المسيو جاستون ماسبرو على عاتقه العمل ثانية ولما مات أوصى بأن لا تفتح وصيته التاريخية الا بعد ثلاثين عاما من موته وقد أول الناس ذلك لفكرة سياسية وقيل بل هو لا يرغب في أن تحتك أسرار المدينة المصرية بالمدينة الحديثة وسنعرف الحقيقة بعد مرور المدة وكان المرحوم المسيو

ماسبرو عالماً بالآثار محبوباً وله مؤلفات مشهورة وترجمات من الميرغليفيه الى الفرنسية مأثورة

ويرى الناظر الى دارالآثار الحالية بناء فخارائعا تكلف تشييده أكثر من مائتي ألف جنيه حتى اذا ما دخل الى قاعاته رأى كنوزا لا تقدر بمال وتعلم من تلك الغرف المكنظة في الطابقين شيئا هاما عن المدينة المصرية القديمة التي ترجع الى أعماق الأجيال والعصور . هنا يقف الزائر بين بقايا آلاف السنين فيرى أمامه جثث الفراعنة العظام باقية في حنوطها ولم تبل ويقف أمام التماثيل المملوءة بالأسرار ويشاهد عادات وأعمال وفنون وصنائع أولئك القوم الغابرين

وفي هذه الدار المصرية مازالت جثث عظيمة محفوظة مثل موميات الفراعنة (أمنحتب الأول وتحتمس الرابع وأمنحتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني ومنفتاح وسيتي الثاني ورمسيس الثالث) ويمر بموميات الأمراء والعظماء ويقف أمام تماثيل الأسر الرابعة والخامسة والسادسة ويمر بشيخ البلد الخشبي الجميل وزوجه وكتابات أونا وتمثال خفرع باني الهرم الثاني وقبر حور وحتب وأبي الهول وآثار تانيس وآثار بعنخي وملوك النوبة وتمثال امانارتا ولوحة سقارة ورسائل تل العمارنة المشهورة وأوراق البردي المتضمنة حكم آني وأوراق الفيوم البردية وما في حجرة البردي وجواهر الملكة عاحتب وجواهر دهشور ومحتويات مقبرة تيوا ووالدي الملكة تي التي اكتشفها المستر دافيس عام ١٩٠٥ وفيها العربة الذهبية وبقرة حاتور التي اكتشفها بالدير البحري عام ١٩٠٦ الاستاذ نافيل وغيرها من أنفس العاديات وهل يسع هذا الكتاب قائمة لما فيها من أجمل الآثار .



الفصل السابع عشر

بين أحداث سقارة وآثارها

ما الحياة إلا رحلة طويلة يلقي فيها المرء فرحاً وترحاً وكرهاً ومرحاً حتى تؤدي به خاتمة المطاف الى ظلمة اللحد وهناك تهدأ الروح وتتمزى بذكريات تلك المرحلة التي اجتازتها مع الجسد لاسيما تذكارات الايام الحلوة التي قضتها في السعادة ، وما أحلى أيام الانسان سوى تلك التي يقضيها ناعماً برؤية الغرائب والعجائب متجولاً بين التذكارات والآثار هناك مع صحائف السنين الدارسة بعيداً عن ضجيج المدن وزوابع المادة . حججنا الى سقارة الفنية باطلاها وذكريات الاجيال فوصل القطار من القاهرة الى البدرشين ومنها سرنا أكثر من ساعتين ونصف الى سقارة ومررنا بتلك العاصمة القديمة « ممفيس » التي مر عليها عصر كانت فيه من أكبر المدن وأكثرها سكاناً وآثاراً . . . منف العظيمة أمست اليوم مغطاة بكفن من خضرة النخيل واكوام التراب . وقد سرنا في سبيل قامت على حراسة أشجار النخيل الباسقة فأكسبته جمالاً وجلالاً وهناك بالقرب قرية « ميت رهينا » رأينا تمثالاً رمسيس الثاني الفاتح المشهور - التمثالين العظيمين الممثلين للعظمة الفرعونية والفنية أحدهما وأولهما اكتشف قبل ثانيهما واستلقى كل منهما على ظهره بعد أن تعب من القيام عدة عصور وترك أولهما ملتحفاً بالسما يتطلع اليها بعيون ملؤها الطلاس . ونام ثانيهما في عشة خشبية تقيه لفحة الرمضاء أما طوله ف ٤٥ قدماً وله ساق مكسورة وأما عن بداعة صنعه ودقة نحته وعظم حجمه والابتسامة التي تبدو جليلة فوق وجهه فكل ذلك يحتاج وصفاً دقيقاً غير مجمل وقد اكتشفه عام ١٨٢٠ (سلوان وكافيجليا) وأريد نصبه في فناء محطة القاهرة ليستقبل الزائر بعظمة مصرية رائعة فعارض بعضهم بحجة تكاليف نقله ولكن هل يأتي وقت نراه قائماً امامنا في أكبر ميادين القاهرة ليندكر الناس بزمن عجيب . وسرنا من (ميت رهينا) الى قرية سقارة وبعدها يتبدى السير في الصحراء وهضابه وئمة تصادف المقابر العتيقة منتشرة في

مسافة طولها ١٥ ميلا وعرضها ٣٠٠ قدم وقد فتحت تلك المقابر مرات عديدة . واسترحنا هناك من نصب التجوال بين الآثار في ذلك البيت الخشبي الصغير الذى بناه (ريت) حينما كان يجد فى البحث عن الآثار فى تلك الأنحاء وبعد برهة سرنا الى (السرايوم) أو مدفن العجول المقدسة (أيس) وقد رأينا على نور المصباح فى ذلك الكهف الهائل تلك المقابر الرهيبة المودعة بطن الأرض ويحتاج وصف السرايوم . وتاريخه الى تاريخ مستقل وخرجنا من السرايوم الذى تضل فيه الظنون سبل النجاة لولا المرشدون وسرنا الى مصطبة (تى) التى يرجع تاريخها الى الأسرة الرابعة منذ ٤٥٠٠ سنة وكل البناء مدفون تحت الأرض ومع مرور الأجيال حفظت جدرانها تلك النقوش الجميلة التى زينت بها جدرانها وتلك الصور الغريبة التى ما زال بعضها دلوفاً ويمكن المرء أن يستدل منها فقط على مجد كبير من تاريخ قدماء المصريين وعاداتهم لكثرة النقوش الفنية بالأوصاف وقد اكتشف مستر مورجان عام ١٨٩٣ ، مقبرة ميرا وتحتوى على ٣١ غرفة فيها تمثال ميرا وتاريخه يرجع الى ٢٥٠٠ ق . م وهنا يطل على كل تلك الآثار المنتشرة فى سقارة هرم زوسر المدرج ، وؤسس الأسرة الثالثة وهو فاتحة الاهرامات وهناك هرم أوناس المشهور بنى عام ٢٦٠٠ ق . م وثمة اهرامات عديدة متفرقة أهمها اهرام ببي الاول ٢٥٣٠ ق . م



الفصل الثامن عشر

بين آثار الصعيد

فلنبداً بالفيوم التي تعني (اليم) أى الماء فكم مثلت على مسرحها روايات مشهورة وكان اليونان يسمونها « كروكوديلوبوليس » أى مسبح التماسيح التي كانت تعبد في تلك الأنحاء وأقرب عهد لها في أيام بطليموس الثانى اذ كانت تعد عاصمة القطر وانحج الى بركة قارون التي كانت يوماً من الايام الغابرة مخزناً للمياه في بحيرة مورييس وتستمد مياهها من بحر يوسف وقد اكتشف الاستاذ فلندرس بيترى خارج مدينة الفيوم عمود هواره وبجواره بقايا قصر اللايرنت ثم سرنا الى آثار الصعيد حتى اذا ما قطع بنا البخار ٥٨٥ ميلاً من القاهرة وقف عند اسوان الجليلة قبيل الجنادل والخرزان على يمين النيل تطل على المنطقة الحارة والمعتدلة الشمالية المشهورة منذ القدم بحزيرتها (الفنتين) وأنس الوجود الجميل وما ألد الشعور بالنسبات الجافة الصيفية أبان زهرير الشتاء وبرده في الشمال فلا يرى سكان اسوان غير سماء زرقاء صافية قلما يغشاها سحب جهام ومن أندر الصدف لديهم أن تمطرهم السماء رذاذاً وهكذا انتقلنا من الشتاء الى الصيف في اقل من عشرين ساعة وفي صباح اليوم التالى كانت سفن النيل تعبر بنا نيل اسوان الى جزيرة (الفنتين) المشهورة ومررنا بحمامات كليوباترا وهناك على شاطئ الجزيرة الصغيرة صعدنا في سبيل أدى بنا الى متحف اسوان الصغير وهناك رأينا آثار قدماء المصريين قبل التاريخ وقبل ان يعرف ميناء وبجواره مقياس النيل الذى استخدمه قدماء المصريين منذ آلاف من السنين

ثم سارت بنا السفن ثانياً الى الجبل فصعدنا ثم صعدنا ومررنا بمقابر قدماء اشراف مصر وسلم استعمالود في اصعاد التوايت من النيل الى الجبل وأدى بنا سبيل الصعود الى قبة الهواء ثم واصلنا السير بين المهامه والصحارى والتلال والصخور بعالمها الجيولوجى العجيب حتى وصلنا الى جبل تحق وصعدنا بجوار قرية صغيرة ومررنا بدير

سمعنا وسرنا في الصحراء الى مسلة قطعت من الجوانب الثلاثة ثم تركت ملتصقة بالارض وبعد ذلك عدنا ولسان حال كل منا يقول معي :

اسوان يا بلد المهابة والسكو ن مرفرف في جوها المعطار
أسوان يا بلد الجلال تحفها تلك المباخر عطرها سحر
قد أتينا اليوم نبقى لثمنها ان اللحد طلاس الأحرار

في اليوم التالي شق بنا المركب البخارى عباب النيل الزاهى باجل حمله وازهى سرايله في تلك الانحاء الرائعة الجمال والرونق ومررنا من هاويس الخزان - خزان اسوان المشهور الذى وضع تصحيده السبر ولیم ولككس وبدء مشروعه عام ١٨١٠ ووضع الخديوى اول حجر فى اساسه في ١٢ فبراير عام ١٨٩٩ وفتح في ديسمبر عام ١٩٠٢ وطوله نحو كيلو مترين

وسارت بنا السفن بعد الخزان الى أن وصلنا الى معبد فيلة - ورأينا قصر انس الوجود المشهور مازال رافعا رأسه رغم ماغرته المياه بعد الخزان. هناك مآسة فيلة الجميلة التى غلبتها مياه النيل منذ عهد قريب وأنس الوجود المنفرد وسط مياه النيل تسكنه أرواح الآلهة المقدسة ويذكر المار بعهد البطالسة المجيد الذى انتعشت فيه البلاد

وسافرنا الى كوم امبو حيث حججنا بمعبدها الجميل - معبد امبوس الذى بناه البطالسة وما زال حافظا لروقه وعظمته جالسا يطل على النيل من مرتفعه المهيبة ثم سرنا الى لقعر مدينة الأحلام والغرائب وزرنا وادى الملوك حيث انتشرت مقابر الملوك المصريين وفراعنتهم وزرنا مقبرة رمسيس التاسع بدهاليزها المدهشة ثم مقبرة توت عنخ آمون الذى قام العالم لاكتشافها الحديث وقعد ثم مقبرة رمسيس السادس وتضارع باقى القبور جمالا فى النقوش التى غطيت بها جدران الدهاليز والغرف غير ان سقفها يحير الرائي ثم الى مقبرة امنوفيس الثاني التى اكتشفها لوردية الفرنسى وهى كسابقتها منقوشة بالألوان الزاهية كأنها قد صنعت بالأمس . ثم الى مقبرة رمسيس الثالث ثم الى مقبرة سيتي الاول ويمتاز

بنقوشه البارزة لا المحفورة . وقد اكتفينا بعد ساعات طوال برؤية هذا القليل الذى يستدعى وصفه مجلدات ضخمة ومن لنا بمن يفسر ما كتب على جدران المقابر وسقوفها ورأينا معبد الدير البحرى بعد ذلك وقد بنته حتشبسوت وسمي بالدير البحرى لأن الاقباط اتخذوه فى القديم ديرا وفى داخل المعبد نقوش وصور ملونة ورموز مما لا حصر لها

ثم سرنا الى الرمسيوم الذى بناه رمسيس الاكبر وثمة مساكن للقسس والأسرى ومعبد رمسيس الهائل بأعمدته الكبيرة منقوشة بالرموز وكذلك جدرانها وفيه محل العيد والدهليز ذو الاربعة عشر عمودا المشهورة وهناك أحجار كثيرة متكسرة وتمائيل عديدة لرمسيس الثانى وتمثال كبير يعدا كبر تمثال له اذ كان وزنه يقرب من الف طن وقد كسره الفرس فى غزواتهم المعروفة ومازال منه جزء هائل دلت على بجوار المعبد وقد شرح العلامة ويجال فى كتابه بالانجليزية المشهورة (الدليل الى الآثار المصرية) رموز الرمسيوم وأن من يصحب فى رحلته هذه مثل هذا الدليل القيم لتضاعف الفائدة التى يجنيها من دراسة الآثار . وسرنا بعدها الى مقبرة حتشبسوت ولعلها أجمل المقابر لبداعة نقوشها وجمال زخرفها وألوانها ثم الى مقبرة الامير آمون كوبيشنو بن رمسيس الثالث وهى بديعة النقوش والالوان أيضا ثم الى قبر الأمير خامواش بن رمسيس الثالث وهذه المقابر التى زرتها أهم من باقى المقابر المنتشرة فى ربوع وادى الملوك وسرنا الى معبد مدينة أبو الواسع الفسيح ذى التماثيل الهائلة والجدران الضخمة المهيبة والقاعات الممتلئة بالنقوش والرموز والكتابة . وقبل أن تغرب الشمس أوصلتنا الحمير الى تمثال ممون القائم بين الحقول وهى من تلك الآثار الهائلة التى خلفها آمنوفيس الثالث منذ خمسة عشر قرنا قبل الميلاد اذ كان ولوعا بتشييد المباني فى أنحاء البلاد وهو مؤسس معبد لقصر وزاد فى معبد الكرنك ووصل بينهما بحديقة جميلة أنشأ فيها طريقا صفا على جانبيه تماثيل أبى الهول وهو المعروف بطريق الكباش كما تقدم وهو صاحب الدهليز ذى الاربعة عشر عمودا . وفى اليوم التالى سرنا الى الكرنك - الكرنك

الفتى بآثاره وأطلاله — الكرنك الذي تضعه مصر جوهرة لا تقدر قيمتها في تاج مجدها واجتازنا طريق الكباش ثم بوابة بطليموس الثالث من الأسرة الثالثة والثلاثين وهي جديدة للغاية ونقوشها واضحة وأمامها معبد رمسيس الثالث وقد زينته الرابع ثم إلى صالة العبادة ثم قدس الاقداس الذي بناه امنحتب الثاني ثم معبد خونسو معبود القمر ثم إلى حجرة إله التناسل ثم غرفة المعبود آمون رع وإلى معبد اوزيريس ومعبد إله جاموسة البحر الذي بناه بطليموس التاسع وتركنا معبد القمر الكبير إلى معبد الشمس وسرنا في خرائب الكرنك المزدهجة بالآثار والمكتنزة بتهاويل الفخار والمجد والعظمة والعبقرية الفنية وسرنا إلى طريق الكباش المشهور ثم إلى معبد آمون رع ثم إلى البهو الكبير ذات الأعمدة العالية الهائلة وعددها ١٣٤ عموداً وطول العمود في الصف الامامي ٦٠ قدماً ومحيطه نحو ١٥ متراً وهنا تختلط آثار البطالسة مع آثار الفراعنة . ورأينا مسلة أخرى كبيرة ملوالت حافظة لروتقها وزرنا معبد اقصر الذي يقع بجوار النيل وفيه عدة تماثيل لم يزل معظمها جديداً . ثم رأينا ورأينا من العجائب مالا يعد ولا يحصى .

الفصل التاسع عشر

بين الآثار المصرية في أوروبا

يعلم القارئ أن في متاحف أوروبا آثاراً مصرية لا تقدر بمال وقد زار متاحف النمسا والمانيا الاستاذ سليم افندي حسن فنشر في الصحف عدة مقالات مفيدة عن هذه المتاحف ولما كان من الفائدة اثباتها ومن الصعب اثباتها جميعها لضيق المقام رأينا أن ننقل أحد هذه المقالات عن متحف المانيا وحده قال :

بعد أن أنجزت مهمتي في فيينا غادرتها في اليوم السادس عشر من شهر يولييه عام ١٩٢٢ ميمماً برلين فخلقتها في السابع عشر بعد سفر ٢١ ساعة . وفي صباح اليوم التاسع عشر وليت وجهي شطر المتحف الخاص بالآثار المصرية القديمة ويدعى

عند الالمان بالمتحف الجديد غير أن ظاهره وباطنه لا يدلان على انه جديد
دفعت ثلاثة مركبات ثمن تذكرة الدخول ثم سألت أحد الحراس عن حجرة
الاستاذ شيفر المديو العام للمتحف فأرشدني اليها . ولما سمح لي بالدخول سلمته
خطابا كان قد أعطانيه الدكتور ينكر الأثري النمسي وقد عرفه الأستاذ شيفر
أنه من الاستاذ المذكور قبل أن يفض غلافه . ولما عرف أنني الأمين المساعد
بالمتحف المصري ابتدأ يخاطبني بالعريية وهو يحسنها بالقياس على غيره من
الاوروبيين .

وأخذ يسألني عن أحوال المتحف المصري وعن صحة الاستاذ الاكبر احمد
بك كمال وبعد قليل قرع الجرس فحضر مساعداوهما الدكتور انكنك والهرولف
وقدمني لهما ثم أوصاهما بان يرافقاني في المتحف مدة اقامتي في برلين ويوقفاني
على كل دقائق المتحف وخباياه فشكرت له تلك العناية . ولقد كان من اكبر
سعودي أن أعرف هذين الفاضلين لانهما بذلا كل مجهود في خدمتي وقد أوقفتهما
على غرضي من رحلتي من باديء الأمر . وهو (١) درس المتاحف الاوروبية درسا
علميا (٢) أخذ صور فوتوغرافية وألواح الفانوس السحري لكل القطع التي لا توجد
في متحفنا (٣) التعرف بالعلماء الذين يشتغلون بهذا الفن . ولما عرف الهرولف
قصدي أخذ يبذل كل ما في وسعه لمساعدتي

وكان أول من قدمت له من هؤلاء النبغاء الاستاذ ارمن اكبر استاذ في
اللغة المصرية في العالم قاطبة . وكان من حسن حظي انه القي في اليوم الذي قدمت
له فيه محاضرة على اصائح امينمجمع لابنه اسرتش ثم تفسير حجر بني اسرائيل
وقد استمرت محاضراته ساعتين ونصف ساعة وفي اليوم التالي لمقابلتي لهذا الاستاذ
قابلت الدكتور برخارد المستشرق العظيم وتكلمت معه طويلا . .

كيف درست متحف برلين .

اتفق معي مساعد المتحف ومساعدته على أن أدرس كل يوم جزءا صغيرا
باتقان حتى يمكنني أن أقف على كل دقائقه . وكان من أعظم أغراضى درس

ترتيب المتحف وقد نجحت في معرفته تماما واليك شيئا وجيزا عن ترتيب هذا المتحف ونظامه .

يمتاز متحف برلين عن باقي متاحف اوروبا بشيئين (أولا) انه مرتب ترتيبا تاريخيا منطقيا بحسب عصور التاريخ اذ ترى فيه جميع الآثار التي وجدت قبل الاسرات في مكان خاص ثم آثار الدولة القديمة فآثار الدولة الوسطى فآثار الدولة الحديثة فآثار العصر الصاوي فآثار عصر البطالسة فآثار الرومان ثم آثار العصر القبطي . وهذا العصر الأخير في رأى الألمان تبتدىء آثاره من القرن الثالث من التاريخ الميلادي .

ولما كانت آثار تل العمارنة كثيرة جدا عندهم أفردوا لها هي وما عندهم من أوراق البردي الطبقة الثانية من البناء

والميزة الثانية لمتحف برلين انهم وضعوا معظم الآثار التي وجدوها على ترتيبها الذي كانت عليه في مواضعها القديمة فتجد التابوت مثلا موضوعا وحوله كل الآثار التي كانت معه في القبر مرتبة حسب مواضعها الطبيعية فالمتفرج يستفيد من هذا الترتيب فثنتين احدهما معرفة الآثار نفسها والثانية كيف كان ترتيبها الأصلي . هذا ما فعله رجال متحف برلين وقد زادوا على ذلك أنهم جعلوا بعض حجر المتحف على شكل معابد مصرية فيجد الزائر وكأنه في معبد مصري محتفظ بنقوشه وهيئته بل وبيع بعض تماثيله الضخمة (التي نقلت من مصر) مما يبهز الألباب ويقضي بالعجب العجيب ولقد تغالى الالمان في نقل الآثار المصرية الى بلادهم حتى انهم نقلوا بعض مقابر بأكملها ووضعوها في متحفهم وغرفهم من ذلك تمثيل الحقيقة أمام الالماني الذي لا يمكنه أن يتحمل مشاق السفر الى البلاد المصرية ومن أهم هذه المقابر مقبرة الأمير آب (بن الملك خوفو) من الأسرة الرابعة (أى ٢٧٠٠ ق . م) وكذلك حجرة قرايين متين وهو من كبار عمال سنفرو أحد ملوك الأسرة الرابعة ويرى المتفرج في هذه الحجرة صورة المتوفي وأسماء الوظائف التي تقلدها وقد أخذت هذه المقبرة من بلدة أبي صير (بحرى سقارة)

ولما لم يكن في مقدورهم نقل الآثار الضخمة العظيمة اكتفوا بعمل نماذج لها من الجبس أو الحجر حتى يتمكن الطالب الألماني من درس تاريخ مصر دراساً علمياً اذ يرى المتفرج في متحفهم نموذجاً للهرم الأكبر وقد أعجبني كثيراً نموذجاً صنعه الأستاذ برخارد لقبر اسحورح وهرمه (من الأسرة السادسة ٢٧٠٠ ق. م) وهذا الهرم قائم الآن في أبي صير بحري قرية سقارة . غير أن عالم المعبد الذي كان مجاوراً له قد زالت واليك وصف هذا النموذج بتبديء المقبرة بطريقة مستوفىة توصل الى معبد الملك الذي يتوصل اليه بقاعة سماوية بغير عمد ثم يلي ذلك هرم الملك وعلى يساره هرم الملكة وفي هذه البلدة (أبو صير قام الألمان بحفائر من ١٩٠٧ - ٨) وقد صنع الألمان نماذج غير ذلك كثيرة لا توجد في أى متحف من متاحف العالم .

كيف أسس متحف برلين ووصف بعض آثاره :

متحف برلين كغيره من متاحف اوروبا وليد القرن التاسع عشر ذلك العهد الذي اهتم فيه علماء الغرب بحل رموز اللغة المصرية القديمة ولا غرابة فانه منذ كشف شمبليون أسرار هذه اللغة أخذ الاهتمام بجمع الآثار المصرية القديمة بعظم وتسابق العلماء والتجار في ذلك الميدان وقد كان أسبق الناس الى ذلك وأوفرهم حظاً في ذلك العهد سفراء الدول الأوروبية في مصر . اذ كانوا يستعملون نفوذهم السياسي في ذلك . وكان المنفور له محمد علي باشا بطبيعة مركزه السياسي في تلك المدة مضطراً الى التساهل مع هؤلاء الساسة (التجار) فكانوا يعملون الحفائر في كل أنحاء القطر ويستخرجون منها الكنوز المصرية ويكونون منها مجاميع ترسل اما هدايا لملوكهم أو تباع بأثمان باهظة لعشاق هذا الفن . وبهذه الطريقة أسست المتاحف المصرية القائمة الآن في كل ممالك اوروبا على أن الملوك أنفسهم كانوا شغوفين بجمع الآثار قبل حل رموز اللغة المصرية القديمة وكان من أسبقهم الى ذلك البيت الملكي في بروسيا فانه اشترى بعض الآثار المصرية القديمة من ايطاليا وهذه الآثار تعرف في المانيا بمجموعة (بلوري) نسبة الى جامعها فكانت هيذه

المجموعة الأساس الذي تكون منه متحف برلين

وفي خلال القرن التاسع عشر أهدى نفر من الامراء كالكنت (برتالي) والكنت (ساك) بعض الآثار المصرية القديمة للبيت الملكي

ولما أرادت حكومة بروسيا تأسيس متحف للعاديات القديمة عامة عازمت على أن تخصص جزءا منه بالآثار المصرية ولهذا السبب أخذت تهتم بشراء الآثار المصرية . بنفسها فاشترت مجموعة القائد (منتولي) سنة ١٨٢٣ (وهو الذي فتح باب الهرم المدرج بسقارة) غير أن نصف هذه المجموعة قد ضاع غرقا عند منصب نهر الالب اذ غرقت السفينة التي كانت تحمل هذه الآثار ولم يفتل الا نصفها فقط . ومما هو جدير بالذكر أن هذه المجموعة كانت تحتوي على ٥٠ ورقة بردي وفي عام ١٨٢٨ اشترت الحكومة مجموعة (بزل كفا) أحد أبناء تريستا وكان الاسكندر هميلدتا كبير علماء هذا العصر قد نصح الحكومة البروسية أن تشتري هذه المجموعة وهي نتيجة حفائره في طيبة ومنف . وتحتوي على تابوت منتحط وصندوق زينة الملكة زوجته وكذلك تحتوي على لوحات مائنة كبيرة الفائدة من الدولة الحديثة على أن أهم هذه المجموعة هو تابوت منتحط أحد ملوك أواخر الاسرة الثانية عشرة وجده بزل كفا في حفيرته التي قام بها في طيبة وقد نقله بجميع ما وجد معه في القبر وهو الآن معروض في متحف برلين كما وجد . اذ تربي التابوت وحواليه كل ما كان يلزم الميت في آخرته من طعام وشراب وملبس وأدوات منزلية وآلات الزراعة وآلات الكتابة والحيوانات وغير ذلك مصنوعة بصور مصغرة وهذا الترتيب ليس له نظير في كل متاحف العالم (الا متحف هلد هيم)

وفي عام ١٨٣٧ باع درقتي معتمد فرنسا السياسي في الاسكندرية لملك بروسيا مجموعة ثمينة جدا منها تمثالان عظيمان جدا colossi أحدهما للملك اسرتسن الأول وثانيهما رمسيس الثاني وهذان التمثالان ليس لهما نظير في متاحف العالم من حيث دقة الصنع والضخامة . وقد كان منفتح نقش اسمه عليها كما كانت عادة أبيه من قبله . وكذلك تحتوي هذه المجموعة على ستة توابيت عظيمة لامراء وقساوسة مصريين

وفي خلال هذه المدة (١٨٣١) أهدى النستاسى المعتمد السويدي وصاحب
المجاميع العظيمة تابوت (بهندتر) رئيس قساوسة منف من الأسرة التاسعة
عشر الى ولى عهد بروسيا (فردريك وليم الرابع فيما بعد) فأهداه هذا المتحف
البروسى . وفي عام ١٨٣٩ اشترت الحكومة آثارا من الميسو سولنيه وهى تشتمل
على أحسن توابيت وأحسن تماثيل من الدولة الحديثة منها تمثال (فتاح ماي)
قسيس الالهة حوت . يرى المتفرج تمثال (فتاح ماي) جالسا وعلى يمينه زوجته
(تويا) وعلى يساره أخته وواقف بينه وبين زوجته بنته الصغيرة وبينه وبين
أخته ابنه الصغير وهذا التمثال من أحسن ما صنع قدماء المصريين

ومن هذه المجاميع ومن مجموعتين أخريين احدهما اشترت من برشلى
والثانية من كولر وكيل معتمد النمسا السياسى (١٨٢٨) تكون المتحف الأول
للدولة الروسية وعرض رسميا في قصر مونبيجو . ومن هذا الوقت أخذ القوم
يهرعون لزيارته وابتدأت دراسة اللغة المصرية تأخذ مكانا مرضيا في هذه البلاد
(الى هذا الوقت لم يكن قد انشئ في مصر متحف خاص بعادياتها) أراد
فردريك الرابع بعد فتح المتحف أن يزيد فيه من الآثار المصرية وقد كان اهتمامه
بذلك عظيما جدا فإرسل عام ١٨٤٢ بعثة علمية الى الديار المصرية برئاسة العالم العظيم
والاثرى الكبير لبيسيوس lepsiوس للقيام بحفريات وقد مكثت في البحث
والتنقيب الى عام ١٨٤٥ والآثار التي عثرت عليها هذه البعثة لها أهمية كبرى
في التاريخ المصري القديم وفي الآلة نفسها ومن أهمها أربعة تماثيل للملكة
حتشبسوت اكبر ملكة حكمت مصر . اثنان منها بجسم سبع ورأس الملكة
ممثلة بهيئة رجل اذ كان من عاداتها الظهور بشكل رجل والثالث يمثلها جالسة
على عرش الملك متوجهة بشكل علامة الملكية . والرابع رأسها بدون جسم
(ومما يؤسف له انه ليس في المتحف المصرى تمثال جميل كهذه التماثيل لحتشبسوت)
ومن الآثار التي جلبتها هذه البعثة أيضا باب وحجرة من الحجر الجيري الابيض
أخذوا من داخل هرم الملك زوسر بستارة والباب عرضه ٨٠ سم وطوله ٢ م وهو

منقوش بنقوش عجيبة جدا في بابها منظم نظاما بديعا على صفوف متوازية مقسمة أقساما كل منها على هيئة الهرميسل وكل صف مفصول عن الآخر بنخرامين مشدودي الطرفين . والجميع مطلي بطلاء يشبه الزجاج القديم . وأهمية هذا الباب والحجرة عظيم جدا إذ يظهر أن كيف كان تقدم الصناعة عندهم في الاسرة الثالثة

ومن الآثار التي احضرها لبيسيوس جانبي مقبرة من الجير الابيض مرسوم باعلاهما جميع الاطعمة وأسمائها باللغة المصرية القديمة وفي أسفلها منقوش جميع الحيوانات الوحشية والبرية والطيور التي كانت تقدم قربانا الى (منفر) صاحب المقبرة وهو احد أمراء الاسرة الخامسة وكان يشغل مناصب عالية في عهد الملك اسيس (٢٦٠٠ ق م) . وأهمية هذه اللوحة أن نقوشها تبين حقيقة صور الحيوانات والطيور مقرونة بأسمائها مما يسهل على القارئ معرفة أنواعها بدون عناء وهذا الرسم فريد في بابه

ولما عادت بعثة لبيسيوس من الديار المصرية كان المتحف الجديد الذي كانت قد شرعت الحكومة في بنائه لهذا الغرض قد تم (المتحف الجديد) وأصبح صالحا للاستعمال فنقلت العاديات المصرية اليه باحتفال عظيم وتعين الاستاذ لفتسو مديراً له . ثم خلفه الاستاذ لبيسيوس سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٨٤ وكانت الحكومة البروسية تواصل شراء الآثار المصرية القديمة اذ في عام ١٨٤٣ و ١٨٥٢ اشترت تمثال سموت مربي الزميره (رح نوفر) بنت الملكة حتشبسوت وكذلك اشترت تمثال سيكو من الخشب . ويظهر أنه كان قساً وهو من أحسن التماثيل صنفاً . وفي هذه المدة اشترت الحكومة كذلك أوراقا بردية من الدولة الوسطى تشمل على شيء كثير من أدبيات هذا العصر وتاريخه .

ومن أهم الآثار التي في متحف برلين مجموعة الذهب التي اشتراها المتحف عام ١٨٤٤ من فريليني Ferlini من أهمها حلى ملكة نوبية وينحصر تاريخ حكمها ما بين القرن السابق للميلاد والقرن التالي له وقد وجدت هذه المجموعة (جزء

منها في متحف مونيخ) في قدر وبجانبه لوح من الجرانيت الاحمر منقوش عليه
خانة ملوكية (خرطوش) لم يهتد لحل نقوشها علماء اللغة الى الآن ولذلك بقي اسم
الملكة صاحبة هذا المصوغ طليماً الى الآن .

أما الحلى فدقيق الصنع ويشتمل على جمالين من الذهب وتمائيل خيل
صغيرة وغزلان عادية . وعلى تماثيل آلهة كالاله اوزيريس وآمون وعلى أسماك
صغيرة وهررة عادية وتعاويد على شكل العين كانت تستعمل عند المصريين ضد
الحسد . وعلى أحجار كريمة من الياقوت صغيرة وكبيرة وعلى سباع ولبؤات وعلى
خواتم من الذهب والفضة . ثم على عقد (لبة) منظم تنظيماً بديعاً يفتخر به
الصائغ الحديث . كل هذا من خالص الذهب الا القليل من الفضة المطلية بطلاء
من الذهب . ومن الغريب ان هذه المجموعة الفريدة في بابها عرضها فرلينى على
معظم حكومات أوروبا ومتاحفها فلم ترق في اعينهم وظنوها حديثة الصنع لا قيمة
لها وقد بقي ينتقل بها من متحف الى متحف حتى وقعت في قبضة الالمان فعلموا
حقيقتها وبادروا بشراؤها واحتفظوا بها ولا يظهرونها للمشتغلين بهذا الفن ولا غرامة
اذا كانت تقدر اليوم بنحو نصف مليون جنيهه وفي عام ١٨٥٥ اشترى بنز
المعتمد السياسى للدولة البروسية تمثال (امينمجمعت) الثالث . وفي عام ١٨٥٧ و
١٨٥٩ اشترت الحكومة عدة آثار من مجموعة انستاسى القنصل السويدي منها
تمثالاً وهو قطعة عظيمة من الشبه (أى البرنز) ليس له مثيل في الضخامة في كل
متاحف العالم وابتاعت منتخبات ثمينة من مجموعة بلن المعتمد السويدي منها
نقوش بارزة عجيبة في بابها

ومن أعظم الافراد الذين كان لهم ضلع في تأسيس هذا المتحف وجلب
الآثار له اثنان أولهما الاستاذ ابرلس صاحب التأليف العجيبة وصاحب ورقة
طب العيون المشهورة . جلب الى المتحف آثاراً عظيمة في عام ١٨٧٢ . والثانى
هو الاستاذ الاعظم هنرى بروكس فانه كان اثناء اقامته بمتحف مصر يرسل
الآثار الثمينة الى متحف بلاده

وفي عام ١٨٧١ وصل الى برلين حجر تاريخي عظيم منقوش عليه انتصار ملك الحبشة Nastesin على قبيز ملك الفرس حينما أراد الاخير ان يغزو بلاده وكذلك اشترى المعتمد السياسى البروسى مجموعة (دوتله) في هذه المدة وتشتمل على آثار قيمة وفي عام ١٨٧٧ اشترى المتحف اوراق البردى المعروفة عندهم بأوراق الفيوم وكلها خاصة بالعصر اليونانى وقد ازداد عدد اوراق البردى في المتحف بمشتريات ١٨٨٦ - ١٨٨٧ و ١٨٩٦ - ١٨٩٨ وبالهدايا التى قدمت للامبراطور غليوم الثانى

وفي عام ١٨٩٤ أخذت الحكومة تهتم بجانب خاص من الآثار المصرية القديمة وهو الاستراكا (الفخار المنقوشة عليه كتابات هيرغليفية) . فاشترت في عام ١٨٩٤ مجموعة من هذا الصنف من الآثار ثم تزايد عددها بمشتريات في السنين التى تلتها

وفي عام ١٨٨٦ اشترت الحكومة ورقة قستكار نسبة الى بائعها . وهي من أهم القطع الادبية الخرافية في التاريخ المصرى على أن لها أهمية تاريخية كذلك . اذ يرجع عهدها من الوجهة التاريخية الى الاسرة الثالثة .

ومن أهم الهدايا النفيسة في هذا المتحف ألواح تل العمارنة التى قدمها (جيمس سيمون) هدية للملك عام ١٨٨٨ (وسنتكلم على آثار تل العمارنة في مكان خاص) ومن ابتداء عام ١٨٩٠ أخذت الحفائر تكثر في مصر ببعثات اوربية ترسلها الحكومات للتنقيب عن الكنوز المدفونة . وكانت المتاحف تهادى فيما بينها بالآثار التى تزيد عن حاجتهم وقد كان لالمانيا نصيب عظيم من هذه الهدايا فقد اهدت لها البعثات التى كانت تحفر في تل بسطة وكاهون بالفيوم وتل العمارنة وقفط وتقادة بقنا وطيبة جزءا عظيما من الآثار .

وفي عام ١٨٩٢ قام الاستاذ بروكس بحفيرة أهدى معظم ما التقط منها لمتحف برلين ثم تلى بعد ذلك عدة مشتريات أهمها الرأس الأخضر (من العصر الصاوي) الذى اشتراه الدكتور جيمس سيمون سنة ١٨٩٤ وسعى بالرأس

الاخضر لأنه متخذ من حجر المسن الاخضر الضارب الى السواد وكانت العادة المتبعة عند النحاتين في هذا العصر صنع التماثيل من هذا الحجر (وهذا العصر يسمى في التاريخ المصري عصر النهضة)

أجاد الصانع المصري في نحت هذا الرأس فأظهر فيه تناسب أجزاء الوجه ودقة تقاطيعه وصدق ملامحته مما ينطبق تمام الانطباق على الوجه الطبيعي ثم أبان تجاعيد جلد الرأس ومنحنياته بمهارة أدهشت علماء التشريح من الوجهة الفنية وقد أجمع علماء الآثار على أنها أدق قطعة وجدت الى الآن في كل التاريخ القديم وقد تغالى بعضهم حسداً وحقدًا على قدماء المصريين ونسبها الى العصر الاغريقي وهذا الرأي ليس له نصيب من الصحة بل هو تعصب محض .

وفي نفس العام الآنف الذكر اشترى الدكتور دينهريت جملة آثار منها مسلة قائمة تستقبل الزائر في باب المتحف وهي من صنع رمسيس الثاني . وكذلك اشترى آثاراً من الأسرة الاولى وتمثالاً وكتابات بارزة من الدولة الحديثة وموميات مكفنة وأسرة من العصر الروماني وورقة بردي من العصر القبطي .

وفي عام ١٨٩٦ اشترى الدكتور برخارد جملة آثار نفيسة منها قبر (هنوي) بأجمعه وناووس من معبد فيلة ومحرات جميل الصنع . وفي نفس العام أهدي للمتحف مجموعة الدكتور شمس وأهمها الملابس الرومانية البديعة في بابها

ولما مات الدكتور ديبل dibal أحد استاذة الجامعة الروسية أوصى بما تركه من الآثار للمتحف وهو يشتمل على نقوش بارزة من الدولة القديمة ونقوش من تل العمارنة

وفي عام ١٩٠٧ قامت بعثة عظيمة المانية الى البلاد المصرية وواصلت البحث والتنقيب الى عام ١٩١١ وأهم آثارها موجودة الآن في متحف فيينا ومتحف هلدسليم ومتحف برلين وأهم قطعة وجدت في متحف برلين من آثار هذه البعثة هو تمثال جمل عليه هودج وجده الدكتور شيفر (shafer) في بلدة أبي صير الملق وقد وضعه في آثار الدولة القديمة وقد تناقشت معه في موضوع هذا الجمل فقال لي أن

الجل كان موجودا عند قدماء المصريين قبل الأسرات بنحو الفين أو ثلاثة آلاف من السنين ثم تلاشى مدة من الزمن ثم ظهر في الدولة القديمة . فسألته كيف يمكن لقدماء المصريين أن يستعملوا حيواناً ويرسمونه ولا يعرفون اسمه (الجمل ليس له اسم باللغة المصرية القديمة في ذلك العهد) فأجاب أنهم كانوا يرونه من آونة لأخرى في الصحراء الغربية أثناء اختلاطهم بالعرب (وقد أثبت لي أن أعراب الصحراء كان لهم اختلاط بقدماء المصريين في رسالة كتبها الدكتور برخارد) على أن الجمل وجد في عهد الأسرة التاسعة عشر غير أنه لم يشع استعماله عند المصريين إلا في عهد البطالسة

الفصل العشرون

بعثة تل العمارنة

لما عثر الالمان على آثار عظيمة الفائدة في بعث ١٩٠٧ - ١٩١١ حب لهم ذلك . وواصلت البحث والتنقيب في الجهات التي كانوا يظنون أن فيها آثارا توازي المشاق والمال الذي يصرفونه . من أجل ذلك قامت بعثة خاصة برئاسة الدكتور برخارد لكشف ما بقي من آثار تل العمارنة . ولما كانت لهذه البعثة أهمية كبرى من الوجهة العلمية والفنية والتاريخية ولم ينشر عنها شيء بعد حتى في المانيا وأردت أن أخصص لها بابا منفردا . وقد عني الالمان بالآثار التي عثروا عليها في هذه البعثة وخصصوا لها الدور الأعلى من البناء مع أوراق البردي فأول من قام بكشف خرائب تل العمارنة هو المستر فلنדרز بتري الانجليزي الأثري الشهير حوالى عام ١٨٨٢ ثم تلاه المستر ديفز . ثم جاءت البعثة الالمانية وأخذت تواصل العمل من سنة ١٩١١ الى قيام الحرب الكبرى . وقد أماطت هذه الرحلة اللثام عن حقائق تاريخية لم تكن معلومة بعد وأهم ماوصلت اليه هذه البعثة من هذه المعلومات الجديدة ينحصر في النقاط الآتية

(١) عثر الاستاذ برخارد على حجرة الغني العظيم تحتس وقد وجد في هذه الحجرة قوالب وجوه آدمية مصنوعة من الجبس بعضها يمثل وجوه موتى وبعضها يمثل وجوه أحياء وبعضها كان قد ابتدئ في صنعه ولم يتم بعد ومن الأخيرة امكن الاستاذ برخارد أن يقف على سر صنع هذه الوجوه وصيها . ومن الغريب أن المتفرج على هذه الوجوه لا يتردد لحظة في تمييز قالب وجه الميت من قالب وجه الحي . اذ يظهر فيها الصانع تجاعيد الوجه وخطوط الجبهة وملاح الحيا مما لا يراه الانسان في الأعصر التي سبقت هذا العهد الا قليلا

(٢) وقف الاستاذ برخارد على طريقة تخطيط المنازل عند قدماء المصريين ولم يكن ذلك معروفا الى الآن وذلك لان قدماء المصريين كانوا يشيدون منازلهم من اللبن فبادت وانمحت جميعها ولم يبق منها ما يدلنا على هيئة بيوتهم . عثر الاستاذ برخارد على جملة بيوت بل على شوارع بأكملها في مدينة اخيتاتون (تل العمارنة) عاصمة مصر في عهد اخيتاتون وقد رمم بيتا من هذه البيوت وسكنه أثناء حفريات في هذه الجهات وقد صنع نموذجا لبيت مصرى من الخشب وهو معروض الآن في متحف برلين مع آثار تل العمارنة ولا أكون مبالغاً اذا قلت ان التآني الحديث والمدنية الفرنسية الغربية لم تأت بأحسن مما كان يفعله قدماء المصريين في بيوتهم من الوجهة الصحية وحسن الذوق . اذ يرى المتفرج في هذا النموذج أولا باباً عظيماً مؤدباً الى حديقة غناء تجري فيها المياه وفارات تخرج منها المياه ثم يلي ذلك قاعة عظيمة الاستقبال ويلي تلك الحجرات الخاصة بصاحب المنزل الحجر الخاصة بجرمه وفي آخر البناء تجمد مكاناً منفصلاً لانعامه كل ذلك محاط بسور محلي بالأشجار

(٣) برهنت هذه البعثة على ان القيود الفنية القديمة عند قدماء المصريين خصوصاً في النحت والتصوير قد انقضت عهدها وان الفنون أصبحت حرة طليقة وبذلك أمكن كل فني أن يستعمل ذكاه وعبقريته . وقد أثبتت النصوص المصرية القديمة ان بطل هذه الحركة هو أمنحوتب الرابع نفسه (اخيتاتون)

اذ هو الذي أثر على معاصريه وجعلهم يتبعون آراءه ومعتقداته . وكان يظن قبل أن هذه الآراء وهذا الانقلاب الديني الذي حدث في عهد أمنحوتب الرابع قد جاء الى مصر بمؤثرات خارجية ولكن النقوش المصرية القديمة تدل دلالة صريحة على أن هذه الآراء من بنات أفكار اخناتون وأنه هو الذي كان يعلمها لرعيته اذ قلما تجد تمثالا ظريفاً أو رأياً فنياً بديعاً أو صورة جميلة الا وتجد عليها العبارة الآتية (ان الملك هو الذي علمنا بنفسه كل ذلك) لذلك يرى المطلع على آثار هذا العصر أن الناحية والمصور والفني أصبح كل منهم طليقاً يمثل الحقائق كما هي ويرسم الصور بغير قيود تعوقه عن اظهار عبقريته كما كان الحال في عهد الملوك الذين سبقوا ولا مشاحة فان صور هذا العصر وتماثيله تكاد تضارع الصور الطبيعية فمثلا ترى الملك أمنحوتب الرابع مرسوماً جالساً بين أفراد أسرته وأمامه الملكة زوجته جالسة وفي أحضان الملك ابنه الصغير يقبله وفي أحضان الملكة بنتها الصغيرة تقبلها . وفي صورة أخرى ترى الملك يقبل زوجته وهذه المناظر لم تر قبل في عهد أي ملك سبق . بل كانت العادة المتبعة أن يظهر الملك اما وحده أو مع الملكة منحوت بشكل خاص وبقيود كان لا بد للمصور أن يقتفي أثرها

(٤) أثبت الاستاذ برخارد أن بلدة اخناتون (تل نبي عمران) أسست في عهد اخناتون وان كان قد وجد بعض حفار بن وسكاكين من حجر الظران تدل على أنها من الأسرة الثانية عشرة ومن المرجح بل من المحقق أن هذه الآثار قد أحضرها المهاجرون الى هذه البلدة معهم حيثما أصبحت حاضرة البلاد ولما مات اخناتون تغلب حزب عبدة آمون اكبر معبودات طيبة في الأسرة الثامنة عشر على حزب اخناتون (عبدة القوة الكامنة وراء قرص الشمس أي الله) فهجرت مدينة اخناتون (تل العمارنة) دفعة واحدة . وقد حرم عبدة آمون على اتباع اخناتون أن ينقلوا معهم أي أثر يدل على عبادة الشمس أو على عهد اخناتون نفسه ولذلك بقيت آثار كل المدينة فيها فكان ذلك من حسن حظ التاريخ اذ عثر الباحثون على آثار نفيسة جداً توضح تاريخ هذا العصر ومدنيته بكل جلاء

وأهم ما عثر عليه من آثار هذه البلدة معروض في الدور الاعلى من المتحف
ماعدًا خطابات تل العمارنة فاتها معروضة في المتحف الاسيوي المجاور لهذا المتحف
ويبلغ عددها نحو ٥٠٠ خطاب وقد زرت هذا المتحف مع أمينة المتحف المصري
ومكثت فيه يوماً بأكمله الوقوف على أسرار هذه الخطابات .

الفصل الحادى والعشرون

أوراق البردى فى متحف برلين

بعد ان فرغت من درس آثار تل العمارنة دعانى الاستاذ شوهر المشرف على
مجموعة أوراق البردى لزيارته فشكرت له حسن تفضله وهو رجل رقيق المزاج
حسن المقابلة

دخلت الحجر المعدة لأوراق البردى فوجتها مرتبة ترتيباً تاريخياً حسب
عصور التاريخ وكل ورقة ملصوقة على لوح من الزجاج والكل منها مكان خاص .
وهي مقسمة الى مجاميع كل مجموعة يشرف عليها عامل خاص . وفي أثناء تفرجى
على المجموعة حضر الفنى الماهر إبشر مساعد الاستاذ شوهر فقدمنى اليه وقد
أخبرنى هذا الاستاذ أن الفضل الأكبر فى تكوين هذه المجموعة النفيسة يرجع الى
الهر إبشر اذ من بضع سنين كان عدد مجموعة أوراق البردى لا يزيد عن ٤٠٠٠
ورقة والآن يبلغ نحو ١٤٠٠٠ ورقة بردى . ولست مبالغاً اذا قلت ان الهر إبشر
وحيد عصره فى المهارة فى تركيب قطع أوراق البردى البالية . اذ رأيت به عيني
وأمامه كمية من البردى الصغير الحجم جداً تكاد تذوب من البلى ولا يكاد
الانسان يمسه حتى يصير هباء ومع كل ذلك يخرج الهر ipocher إبشر من هذه
العلماء ورقاً بردياً يقرأ تماماً بكل وضوح وجلاء . وقد أخبرنى أمين المتحف أن
هذا الرجل له فضل عظيم على كل متاحف العالم فى اصلاح ورق البردى وقد رأيت
بنفسى (وذلك من حسن الصدف) وهو يشتغل فى جمع أجزاء ورقة يبلغ عدد

صحائفها نحو ١٣٥ قد أنجز منها نحو ٧٠ صحيفة فسألته عن موضوع هذه الورقة العظيمة فقال لي ان هذه الورقة أعطاها الاستاذ جردنر الانجليزى الاثري اللغوي العظيم الى الاستاذ زيتي الاثري الالماني وهي محطة كما تراها امامك وقد كلفتني الاخير ان أركب أجزاءها . وقد نجحت في اصلاح نحو ٧٠ صحيفة منها وقد حل الاستاذ زيتي الجزء الاول من هذه الورقة واعلم انها رواية تمثيلية كتبت في عهد الاسرة الثانية عشر وقد كتم الاستاذ موضوع هذه الرواية حتى يتم ترجمتها فتكون أول رواية تمثيلية في كل عصور التاريخ القديم .

الفصل الثانى والعشرون

سيرة احمد باشا كمال وأعماله

هو المرحوم العالم المصري بالآثار المصرية احمد باشا كمال الذي توفى قريبا في اغسطس ١٩٢٣ وأن له أيادي بيضاء على الآثار وخدمتها اذ بذل جهده في تعليم الشعب مجد آبائه سواء أ كان بالقاء المحاضرات أو بتأليف الكتب أو بنشر المقالات كما بذل ما في وسعه لحل الحكومة على بعث بعض الشبان لدراسة علوم الآثار وتاريخهم في اوربا وسعي أيضا في انشاء مدرسة لدراسة اللسان المصري القديم وعلم الآثار المصرية فقررت الوزارة انشاء المدرسة وعسانا نرى ثمرة هذا المشروع الجليل وألف المرحوم عدة مؤلفات فرنسية وعربية منها بالفرنسية .

(١) صفائح القبور في العصر اليونانى الرومانى — وهو كتاب أثري يقع في مجلدين في أولها نصوص مشروحة باللغة الفرنسية وفي ثانيها تسعون لوحة بها رسوم الصفائح

(٢) الدر المكنوز في الخبايا والكنوز في مجلدين أولها بالعربية والثانى بالفرنسية

(٣) الموائد القديمة من الطبقة الوسطى الى عهد الرومان وهو في مجلدين

الأول يتضمن نصوصا مشروحة بالفرنسية والثاني فيه ٥٥ لوحة بها رسوم الموائد
أما مؤلفاته العربية :

- (٤) العقد الثمين في تاريخ مصر القديم
- (٥) كتاب الحضارة القديمة وهي دروس ألقاها في الجامعة المصرية سنة افتتاحها
- (٦) اللآلئ الدرية وهي اجرومية هيروغليفية
- (٧) كتاب الفرائد البهية في تعلم اللغة القديمة المصرية طبع على الحجر وهو
اجرومية كبيرة وافية بدراسة اللغة الهيروغليفية اذ فيها طريقة القراءة والكتابة
وقواعد اللغة وفيها حكاية مصرية مترجمة الى العربية وفي ذيلها قاموس
صغير للغة الهيروغليفية
- (٨) كتاب بغية الطالبين في علوم قدماء المصريين وفيه أيضا أسماء
المعبودات والحيوانات والمعادن مكتوبة بالمصرية القديمة ومرتبعة على الحروف
الأبجدية
- (٩) ترويح النفس في مدينة عين شمس
- (١٠) دليل متحف اسكندرية
- (١١) دليل متحف القاهرة
- (١٢) رسالة في مدينة منف
- (١٣) قاموس النباتات المصرية القديمة مكتوب بالمصرية ومترجم بالعربية
والفرنسية وفيه بعض الأسماء القبطية وفي آخره فهرست بأسماء النباتات والاشجار
مرتب على الحروف الأبجدية

هذا غير ما نشره من النبد التاريخية في مجلة المتحف المصري وقد ذكرنا
في هذا الكتيب بعضا من مقالاته التي نشرها في الصحف وكان من رأى المرحوم
أن اللغة الهيروغليفية هي أصل العربية وأثبت ذلك ونادى به ومن ذلك محاضراته
التي ألقاها عام ١٩١٤ بـ مدرسة المعلمين منها

العربية والمصرية القديمة

« اعلما أنها السادة أن كثرة مطالعتي في اللغة المصرية القديمة منذ كنت في الثامنة عشر من عمري الى أن بلغت الستين مهدت لي سبل الوصول الى اكتشاف غريب مفيد ألا وهو ان اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد هو لغة الاعناء ان لم تكونا لغة واحدة اقترقتا بما دخلهما من القلب والابدال كما حصل في كل اللغات القديمة . وكنت قبل الآن أدرس اللغة المصرية على الاسلوب الذي تلقيته من أسناذي هنري باشا بروكس في مدرسة خاصة على نفقة الحكومة ولبثت مقتنيا منهاجه كغيري من الاثريين الى قبل الآن بثمانى سنوات . وفي أثناء ذلك كنت أرى الألفاظ العربية ماثيلا في اللغة المصرية القديمة وكنت أدونها شيئا فشيئا حتى كثرت وأخيراً اطلمت على مقالة أدرجها المعلم نافيل الأثري في المجلة المسماة (recneil de travoucs) أبان فيها بناء على النص المنقوش في الدير البحري من زمن الدولة الثامنة عشرة ان المصريين الاول اشتهروا باسم الاعناء (ومعناه في العربية أقوام من قبائل شتى) ولم يذكر النص من اين جاءوا لكن المدن التي أسسوها باسمهم هذا في مافوق طيبة من الجنوب الى بعد منف تدلنا على أنهم استعمروا تلك الجهة في بدايتهم ثم كثروا وانتشروا . ويقال في النص المشار اليه آنفا ان فريقا منهم هاجر الى جهة القيروان وتونس والجزائر وسمى نفسه اعناء التحنو وذهب فريق آخر الى أواسط افريقية وسمى نفسه اعناء الستو ومضى فريق ثالث لعله بعض من الفريق الثاني الى بلاد الصومال ثم اجتاز البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين وسمى نفسه اعناء (منتو) فبهذا الانتشار يتضح لنا أن الأعناء سكنوا تلك الجهات الشاسعة والمناطق الواسعة وبثوا فيها لغتهم فصارت لغة أصلية للبلاد ثم استنبط اعناء وادي النيل طريقة الكتابة فكان لهم الفضل على غيرهم لكنهم حصروها في ضفاف النيل ودونوا كتابتهم على الآثار بقلم الحفر البارز أو المجوف كما أنهم وقشوها على ورق البردي أو الأحجار أو الأقشة أو الخشب

ونحو ذلك مما نشاهده الآن في المتاحف وفي الآثار القائمة في أما كتبها
وكانت أول كتابتهم رسم الأشياء بصورها فالأذن مثلا وضعت للدلالة على
الأذن . والشفة على الشفة والرجل الرافع يديه على الفرع واليد على هذه الجارحة
وهلم جرا ثم رأوا أن الكتابة بهذا الوضع لا يستدل منها الخلف على حقيقة لفظ
هذه الصور لعدم كتابتها وقيدها ولا يهتدى بها إلى المعنى المراد فاضطروا أن يكتبوا
الفاظها مع بقاء الصور خلفها للدلالة عليها . . وبهذه الطريقة أمنوا اليبس في المعنى
مع ضبط الفاظ الكلمات

ولا ننكر أن الغربيين الذين اجتهدوا في حل رموز هذه اللغة القديمة منذ
١٢٠ سنة ذلوا مصاعبها بمقابلة الفاظها بالقبطية أو بالعبرية أو بالعربية أو بالارامية
أو بسياق الكلام الخ وفرضوا لها ألفاظا متضاربة فالألمانيون اتخذوا لهم طريقة في
القراءة تخالف الطريقة الفرنسية وكلاهما وضع اللفظ على قدر الاستطاعة مع علمهم
أن حقيقة اللفظ واللهجة القومية لا تزال مجهولة . ولم ترق في نظري كلتا الطريقتين
لذلك اتخذت لقاءوسي الذي أنجزت منه إلى الآن ثلاثة عشر مجلدا طريقة سهلة
وهي تحليل الكلمة إلى اجزائها . . . الخ

ولما وقفت على أصول اللغتين العربية والمصرية وعلى ما فيهما من القلب
والإبدال أمكنني الخوض في مقارنتهما بالبراهين القاطعة التي تظهر لنا حقائق
المعاني وتبين لنا فخوي النصوص التي وضعت . لا افتخر بذلك ولا أبرى نفسي
من الغلط في مثل هذا المجال اتوسع لكني سلكت طريقا أضمن وأرق من غيره
وهو تطبيق اللغة المصرية القديمة على اللغة العربية مع بيان القلب والإبدال في بعض
كلماتها اقتداء بالمصريين أنفسهم حتي تظهر لنا حقيقة المعنى لوجودها محفوظة في
اللغتين . الخ . . . »

الفصل الثالث والعشرون

جغرافية مصر القديمة

تدعى مصر في اللغة المصرية القديمة وفي اللغة القبطية «أرض» «كيمى» ومعناها الأرض السوداء نسبة إلى لون أرضها وهذا مايدكرنا بحمام ونسله. وكان يدعوها الشعب العبراني «مصر ايم» ومعناها «المصران» ومنها اسمها في العربية اليوم. أما معنى تسمية العبرانيين لمصر قطنه مشتقا من قولهم «صر» في العبرانية ومعناها الشدة والضيق «ومصر» اسم مكان من صر أى مكان الشدة. ولعلها إشارة إلى ما قاساه الشعب العبراني من الشدة والاضطهاد في هذه البلاد إلى عهد موسى. أما كونها على صيغة المثنى فربما نتج عن تسميتهم أولا أحد قسمي مصر البحري والقبلي بهذا الاسم ثم جعلوه على صيغة المثنى للدلالة على القسمين معاً. أما اليونانيون فكانوا يسمونها «ايجبتوس» ومنها اسمها في لغات أوروبا الحديثة «ايجيبت» ويستفاد من مصادر تاريخ مصر القديم أن القطر المصري كان يقسم إلى قسمين عظيمين الواحد يدعى أرض الشمال أو الوجه البحري والآخر أرض الجنوب أو الوجه القبلي وكان الوجه البحري ممتداً من منف (البدرشين وميت رهينة) إلى البحر الأبيض المتوسط ويدعوه اليونان «الذلتا» لمشابهته بحرف الذال عندهم. أما الوجه القبلي فيمتد جنوباً من منف إلى جزيرة الفنتين مقابل اصوان وهذا ما ندعوه اليوم بأرض الصعيد. وكان من ألقاب ملوك مصر القدماء قولهم «سلطان البرين» إشارة إلى تسلطه على الوجهين البحري والقبلي

وكل من هذين القسمين يقسم عندهم إلى أقسام دعاها اليونان «لوفس» أى مقاطعات ومجموعها في الوجهين يختلف عدداً باختلاف الرواة. فقد ورد في القوائم المصرية القديمة أنها ٤٤ وقال استرابو وديودورس أنها ٣٦ والمعول عليه أنها ٤٢ منها ٢٠ في الوجه البحري و ٢٢ في القبلي ولكل منها عاصمة مختصة بها فيها مقر الحاكم ومركز العبادة. وهالك جدولاً يتضمن أسماء المقاطعات باليونانية وأسماء عواصمها بالمصرية واليونانية والعربية :-

مقاطعات الوجه القبلي وعواصمها
اسماء المقاطعات

باليونانية	بالمصرية القديمة	باليونانية	بالعربية
(١) اوييتس	ابو	امبوس	كوم امبو
(٢) ابولينوبوليتس	تب	ابولينوبولس مانيا	ادفو
(٣) لاتوبوليتس	نخب	لاتوبولس (ابلثيا)	اسنا (الكب)
(٤) هرموثيتس	هرمونت	هرموش	ارمنت
(٥) باثيريتس			العزنة
(٦) ديوسبوليتس	نوامس	ديوسبولس مانيا	الكرنك والاقصر
(٧) كوبيتيتس	كوبي	كوبتوس	قفط
(٨) نثيريتس	نثيرير	نثيرا	دندره
(٩) ديوسبوليتس	ها	ويوسبولس بارقا	هو
(١٠) ثينتس	ابدو	ثيس . ايدوس	البربة . العرابة المدفونة
(١١) بانوبوليتس	ابو	بانوبولس	اخميم
(١٢) امزوديتوبوليتس	تبو	امزوديتوبولس	العطف
(١٣) انتوبوليتس	بياثباك	انتوبولس	قاو الكبير
(١٤) هبسيليتس	شاسحوتب	هبسيلس	شرب
(١٥) ليكوبوليتس	سموت	ميكوبولس	اسيوط
(١٦) اثينوييتس		اثينوبولس	الشيخ عبادة
(١٧) هرموبوليتس	ممنونو	هرموبولس مانيا	اشمونين
(١٨) سينوبوليتس	كوسا	سينوبولس	القيس
(١٩) اوكسيرنخيتس	بماسا	اوكسيرنخيس	بهنسا
(٢٠) هيراكليوبوليتس	خيننسو	هيراكليوبولس	اهناس المدينة
(٢١) ارسينوبتس		كودينوبولس	مدينة الفيوم
(٢٢) افروديتوبوليتس	تلباه	افروديتوبولس	عطفية

مقاطعات الوجه البحري وعواصمها
أسماء المقاطعات

باليونانية	بالمصري القديم	باليونانية	بالعربية
(١) ممفيتس	منوفر	ممفيس	ميت رهينه
(٢) ليتوبوليتس	سوخم	ليتوبولس	
(٣) ليبيا	تيانتهاني	ايس	
(٤) سايتس	زوكا	كافوبوس	
(٥) سايتشس	صا	سايس	صا الحجر
(٦) خوتيس	خسون	خويس	سخا
(٧) متليتس	سولتينوفر	متليس	فوه
(٨) شيروتيس	ثوكوت	سيزوي	
(٩) بوسيريتس	بيوسير	بوسيرس	بوصير
(١٠) اثريليتس	حاتا حيراب	اتريس	تل أتريب. بنها العسل
(١١) كاباسيتس	كاهيس	كاباسا	كوم شباس
(١٢) سبنيتس	ثبنوتر	سبنيتوس	سمنود
(١٣) هيليوبوليتس	أثو	أون. هيليوبولس	الطرية
(١٤) تاتيتس	زوان	تانس	صان
(١٥) هرموبوليتس	يثوت	هرموبولس بارفا	دمهور
(١٦) منديسيوس	بيينباد	مندس	أشمون
(١٧) ديوسوليتس	بيخون ان امن	ديوسبولس	
(١٨) يوباستيتس	بياست	يوباستس	تل بسطة (الزقازيق)
(١٩) ثينستس	بيوتو	بوتو	
(٢٠) فارثيتس	كوسم	فاريتشوس	هريت

ويظهر ان هذين القسمين الكبيرين جعلاً بعد ذلك ثلاثة عرفت بمصر العليا والوسطى والسفلى . فمصر العليا تدعى أيضاً باليونانية ثيبايد نسبة الى ثيبس (طيبة) وتمتد من آخر الحدود القبلية الى ديروط . والوسطى يدعواها اليونان هبتانوس أى ذات السبع المقاطعات وتمتد من ديروط الى رأس الذلتا . والسفلى تمتد من رأس الذلتا الى البحر المتوسط وقسمت مصر السفلى في آخر عهد اليونان إلى اربعة أقاليم كبيرة تحت كل منها عدة مقاطعات

ودعيت مصر السفلى في أيام أركادىوس بن ثيودوسيوس الاعظم « اركاويا » نسبة إليه . وقسمت مصر العليا أيضاً إلى قسمين أو أقليمين دعيا ثيبايد العليا وثيبايد السفلى تفصل بينهما اخميم أو مايجاورها . وتكثر عدد المقاطعات في آخر أيام اليونان حتى بلغ ٥٧ مقاطعة منها ٣٤ في الذلتا فقط

ثم ان بين ملوك مصر القدماء من وسع نطاق المملكة إلى ما وراء اصوان وعلى الخصوص العائلة الخامسة والعشرون لأن ملوكها كانوا أنيوبيين فامتد حكمهم إلى جبل برقل . أما في حكم اليونان فبلغت حدود المملكة المصرية إلى موغراكا وراء وادى حلفا

الفصل الرابع والعشرون

قدماء المصريين في التوراة

كتبت التوراة في عهد الاسرات القديمة من قدماء المصريين ولا سيما الاسفار الأولى التي كتبها موسى النبي وقد ورد ذكر فرعون ومصر كثيراً لاسيما في قصتي يوسف الصديق ووزارته لفرعون وقصة موسى وخروج بني اسرائيل من أرض مصر وما جرى من الحوادث المشهورة

ويبدأ سفر التكوين في التوراة في الاصحاح التاسع والثلاثين عن نزول يوسف الى مصر ليمثل روايته المعروفة بما يأتي « وأما يوسف فأُتِزل الى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرطة رجلاً مصري من يد الاسمعيانيين الذين

أنزلوه الى هناك» ومن الاصحاح التاسع والثلاثين يرى القارىء ما حدث في أيام احد الفراعنة الذين لم يعرف بعد أيهم وتضاربت الاقوال فيه كما تضاربت في فرعون موسى

ويرى القارىء في الاصحاح السابع والاربعين عدد ١٩ من سفر التكوين في خطاب الشعب المصري ليوسف الصديق : « لماذا نموت امام عينيك نحن وأرضنا جميعاً . اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون . . . » وفي عدد ٢٠ « فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون اذ باع المصريون كل واحد حقله لان الجوع اشتد عليهم فصارت الارض لفرعون وأما الشعب فنقلهم الى المدن من أقصى حد مصر الى أقصاه إلا أن أرض الكهنة لم يشتريها إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون . فأكلوا فريضتهم التي أعطاهم فرعون لذلك لم يبيعوا أرضهم » ويستطيع القارىء أن يستنتج من سفر التكوين أنه حدث في مصر مجاعة لكنها أخف وطأة مما حدث في الاقاليم المجاورة كسوريا وأن نفوذ فرعون وسلطانه لم يضعف وانه انتزع ملكية الارض « إلا أن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون » وان بني اسرائيل هاجروا الى مصر وكثروا « وسكن اسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان وتملكوا فيها وأثروا وكثروا جداً »

ويمجد القارىء في الكتاب الثانى من التوراة أي سفر الخروج سيرة موسى في مصر وانه كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب ويمجد ما حدث في مصر من تلك القصة المشهورة وخروج بني اسرائيل من مصر الى صحراء سيناء .

وجاء في سفر الملوك الاول الاصحاح التاسع عدد ١٥ — ١٧ في سيرة النبي سليمان بن داود « وهذا هو سبب التسخير الذي جعله الملك سليمان لبناء بيت الرب وبيته والقلعة وسور اورشليم وحاصور ومجدو وجازر . صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكفانيين الساكنين في المدينة وأعطاهم مهراً لابنته امرأة سليمان »

وورد في سفر الملوك الاول الاصحاح الرابع عشر عدد ٢٥ : « وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم وأخذ خزائن بيت الرب ووزائن بيت الملك وأخذ كل شئ وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان »

وورد في سفر الملوك الثاني في الاصحاح الثامن عشر عدد ٢١ : « فالآن هو ذا قد اتكمت على عكاز هذه القصبة المروضة على مضر التي اذا توكأ أحد عليها دخلت في كفة وثقبتها . هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكئين عليه »

وفي الاصحاح الرابع والعشرين عدد ٧ . « ولم يعد أيضاً ملك مصر يخرج من أرضه لان ملك بابل أخذ من نهر الفرات كل ما كان ملك مصر »

وورد في الاصحاح التاسع عشر من سفر اشعيا النبي نبؤة عن مصائب تحل بمصر . « وحى من جهة مصر . هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر قتر تجف أوئان مصر من وجهه وينوب قلب مصر داخلها . وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة وتهراق روح مصر داخلها وأقي مشورتها فيسألون الاوئان والعازفين وأصحاب التوابع والعرافين وأغلق على المصريين في يدمولي قاس فيتسلط عليهم ملك عزيز يقول السيد رب الجنود . وتنشف المياه من البحر ويجف النهر ويبس وتنقن الانهار وتضعف وتجف سواقي مصر ويتلف القصب والاسل والرياض على النيل على حافة النيل وكل مزرعة على النيل تيبس وتتبدد ولا تكون والصيادون يشنون وكل الذين يلقون شصا في النيل ينوحون والذين يبسطون شبكة على وجه المياه يحزنون ويخزي الذين يعملون الكتان المشطة والذين يحكون الانسجة البيضاء وتكون عمدتها مسحوقة وكل العاملين بالاجرة مكتئي النفس . ان رؤساء صوعن أغبياء . حكماء مشيري فرعون مشورتهم بهيمية . كيف تقولون لفرعون أنا ابن حكماء ابن ملوك قدماء فائق هم حكماؤك فليزجذك ليعرفوا ماذا قضى به رب الجنود على مصر . رؤساء صوعن صاروا أغبياء . رؤساء لوف انخدعوا وأضل مصر وجوه أساطها . مزج الرب في وسطها روح غي فأضلوا مصر في كل

عملها كترنح السكران في قيئه الى آخر الاصحاح . . . في ذلك اليوم تكون سكة من مصر الى اشور فيجىء الاشوريون الى مصر والمصريون الى اشور ويعيد المصريون مع الاشوريين . في ذلك اليوم يكون اسرائيل ثلثا لمصر ولا اشور بركة في الأرض . بها يبارك رب الجنود قائلا مبارك شعبي مصر وعمل يدي اشور وميراثي اسرائيل »

وفي الاصحاح العشرين من سفر اشعيا : « فقال الرب كما مشى عبدي اشعيا معري وحافيا ثلاث سنين آية واعجوبة على مصر وعلى كوش هكذا يسوق ملك اشور سبي مصر وجلاد كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفى الأستاه خزيا لمصر »

وفي سفر ارميا النبي الاصحاح الثالث والأربعون عدد ٨ : ١٣ نبوة عن سبي نبوخذ نصر ملك بابل لمصر « وقل لهم . هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل . هانذا ارسل وأخذ نبوخذ نصر ملك بابل عبدي وأضع كرسيه فوق هذه الحجرة التي طمرتها فيبسط ديباجة عليها ويأتى ويضرب أرض مصر الذي للموت فلموت والذي للسبي فلاسبي والذي للسيف فلاسيف وأوقد نارا في بيوت آلهة مصر فيحرقها ويسببها ويلبس أرض مصر كما يلبس الداعى ردائه ثم يخرج من هناك بسلام . ويكسر انصاب بيت شمس التي في أرض مصر ويحرق بيوت آلهة مصر بالنار »

وورد في الاصحاح السادس والأربعين من سفر ارميا . « كلمة الرب التي صارت الى ارميا النبي عن الأمم . عن مصر عن جيس فرعون « نخو » ملك مصر الذي كان على نهر الفرات في كوكميس الذي ضربه نبوخذ نصر ملك بابل في السنة الرابعة ليهويقيم بن يوشيا ملك يهوذا » وفي هذا الاصحاح وصف الجيوش البابلية القادمة بنحيوها وفرسانها وهزيمة المصريين والى ما هناك من سبي وقتال .

وفي الاصحاح السابع والأربعون كلمة الرب التي صارت الى ارميا النبي عن الفلسطينيين قبل ضرب فرعون غزة .

وورد في الاصحاح الثلاثين من سفر حزقيال وصف الخراب الذي تفعله يد

نبوخذ راصر ملك بابل في مصر هو وشعبه « فيجدون سيوفهم على مصر ويملاؤن الأرض من القتلى ». « وأبىد الأصنام وأبطل الأوثان من نوف ولا يكون بعد رئيس من أرض مصر وألقى الرعب في أرض مصر وأخرب فتروس وأضرم ناراً في صوعن وأجرى أحكاماً في نو وأسكب غضبي سين حصن مصر واستأصل جمهور نو واضرم ناراً في مصر . سين تتوجع توجعاً ونو تكون للتمزيق ولنوف ضيقات كل يوم . شبان آون وفييسته يسقطون بالسيف وهما تذهبان الى السبي . »

— ١٩٤٣ —

الفصل الخامس والعشرون

مكانة مصر في التاريخ البشرى

لقى المؤرخ الشهير الدكتور برستد محاضرة في الجمعية التاريخية المصرية يوم ٢٢ مارس ١٩٢٣ في الحفلة التي أقامتها هذه الجمعية بالقاهرة اكراما له قال مامليخه ان من أعظم دواعى السرور أن يتاح لى أن أقف هنا لأحيي ممثلى بلاد حرة كبلادي بعد أن كرسيت حياتي لدروس تاريخ أجدادكم وصرت أشعر أن المصريين الحاليين أجدر أهل الأرض بالفخار لأنهم يستطيعون أن ينظروا خلفهم إلى مدارج تقدم الحضارة التي سلكها آباؤهم منذ أزمان بعيدة . .

ولذا سأبدأ ايضاحي بهذه الأزمنة السحيقة . يعلم كثير منكم أنه في العصور الجيولوجية الغابرة — تلك العصور التي لا تقدر بالسنين — كان الثلج الذي يغطي القطب الشمالي الآن ينزل من حين الى آخر ويتهدد البحر الأبيض المتوسط وان لم يستطع ذلك في الواقع . وقد زحف هذا الثلج جنوبا أربع مرات في أزمنة مختلفة استغرقت كل منها آلاف السنين ثم ارتد شمالا .

وفي أثناء هذه العصور كان الانسان قد نشأ أي من مدة ١٥٠ ألف سنة مضت على التقريب بل قبل ذلك بكثير حسب ما تشير اليه بعض الابحاث الحديثة . واذ ذاك كان الانسان الأول في أوروبا أكثر وحشية من أقدم سكان افريقيا

الشمالية . فقد تأخر تقدم الانسان في قارة اوربا بسبب مغالبة الثلج إياه المرة بعد المرة .
أما مصر فقد حماها من الثلج البحر الأبيض المتوسط ونطاق واسع دافئ
المناخ فلم يتقدم الثلج جنوبا ولم يعرف الحياة في وادي النيل . ولا تزال هذه الحقيقة
الهامة مهمة بعض الاهتمام الى الآن وهي أن مصر كانت تتمتع بمركز فذ وجو
معتدل وأمان تام من جو الشمال الشديد البرودة الذي علق رقب الانسان المهمجي
في أوروبا

وكانت هضاب مصر قديماً منطقة تسقيها الأمطار بهم فيها أقدم أجداد
المصريين الحاليين كصيادين متوحشين في منطقة شمال أفريقيا . وفي هذا الطور كان
أهل أفريقيا وأهل أوروبا سواء في هذه الوحشية فكان يحيط بالبحر الأبيض
المتوسط أناس همج الى أن غطى الثلج شمال هذا البحر وأثر فيه دون جنوبه .
وأنتك اذا اعتليت الهضبة الغربية للنيل — غرب وادي الملوك عند قبر
توت عنخ آمون مثلاً — رأيت على وجه الصحراء آثاراً باقية الى الآن من عمل
يد الانسان القديم ورأيت نقشاً على الصخور يمكن تتبعه الى شمال تونس بدليل
وجود الحيوانات نفسها منقوشة نقشاً بسيطاً على الصخر في مصر وتونس والجزائر .
ولما حدث الاختود الذي هو وادي النيل لم يكن فيه تربة مطلقاً فلما أخذ
يمتلئ بلر واسب التي جلبها النيل من الحبشة كما تعلمون انتقل الصيادون من الهضبة
الى الوادي فوجدوا حيوانات صيد بدية لو وجدت الآن لجمعت مصر بلاداً جميلة
جداً الا أنها تعوق الزراعة طبعاً . ولم يكن أحد على ظهر الأرض قد زرع الى ذلك
الحين حبة واحدة من القمح أو أى مادة أخرى . وبمضي الزمن بدأ صيادو الوادي
يستلذون الخضر وتمكنوا نهائياً من استعمال النباتات وزرعها في البقاع التي وجدوها
خالية على حافات وادي النيل وبتحسن الزراعة ظهر القمح المستنبت والذرة ونبات
آخر غير معروف الآن كان يسمى (الآما) وبعد أن تم الانتقال من هضبة الصحراء
وأخذ الجو في الجفاف وأصبحت هضبة الصحراء قاحلة اضطر الصيادون ان
يقيموا بالوادي .

وفي سنة ١٨٥١ منحت جمعية الفلسفة الملكية بلوندراف جائزة لتأسيس انجليزي اسمه هورنر horner فحضر الى مصر وأمدد المرحوم عباس باشا الأول بالمساعدة فقام بعمل سلسلتين متقاطعتين من الحفائر احدهما في عرض وادي النيل من المقطم الى المطرية والاخرى مارة بسقارة فحفر التربة السوداء الى أن وصل الى الصخر الذي تحتها فوجد في قاع كل حفرة تقريبا قطعاً من الخزف وآثاراً بشرية أخرى ولا أدري ماذا جرى لهذه الآثار ولكنني أعلم أن هورنر طبع نتائج أبحاثه وهي تدل على أنه على عمق ٣٠ قدماً من سطح الوادي الحالي كان يوجد آباؤكم الذين عاشوا في الصحراء وأنه عند ما بلغ سمك الرواسب خمس أقدام كان هؤلاء قد أحسنوا الزراعة واستأنسوا الوعل والثور. وهذان الموردان الغذائيان — الحيوان والحبوب — نقلاً أجدادكم من حالة الهمج والترحال الى حالة الاقامة والاستقرار لحرث الأرض وتربية الماشية

تقرب آباؤكم بعضهم الى بعض وتعلموا أن يعيشوا جماعات تعمل معاً فنشأ من ذلك نظام اجتماعي ولتوضيح ذلك أقول :
انه بعد أن صار الجو جافاً وقلت الأمطار في الوادي وصار النيل وحده واسطة الري احتاجت قرية ما في جهة خاصة الى ماء تأتي به ترعة هي ملك قرية أخرى أعلى (أي جنوباً) وأصبح من اللازم اقسام التربة والعناية باصلاحها وبذا تعلم آباؤكم كيف يعيشون مجتمعين . فأنقلموا أول نظام اجتماعي في العالم ولم يكن أحد على وجه البسيطة قد سبقهم اليه .

وقد صحت هذا التقدم الاجتماعي والحكومي اشياء كثيرة ساعدت كلها على رفع المصري القديم الى مستوي الحضارة . ولا أحاول هنا أن أحدد معنى الحضارة فقد قيل لنا اننا حاربنا من اجلها في الحرب العظمى ولكنني لا أدري ماهو الشيء الذي أتقنه به هذه الحرب . على أنه ان صعب تعريف الحضارة قليلاً بصعب تعريف اشياء قليلة تعد من لوازم الحضارة ولا تقوم حضارة بدونها فمن تجارب

المصري القديم نشأت تدريجاً حياة قومية نمت نمواً بطيئاً ولم يبلغ غايته الى الآن —
تذكروا انه لما كشف الاسبان النصف الغربي من الكرة الأرضية لم يكن كل من
وجدوا هناك متوحشين بل وجدوا في امريكا الوسطى وهي القنطرة بين الامريكتين
قوماً متحضرين كان لديهم معادن وكانوا يزرعون الحبوب والخضر وهم وان لم يكن
لديهم حيوانات داجنة الا انهم كانوا سائرين في سبيل الحضارة ومن هذه القنطرة
انشرت الحضارة جنوباً الى امريكا الجنوبية وشمالاً الى ما يسمى الآن بالولايات
المتحدة — أو ليس من العجيب متى عرفنا موقع امريكا الوسطى ان نجد هذا العمل
نفسه قد حصل في مصر قبل ذلك بستة آلاف سنة فان مصر هي ايضا قنطرة
بين قارتي أوراسيا (اوروبا واسيا) وافريقيا

على هاتين القنطرتين فقط نشأت الحضارة او ما يقرب منها حيث قامت
الزراعة والصناعة وامتازت مصر باستئناس الحيوان . هاتان القنطرتان هما وحدهما
منشأ الحضارة ومصر أقدمهما بستة آلاف سنة واما مايتوهم البعض او يتطرق الى بعض
الأذهان من ان للصين او الهند حضارة أقدم من مصر فلا دليل عليه البتة
نشأت الحضارة في وادي النيل وحده وطلع فجرها من الجنوب الشرقي للبحر الأبيض
المتوسط ووصلت أشعة هذا النور الى جهات أخرى . وفي عصر معين لا أحاول أن أحدد
تاريخه وجدت قنطرة بين شمالي أفريقيا وإيطاليا وأخرى الى اسبانيا عن طريق
جبل طارق ومن الحقائق الممتعة أنه في العصر الحجري كان لدي سكان سويسرا
نفس الحبوب والحيوانات الداجنة التي كانت عند قدماء المصريين والليبيين فقد
وجد أثر في أحد متاحف أوروبا يدل على ان أحد الفراعنة فتح بلاد لوبيا الغربية
وكان بين غنائه حمير وغنم وماعز وهذه هي الحيوانات التي استأنسها أهل
سويسرا اذ ذاك

وفي يوم مشهور كان مصري يتجول في شبه جزيرة سيناء ويضرم ناره بين
حجارة وجدها على وجه الصحراء اذ سخنت الحجارة وأثر فيها الفحم النباتي
الناشي من حرق الخشب فخرج شيء كان في الحجارة . ولما أصبح للمصري وجد في

الرماد قطعة صغيرة لامعة حملها الى مصر ثم وصل الى مصر من هذه المادة اللامعة قطع أخرى استعملت قلائد في أعناق النساء . وهذه المادة اللامعة هي النحاس وهو وان لم يكن عظيم القيمة في القلائد إلا أنه في ذات يوم وجد المصري ان هذه المادة يمكن مدها وجعلها مستطيلة ونظر الى ابرة زوجه المصنوعة من العظم وقال لها « ان في امكاني أن أصنع لك أحسن من هذه » فكان من ذلك أول ابرة نحاسية بل أول اداة معدنية استعملها الانسان وكان ذلك قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة .

ليت شعري هل تصور المصري الانقلاب الذي بدأه بصناعة هذه الابرة ؟ وهل نظر في مستقبل الايام ورأى الآلات البخارية والسيارات والمصانع وآلاف الاشياء الاخرى التي عليها تقوم الحضارة وعلى كل حال قد فطن المصريون في الحال الى وجود المعادن وصنعوا الآلات منها بعد أن كانت تصنع من غيرها . وما ادراك ما هي الآلات أولها وأبسطها المثقاب وقد استعمله المصري ثم ركب في أعلاه حجرين فأمكنه بحده القاطع أن يثقب أشد الصخور صلابة وان السيارات التي تملأ الطرقات اليوم لم تكن لتوجد لو لم يصنع المصري هذه الآلة . وبتحسين الآلات ارتقت صناعة الجلود والفخار والعظم والعاج والخشب وبالاختصار قام ما نسميه بالحرف والصناعات وهأنتم قد شرعتم معشر المصريين تقيمون صناعات لكم واعتقد أن أصدقاءنا الانجليز لا يعارضون في قيام صناعة القطن مثلاً في مصر واني أرجو لكم النجاح في ذلك وقد زرت في مصر من أيام معرض الصناعات الجميل الذي أقامته مصلحة التجارة والصناعة فتساءلت هل يدري القارئون بأمر هذا المعرض الى أي عهد يرجع قدم هذه المصنوعات في مصر !

إذا فقد عرفت بمصر الزراعة وتربية الماشية والصناعة وهي أشياء كلها مادية ولكن مصر لم تقف عند هذا الحد بل نشأ بها تدريجاً نظام الحكومة وهل تتصور حكومة بلا كتابة ؟ انه بدون الكتابة يتعذر معرفة ما اذا كان الفلاح قد دفع ما عليه من الضرائب عن العام الماضي أولاً فالكتابة اذا ضرورية كما نعتقد الآن ولكن أباءكم الاقدمين لم يكونوا يعرفون الكتابة قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة

وانما أدى الى اختراع الكتابة محاولة إيجاد صلات بين الجهات المختلفة المتباعدة
اذ لم يكن يستطيع انشاء حكومة قبل أن يتم ذلك . ولننظر في فائدة الكتابة للفرد
أن مواهب العبقري تغني معه اذا لم توجد الكتابة التي تقيّد أفكاره وبذا تغني
مواهب كل عبقري في البلاد . وعلى ذلك يمكن القول بأن مصر قد بدأت تحيي
كلمة متحضرة عند ما اخترعت الكتابة : هذا هو أصل الكتابة كما نعرفها
الآن . ولقد ورثت أنا حروفي الأبجدية من الرومان وورثتم أنتم حروفكم من
قوم يعيشون في غرب آسيا ولكن لا مجال للشك في أن هؤلاء جميعاً قد ورثوا
حروفهم من الحروف الفينيقية التي هي بنت المصرية مباشرة

فاذكروا مركز مصر الخاص حين كانت الدنيا كلها في حالة وحشية تامة
وأنتم يا أحفاد ذلك الشعب الذي وهب لنا هذا الرقي السامي يحق لكم ان تنظروا
الى التاريخ مفاخرين . اني لم أحضر لالقي . وعظة ولكنني أرجو من هذه الجمعية
المصرية الناشئة التي يعرف أعضاؤها قيمة تاريخ مصر الجيد أن يستفيدوا من
هذه الحقيقة وهي أن الحضارة مرت من مصر الى الجنوب الشرقي لاوروبا ومن ثم
الى أمريكا

أما نحن فلا ننسى ان الحضارة مرت منكم اليينا وأرجو ألا تنسوا ذلك وان
تذكروا انه بارتكم لهذه الحضارة صارت عليكم مسؤولية عظيمة ومهمة كبيرة فان
عظم ماضى اسلافكم يستنهضكم ويناديكم ان تكونوا جديرين به وله مستحقين



الفصل السادس والعشرون

الخلود عند قدماء المصريين

عقدت مجلة الهلال مقالا في الخلود عند قدماء المصريين ومصير النفس الى الفردوس قالت :

« لما فتحت الغرفة الداخلية في قبر توت انخ آمون وجد تمثال لابن آوى وقد وقف ديدباناً يحرس المومياء . وفي هذا معنى من معانى الايمان عند قدماء المصريين فقد كانوا يعتقدون ان النفس اذا فارقت الجسد صارت في تيه تحتاج فيه الى ما يهديها سواء السبيل الى الممالك الاعلى . وكان القدماء يعدون ابن آوى من طلائع الاسد يكشف له الطريق ويده له على الصيد فكان للاسد بمثابة الكلب للانسان . دع عنك ان ابن آوى يغشى الجبانة فرؤيته في هذه الاماكن وشهرته في انه طليعة الاسد هما في الاغلب الصفتان اللتان حملتا بالمصريين الى الاعتقاد بان ابن آوى هو دليل الموتى فرفعوه الى مصاف الالهة وجعلوا اسمه انوبيس . ولا يجب ان ننسى انه لا يزال من اعتقادات الناس الفاشية عند جميع الأمم ان اهلال الكلب اى ذلك النباح الخاص الذى نسمعه منه احيانا في الليل نذير الموت وحادى عزرائيل الى قبض الروح . .

وكانت مهمة انوبيس في عهد توت انخ آمون حراسة الجثة وقيادة النفس الى الفردوس . .

وتدل الكتابات الهيروغليفية على ان اعتقاد المصريين بالعالم الثانى قد قلب وتطور فكانوا أولا يعتقدون وجوده في الغرب ثم ظهرت عبادة الشمس فاعتقدوا وجوده في الشرق حيث اشراق الشمس ومطلعها وكانوا يعتقدون ان النفس اذا فارقت الجسد عادت طفلة تحتاج الى الرضاع والعناية حتى تنشأ وتشب . ولكن تقدم فن التحنيط غير هذا الاعتقاد وجعلهم يؤمنون بان الجسم يدخل العالم الآخر كما هو دون نشأة أخرى

وكثيراً ما يذكر في هذه الكتابات أن النفس تحمل الى العلا على درج نحو
ما ذكر يعقوب في التوراة . ثم هناك كتابات أخرى تقول ان النفس تحمل على
الدخان وعلى السحاب

وكانت النفس تصور بهيئة طائر . فبين الأقوال المنقوشة في حيطان القبور
نجد هذه الجملة : « أنك تطيرين الى السماء كالصقر » وهذه الجملة الأخرى : « لقد
حططت على السحاب كما يحط الطائر على قمة صاري السفينة »

وكانت السماء في اعتقادهم مشيدة من حديد وكانت أبوابها تحتاج الى أدعية لكي
تفك طلسمها وتفتحها . فاذا ذهبت النفس الى المشرق حيث تصهر الشمس
رأت عجائب هذا العالم وكان في صحبتها « را » من جملة أرباب مصر . ثم
يرشد النفس الرب هورس حتى ترد معه بحيرة في وسط « حقل الحياة » وفي وسط
هذه البحيرة توجد جزيرة تنمو عليها شجرة الحياة والى جانبها بئر الحياة . .

وكانت هذه الشجرة محط خيال القساوسة وأهل الدين يصورونها في كل
شكل . فكانت الربة نوت تخرج من هذه الشجرة وفي إحدى يديها ابريق وفي
الأخرى فطير وفاكهة . وكانوا أحياناً أخرى يصورونها والربة فوقها تصب ماء
الحياة من الابريق فوق يدي فرعون ومن يدها الأخرى يسيل ماء الى فم النفس .
وأحياناً أخرى ترى مصورة قاعدة الى جانب الشجرة وأمامها فرعون خاشع يتعبد لها .

وفي منقوشات الاهرام اشارت الى « طعام الصباح » مما يتناوله فرعون
من شجرة الحياة وما يتناوله ايضاً من « آلاف الأرغفة » و « ألوف الثيران »
و « ألوف الاشياء التي تعيش عليها الآلهة » . .

وهناك أيضاً نقوش تصور النفس تركب زورق الرب « را » بعد أن تكون قد
تغلبت على أعدائها وخصومها . ويجلس في الزورق كاتب الرب . فيكسر فرعون
قلم الكاتب ولوحه ويأخذ مكانه فيصير هو كاتب الرب . وقد تطور فرعون
بمرور الزمن وملف الكهنة حتى صار يأخذ مكان الرب نفسه . .

وفي كل يوم يقوم فرعون فيجوب النيل السماوي ويقطعه من الشرق الى

الغرب فاذا غربت الشمس نزل الزورق الى العالم السفلي فر في النيل الذي يمر تحت الارض وكان مقسوما الى اثني عشر قسما كل قسم يحتاج في قطعه الى ساعة زمنية . وكان هذا المكان مشوى نفوس الناس باختلاف طبقاتهم . وللكهنة أقوال وأوصاف في هذا العالم السفلي يسهبون فيها ويتركون للخيال أعنته . فاذا مر الرب « را » رب النور استبشرت به النفوس وتهللت فاذا جازها « مزقت شعرها حزناً وأمى » ثم هناك في أحد الأقسام بحيرات من النار حيث يعذب أعداء « را » من الناس الذين خالفوا أوامره وهم في قيد الحياة . فتقطع رؤوس البعض ويفرق آخرون في الهاوية بينما تخرج أجسام الآخرين بسكاكين يضرهم بها شياطين مردة . .

وكان « رع » نفسه في مرور في هذا العالم السفلي يضطر الى مكافحة أعدائه من الثعابين التي تلتهم النفوس والأفاعى التي تنفخ النار وغيرها . . فاذا خرج « رع » من العالم السفلي وفي صحبته كاتبه فرعون عاد الى « حقل الحياة » فيظهر الاثنان ويأكلان وينتعثان وينظران عندئذ في شؤون هذا العالم الذى يحكمانه . :

وهذا الاعتقاد يبلغ في قدمه عمر بناء الاهرام وقد زيدت عليه أشياء ولكنه بقي هو كالأصل المعول عليه . .

وكان الفردوس الشمس هذا الذى يتولى شؤونه « رع » رب الضوء وتما في الأصل على فرعون ثم صار مشاعاً لكل نفس يحنط جسمها . .

ولكن هذا الفردوس كان محروماً على الآئمين الخاطئين لأن « الخلاص » كان رهناً على الأعمال . فكان الموتى يخبرون ويحاكون قبل أن يحصلوا على جواز الدخول الى الفردوس . فاذا قام الميت من قبره دخل ان قاعة الحكم حيث يتبعوا أوزيريس قاعد القاضى وبين يديه شارات القضاء . ويحلف به من الجانبين آلهة أقسام القطر المصري . وفي وسط التاعة ينصب الميزان وفي احدى كفتيه قلب الميت حيث ضميره وفي السكفة الاخرى ريشة الحق . والى جانب الميزان تجلس

شيطانة اثني لها رأس التمساح وجسم فرس النهر وارجل الاسد وهي مرصدة
لالتهام الخاطئين

وكان الرب هورس يقود الميت الى قاعة الحكم فاذا دخل سجد أمام
اوزيريس وحياء داعياً اياه بأنه « رب الحق » ثم يتلو دعاء محفوظاً يبري فيه
نفسه من اثنين وأربعين خطيئة منها الكذب والغش والسرقة والاغتياي وسرقة
مياه الري من الجيران واطفاء المشاعل المقدسة وما ذلك . فاذا انتهى من تلاوة
هذه البراءة صمت اوزيريس وصمت الآلهة وساد السكوت المكان . فيؤخذ
عندئذ قلبه الى الميزان فاذا فاز حمل الى الفردوس واذا ظهر للآلهة اثم التهمة
الشيطانة أو سلخته الآلهة خنزيراً أسود فيرسل الى مكان العقاب والاعدام
وقد كان يوم انتصاب الميزان من الخواطر التي تشغل بال المصري وتدعوه
الى تصديق أقوال الكهنة وتعاونهم التي كانوا يوهمون السذج بأنها تقيهم يوم
الحساب . ولكن الشك كان يداخل قلوبهم أحياناً . فمن أناشيدهم القديمة التي ترجع
الى سنة ٢٥٠٠ ق . م هذه القطعة : —

« لم تعد اليينا نفس لكي نخبرنا عما رأيت فتعزينا وتفرحنا . . . فعلى الاحياء
ان يتمتعوا بالحياة الى أن يصير الجسم مومياء لا يسمع صوت النادين على القبر
ولا كلماتهم التي لا معنى لها عند الموتى الصامتين » ونختم هذه المقالة بالقطعة
المشجية التالية التي تدل على أن مأساة الحياة لا تزال الآن أمامنا كما كانت في
عهد الفراعنة — وهي منقوشة على شاهد قبر امرأة ماتت في عصر الاغريق في
مصر وهي تخاطب زوجها وتنصح له بأن « يأكل ويشرب من كأس الهناء والحب »
والا يترك قلبه يكابد الأسى والحزن بخواطر الموت « لأن الغرب نوم وظلام
ومثوى كآبة لمن يسكنونه . فهم يرقدون هناك نائمين ولا يريمون ولا هم ينتبهون
لكي يروا ذوى قرايبهم . . . ويحيى أنى لأعرف أين أنا . . . اما من ماء جار أشرب
منه . . . فلعله بنعشني ويحتم آلامي »

الفصل السابع والعشرون

كلمة في مؤسس المتحف المصرى « مارييت باشا »

(ولد عام ١٨١١ وتوفى سنة ١٨٨٠ م)

(الآثار المصرية) :

ما برحت مصر منذ أجيال متطاولة مطمحا لأنظار الرواد والمستطلعين من سائر الامم والشعوب على اختلاف الزمان والمكان ينظرون فى آثارها ويعجبون لما خلفه الفراعنة من الهياكل والاهرام والمدافن والاصنام مما يستوقف الطرف ويهر العقل ولم يكده يقوم مؤرخ عمومى قبل المسيح أو بعده إلا ذكر آثار المصريين وأعجب بضخامتها وبعد عهدها وأشهر هؤلاء المؤرخين هيرودتس واسترابون وغيرهما من مؤرخى اليونان والرومان . أما العرب فقد ذكرها كثيرون منهم كالمسعودى وابن الاثير وابن خلدون وعبد اللطيف البغدادى ولكن هذا الاخير جاء الى الديار المصرية بنفسه فى القرن السادس للهجرة فتفقد تلك الآثار وأفاض فى وصفها وأكثر من الاعجاب بضخامتها ودقة صنعها مما تراه مفعلا فى كتابه « الافادة والاعتبار » ناهيك بمن كان يتعاطر اليها من جالية الافرنج فى القرون الأخيرة وخصوصا بعد أن وطئها نابليون بونابرت . .

ويرى الناظر ما كتبه هؤلاء أنها كانت فى أقدم الازمنة أكثر عددا وأكبر مساحة مما هى عليه الآن وان الدول التى توالى على مصر بعد الفراعنة كانت تستخدم كثيراً أحجارها فى ما بنته من القصور والكنائس والجوامع حتى كثيراً ما عمدوا هدمها لغير نفع برجونه من انقاضها كما فعل الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين فأمر بهدم الاهرام العظمى بدأ بالصغير منها فأخرج اليه النقابين والحجارين قضوا ثمانية أشهر يعملون بكرة وأصيلا فلم يهدموا الا جزءا صغيراً فكفوا عن العمل

ومن هذا القبيل ما فعله بهاء الدين قراقوش وزير السلطان صلاح الدين فانه

نقل كثيراً من أنقاض الاهرام وغيرها فبنى بها سوراً يحيط بالفسطاط والقاهرة
وبالجملة فقد كانت تلك الآثار عرضة للهدم والنقب أجيالاً متوالية فضلاً عما
كان يأتيه عامة المصريين وغيرهم من التنقيب عن الكنوز والمطالب فيفتحون
القبور يستخرجون منها الذهب والفضة والآنية من النحاس وغيره وكثيراً
ما كانوا يبيعون قطع المومياء والمخنطات الأخرى بيعاً بخساً

وقد ذكر البغدادى ما يؤيد ذلك بقوله « وأما ما يوجد في أجوافهم وأدمغتهم
مما يسمونه مومياء فكثير جداً يجلبه أهل الريف الى المدينة ويبيع بالشيء النذر
ولقد اشتريت ثلاثة أرؤس مملوءة منه بنصف درهم مصرى وأراني بائع جواليق
مملوءاً من ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوه الخ

وناهيك بما كان يتعمده بعضهم من السرقة والنهب وأكثر ما سرق منها
في هذا القرن على أثر انتباه الافرنج لحفظ الآثار فكانت فرنسا أو انكلترا أو
غيرهما تبعث بالنقابين على نفقاتها يستخرجون ما في جوف الهياكل من التماثيل أو
المومياء أو المصاغ أو غيره فيحملونه الى متاحفهم أو معارضهم . وأول من نبه
الاذهان الى ذلك اللجنة العلمية التي رافقت حملة بونابرت ولم يكن يهم الافرنج قبل
ذلك من الآثار إلا ما يتعلق منها بصناعة البناء كالا هرام وأبي الهول ونحوها
لجهلهم الكتابة الهيروغليفية وقد كانوا يظفونها رسوماً لا معنى لها حتى أتيح لشامبليون
حل رموزها فعرف الناس قدر تلك الآثار فتساقبت دول أوروبا الى احرازها
لا يدخرون وسعاً في ذلك ولو استطاعوا حمل الاهرام والهياكل لنقلوها واذا زرت
متحف لندرا أو باريس أو غيرهما الآن رأيت فيها من الآثار المصرية شيئاً
كثيراً وفيه ما لوبيع لجاء بالملايين من الجنيهات . وما زالت الحال على ما تقدم حتى
تولى المغفور له محمد علي باشا فانتبه في أواخر حكمه الى ما يترتب على ذلك من
الخسائر الفادحة فأصدر أمراً بمنع الافرنج من حمل هذه الآثار الى بلادهم على أنهم
كانوا يحملونها خلسة فتفيض لها الله المرحوم مارييت باشا فجمع ما بقي من شتاتها في
بناء سماء المتحف المصري كما سيجيء .. « مارييت باشا » هو فرانسوا وغست فردينان

مارييت ولد في بولون سير مير من أعمال فرنسا في ١١ فبراير سنة ١٨٢١ وكان أبودريسا في بعض دوائر الحكومة فكان يجب ان ينشأ مارييت مرشداً لمثل هذه الخدمة ولكنه نشأ ميالاً الى الاسفار محباً للاكتشاف منذ نعومة أظفاره فاتفق له قبل أن يدرك الحلم أنه دخل دهليزاً تحت الارض في بولون لا يعرف آخره فحدثته نفسه أن يتبعه الى آخره فمزال سائراً حتى خرج من طرفه الآخر

وكانت عائلته في ضيق من دنياها فأسرع في العمل لمساعدتها فتعين سنة ١٨٣٩ معلماً للرسم واللغة الفرنسية في مدرسة استرافورد بانكلترا وهو لم يتم دروسه بعد . فتمت فيه موهبة الرسم العملي ولكن ميله الى العلم تغلب عليه فعاد الى بولون لنيل رتبة البكالورية ونظراً لضيق ذات يده اضطر لمعاطاة مهنة التعليم لتحصيل ما يقوم بنفقات التعلم ولكنه مل هذه المهنة ولم تغد نفسه تطيق الاعراب والنحو وطمحت أنظاره نحو العلى فأحب صناعة الكتابة فتولى تحرير جريدة فرنسية اسمها الشارح البولوني (annotateur boulonnais) فاشتهر بحسن الاسلوب في الانشاء

وكان الرحالة الموسيودينون رفيق حملة بوناپرت الى مصر قد أهدى الى متحف بولون سنة ١٨٤٧ تابوتا مصرياً فيه مومياء فاتفق لمارييت أنه رأى ما على التابوت من الصور الهيروغليفية فتاقت نفسه الى حل رموزها فاستعان بكتابين لشامبليون احدهما في نحو اللغة الهيروغليفية والاخر معجم لحل الفاظها فوفق الى فهم بعض تلك الرموز فشعر بلذة حببت اليه لغة الهيروغليف فها برح من ذلك الحين يتردد الى المتحف يقضى أوقاته بين الآثار المصرية حتى تمكن من تلك اللغة فلم يعد يقنعه غير الشخوص الى مصر . فعرض نظارة المعارف الفرنسية أن تعينه في مهمة يسير بها الى وادي النيل للبحث في آثارها فابت فالتمس أن تأذن له بالمسير على أن لا يكلفها الا نفقة السفر فلم ترض فاستأذن في الذهاب الى باريس برخصة فأذنت له فسافر وانقطع الى متحف اللوفر يقرأ ما فيه من الآثار المصرية ثم كانت ثورة سنة ١٨٤٨ فتضعفت الاحوال وانقطع راتبه فتوسط له بعض أصدقائه

بمنصب صغير في متحف اللوفر تمكن بواسطته من التبحر في اللغة الهيروغليفية والف
كتابات تتعلق بالكتب القبطية

واتفق سنة ١٨٥٠ أن الانكليز أنفذوا الى مصر وفداً لغويا يبحث في مكاتب
الديور المصرية عن الكتابات القبطية القديمة فعثروا في دير بوادي النطرون على
أوراق كثيرة ارسلوها الى لندن فافتدى الفرنسيون بهم وكانوا انما يرجون
بأبحاثهم هذه الوقوف على حقائق جديدة تتعلق بتاريخ اليونان وكان ماريت قد
اشتهر بينهم بمعرفة هذه اللغة فعينوه في هذه المهمة براتب مقداره ثمانية آلاف فرنك
فسافر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٠ حتي جاء القاهرة فرأى أنه لا يستطيع الذهاب الى
ذلك الدير أو غيره الا بوصية من البطريك وكان البطريك قد غضب من تصرف
الوفد الانكليزي لأنهم حملوا ما حملوه من الكتب القبطية جبراً . وبعد السعي
والإلتماس رضي أن يكتب لما ريت كتاب توصية باسم رئيس دير الانبا دقار على
أن ماريت لم يكن يرجو الحصول على ذلك الكتاب قبل مضي ١٥ يوماً فلكي
لا يضيع الفرصة عمد الى تفقد مشاهد القاهرة ففسار الى القلعة وكان ذهابه اليها سبباً
لتغيير عظيم في مستقبل حياته لأنه اشرف من سورها على ضواحي العاصمة فرأى
أهرام الجيزة وأهرام سقارة فتأقت نفسه الى زيارتها وقد نسي ما جاء من أجله
فركب الى سقارة وتوغل في صحرائها يتوقع العثور على آثار مهمة لقربها من انقراض
منف العظمى فوقف يتفرس في تلك الرمال القاحلة فرأى فيها حجراً ناتئاً يشبه
رأس الانسان فتأمله فاذا هو رأس ابي الهول وكان قد شاهد أمثال هذا التمثال
قبلاً فلم يهمه ذلك الا اكتشاف لغابته ولكنه توسم منه خيراً لما سبق الى ذهنه
مما قرأه في استرابون عن آثار منف وكان استرابون قد زارها في القرن الأول
الميلاد فكتب عنها ما ترجمته « رأينا هناك هيكل سرايوم (Serapium)
فاذا هو قائم في بقعة مغمورة برمال تذفها الرياح عن اكبات هناك ورأينا تماثيل
أبي الهول عند زيارتنا هذه مغطاة بالرمال الا بعضها لا تزال رؤوسها ظاهرة وبعضها
آخر رأينا نصف أبدانها مكشوفة فتمثل لنا المشقة التي كان المصريون القدماء

يقاسونها في طريقهم الى هذا الهيكل من شدة العواصف »

وكان من عادة المصريين القدماء أن يجملوا أمام هياكلهم صفين من هذه التماثيل يسير الناس بينهما الى الهيكل فتحقق مارييت أن رأس التمثال الذي رآه سيهديه الى ذلك الهيكل فبحث في غريبه فعثر على تمثال آخر فما زال يتتبع بحثه حتى اكتشف ١٣٤ تمثالا ولما وصل الى المئة والخامس والثلاثين آس بالقرب منه منحدرًا فكشف ما فيه من التماثيل حتى انتهى الى التمثال المئة والحادي والأربعين فوصل الى قنطرة عليها أشباه بعض آلهة اليونان وفلاسفتهم فواصل النقب من جهة اليمين فانتهى الى دهليز استطرق منه الى أورة تحت الأرض عثر في أوائلها على تماثيل أسود وعجول وغيرها فرقص قلبه طربا وتحقق أنه عثر بضالته والهيكل المشار اليه لا يزال مقصداً للرواد والمستطلعين الى اليوم ويعرف بمدافن سقارة . وكان محمد علي باشا كما قدمنا قد منع الافرنج وغيرهم من النقب عن الآثار فلما توفي أغفل ذلك المنع وعاد الناقبون الى أعمالهم

فلما اكتشف مارييت هذا الهيكل العظيم اتصل خبره بمدير الجيزة فابلغه الى عباس باشا الأوا والى مصر اذ ذاك فبعث الى مارييت أن يكف عن العمل ويتخلى عما اكتشفه من التحف فأجاب ان الجواب على ذلك من متعلقات قنصل فرنسا فأغضى عباس باشا عن المطالبة ولكن العملة الذين كان يستخدمهم مارييت في الحفر تقاعدوا عن العمل بإيعاز المدير فتوقف الحفر شهراً

وبلغ خبر هذا الاكتشاف مسامع حكومة فرنسا فنسيت الكتب القبطية والبحث عنها وبذلت لمارييت ٣٠٠٠٠ فرنك أخرى تنفق في سبيل نقل هذه التحف الى بلويس سرّاً فبلغ الخبر مسامع الحكومة المصرية فارسلت مندوباً يستطلع تلك المكتشفات ويلقى الحجز عليها . والمظنون أن انكلترا هي التي حرصت الحكومة على ذلك غيرة وحسداً وبلغ عدد المكتشفات ٥١٣ قطعة بين تماثيل ومومياء وغيرها . فأبى مارييت تسليمها إلا بأمر من حكومته فكتب اسطفان بك بالنيابة عن عباس باشا كتاباً الى مارييت يقول له فيه (ان الحكومة المصرية لم

تسكت عما أجراه من النقب الا لاتفاقها مع قنصل فرنسا بان تبقى المتحف المكتشفة ملكا لها « فبقى مارييت على اصراره ودارت المداولة بهذا الشأن بين الحكومتين المصرية والفرنساوية حتى انتهت على الشروط الآتية (١) ان تتخلى الحكومة عما اكتشف من الآثار الى ذلك الحين لجمهورية فرنسا (٢) أن يتوقف النقب مؤقتا (٣) أن يباح للحكومة الفرنسية العود اليه على أن يكون ماتكتشفه بعد ذلك ملكا لمصر .

وفي سنة ١٨١٤ عاد مارييت الى فرنسا بسبعة آلاف قطعة من الآثار المصرية على اختلاف الأشكال والأقمار

وفي سنة ١٨٦٣ توفي سعيد باشا وخلفه اسماعيل فثبت مارييت في منصبه وأمره ببناء متحف مصري في ساحة الازبكية يكون وسطا يسهل تردد الناس اليه ثم لم يكد يشرع فيه حتى ورد على اسماعيل باشا من الاستانة أن ساكن الجنان السلطان عبد العزيز عازم على زيارة وادي النيل قريبا فاشتغل عن بناء المتحف باعداد معدات الاستقبال وأمر أن تجعل الآثار المصرية في بناء يليق بها ليشاهدا السلطان ريثما يتيسر بناء المتحف في فرصة أخرى فوضعوها في بناء رحب على ضفة النيل في بولاق

وظل المتحف المصري في بولاق حتى نقلته الحكومة المصرية الى سراى الخيزة ثم قررت سنة ١٨٩٣ بناء متحف جديد بجوار قصر النيل



الفصل الثامن والعشرون

مؤلفات مارييت باشا

ألف مارييت باشا مؤلفات كثيرة بالفرنساوية يزيد عددهم على ٦٣ بين صغير وكبير بعضها طبع على حدة وبعضها نشر في الجرائد العلمية في أوروبا أهمها .

- ١ سرايوم منف
- ٢ جدول سقارة
- ٣ ملخص تاريخ مصر من أقدم أزمانها الى فتوح الاسلام
- ٤ زيارة متحف بولاق
- ٥ ابيدوس وهو كتاب في ٣ مجلدات
- ٦ وصف هيكل دندره الكبير طبع في ٥ مجلدات أو ٦
- ٧ اطلس متحف بولاق
- ٨ مصر العليا
- ٩ ملاحظات
- ١٠ وصف هيكل الكرنك وتاريخه
- ١١ الدير البحري
- ١٢ سياحته في مصر العليا وغير ذلك شيء كثير



الفصل التاسع والعشرون

مدة حكم الفراعنة

يرى الباحث في الجدول الآتي الذي ذكره برستد تواريخ ملوك مصر من الأسرة الأولى إلى عصورنا الحالية ومدة حكم كل ملك منهم حتى يرجع إلى ذلك التاريخ المعتبر من أوثق المصادر (والسنين قبل الميلاد)

(الأسرة الأولى والثانية) ٣٤٠٠ — ٢٩٨٠ ق. م

تولى مينا الحكم وتأسيس الأسرة الأولى عام ٣٤٠٠ ق. م
وحكم في الأسرتين ١٨ ملكاً حكموا ٤٢٠ سنة

(الأسرة الثالثة) ٢٩٨٠ — ٢٩٠٠ ق. م

من زوسر إلى سنفر ٨٠ سنة

(الأسرة الرابعة) ٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق. م

خوفو حكم ٢٣ سنة

« ٨ « ديدفرع

« ؟ « خفرع

« ؟ « منقرع

« ؟ « —

« ١٨ « —

« ٤ « شيسكان

« ٢ « —

فمجموعها ٥٥ سنة وحكمت الأسرة نحو ١٥٠ سنة

(الأسرة الخامسة) ٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق.م

اوزركاف	حكم ٧ سنوات
ساحور	« ١٢ »
نفريرقرع	« ؟ »
شيسسقرع	« ٧ »
خانفرع	« ؟ »
نوسرع	« ٣٠ »
منكهور	« ٨ »
ديدقرع ايزيسي	« ٢٨ »
اونسي	« ٣٠ »

ومدة حكمها ١٢٥ سنة

(الأسرة السادسة) ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق.م

تيتي الثاني	؟ سنة
يزرقرع	؟ سنة
يبي الاول	٢١ سنة
مرزوع الاول	« ٤ »
يبي الثاني	« ٩٠ »
مرزوع الثاني	« ١ »

والمجموع ١١٦ سنة ويعرف عن حكمها ١٥٠ سنة

(الاسرتان التاسعة والعاشر) ٢٤٤٥ — ٢١٦٠ ق.م

١٨ ملكا حكموا نحو ٢٨٥ سنة

(الأسرة الحادية عشر)

هورس واهنخ انشف الاول ٥٠ سنة

هوس نختنب تبنفرا تفت الثاني سنة
« منختباو منتحتب الاول	«
نبحا بتر منتحتب الثاني	«
نبتاوير منتحتب الثالث	« ٢
نبحا بتر منتحتب الرابع	« ٤٦
منختكير منتوحيت الخامس	« ٨

ويعرف عن مدتها ١٦٠ سنة

(الاسرة الثانية عشر) ٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق م

امنحت الاول	٣٠ سنة	(١٩٧٠ - ٢٠٠٠) ق م
سيزوستريس الاول	٤٥ «	« (١٩٣٥ - ١٩٨٠)
امنحت الثاني	٣٥ «	« (١٩٠٣ - ١٩٣٨)
سيزوستريس الثاني	١٩ «	« (١٨٨٧ - ١٩٠٦)
« الثالث	٣٨ «	« (١٨٤٩ - ١٨٨٧)
امنحت الثالث	٤٨ «	« (١٨٠١ - ١٨٤٩)
سبخنفرورع	٤ سنة	« (١٧٨٨ - ١٧٩٢)

ويعرف عن مدة حكمها ٢١٣ سنة

(الاسرة الثالثة عشرة الى السابعة عشرة) ١٧٨٨ - ١٥٨٠ ق م

ومعها حكم الهكسوس ٢٠٨ سنة

(الاسرة الثامنة عشر) ١٣٥٠ - ١٥٨٠ ق م

امس الاول	٢٢ سنة	(١٥٤٧ - ١٥٨٠) ق م
امنحت الاول	١٠ «	{ (١٥٠١ - ١٥٥٧) ق م
تحتس الاول	٣٠ «	

تحتس الثاني	٥٤ سنة	مع تحتس الثالث
حتشاسوت		
تحتس الثالث	(٣ مايو سنة ١٥٠١ - ١٧ مارس ١٤٤٧)	
امنحتب الثاني	٢٦ سنة (١٤٤٨ - ١٤٢٠) م. ق.	
تحتس الرابع	٨ » (١٤٢٠ - ١٤١١) م. ق.	
امنحتب الثالث	٣٦ » (١٤١١ - ١٣٧٥) «	
امنحتب الرابع	١٧ » (١٣٧٥ - ١٣٨٥) «	
ساقيرع		
توت عنخ آمون		(١٣٥٠ - ١٣٥٨)
آي		

ومقدار حكم الاسرة ٢٣٠ سنة

(الاسرة التاسعة عشرة) ١٣٥٠ - ١٢٠٥ م. ق.

صرحجب	٣٤ سنة	(١٣١٥ - ١٣٥٠)
رمسيس الأول	٢ »	(١٣١٥ - ١٣١٤) م. ق.
سيتي الاول	٢١ »	(١٣١٣ - ١٢٩٢) «
رمسيس الثاني	٦٧ »	(١٢٩٢ - ١٢٢٥) «
مرنبتاح	١٠ »	(١٢٢٥ - ١٢١٥) «
أمنميسيس	٤ »	(١٢١٥)
سبتاح	٦ »	(١٢١٥ - ١٢٠٩) «
سيتي الثاني	٢ »	(١٢٠٩ - ١٢٠٥) «

ويقدر لها ١٤٥ سنة

مدة حكم غاصب سوري ٥ سنوات (١٢٠٥ - ١٢٠٠) م. ق.

(الاسرة العشرون) ١٢٠٠ - ١٠٩٠ م. ق.

ستغخت	١ سنة	(١٢٠٠ - ١١٩٨) ق.م
رمسيس الثالث	٣١ «	(١١٩٨ - ١١٦٧) «
رمسيس الرابع	٦ «	(١١٦٧ - ١١٦١) «
رمسيس الخامس	٤ «	(١١٦١ - ١١٥٧) «
رمسيس السادس	} ١٥ سنة	(١١٥٧ - ١١٤٢) «
رمسيس السابع		
رمسيس الثامن		
رمسيس التاسع	١٩ سنة	(١١٤٢ - ١١٢٣) «
رمسيس العاشر	١ «	(١١٢٣ - ١١٢١) «
رمسيس الحادي عشر ؟	«	(١١٢١ - ١١١٨) «
رمسيس الثاني عشر	٢٧ «	(١١١٨ - ١٠٩٠) «
ومدة حكم الاسرة ١١٠ سنة		

(الاسرة الحادية والعشرون) ١٠٩٠ - ٩٤٥

نسا بنبد	{	(١٠٩٠ - ١٠٨٥) ق.م
حرحور		
بسيخنو الأول	١٦ سنة	(١٠٨٥ - ١٠٦٧) ق.م
ينوزم الاول	٤٠ «	(١٠٦٧ - ١٠٢٦) «
امنحوتب	٤٩ «	(١٠٢٦ - ٩٧٦) «
سيامون	١٦ «	(٩٧٦ - ٩٥٨) «
بسيخنو الثاني	١٢ «	(٩٥٨ - ٩٤٥) «

ومدة حكم الاسرة ١٤٥ سنة

(الاسرة الثانية والعشرون) ٩٤٥ - ٧٤٥ ق.م

شسحنك الأول	٢١ سنة	(٩٤٥ - ٩٢٤) «
-------------	--------	---------------

اوزركون الأول	٣٦	سنة (٨٩٥ - ٩٢٤) ق م
تاكلوت الاول	٢٣	« (٨٧٤ - ٨٩٥) «
اوزركون الثاني	٣٠	« (٨٥٣ - ٨٧٤) «
شسحنك الثاني	٤٠	« (٨٣٤ - ٨٦٠) «
تاكلوت الثاني	٢٥	« (٧٨٤ - ٨٣٤) «
شسحنك الثالث	٥٢	سنة (٧٨٢ - ٧٨٤) «
ييمو	٦	«
شسحنك الرابع	٣٧	« (٧٤٥ - ٧٨٢) «
ومدة حكم الاسرة ٢٠٠ سنة		

(الاسرة ٢٣) ٧٤٥ - ٧١٨ ق م

بديباست	٢٣	(٧٢١ - ٧٤٥)
اوزركون الثالث	١٤	
تاكلوت الثالث		
متوسط حكمها ٢٧ سنة		

الاسرة ٢٤ (٧١٢ - ٧١٨) ق م

بكرزاف	٦	(٧١٢ - ٧١٨) «
(بكهخورس)		

(الاسرة ٢٥) ٧١٢ - ٦٦٣

شباكا	١٢	سنة (٧٠٠ - ٧١٢) «
شباتاكا	١٢	« (٦٨٨ - ٧٠٠) «
تاجاركا	٢٦	« (٦٦٣ - ٦٨٨) «
ومدة حكمها ٥٠ سنة		

الاسرة ٢٦ (٥٢٥ - ٦٦٣)

ابسماتيك الاول	٥٤	(٦٦٣ - ٦٠٩) ق. م
نخو	١٦	« (٥٩٣ - ٦٠٩) »
ابسماتيك الثانى	٥	« (٥٨٨ - ٥٩٣) »
ابريس (خوفرا)	١٩	« (٥٨٨ - ٥٦٩) »
اهمس الثانى	٤٤	« (٥٦٩ - ٥٢٥) »
ابسماتيك الثالث	-	٥٢٥ -

الاسرة ٢٧

فتح الفرس عام ٥٢٥ ق. م

الاسرة ٢٨ - ٣٠

٥٢٥ - ٣٣٢ تحت الفرس
الاسكندر الاكبر حكم مصر عام ٣٣٢
مصر نحت حكم الاسكندر والبطالسة (٣٣٢ - ٣٠) ق. م
مصر تحت الرومان سنة ٣٠ ق. م

الفصل الثلاثون

كتب هامة ومراجع قيمة

ندكر هنا نقطة من بحر ما كتب عن المصريين القدماء أما اذا حاولنا ذكر معظمها فلا يتسع مثل هذا الكتاب كله لاسمائها وان المصري لفي حاجة كبرى لقراءة بعض منها لأننا انتخبنا أهم وأشهر المؤلفات وقد ذكرنا أسماء ثلاثة عشر كتاباً للأثري المرحوم احمد كمال ولنضيف اليها ما يأتى :

١٤ تاريخ مصر — للمؤرخ الاغريقى هيرودوت أبى التاريخ (الذى ولد بمدينة هاليسكرناس عام ٤٨٤ ق . م ومات بمدينة تور يوم بايطاليا عام ٤٠٦ ق . م وقد ترك مسقط رأسه لقصد السياحة في العشرين من عمره أى عام ٤٦٤ ق . م فزار مصر أولا وزار فيها مدن منفيس وهليوبوليس وطيبة وكتب عنها في كتابه المشهور كثيرا واصفا معابدها وما فيها من تماثيل وأفاض في وصف عادات قدماء المصريين واحتفالاتهم الدينية واحترامهم لبعض الحيوانات كالقط والتمساح وأبى قردان وخصوصا العجل أيس ثم شرح تاريخهم بادئا من الملك مينا أو مينيس ووصف اهرامات الجيزة وقصر اللاهيرنت المسمى بالهيرغليفية (لابورامنت) أي معبد فم البر ثم بحيرة وريس بالفيوم وكتب هيرودون كتابه باليونانية فكان وصفه للبلاد جميلا وجديرا بالثقة به ولكن معظم ما كتبه عن تاريخ مصر لا يوثق به كثيرا لأنه مستمد من القصص الشائعة على السنة العامة في ذلك العصر ولأنه لما زار مصر كانت الديانة المصرية على وشك الزوال والاضمحلال

١٥ تاريخ مصر — للكاهن المصري مانيتون حوالى سنة ٢٦٣ ق . م وقد كتبه باليونانية في عصر بطليموس فيلادلف وم معظم هذا الكتاب قد ضاع ولم يصل إلينا الا ما عني بنقله وحفظه مؤرخو العصور الأولى للميلاد وقد حصر فيه مانيتون ملوك مصر مبتدئا من مينا وقسم مابعد من الملوك الى ٣١ أسرة حكمت ٣٥٥٥ سنة

١٦ تاريخ مصر — لديدورو الصقلى الاغريقى في أوائل ظهور المسيحية وفي كلامه ما يحتاج الى برهان

١٧ تاريخ مصر — لاسترابون الاغريقى في أوائل ظهور المسيحية (strabo)

١٨ تاريخ مصر — لهور أبوللون باليونانية

١٩ كتاب وصف مصر في ٢٦ جزءا الذى كتبه علماء حملة نابليون المشهورة في مصر . طبع باريس ١٨٢٠ - ١٨٣٠ وفيه مالا يحصى من آثار وادى النيل

ورسومها وغير ذلك

- ٢٠ تاريخ مصر - تأليف بدج budge بالانجليزية في ثمانية أجزاء (لندن)
- ٢١ تاريخ مصر لفلنדרس بيترى في ثلاثة أجزاء (لندن) وله غيره من المؤلفات
- ٢٢ تاريخ مصر تحت حكم الفراعنة لبروجش Brnesch بالانجليزية
- ٢٣ تاريخ المصريين لبسنج (برلين ١٩٠٤)
- ٢٤ تاريخ مختصر لقدماء المصريين (لندن ١٩٠٤)
- ٢٥ تاريخ مصر تحت حكم البطالسة لمهافي (لندن ١٨٩٨)
- ٢٦ آثار مصر ونوبيا لشامبليون في أربعة أجزاء (باريس ١٨٢٥ - ١٨٤٥)
- ٢٧ آثار مصر ونوبيا لروزلين في ثلاثة أجزاء (فيزا بايطاليا ١٨٣٤)
- ٢٨ وصف أفريقيا للادريسي وفيه تاريخ مصر وجغرافيتها
- ٢٩ وصف مصر لابن دقاق طبع بولاق بمصر
- ٣٠ تاريخ المقريري
- ٣١ تاريخ قدماء المصريين لادوارد ماير بالالمانية (برلين ١٨٨٧)
- ٣٢ التاريخ المصري لويديمان الالمانى (برلين ٢٨٨٤)
- ٣٣ تاريخ قدماء المصريين لجيمس برستد - استاذ علم الآثار المصرية والتاريخ الشرقي في جامعة شيكاغو بامريكا
- ٣٤ الازمنة الغابرة - تاريخ الدنيا الاولى - ويحتوي مقدمة لدراسة التاريخ القديم والانسان الأول (لندن ١٩١٥) للدكتور جيمس برستد
- ٣٥ تاريخ مصر من الازمنة الاولى الى الفتح الفارسى لبرستد (نيويورك ١٩١٥)
- ٣٦ تقارير قديمة لمصر - وشواهد تاريخية من الازمنة الأولى الى الفتح الفارسى جمعها وترجمها برستد
- ٣٧ تاريخ الفراعنة - لبروكش المشهور
- ٣٨ تاريخ الفن القديم الجزء الأول لبرووشيز perrot, chipiez
- ٣٩ علم الآثار المصرية لماسبرو الفرنسي

- ٤٠ متون الاهرام ترجمها ماسبرو و مترجم الى الانجليزية
- ٤١ الحياة في مصر القديمة وأشوريا لماسبرو وترجمه للانجليزية مورتون (لندن ١٨٩٢)
- ٤٢ عادات وخلق قدماء المصريين لولكنسون ثلاثة أجزاء (لندن ١٨٢٨)
- ٤٣ الحياة في مصر القديمة للعالم الالماني ارمان ترجمه تيرارد الى الانجليزية طبع بالالمانية في المانيا عام ١٨٨٥
- ٤٤ قصص مصرية لبيترى لندن
- ٤٥ التعليم السري لمدام ه بلافاناسكى
- ٤٦ بيت الأماكن الخفية لمارشام آدم
- ٤٧ كتاب المعلم لمارشام آدم
- ٤٨ دليل الآثار المصرية للعالم ويجال حنا فراساوى
- ٤٩ تاريخ الشعوب الشرقية تأليف مونسترية ١٦٨٣ فيه عن مصر كثيرة
- ٥٠ كتاب بني اسرائيل في مصر تأليف بريل طبع اترخت
- ٥١ ديانة المصريين لارمان ترجمه الى الانجليزية جريفت لندن ١٩٠٧
- ٥٢ ديانة قدماء المصريين لويديمان الماني ١٨٩٠ ترجم الى الانجليزية
- ٥٣ ديانة قدماء المصريين لاستندورف (steindorff) العالم الالماني وقد عرب سليم أفندي حسن وهو مجموع محاضرات القاها ذلك العالم في اكثر من ثمان عشرة جامعة امريكية وتتضمن محاضراته الخمس (١) الديانة المصرية في شأنها الأول ومركزها في تاريخ العالم (٢) نمو الديانة المصرية وارتقاؤها (٣) في المعابد والاحتفالات (٤) فن السحر والحياة بعد الموت (٥) القبور والدفن والديانة المصرية خارج مصر
- ٥٤ كتاب آلهة المصريين لبيرج جزئين لندن ١٩٠٢
- ٥٥ كتاب الموتى ترجمة بدج ٣ جزء لندن ١٨٩٨
- ٥٦ مجموعة نماذج وجوه لقبل التاريخ نشرها بيترى في جريدة علم الانسان عام

١٩٠١ عدد ٢٤٨

- ٥٧ نتائج اليوت سميت - الجريدة العلمية بالقاهرة الجزء الثالث ١٩٠٩ مارس
- ٥٨ ورقة نسياسو البردية ترجمة بدج ١٨٩١ لندن
- ٥٩ التقارير السنوية لعلم الآثار في الاكتشافات بمصر
- ٦٠ (الكتالوج) العام لدار الآثار المصرية بالفرنسية (في متحف القاهرة)
- ٦١ عجائب الماضي بالانجليزية في ثلاثة أجزاء
- ٦٢ كتاب المدرسة البريطانية لعلم الآثار - وكذا مدرسة ليفربول - وتقرير البعثة الألمانية الشرقية - وتقرير تيودور دايفس عن حفرة بمقابر الملوك
- لمس فوسيت foucett عن قياس الجماجم المصرية القديمة (١٩٠٢)
- ٦٣ كتاب الرقص القديم والحديث . كاهوزاك - ١٧٥٤ . - رقص قدماء المصريين
- ٦٤ كتاب الرقص القديم والحديث وضع لافاج ١٨٤٤ » » »
- ٦٥ كتاب الرقص القديم والحديث وضع مولستريه ١٦٨٣ » » »
- ٦٦ اجرومية في اللغة الهيرغليفية للعالم دي روجية الفرنسي
- ٦٧ » » » » بروكش الانجليزي
- ٦٨ » » » » برتش »
- ٦٩ » » » » لاج دينون الالماني
- ٧٠ » » » » لوريه الفرنسي
- ٧١ » » » » ارمن الالماني
- ٧٢ » » » » ستيندورف الروسي
- ٧٣ كتاب في الهيرغليفية وضعه حورس المصري وترجم الى اليونان
- ٧٤ مجلة اللغة المصرية والعاديات - أسسها سترن وأرمان وهنري بروجش باشا وفيها أبحاث نفيسة بالالمان والفرنسية والانجليزية ومديرها الآن العالم الاثري الكبير «استندورف» استاذ اللغة المصرية بجامعة ايزج وصاحب المؤلفات القيمة
- ٧٥ تاريخ الكيمياء لاراست ماير وترجمه الانجليزية جوابه فيه ما يختص بالمصريين

- ٧٦ قاموس شمبليون واجروميته في اللغة الهيرغليفية
 ٧٧ سفر الخروج بالتوراة
 ٧٨ تاريخ المعادن واستخراجها تأليف بلينى . فيه نبذة عن المصريين مهمه
 ٧٩ stromates وضعه اكليميندس الاسكندري في القرن الأول للميلاد وقال
 فيه ان المصريين ثلاثة خطوط الهيرغليفية والهراطيقية والديوطيقية
 ٨٠ جميع دوائر معارف العالم تحت كلمة مصر Egypte لاسيما دائرة المعارف
 البريطانية والفرنسية الكبرى والالمانية
 ٨١ جنة المصريين وجميعهم لبدج
 ٨٢ كتاب توت عنخ آمون وغيره للمستتر هوارد كارترومستر ميس في عدة مجلدات
 ٨٣ الجريدة الامريكية عن اللغات السامية
 ٨٤ رسائل تل العمارنة (ونكار)
 ٨٥ الفيوم وبحيرة موديس (بروان)
 ٨٦ واقعة قادس للاستاذ برستد
 ٨٧ ابيدوس » ماريت
 ٨٨ المصاطب » »
 ٨٩ آثار متفرقة » »
 ٩٠ الموميات الملكية الاستاذ ماسيرو
 ٩١ اهرامات ومعابد الجيزة للاستاذ بيتري
 ٩٢ اللاهون » »
 ٩٣ قائمة الآثار المكتشفة في شبه جزيرة سيناء للاستاذ بيتري
 ٩٤ كاهون وجوروب وهواره للاستاذ بيتري
 ٩٥ كتاب مطالعة للمبتدئين في المصرية للاستاذ بدج
 ٩٦ كتب عن مصر وكندايا » »
 ٩٧ الديانة المصرية » »

- ٩٨ السحر المصري للاستاذ بدج
 ٩٩ اللغة المصرية »
 ١٠٠ مفردات من كتاب الموتى »
 ١٠١ الأدب المصري (جزءان) »
 ١٠٢ الخطوط الأولى في اللغة المصرية »

الفصل الحادى والثلاثون

نصائح الحكيم المصرى آنى

وهي مجموعة نصائح قدمها الحكيم آنى لتلميذه خونسو هتب في عصر مصر
 الذهبي في عهد الملك العظيم (توت عنخ آمون) أى منذ ٣٣٠٠ سنة تقريباً .
 وهذه النصائح مكتوبة باللغة الميراطيقية وتقع في تسع صحائف عثر عليها
 مارييت باشا الذي سبق الكلام عليه في احدى مقابر الدير البحري بطيبة بالاقصر
 سنة ١٨٧٠ م . وهي محفوظة بالمتحف المصري بالطبعة العليا بالقاعة حرف s . وقد
 ترجمها الى الفرنسية العالمان الأثريان شاباش ودي روجيه والى الالمانية العالم الأثري
 أرمن وللانكليزية الاستاذ ماسبرو وللعربية حضرة أنطون أفندي زكري الأمين
 بالمتحف المصري

وقد اشتهرت وسميت بورقة بولاق لأنها حفظت بالمتحف المصري يوم كان
 في بولاق .

وهذه المجموعة عبارة عن خمسين نبذة وهي .-

- ١ - أخلص لله تعالى في أعمالك لتتقرب اليه وتبرهن على صدق عبوديتك
 حتى تنال رحمة وتلحظك عنايته فانه يهمل من تولى في خدمته
- ٢ - لا تتقرب الى ربك بما يكرهه ولا تبحث أسرار ملكوته فهي فوق مدارك
 العقول واحفظ وصاياه وارشاداته فانه يرفع من بمجده
- ٣ - احترم الاعياد وأد شعائرها والا قد خالفت أوامر الله

- ٤ - لاتستعمل الفوغاء والفضجيج في بيت الله أيام أعيادك وادع ربك تضرعاً وخفية بقلب مخلص فذلك أقرب للإجابة
- ٥ - اذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقتضيه الكتب المنزلة .
- ٦ - تنهذب النفوس بالحسنات والترنيات والسجود
- ٧ - من اتهم زوراً فليرفع مظلمته الى الله تعالى فانه كفيل باظهار الحق وازهاق الباطل
- ٨ - اجعل لك مبدءاً صالحاً وضع نصب عينيك في جميع أحوالك غاية شريفة تسعى اليها لتصل الى شيخوخة حميدة وتهيء لك مكاناً في الآخرة فان الابرار لاتزعمهم سكرات الموت
- ٩ - صن لسانك عن مساوى الناس فان اللسان سبب كل الشرور وتحرم محاسن الكلام واجتنب قبائحه فانك ستسأل يوم القيامة عن كل لفظة .
- ١٠ - تزوج حديث السن ثرى لك ولدان في ريعان شبابك يكون سبباً في احترامك واجلالك وبرهاناً على صلاحك وتقواك
- ١١ - لاتهمل الترحم على والديك وتحملهما من أعمال الخير والبر اكثرها نفعا وأرجأها قبولا ومتى قمت لهما بهذا الواجب قام به لك ولدك .
- ١٢ - ان الله سخر لك أما كابدت كل مشقة حين حملتك وولدتك وأرضعتك ثلاث سنوات وربتك ولم تأنف من فضلاتك ولم تسأم معاناة تربيتك ولم تكل امرك لغيرها يوماً ما وكانت تبر أساتذك وتواسيهم كل يوم ليعتنوا بتعليمك والآن صار لك أولاد فاعتن بهم كما اعتنت بك أمك ولا تغضبها لثلاث ترفع يديها الى الله فيستجيب دعاءها عليك .
- ١٣ - اترك لاختيك البيت المشترك بينكما متى رأيت ما ينفصك حرصاً على الرابطة العائلية واستبقاء مودته حتى يكون معواناً لك في مصالحك الاخرى المشتركة معه
- ١٤ - اذا كانت زوجتك كاملة مدبرة فلا تعاملها بالخشونة والغلظة وراقب اطوارها لتكتشف احوالها . ولا تتسرع معها في الغضب لثلاث تزرع شجرة الشقاق والنزاع في بيتك فتكون ثمرتها التفتيق فان كثيراً من الناس يضعون أساس

- الخراب في بيوتهم لجهلهم حقوق المرأة .
- ١٥ - اذا كنت قوي الارادة فلا تدع المرأة تتسلط على قلبك
- ١٦ - اذا وقعت عينك على جارتك فاياك ان تهادى أو تعتمد رؤيتها تابعا . واحذر أن تخبر بذلك غيرك فتستوجب الهلاك .
- ١٧ - اياك أن تميل الى امرأة فتلعب بدينك وشرfk ولا تحدث ضميرك بشأنها فانها كالماء العميق الذي لا يعرف لها قرار . واذا كانتك امرأة تعرف أن زوجها غائب عنها لتوقعك في شباكها فاياك أن تصبو اليها لئلا توقع نفسك في حبال الهلاك . فان الشهوات طريق للموبات
- ١٨ - لا تدخل بيت السكر ولو أفادك بمحداً وشرفاً
- ١٩ - لا تردد على محال الخمر احتراساً من عواقبها الوخيمة . لان لشارب الخمر فلتات يستفزع صدورها من نفسه متى أفق . وهو دائماً مبتذل محقر عند الناس حتى بين اخوانه الذين يشاركونه في غروره وشروره
- ٢٠ - النظام في البيت يكسبه حياة حقيقية
- ٢١ - أسلك سبيل الاستقامة دائماً تصل الى الرتب العالية
- ٢٢ - كن شهماً شجاعاً فان الجبان لا يستفيد من الحياة غير ما وهب الله له
- ٢٣ - لا تجلس في حال وقوف من هو اكبر منك سناً ولو كنت أرقى منه رتبة .
- ٢٤ - ازم بيتك ولا تغادره الا لموجب . واذا لقيت في طريقك من يتجاهلك فغض طرفك عنه . وزر أصدقاؤك وأحباءك
- ٢٥ - اذا فانتك فرصة فترقب غيرها
- ٢٦ - لا تعاشر الا سافل لئلا تذهب هيبتك .
- ٢٧ - لا تكثر الكلام ولا تتظاهر بالفصاحة في التحقيق . وتكلم بحجثك بعد التروي والتفكر . فذلك أدعى لخلاصك
- ٢٨ - لا تجرح بكلامك شعور الناس فيسئان بك .
- ٢٩ - لا تنطق بالشر فتعود عاقبته عليك

- ٣٠ - اذا قاومت نفسك في مسراتها استطعت ردعها عن شهواتها
- ٣١ - انك لا تبجي من الشوك العنب
- ٣٢ - ليكن حديث كل انسان في شؤونه ولا يشتغل بشؤون غيره
- ٣٣ - اذا تخلقت باللطف والسكينة صرت محبوبا عند الناس ووجدت منهم عضداً
ونصيراً في جميع شؤونك
- ٣٤ - ليست السعادة بالثروة وحياسة الاموال انما هي في استنارة العقول بالفضيلة
والتخلق بالقناعة والرضا والكفاف
- ٣٥ - من تعود الجد والنشاط لا يحتاج الى حث واستنهاض
- ٣٦ - اذا رأيت مالا ترضاه في مجتمع فاجتنبه ولا سيما اذا كنت لا تستطيع التغلب
على عواطفك
- ٣٧ - اذا خاطبك رئيسك بحدة وانفعال فابتعد عنه حتى يسكن غضبه . واستعمل
اللين والرفق مع كل من يخاطبك بتهيج . فهذا هو الدواء الوحيد لذهاب
غيبظه وعلى العموم ان الكلام اللين يجذب القلوب
- ٣٨ - لا تستسلم الى اليأس والقنوط مهما قام في سبيلك من العقبات والشدائد
- ٣٩ - الزم الصمت اذا لم يكن داع للكلام
- ٤٠ - اذا اتخذت وكيلاً فانتخبه أميناً عاقلاً وثق به مع مراقبته فاذا كان حازماً
نسب لك هذا الحزم
- ٤١ - لا تثق بالناس المجهولة مبادئهم ولو خدعوك بتقديم أنفسهم لخدمتك
متظاهرين بالاخلاص فانهم يجرؤونك الى الخراب العاجل
- ٤٢ - تنبه في أعمالك ولا تنهاون فيها فان التهاون عاقبته الخيبة والفقر
- ٤٣ - اذا كنت متبحراً في العلم فانقش علمك في صحيفة فؤادك
- ٤٤ - اذا وليت منصباً فظهر براعتك فيه فتؤهل نفسك لارقي منه
- ٤٥ - العالم ذو منزلة عند الكبراء وان كان فقيراً فعز العلم ثروته ومجد العلم حمايته .
- ٤٦ - اذا جاءك ضيف فانزله منزلة من التحية والاكرام وتلطف معه لتعرف

الغرض من زيارته . ثم حادثه بمشاشة ولا تسمح له بالنظر في الحرية حتى يخرج عن حدود الاحتشام

٤٧ - اذا أكلت وحولك من ينظر الى طعامك فاطعمه، منه ولو شيئاً يسيراً فكم رجل كان في نعمة ورئاسة . فاصبح في بؤس ونعاسة والنعمة لا تدوم الا مع المحسنين
٤٨ - لا تكن شرهاً فان الانسان لم يخلق ليأكل بل يأكل ليحيى حياة طيبة يجعلها طريقاً للحياة الأبدية .

٤٩ - كل شيء يأتي عليه الدهر لا بد ان يتغير وضعه حتى يفتى أثره . ومن كان مطيته الليل والنهار فلا بد أن ينهار فكم تغيرت الانهار بالجزر والمد من مبدأ خلقها . واذا كان التغير والتحول من لوازم الطبيعة فلا يوجد رجل واحد ذو ارادة ثابتة

٥٠ - الحب أعز لأنه يصور قبيح المحبوب جميلاً لشدة ميل النفس اليه

~*~*~*~

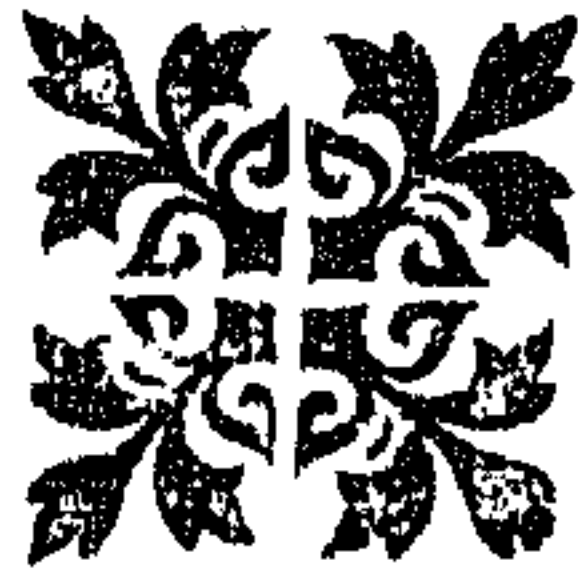
الفصل الثاني والثلاثون

تمثالا ممنون

تمثالا ممنون اللذان يدعوهما العامة في شاطئ طيبة الغربى بالصنمات يطالعان المرء على مسافة بعد هائل من جميع الجهات وكأنهما الخلف الوحيد للجيل الذى كاد ينسى يجلسان منفردين على السهل الاخضر النضير بين النهر العذب الخالد والتلال الوردية الفاتنة وكأنه قد قضى عليهما أن يعيشا مدى الدهر بعيدين عن كل ماعداهما حاشا النهر الذى يركض تحت قدميهما مرة كل عام ويعانقهما بشغف اذ يسرا اليهما بشرى الخصب والبركة التى جاء ليزديعهما فى الوادى وحاشا السماء الصافية التى تبسم أبدأ لصبرهما وطول أناتهما حاشا التلال التى تتعفن كل صباح لسماع أغنيتهما

وزعم البعض في العهد الروماني أن التمثال البحري كان لممنون بن أيوس أي
 الفجر وابن ثيثوناس وهو إله نوبي مثل أنتيلوخس بن نسطور الشجاع في خلال
 حرب ثروادة التي قتله فيها أخيلاس وكان ممنون هذا أحد الأبطال العظماء في تلك
 الحرب وقيل أنه قاد جيشاً من الأثيوبيين لمحاصرة تلك المدينة لأن اليونان
 أخطوا في قراءة أسماء أمنيوفيس الثالث (الذي شيد التمثالين) فقرأوها «ممنون»
 وقد عرف أن بطل ثروادة المسمى بهذا الاسم قد جاء من تلك البلاد ولذلك
 عدوا التمثالين للبطل الثروادي والحقيقة أنهما تمثالان أمنيوفيس الثالث وبجانب
 قدي التمثالين تمثال صغير لقريئة الملك من الجهة اليمنى وآخر لأمه من الجهة اليسرى
 وعلى جانبي العرش رسوم آلهة النيل في مصر العليا ومصر السفلى وهما يضمنان
 البلدين إلى بعضهما بضمير جذوع بنات الحندقوق والبردي اللذين يرمزان إلى
 مصر العليا ومصر السفلى والتمثالان مصنوعان من الحجر الرملي المقتلع من حجر
 السلسلة وكانا من حجر واحد في الأصل ولكن التمثال البحري هوى قليلاً ورم
 فقطع من الحجر الرملي في عهد الإمبراطور سبتاموس سيقروس (١٩٣ - ٢١١ م)
 وكان ارتفاع التمثال البحري ٥٢ قدماً أو ٦٥ قدماً بما فيها القاعدة أو سبعين قدماً
 بما فيها التاج الذي تهشم واضمحل وبلغ طول كل رجل عشرة أقدام ونصف أما
 الاتساع ما بين الكتفين فهو عشرون قدماً وطول الأصبع الوسطى في اليد أربعة
 أقدام ونصف قدم ويمثل أن يكون التمثال البحري قد تشقق في الزلزال الذي
 حدث سنة ٢٧ بعد المسيح وصارت له شهرة في عهد الحكم الروماني بسبب الصوت
 الغريب المنبعث منه في الصباح وقد اتجهت إليه الأسماك في عهد حكم نيرون
 فخاكي السياح الرومانيون أسطورة لطيفة لتعليل ذلك الصوت مفادها أن ممنون
 الذي قتل في حرب ثروادة ظهر كتمثال حجري في طيبة وحيا أمه أيوس بنعمة
 حلوة حزينة كلما ظهرت ساعة الفجر فسمعت الآلهة تلك النغمة وكانت انداء
 الصباح دموعها التي سكبتها رثاء لابنها المحبوب وكانوا يعتقدون أن الآلهة ممنون
 غضبان إذا لم يسمع الصوت المنبعث من تمثاله وفي سنة ٢٤ قبل المسيح زار

استر ابو التمثال بعد حدوث الزلزلة بثلاث سنوات وقرر أن الجزء الأعلى قد تشقق وأنه سمع صوتاً منبعثاً منه والسكنه شك أن بعض الأهالي قد خدعوه وأوهموه لسامع ذلك الصوت وقد أكثر السياح والشعراء بعد ذلك العهد من كتابة مقطوعات وأبيات شعرية جميلة وتواريخ زيارتهم على قاعدة ذلك التمثال ومما يحسن ذكره هنا أن بلبل الشاعرة كتبت أبيات في وصف زيارة هديك وزوجه سبينه سانيا لذلك التمثال (سنة ١٣٠٠ بعد المسيح)



فهرس تاديج توت عنخ آمون الكتاب الاول : توت عنخ آمون

صفحة	صفحة
مدفن توت عنخ آمون	٧ الفصل الاول : عناية الغرب بآثارنا
٢٦ الفصل الثامن عشر : كلمة في التحنيط	« الثاني : اهمالنا
والخلود	« الثالث : تقدير علم الآثار
٢٧ « التاسع عشر عقائد عريقه في القدم	« الرابع : مصر مهد المدنية
٢٧ « العشرون : فجر المدنية	« الخامس مصر قبل التاريخ
٢٩ « الحادي والعشرون : إعادة	« السادس : شمشليون وأعماله
الحياة للموتى	« السابع : حل اللغة الهيروغليفية
٧٠ « الثاني والعشرون : التقدم في	« الثامن : حب البحث
الفن بعد ٢٠ قرناً	« التاسع : الاكتشاف العظيم
٧٢ « الثالث والعشرون : الملك	« العاشر : كلمة للارد كارنافون
واوزيريس	« الحادي عشر : توت عنخ
٧٣ « الرابع والعشرون : وادي	آمون في مخدعه الأزلي
مقابر الملوك	« الثاني عشر : عصر توت عنخ
٧٦ « الخامس والعشرون : اعترافات	آمون الذهبي
لصوص المقابر	« الفصل الثالث عشر : حول
٧٧ « السادس والعشرون : اخفاء	مدفن توت عنخ آمون
الموميات	« الرابع عشر : نظرة حول مدفن
٨١ « السابع والعشرون : حول	توت عنخ آمون
قصة الطوفان	« الخامس عشر : اكتشاف
٨٤ « الثامن والعشرون : الوصول	مقابر طيبة الملكية
الى السماء	« السادس عشر : من هو توت
٨٦ « التاسع والعشرون : وظيفة	عنخ آمون
البقرة هاتور	« السابع عشر : أهمية اكتشاف

الكتاب الثانى : فى عالم تاريخ قدماء المصريين

٩٤	الفصل الاول . قبل الاسرات	١١٠	« الخامس عشر الاسرة الثامنة عشر
٩٦	« الثانى : الاسرة الاولى والثانية	١٢٠	« السادس عشر : الاسرة
٩٧	« الثالث : الاسرة الثالثة		التاسعة عشرة
٩٨	« الرابع : الاسرة الرابعة	١٢١	« السابع عشر : الاسرة
٩٩	« الخامس : الاسرة الخامسة		العشرون
١٠٠	« السادس : الاسرة السادسة	٢٢١	« الثامن عشر : الاسرة الحادية
١٠١	« السابع : الاسرتان السابعة		والعشرون
	والثامنة	١٢٢	« التاسع عشر : الاسرة الثانية
١٠١	« الثامن : الاسرتان التاسعة		والعشرون
	والعاشر	١٢٣	« العشرون : الاسرة الثالثة
١٠٢	« التاسع : الاسرة الحادية عشرة		والعشرون
١٠٢	« العاشر : الاسرة الثانية عشرة	١٢٣	« الحادى والعشرون : الاسرة
١٠٤	« الحادى عشر : الاسرة الثالثة		الرابعة والعشرون
	عشرة	١٢٤	« الثانى والعشرون : الاسرة
١٠٥	« الثانى عشر : الاسرة الرابعة		الخامسة والعشرون
	عشرة	١٢٤	« الثالث والعشرون : الاسرة
١٠٥	« الثالث عشر : الاسرتان		السادسة والعشرون
	الخامسة عشرة والسادسة	١٢٦	« الرابع والعشرون : الاسرة
	عشرة		السابعة والعشرون
١٠٦	« الرابع عشر : الاسرة السابعة	١٨٦	« الخامس والعشرون : الاسرة
	عشرة		٢٨ الى الاسرة ٣٠

الكتاب الثالث : كلمة عن حضارة قدماء المصريين

صفحة	صفحة
١٣٧ الفصل الخامس : تعليم قدماء المصريين للامم	١٢٨ الفصل الاول : العظمة المصرية
١٣٩ « السادس : طيبة وآثارها	١٣١ « الثاني : الهرم الاكبر
١٤٤ « السابع : فيلة وآثارها	١٣٣ « الثالث : رأى فى علاقة الهرم بكتاب الموتى
١٤٤ « الثامن ابو سمبل وآثارها	١٣٦ « الرابع : ابو الهول ومعبد

الكتاب الرابع : لمحة الى مصر القديمة

صفحة	صفحة
١٧٠ الفصل السادس : آثار ابحاث قدماء المصريين فى السودان	١٤٨ الفصل الأول : أرض الشهرة الغابرة
١٧٣ « السابع : بعثة استكشافية	١٥١ « الثاني : يوم فى طيبة ايام مجدها
١٧٧ « الثامن : المعابد والمقابر	١٥٨ « الثالث فرعون فى وطنه
١٨٢ « التاسع : السماء والعالم الآخر	١٦١ « الرابع : حياة الجندي المصري القديم
١٨٦ « العاشر : الخرافات والقصص الخرافية	١٦٦ « الخامس : النشأة المصرية القديمة

الكتاب الخامس : كتب وشؤون قدماء المصريين

صفحة	صفحة
٢٧٤ الفصل العشرون : بعثة تل العمارنة	٣١٢ الفصل الاول : كتب قدماء المصريين
٢٧٧ « الحادى والعشرون : أوراق البردى في متحف برلين	٢١٥ « الثانى : كتاب الموتى
٢٧٨ « الثانى والعشرون : سيرة احمد باشا كمال وأعماله	٢١٧ « الثالث : حكم بتاح حتب
٢٨٢ « الثالث والعشرون : جغرافية مصر القديمة	٢٢٣ « الرابع : كتب البردى
٢٨٥ « الرابع والعشرون : قدماء المصريين في التوراة	٢٢٥ « الخامس : شيء من حكم قائمته
٢٨٩ « الخامس والعشرون : مكانة مصر في التاريخ البشرى	٢٢٥ « السادس : مجمل كلمات الديونة
٢٩٥ « السادس والعشرون : الخلود عند قدماء المصريين	٢٢٦ « السابع : آلهة قدماء المصريين
٢٩٩ « السابع والعشرون : كلمة في مارييت باشا	٢٢٩ « الثامن : ديانة المصريين
٣٠٥ « الثامن والعشرون : مؤلفات مارييت باشا	٢٣٦ « التاسع : قبور المصريين
٣٠٦ « التاسع والعشرون : حدود حكم الفراعنة	٢٤٠ « العاشر : علوم المصريين
٣١٢ « الثلاثون : كتب هامة ومراجع قيمة	٢٤٢ « الحادى عشر : زراعة المصريين
٣١٨ « الحادى والثلاثون : كتاب آنى الحكيم المصرى	٢٤٤ « الثانى عشر : الخمر
	٢٤٥ « الثالثة عشر : تربية الحيوان
	٢٤٥ « الرابع عشر : فرعون واشتقاقه
	٢٤٨ « الخامس عشر : النيل
	٢٥٦ « السادس عشر : دار الآثار المصرية
	٢٥٩ « السابع عشر : بين أجداث سقاره وآثارها
	٢٦١ « الثامن عشر : بين آثار الصعيد
	٢٦٤ « التاسع عشر : بين الآثار المصرية في أوروبا

1
2
3

• الطب المصري القديم

• مصري في العصور القديمة

• تاريخ الفن المصري القديم

• تاريخ نوت عنخ آمون
وتتبعه تاريخ عالم الفراعنة

• الأثر الجليل لقدماء وادي النيل

• الموارد والصناعات عند قدماء المصريين

Bibliotheca Alexandrina



0354296

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel. : 756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٧٥٦٤٢١